جامعة حضرموت
نيابة الدراسات العليا

ISSN:2707-8655
EISSN: 2707-8663

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكّمة نصف سنوية

تصدرها كلية التربية - المهرة

- شعر الصبا حيات عند ابن زمرك الغرناطي
- الحكمةُ في كليلة ودمنة باب (ابن الملك وأصحابه)
- منهج التأليف الصرفي عند (أحمد فارس الشدياق) في كتابه (غُنيَة الطالِب ومُنية الراغِب)
- صورة الإعاقة والمعاق في المدونات الشعبية لسالم مرزوق أبو جابر بلحاف
- البناء العروضي في شعر أحمد بن علوان
- اختيارات العلاَّمة عبد الله بن محفوظ الحداد في باب الصيام
- المجتمع المدني .. الوظيفة والرهان.
- درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية.
- المؤسسات التربوية في العصر العباسي ودورها في نشر العلم.
- التنظيم القانوني لقبول الكمبيالة بالتدخل
- حركة المواد الأرضية ومخاطرها الجيومورفولوجية على أسطح المنحدرات الجبلية المطلة على طريق نقيل سُمارة إب- اليمن

العدد الحادي عشر - جمادى الأولى ١٤٤٣هـ ديسمبر ٢٠٢١م

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن كلية التربية - المهرة
تهتم بنشر الأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية
العدد الحادي عشر - ديسمبر- ٢٠٢١م

حقوق الطبع محفوظة لمجلة المهرة للعلوم الإنسانية

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

المشرف العام
د. عادل كرامة معيلي

رئيس التحرير
أ.د. محمد علي جبران

مدير التحرير
أ.د. أمين عبد الله اليزيدي

سكرتير التحرير
د. هلال محمد علي السفياني

التدقيق اللغوي
أ.د. عبدالكريم حسين علي رعدان

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

الهيئة العلمية والاستشارية للمجلة

م	الاسم	البلد	التخصص
١	أ.د. عبدالقادر الرباعي	الأردن	أدب ونقد
٢	أ.د. عبد الحميد أحمد الحسامي	السعودية- الملك خالد	أدب ونقد حديث
٣	أ.د. هادي سالم الصبان	اليمن- حضرموت	تربية رياضية
٤	أ.د. عامر فائل محمد	اليمن- مركز اللغة المهرية	لغة ونحو
٥	أ.د. هيثم عبد الحميد خزنة	تركيا – ماردين	فقه وأصوله
٦	أ.د. رياض فرج عبدات	اليمن- سيئون	فقه مقارن
٧	أ.د. الخضر عبد الله حنشل	اليمن عدن	حقوق
٨	أ.د. أحمد صالح قطران	السعودية- الملك خالد	أصول فقه
٩	أ.د. عبد الكريم حسين رعدان	اليمن – حضرموت	بلاغة ونقد
١٠	أ.د. شرف أحمد الشهاري	اليمن- الأندلس	أصول التربية
١١	أ.د. محمد أحمد غالب العامري	اليمن- سبأ	أدب ونقد قديم
١٢	أ.د. عبد الكريم مصلح البحلة	اليمن- ذمار	لسانيات عربية
١٣	أ.د. حسن عبيد الفضلي	اليمن- حضرموت	لغة إنجليزية

الرقم المحلي للمجلة:
١٥٦٤ للعام ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي:
ISSN:2707-8655
EISSN: 2707-8663

ايميل: almahrajh@gmail.com

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

قواعد النشر

تصدر مجلة (**المهرة**) **للعلوم الإنسانية** عن كلية التربية- المهرة- وفقًا للقواعد الآتية:

تطبع البحوث المرسلة وتقدم للنشر على برنامج (Microsoft Word) ويتم تنسيق الورقة على قياس (A4)، بأبعاد ٢,٥ من جميع الاتجاهات، وفقًا للآتي:

١. في البحوث المكتوبة باللغة العربية: خط (Arabic Transparent) بحجم (١٤) للمتن، و(١٢) للهوامش، وحجم (١٦) للعناوين الرئيسة و(١٤) للعناوين الفرعية بخط أسود عريض (بولد)، والمسافة بين الأسطر يجب أن لا تقل عن (١,٥)، وحجم الخط (١٢) عادي للجداول والأشكال وحجم (١٠) عادي للملخص والهوامش.

٢. في البحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية: خط (Times New Roman) حجم (١٢) للمتن وبحجم (١٠) للهوامش، والعناوين الرئيسة بحجم (١٤) بخط أسود عريض (بولد)، والمسافة بين الأسطر يجب أن لا تقل عن (١,٥)، وحجم الخط (١١) عادي للجداول والأشكال التوضيحية وحجم (٩) عادي للملخص والهوامش.

٣. يسلم الباحث ملخصين للبحث: أحدهما باللغة العربية، والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا تتجاوز كلمات كل واحد منهما عن (٢٠٠) كلمة، ويحتوي على كلمات مفتاحية لا تزيد عن ست كلمات، كما يحتوي على فحوى النتائج التي توصل إليها البحث.

٤. تنشر المجلة مجانًا لأعضاء هيئة التدريس بالكلية، فيما يدفع اليمنيون من داخل اليمن (٢٥٠٠٠) ريال، ويدفع الباحثون من خارج اليمن (٥٠) دولارا أمريكيا.

٥. يفضل ألا تزيد عدد صفحات البحث عن (٢٥) صفحة، وفي حالة الزيادة يدفع ألف ريال يمني عن كل صفحة زائدة.

٦. تسدد الرسوم على حساب المجلة رقم (٢٥٤١٢٦٥١٥) في صرافة العمقي.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

التوثيق:

يشار إلى المصادر والمراجع على هيئة هوامش مرقمة أسفل الصفحة، تعتمد فيها الأصول المتعارف عليها، وترتب المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع ألف بائيًا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقًا للآتي:

١. **البحوث والمقالات المنشورة في الدوريات والمجلات:** يكتب اسم الباحث (الباحثين) بدءًا باسم العائلة، ''عنوان البحث،'' اسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

٢. **الكتب:** اسم المؤلف (المؤلفين) بدءاً باسم العائلة، عنوان الكتاب، اسم الناشر، سنة النشر.

٣. **الرسائل العلمية:** اسم صاحب الرسالة بدءًا باسم العائلة، ''عنوان الرسالة،'' يذكر رسالة ماجستير أو دكتوراه، اسم الجامعة، السنة.

٤. **النشرات والإحصائيات الصادرة عن جهة رسمية:** اسم الجهة، عنوان التقرير، المدينة، أرقام الصفحات، سنة النشر.

٥. **إذا كان المرجع موقعًا إلكترونيًا:** اسم المؤلف بدءًا باسم العائلة، عنوان الموضوع، سنة النشر، الرابط الالكتروني و تاريخ آخر زيارة للرابط.

٦. **المستلات:** اسم الباحث (الباحثين) بدءًا باسم العائلة، ''عنوان البحث،'' اسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

٧. **وقائع المؤتمر:** اسم الباحث (الباحثين) بدءًا باسم العائلة، عنوان البحث، اسم المؤتمر، رقم المجلد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

٨. في حالة أن يكون التوثيق في المتن فيكون على النحو الآتي: (اللقب، عام النشر، الصفحة)

٩. ترفق قائمة بالمصادر مرتبة هجائياً متضمنة المعلومات الأساسية: المؤلف، المرجع، تاريخ النشر، بلد النشر، رقم الطبعة.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

يمنح الباحث نسخة من العدد الذي يتضمن بحثه، كما يمنح كاتبو المناقشات والمراجعات والتقارير وملخصات الجامعية نسخة من العدد الذي يتضمن مشاركاتهم.

المرفقات المطلوبة مع البحث:

١. رسالة موجهة من الباحث إلى رئيس هيئة التحرير تتضمن رغبته في نشر بحثه في المجلة ويحدَّد فيها التخصص الدقيق للبحث.
٢. تعهد خطي من الباحث بأن بحثه لم ينشر، أو لم يقدم للنشر في دورية أخرى، وأنه ليس فصلاً أو جزءًا من كتاب منشور.
٣. نسخة من البحث بصيغة وورد وأخرى بصيغة بي دي إف.
٤. سيرة ذاتية مختصرة للباحث تتضمن: اسمه الرباعي، ومكان عمله، ودرجته الأكاديمية، وتخصصه الدقيق، إضافة إلى بريده الإلكتروني ورقم هاتفه الثابت والنقال ورقم هاتف الواتس اب.
٥. نسخة كاملة من أداة جمع البيانات (الاستبانة أو غيرها)، إذا لم تكن قد وردت في صلب البحث أو في ملاحقه.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

قائمة المحتويات

كلمة المشرف **١١**

كلمة العدد

من الاستشراق إلى الاستغراب: تفكيك كتاب محمد والغصن الذهبي

أ.د. عبد القادر الرباعي **١٢**

شعر الصباحيات عند ابن زمرك الغرناطي

د. خالد عمر محمد باوزير، د. فتيحة محمد أمين العربي **١٦**

الحكمةُ في كليلة ودمنة باب (ابن الملك وأصحابه) دراسة نصِّية تربوية

د. محمد عبد الله الطاهر باعبود..... **٦٦**

منهج التأليف الصرفي عند (أحمد فارس الشدياق) في كتابه (غُنيَـة الطالِب ومُنيَـة الراغِب)

د.محمد علوي أحمد بن يحيى، د.أحمد عبد اللاه عوض البحبح **٩٦**

صورة الإعاقة والمعاق في المدونات الشعبية لسالم مرزوق بلحاف أبو جابر

أ.د. أمين عبد الله محمد اليزيدي **١٢٨**

البناء العروضي في شعر أحمد بن علوان

عصام مقام..... **١٥٨**

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

اختيارات العلاَّمة عبد الله بن محفوظ الحداد في باب الصيام

د: صالح مبارك دعكيك **١٩٠**

المجتمع المدني .. الوظيفة والرهان

أ.م.د. محمد الكامل..... **٢٤٠**

درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية

أ.م.د. عمر عبود سعيد عقيلان **٢٧١**

المؤسسات التربوية في العصر العباسي ودورها في نشر العلم

د. أحمد المهدي محمد محمد أحمد **٣٠٧**

التنظيم القانوني لقبول الكمبيالة بالتدخل (دراسة مقارنة)

د. مكسيم معاون السباعي، د. محمد علي الجوهي..... **٣٣٦**

حركة المواد الأرضية ومخاطرها الجيومورفولوجية على أسطح المنحدرات الجبلية المطلة على طريق نقيل سُمارة إب- اليمن **د. عادل حمود لطف ناجي** **٣٦٠**

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

كلمة المشرف

إطلالتنا لهذا العدد بأحد عشر موضوعا متنوعا خمسة منها في الأدب واللغة وواحد في علم الاجتماع وآخر في الاقتصاد وثالث في الفقه وبحث في المناهج وطرق التدريس، وآخر في أصول التربية، ثم مسك الختام بحث في الجغرافيا الجيولوجية.

تتنوع الاهتمامات البحثية وتتسع المدارك باتساع لا محدود، وأنَّى للعلم أن يكون له حدٌّ يحدُّه، أو سقف يقف عنده.

هذا هو إصدارنا الحادي عشر من المجلة، وهو الإصدار الرابع بعد اعتمادها علمية محكمة.. وبقدر سعادتنا لتواتر الإصدارات بانتظام؛ فإنه لمن المحزن أن نرى ما يحل ببلادنا اليمن والبلدان العربية الإسلامية، وكأنها هجمة استعمارية في أثواب متعددة، تقودها أطراف خفية وجلية، ويبقى العلم، والعمل العلمي المنظم هما أساس الخروج مما تعيشه الأمة.

تشرفنا في هذا العدد بتكرم الأستاذ الدكتور عبدالقادر الرباعي بكتابة كلمة العدد وكانت عن الاستشراق في عرض موجز لآخر إصداراته بعنوان: (من الاستشراق إلى الاستغراب: تفكيك كتاب محمد والغصن الذهبي) ختاما أجدد الدعوة للباحثين بالتواصل العلمي والنشر الأكاديمي الرصين.

وأسأله تعالى أن يلطف بالبلاد والعباد.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
العدد الحادي عشر- جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - ديسمبر ٢٠٢١
ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

كلمة العدد

من الاستشراق إلى الاستغراب: تفكيك كتاب محمد والغصن الذهبي

أ.د. عبد القادر الرباعي

نعلم أن الاستشراق هو دراسة الغرب للشرق بما فيه الشرق العربي عموما، ومرَّ تاريخ الاستشراق بمرحلتين:

الأولى: مرحلة تقليدية قديمة كان فيها أكثر المستشرقين قد ارتبطوا بالدول الاستعمارية في غزوها للشرق عامة وديار الإسلام خاصة. لقد مد المستشرقون أولئك المستعمرين بالمعرفة الدقيقة التي اكتسبوها من خلال رحلاتهم إلى الشرق، وتعرفهم على بلاد الإسلام وثقافة أهلها، ومعتقداتهم، وآدابهم، وأساطيرهم. ينقل بوزويرت وشاخت في كتابهما عن تراث الإسلام أن المستشرق مكسيم رودنسون قال: "حين كان الغربيون يذهبون إلى الشرق كانت تلك الصورة التي يبحثون عنها، فينتقون ما يرونه بعناية، وبتجاهلون كل مالا ينسجم مع الصورة التي كونوها سابقاً". أما اشتيفان فيلد فيذكر أن جماعة المستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه، في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين. وهذا واقع مؤلم لا بد أن يعترف المستشرقون به.

الثانية: المرحلة الجديدة التي اختلف التوجه العام فيها عن توجه المستشرقين اللاهوتيين القدامى. ويظن أنه كان لمقال أنور عبد الملك بعنوان (الاستشراق في أزمة) المنشور باللغة الفرنسية، وكتاب إدوارد سعيد بعنوان: الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء. المنشور باللغة الإنجليزية ٢٠٠٥م، كان لهما التأثير المباشر على المنظومة الاستشراقية برمتها؛ ذلك أن المستشرقين قبلهما لم يكن يعنيهم الرد على من يهاجم منظومتهم. أما بعد نشر مقال عبد الملك الاستفزازي بالفرنسية والذي قد أصاب

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

مقتلاً من الاستشراق حتى كاد يجرده من كل مقصد علمي نزيه " ، وكتاب إدوارد سعيد، الذي تلا ذلك فأذكى الخصومة من جديد. فالرجلان يمتلكان منهجاً علمياً راقياً ومتطوراً ويمتلكان أهلية منهجية ندِّيّة لأنهما من البيئة العلمية نفسها.

لقد هب المستشرقون يدافعون عن مهمتهم العلمية التي لا يشك بمقصديتها حسب ظنهم، وكأن هذه المادة الجديدة المنشورة إزاء عملهم كانت صوتاً صارخاً أيقظهم من سبات طويل عميق. ومع أن ردود بعضهم كانت غاضبة جارحة، لكن بعضهم الآخر استيقظ فيهم الإحساس بمرارة الاستشراق القديم وجنوحه عن جادة الحقيقة، فراح يسل نفسه منه، ويتبرأ من جنوحه، ويؤكد علميته الخاصة المنزهة عن كل شائبة. يقول شاكر النجار : " لقد حاول الكتاب المتأخرون أن يتخلصوا من الخيالات والأوهام التي كانت تسيطر على الكتاب الأوائل حين يكتبون عن الشرق، وأن يكونوا أكثر موضوعية وإيجابية".

وإذا كان هذا التحول حقيقة فلابد أن يكون فيه استثناءات. ومنها المستشرق ياروسلاف استتكيفتش في كتابه (Muhammad and the Golden Bough- Reconstructing Arabian Myth) **محمد والغصن الذهبي ، إعادة ترميم الأسطورة العربية**، المثير للغرابة. لقد شغلت بتفكيك هذا الكتاب، مقتدياً بنظرية التفكيك التي اجترحها جاك دريدا وأقامها على مبدأ التشكيك في مسارات الخطابات الثابتة، وخلخلة أعمدتها تمهيداً لاستوائها وإعادة تركيب نصوصها من جديد، وفق رؤية إنتاجية أكثر إقناعاً.

فالكتاب مليء بالأفكار الاستشراقية المستفزة. ومن باب تخفيف الوطء المؤكد لدى كل عربي ومسلم يدرك الأبعاد الأبستمولوجية، والحفرية في الأعماق التي يغوص فيها ، فقد أشفق مترجمه الأستاذ سعيد الغانمي من ردة الفعل تلك؛ فترجم العنوان في طبعته الأولى إلى عنوان آخر هو (**العرب والغصن الذهبي**). ولم تعجب هذه الترجمة استتكبفتش وإنما أصر في استهلاله الترجمة بكلمة موجهة

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

للمتلقي العربي المسلم، أنه لا يقبل إلا الترجمة الصحيحة للعنوان وهي (**محمد والغصن الذهبي**)!. وها أنا ذا أعتمد ما أراد اعتماده .

لقد انحرف الكتاب عن نهج الحقيقة، وانزاح بتصميم متعمد عن الصواب في اختياره للنصوص، وبنائه للأفكار. لقد صيغت تلك الأفكار محبوكة بمهارة عالية وماكرة ، لكنها حين تنكشف على حقيقتها تظهر ما فيها من مراوغات، وتشابكات مضللة. لقد حفها النقص من كل جوانبها. ومن أجل ذلك كله أصبح الكتاب بحاجة إلى محاورة علمية صريحة حذرة، ووقفات حرجة مستبطنة في الآن نفسه. إن الغاية من ذلك الحذر الصريح والحرج المستبطن، هي الوصول بالحجاج إلى منطق في القول ينفي الزائف، ويضيئ الرؤيا على الحقائق، ويبلور كل شأن غامض، وذلك اعتماداً على المرجعيات الصحيحة الموثقة والموثوقة في آن. فبدون ذلك يتوه المحلل عند بوابات التشكيك، ومتاهات التراكم والتضليل.

إن استشعار الصدمة لدى المتلقي العربي والمسلم لهذا الكتاب هو الذي دفع مترجمه لتغيير عنوانه، وما كان له أن يفعل، بل كان يجب أن يبقي على عنوانه الأساسي (محمد والغصن الذهبي)، كي يعلم الجميع مدى الصدى الزائف عن تراثهم العريق لدى الغلاة من المستشرقين .

إن هذا الكتاب (من الاستشراق إلى الاستغراب) اهتدى بمقولة الاستغراب الهادف إلى دفع العلماء العرب والمسلمين إلى متابعة أولئك المستشرقين الغلاة، من أجل نقض تحنيهم على الحقيقة العلمية. ولعل كتابي هذا سار على درب ذلك الاستغراب في مجادلاته ومحاوراته العلمية لكتاب ياروسلاف ستتكيفتش.

لقد اعتمدت الاحتجاج العلمي الهادئ الصارم، قاعدة للانطلاق في نقد النقد؛ سواء فيه هو، أو في أثرين آخرين للمؤلف نفسه، هما: كتاب العربية الفصحى الحديثة، وبحث ينفي فيه العلاقة بين

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

سينية أحمد شوقي والبحتري، على الرغم من تأكيد العلاقة في كل الدراسات حول السينيتين، بل تأكيدها من قبل شوقي نفسه:

وعظ البحتريَّ إيوانُ كسرى وشفتني القصورُ من عبد شمس

لقد أراد المستشرق بنفيه العلاقة تلك، أن ينفي تأثر شوقي وغيره من الشعراء الإحيائيين، بأي شاعر إسلامي، راداً تأثرهم فقط إلى شعر ما قبل الإسلام. ومثل هذا فعل في اللغة العربية؛ إذ عزا سر حيويتها ومرونتها إلى تأثرها باللغات الأجنبية، نافياً مرونتها في تطورها الذاتي الطبيعي تبعاً لتطور الأحوال عبر الأزمان التاريخية.

فعلى الرغم من اختلاف المنحنيات المنهجية في تأليف هذه الآثار الثلاثة؛ فإن النهج الاستشراقي المنزاح عن الحق والصواب واحد فيها جميعاً، الأمر الذي يؤكد أن الغاية في الانحراف الاستشراقي عن الجادة السوية في النهج، محفورة في أعماق هذا المستشرق تجاه التراث العربي عامة، والإسلامي خاصة. ولهذا فرض على المتلقي منهما واجب النقد والجدل والتفكيك لآرائه إزاء الآثار الثلاثة المذكورة، وأيضاً لمتابعة كتبه الأخرى ككتابه (صبا بجد) وغيره لكشف ما قد يمكن أن يكون محفوراً فيها من أباطيل!!!.

ولكن – مع كل ذاك التجني الغالب على العرب والمسلمين– نؤكد أننا لا ننكر جهود قسم غير قليل من المستشرقين المخلصين لعلمهم، وسلامة منهجهم. فنحن نعترف بذلك حقاً، وندين لهم بالشكر والعرفان على تلك الجهود المخلصة في خدمة تراثنا خدمة جليلة. لقد كانوا جادين في تنقيبهم عن المخطوطات العربية التي تزخر بها المكتبات العالمية، وخاصة الغربية منها، والتي ما كنا لها عارفين لولا عملهم الجاد الدؤوب، وإخلاصهم العلمي الصابر الصادق المبرأ من أية شائبة. إنهم بذلك يستحقون منا – نحن أبناء العربية وتراثها العريق – كل الإكبار والتجلة، والشكر العميم،،،.

شعر الصباحيات عند ابن زمرك الغرناطي

التشكيل والدلالة

د. خالد عمر محمد باوزير(*)

د. فتيحة محمد أمين العربي(**)

الملخص:

يتناول هذا البحث "شعر الصباحيات"، وهو فن شعري مدحي سلطاني، استمد وصفه وكينونته من الصباح زمناً، ودلالة، ومقوماً فنياً، ويعد من مبتكرات الشاعر الغرناطي ابن زمرك، مصطلحاً ولوناً شعرياً، ويعكس احتفاءه بدال الصباح، مطلعاً ومتناً وخاتمة. فالصباحية في مدلولها الشعري صباح القصيدة ومفتاحها وزمن ولادتها، وإشراق دوالها وتراكيبها وصورها، واكتمال بنائها، وبراعة أسلوبها وفنيتها، تستهل بأسلوب التحية الملوكية "أنعم صباحاً "أو دال الصباح. ويمثل الصباح فيها معادلاً موضوعيا لجمال الممدوح ونورانيته، كما يمثل أيضاً الزمن الشعري، من زمن المتعة، وزمن البشائر وزمن بثّ الحياة وتجددها، لتشكل الدلالات الثلاث: النورانية، والجمالية والزمانية، مرتكزات القصيدة الصباحية.

كلمات مفتاحية: الصباحيات، المدح، دلالات، التشكيل، ابن زمرك.

(*) أستاذ الأدب الأندلسي والمغربي المشارك – جامعة حضرموت.

(**)أستاذ الأدب الأندلسي والمغربي المساعد – جامعة حضرموت.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

The Poetry of Mornings According to Ibn Zamrak Al-Gharnati

Formation and Connotation

Abstract:

This research deals with the "Poetry of Mornings", which is a poetic art that deals with Sultan praising. Its description and its contents are driven from mornings in terms of time, connotation and artistic component. It is considered among the innovations of the Gharnati poet, Ibn Zamrak, terminologically and in terms of the poetic style, reflecting his hearty reception of the morning's denotation in the prologue, body text and epilogue. Morning poems in their poetic signification are the daybreak of the lyric poem, their key, time of their onset, vividness of their significations, formations and imagery, completion of their structure, ingenuity of their style and artistry, beginning with the style of the royal salutation "an'ama sabaahan" (good morning) or indication of the morning. In the morning lyric poems, mornings represent objective equivalents of the complimented one's beauty and luminosity. Also, they represent the poetic era of the pleasure times and times of glad tidings as well as the times of instilling life and renewing it, thus forming the three connotations of luminosity, aesthetics and temporal, which are the foundations of the morning poems.

Keywords: Morning Poems; Praise; Connotations; Formation; Ibn Zamrak.

مقدمة:

إن الناظر في شعر ابن زمرك[١] الغرناطي لتثيره ظاهرة فنية، تتواتر في شعره، وتسمه بميسم خاص، ألا وهي ظاهرة الصباحيات. يحتفي فيها الشاعر بالصباح أيما احتفاء، ويطالعنا كثيراً بمصطلح شعري جديد، يصف به بعض قصائد شعره المدحي وما يتصل به، من شكر وتهنئة وغيرها، نجده يتشكل تشكلاً فنياً خاصاً، لا سيما في استهلالاته، فيستهل بـ "مطلع صباحي". وهو مطلع جديد لم يسبق إليه.

لقد كانت الصباحيات من أكثر الأغراض الشعرية تواتراً في شعر ابن زمرك[٢] . ولنا في عدها غرضاً رأي آخر . بلغت أربع عشرة قصيدة ومقطعة حسب إحصاء المحقق، في حين أنا بعد الاستقراء والتأمل وجدنا قصائد الصباحيات تنيف على الثلاثين، مبثوثة بين ثنايا أغراض أخرى، كالتهاني، والوصف، والمدح والشكر، والإبلال من المرض، والنزهات، والإخوانيات، والمخمسات. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الجامع لم يدرج مسمى الصباحيات في تقديمه لقصائد صباحية لها النسق البنائي نفسه.

(١) هو محمد بن يوسف بن محمد الصريحي، أبو عبد الله، المعروف بابن زمرك، بضم الزاي أو فتحها، مع ترجيح الضم، ولد سنة ٧٣٣هـ بربض البيازين بغرناطة، نشأ في أسرة متواضعة، كان ضئيل الجسم، بيد أنه كان حاد الذكاء، ثاقب الذهن، كلفاً بالقراءة، تتلمذ على يد أشهر علماء عصره، أبرزهم شيخه لسان الدين بن الخطيب، وأبي عبد الله بن الفخار، والقاضي الشريف أبي القاسم الحسني وأبي سعيد ابن لب، وأبي علي منصور الزواوي، وأبي البركات ابن الحاج وأخذ عن أبي عبد الله ابن مرزوق وأبي جعفر ابن الزيات عالم التصوف. ألحقه شيخه ابن الخطيب بديوان الرسائل، ثم ترقى حتى غدا وزيراً للغني بالله، وقد تجاوزت علاقة ابن زمرك بسلطانه الخدمة والوفاء الى نوع من الخلة والزلفى، وبذلك كان يفتخر مرددا في إحدى رقاعه:"خدمته [أي الغني بالله] سبعا وثلاثين سنة ثلاثا بالمغرب وباقيها بالأندلس...وكنت أؤاكله وأؤاكل ابنه مولاي أبا الحجاج وهما كبيرا ملوك أهل الأرض". قال عنه شيخه ابن الخطيب: "كان هشا خلوبا، عذب المفاكهة، حلو المجالسة، خفيف الروح، حاضر الجواب، كما كان جوادا بما في يده، مشاركا لإخوانه، بارا مؤثرا بما منح. " وأما شعره فمترام إلى نمط الإجادة خفاجي النزعة، كلف بالمعاني البديعة، والألفاظ الصقيلة، غزيرة المادة". تنكر لشيخه ابن الخطيب وانقلب عليه، لذلك يصفه الأخير في " كتيبته" بالخبث والمكر، ثم إنه قد سعى فعلاً في قتله، وقد جوزي من جنس عمله، فقتل ابن زمرك بمرأى من أهله ومسمع، مع بنيه. وذلك سنة ٧٩٧هـ. جمع له الأمير يوسف الثالث شعره وسماه " البقية والمدرك من شعر ابن زمرك" انظر ترجمته: الإحاطة في أخبار غرناطة:٣٠٠؛ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة:٢٨٢؛ أزهار الرياض في أخبار عياض:٧/٢؛ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:١٤٥/٧. مقدمة ديوان ابن زمرك الأندلسي:٧. ابن زُمرك الغرناطي، سيرته وأدبه، ٧٣٣. ٧٩٦هـ :٨٣.

(٢) ديوان ابن زمرك الأندلسي: ٦١٠.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

الأمر الذي دفعنا للوقوف طويلاً أمام هذا اللون من الشعر، محاولين البحث في خصائصه التركيبية والبنائية والأسلوبية وتشكلاته الدلالية. وقد استفرغنا فيه الجهد والطاقة ما وسعنا، استقراءً، وجمعاً، وتمحيصاً، وتحليلاً واستنطاقاً، واستنباطاً؛ لكي نصل إلى تأصيل هذا اللون الشعري المبتكر، الذي اختص به الشاعر ابن زمرك، والكشف عن بناه الهيكلية والفنية، وتشكلاته الدلالية، وخصائصه الأسلوبية، فتبين لنا أن القصيدة الصباحية تستقي من الصباح بنورانيته وشعشعانيته توهجها الشعري وألقها الفني، فتغدو صباحية شعرية يخلع الشاعر عليها من تجليات الصباح ما يجعل منها تحفة فنية رائعة، ينشدها بين يدي مليكه زمن الصباح، غنية بأساليب التحية والثناء والمدح والوصف الفني.

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تبحث في موضوع جديد، لم يتطرق إليه من قبل، وإذا كان الشاعر ابن زمرك قد أنجزت عنه دراسات عدة، إلا أنها لم تشر إلى صباحياته[١]، فضلاً عن دراستها وبحثها، حسب علم الباحثين، إلا ما ورد من إشارة خاطفة في إحدى الرسائل الجامعية وهي بصدد الحديث عن أغراض شعر ابن زمرك، وذكرت منها "أغراض أشعار البلاط المعهودة من (شعر) وتهنئة **وصباحيات (وهي مدائح تنشد في الصباح)** إلى غير ذلك من غزل وملح ومداعبات وألغاز وأحجيات"[٢]، مما يجعل الخوض في هذه الظاهرة أمراً ذا أهمية وقيمة علمية وأدبية جليلة، لاسيما أنه موضوع بكر، وشائك، بما يثير من إشكالات عديدة. إضافة إلى أنها ـ الدراسة ـ تكشف عن نوع طريف مبتكر من المطالع الشعرية الأندلسية، وهو المطلع الصباحي. بما تمثله من إضافة نوعية جديدة في سجل مطالع القصيدة العربية.

ومن مرامي هذه الدراسة:

(١) انظر: ابن زُمرك الغرناطي، سيرته وأدبه.....؛ التكرار في شعر ابن زُرك، أسبابه ومظاهره:٢٧٩ ـ ٣٣٢؛ التناص الشعري في شعر ابن زُمرك الأندلسي (٧٣٣ ـ ٧٩٧هـ) دراسة تحليلية في نماذج مختارة:٤٠٣؛ شعر النقوش عند ابن زمرك الأندلسي، دراسة موضوعية فنية، :٣٣.١.

(٢) عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زمرك الغرناطي:٤٠. من (شعر) هكذا وردت، ولعل الصواب من شكر.

تسليط الضوء على جانب من شعر ابن زمرك لم يأخذ حظه من الدراسة، ألا وهو شعر الصباحيات.

- التأصيل لمصطلح "الصباحيات"، كونها من مبتكرات ابن زمرك، موضوعاً وقالباً ومطلعاً.
- الكشف عن ماهيتها وكينونتها، وبنائها الهيكلي والفني، وتشكلاتها الدلالية، ومدى تداخلها مع أغراض شعرية أخرى.
- إفراد المطلع الصباحي بالدراسة والتحليل لتشكلاته الدلالية وأنماطه، وعلاقته بالموضوع الشعري، وما يتسم به من براعة الاستهلال وفنيته.

إن أول إشكال يعترضنا مسألة تأصيل المصطلح" الصباحيات"، لاسيما أنا نجد مصطلحين متقاربين وردا أثناء تقديم جامع ديوان ابن زمرك لبعض قصائد شعره، ألا وهما "الصباحيات" و"الصبوحيات"، فهل هما بمعنى واحد، كما ذهب إلى ذلك محقق الديوان، أو أن بينهما فروقاً دقيقة، وأن لكل منهما حمولة دلالية خاصة؟

وأمر آخر يثيره البحث، وهو هل الصباحيات موضوع شعري، أو عنصر بنائي لهيكل القصيدة المدحية، أو قالب شعري له مكوناته وطرائقه الخاصة؟

وهل التحية الصباحية التي تستهل بها القصيدة الصباحية تعد مقدمة أو مطلعاً، لاسيما أن الاستهلال قد يضيق ليقتصر على التحية الصباحية، أو دال الصباح، وقد يمتد إلى أكثر من ذلك؟ أو أن الصباحيات يلج الشاعر فيها إلى موضوعه المدحي مباشرة دون مقدمة، خاصة أن دلالات الصباح تصب في المدح، وترتبط بذات الممدوح.

ثم ما سر احتفاء الشاعر ابن زمرك بالصباح، حداً، جعل منه تيمة تهيمن على شعره، بلفظه ومرادفاته وإيحاءاته وامتداده الزمني؟ فتتعدد دلالاته لتحمل معاني جديدة.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ومن حيث المنهج، فقد اقتضى البحث للكشف عن خبايا الصباحيات البنائية والفنية والدلالية، أن نتوسل بالمنهج الأسلوبي، إذ وظفناه بشكل معمق في المبحثين الثاني والثالث، واعتمدنا التحليل إجراءً لاستكناه وسبر أغوار النص الصباحي، وبنياته التركيبية واستنطاق دلالاته الكامنة، كاشفين عن أسلوب الشاعر في اختياراته، وعناصر إبداعه الفني والشعري، لاسيما أنه في هذه الصباحيات عدل عن المطالع المعروفة شعرياً، واختار بناءً جديداً في مطالع صباحياته، وهذا الصنيع يشكل انزياحاً أسلوبياً على مستوى مطلع بنية القصيدة.

لقد اقتضت إشكالات البحث أن نسير في تقسيمه على ثلاثة مباحث مسبوقة بمقدمة، ومنتهية بخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع وفق التصميم الآتي:

المبحث الأول: محاولة في تأصيل المصطلح "الصباحيات". لغة واصطلاحاً، وصولاً إلى اقتراح تعريف دقيق لهذا الفن الشعري.

المبحث الثاني: التشكلات الدلالية للصباحيات، وهي ثلاث:

١. الدلالة النورانية.

٢. الدلالة الجمالية.

٣. الدلالة الزمانية.

المبحث الثالث: البناء الفني للصباحيات: وركزنا الحديث أكثر عن أهم ميزة انمازت بها هذه الصباحيات، ألا وهي افتتاحياتها واستهلالاتها، لما تمثله في نظرنا من قيمة فنية جديدة مضافة تتمثل في "المطلع الصباحي ". وكذا تناولنا عنصر الاختتام الصباحي. فجاء هذا المبحث كالآتي:

١. المطلع الصباحي: ودرسنا فيه براعة الاستهلال وفنيته، وتشكيلاته الدلالية، وعلاقته بالموضوع الشعري في الصباحية، وأنماطه:

النمط الأول: الاستهلال بالتحية الصباحية.

النمط الثاني: الاستهلال بدال الصباح.

٢. الاختتام بالصباحية تحية أو دالاً.

المبحث الأول: محاولة في تأصيل المصطلح:

إن مصطلح شعر الصباحيات يأخذ مشروعيته الاصطلاحية من كون الصباحيات تستهل بتحية صباحية وهي "أنعم صباحاً "، وإن كان إطلاق المصطلح قد اتكأ على الشق الثاني، لأن للصباح حضوراً دلالياً بارزاً كما سيتضح، فالصباحيات هي جمع صباحية نسبة إلى الصباح، وعليه لابد من البحث في الأصل اللغوي لشقَّيْ التحية، أنعم وصباحاً.

١. التعريف اللغوي:

أولاً: **أنعم لغة:** جاء في اللسان: "نعِم: النَّعِيمُ والنُّعْمَى والنَّعْمَاء والنِّعْمَة، كُلُّهُ: الخَفْض والدَّعةُ والمالُ، وَهُوَ ضِدُّ البَأْساء والبُؤْسى... والنعمة بالفتح وهي المسرة والفرح والترفّه...، والنِّعمة: اليد البيضاء الصالحة، والصنيعة والمِنّة، وما أنعم به عليك"(١). "وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ: أَنْعَمْتَ عَلَى فلانٍ أَيْ أَصَرْتَ إِلَيْهِ نِعْمةً. وَتَقُولُ: أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ، مِنَ النِّعْمة. وأَنْعَمَ اللهُ صَباحَك، مِنَ النُّعُومةِ. وقولهُم: عِمْ صَبَاحًا كلمةُ تحيّةٍ، كأَنه مَحْذُوفٌ مِنْ نَعِمَ يَنْعِمُ، بِالْكَسْرِ، كَمَا تَقُولُ: كُلْ مَنْ أَكلَ يأْكلُ، فَحَذَفَ مِنْهُ الأَلف والنونَ اسْتِخْفَافً (٢).

وأورد ابن النحاس قول يونس سئل أبو عمرو عن قول عنترة "وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي "فقال: قولهم هو من: يعم المطر، ويُعم البحُر: إذا كثر زبده، كأنه يدعو لها بكثرة

(١) لسان العرب: ٥٧٩/١٢ . ٥٨٠، مادة نعم.

(٢) لسان العرب: ٥٨١/١٢، مادة نعم.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

الاستسقاء والخير، وقال الأصمعي: عمْ، وانعمْ واحْدُ، أي: كن ذا نعمة وأهل، إلا أن "عم "أكثر في كلام العرب(١).

وزاد ابن الأنباري "وقوله: عمي صباحاً، أراد انعمي، واسلمي من الآفات، ومعنى اسلمي: سلّمك الله تبارك وتعالى من الآفات"(٢).

والتحية بصيغة "أنعم صباحاً" تحية جاهلية إذ "كَانَتِ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُحَيُّونَ بِأَن يَقُولَ أَحدهم لِصَاحِبِهِ أَنْعِمْ صَبَاحًا، وأَبَيْتَ اللَّعْنَ، وَيَقُولُونَ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ، فكأَنه عَلَامَةُ المسالَمَةِ وأَنه لَا حَرْب هُنَالِكَ، ثُمَّ جَاءَ اللَّه بالإِسلام فَقَصَرُوا عَلَى السَّلَامِ وأَمروا بإِفْشائِهِ" ومثله في قول امرئ القيس:

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي

ومن اللغة الأخرى قول عنترة بن شداد العبسي:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي(٣)

ومما يعزز أنها تحية ملوكية ما ورد في لسان العرب من قول الْقُتَيْبِيُّ في شرحه للتحيات لله: "إِنَّمَا قِيلَ التَّحِيَّات لِلَّهِ لَا عَلَى الجَمْع لأَنه كَانَ فِي الأَرض مُلُوكٌ يُحَيَّوْنَ بتَحِيّات مُخْتَلِفَةٍ، يقال لبعضهم: أَبَيْتَ اللَّعْنَ، وَلِبَعْضِهِمْ: اسْلَمْ وانْعَمْ وعِشْ أَلْفَ سَنَةٍ، وَلِبَعْضِهِمْ: انْعِمْ صَباحاً، فَقِيلَ لَنَا: قُولوا التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ أَي الأَلفاظُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْمُلْكِ وَالْبَقَاءِ وَيُكَنَّى بِهَا عَنِ الْمُلْكِ فَهِيَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"(٤).

(١) لسان العرب: ٦٤١/١٢، مادة وعم. وانظر: بلاغة أساليب التحية في الشعر العربي:٦٥٨. وانظر: شرح البغدادي لقصيدة لمرىء القيس " ألا عِمْ صباحاً أيها الطلل البالي":٨١٢.

(٢) بلاغة أساليب التحية: ٦٥٨.

(٣) تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار:٨٥/٣

(٤) لسان العرب: ٢١٦/١٤. مادة حيا.

إن دلالات هذه التحية لمتعددة، فهي تعني الدعاء للمخاطب بكثرة الخير والإنعام والخفض والدعة والمال والأهل، والمسرة والفرح والترفّه، والنعومة، والسلامة من الآفات. "وكل المعاني المذكورة لم تخرج عن الدعاء بكثرة الخير والإنعام، ومع ذلك كله فهي تحية مخصوصة بوقت الصباح، وليست تحية عامة، يوضح ذلك اقترانها بكلمة "صباحاً"[(١)].

ثانياً: الصباح لغة: "والصبح: الفجر، أول النهار، ج: أصباح، وهو الصبيحة والصباح والإصباح والمصبح كمكرم. وأصبح: دخل فيه، وبمعنى صار. وصبّحهم: قال لهم: عمْ صباحاً، وأتاهم صباحاً"[(٢)] وجاء في المصباح: "والصبح الفجر والصباح مثله وهو أول النهار والصباح أيضا خلاف المساء قال ابن الجواليقي الصباح عند العرب من نصف الليل الآخر إلى الزوال ثم المساء إلى آخر نصف الليل الأول[(٣)].

ومن معاني الصبح الحمرة المخالطة لبياض أو لسواد، "والصُّبحة والصَّبحة والصَّبَح: سواد إلى الحمرة، وقيل: لون قريب إلى الشَّهبة، وقيل: لون قريب من الصَّهبة، والأصبح: الشديد حمرة الشعر، ومنه صبح النهار مشتق من الأصبح. قال الأزهري: ولون الصّبْح الصادق يضرب إلى الحمرة قليلاً كأنها لون الشفق الأول في أول الليل [(٤)].

ومن معاني الصباح الوضاءة والجمال، "الصباحة: الجمال، وقد صبُح بالضم يصبِح صباحةً، ورجل صبيحٌ وصُباحٌ، بالضم: جميل، والجمع صِباحٌ، الصبيح: الوضيء الوجه [(٥)].

(١) بلاغة أساليب التحية: ٦٥٩.

(٢) لسان العرب :٥٠٤/٢. مادة صبح

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٣٣١/١. مادة صبح وانظر: شرح البغدادي لقصيدة امرئ القيس:٨١١

(٤) لسان العرب: ٥٠٦/٢.

(٥) المصدر نفسه: ٥٠٧/٢.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وعليه، فإن الصباحيات تستقي معناها اللغوي من جماع المعاني اللغوية الثلاث للجذر "صبح" وهي: الامتداد الزماني للصباح، ولون الحمرة الممتزجة بالبياض، والوضاءة والجمال، وكذا من معاني الإنعام المذكورة آنفاً.

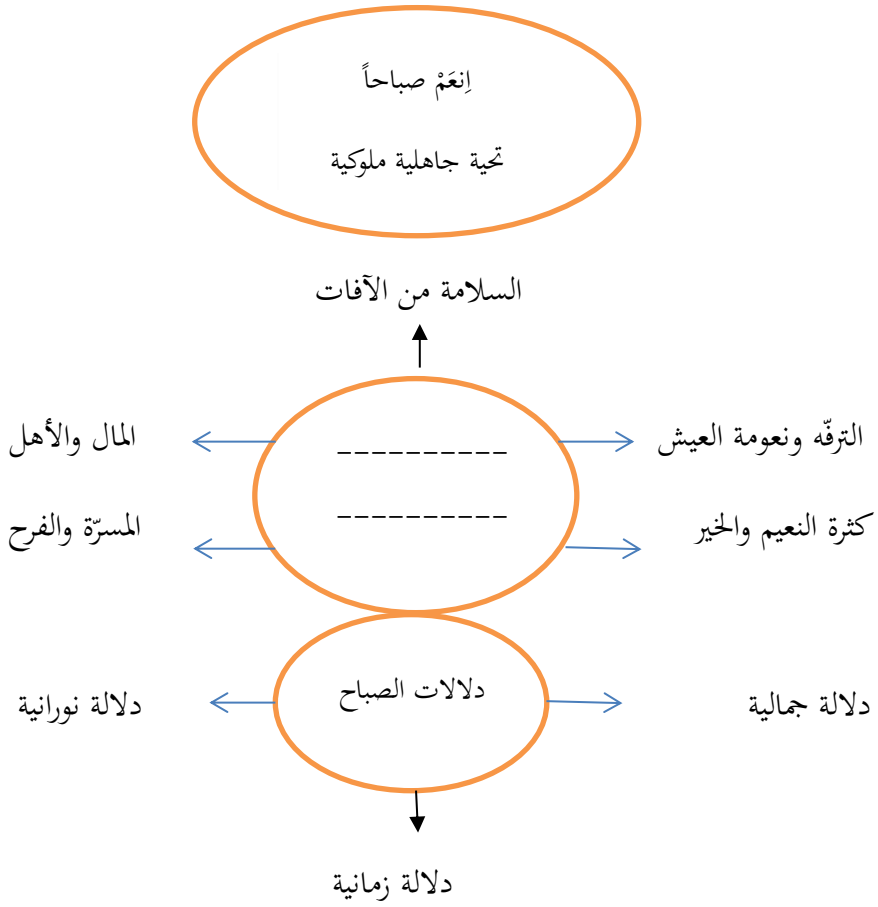

٢. **الصباحيات اصطلاحاً:**

إن أول من يطالعنا بمصطلح "الصباحيات" جامع ديوان ابن زمرك، وهو السلطان النصري يوسف الثالث، حينما يقدم بين يدي قصائد ومقطعات لابن زمرك، مستهلاً بقوله:" وكتب إليه أيضاً

من الصباحيات وفواتح التحيات."[١]، وقد يأتي بما يدل عليها كقوله: "وقال يصابحه رحمة الله عليه بالتحية في يوم أكثر من التوقيعات بالمكارم."[٢]، وقوله: "أنشده صبيحة يوم، شاكراً أيضاً عن نعم وصلته أمسه"[٣]، وقوله: "وقال يحييه مصبحاً"[٤]، وقوله: "وقال أيضاً من تحيات الصباح."[٥].

في حين أورد الجامع مصطلح "الصبوحيات"[٦] وهو يقدم لموشحة من موشحات ابن زمرك، بقوله: "ومن مخلع البسيط في الصبوحيات قوله سامحه الله تعالى ورحمه ورضي عنه"[٧].

إن لمصطلح "الصباحيات" لدى الجامع مفهوماً يكاد ينحصر في الشعر الذي ينشد بين يدي ممدوحه، يستهله بتحية صباحية، في صيغة "أنعم صباحاً" وأخواتها، يكون موضوعه مدحاً وما يتصل به من شكر أو تهنئة أو غيرها.

من مثل قوله مستئذناً الخليفة للسفر لتفقد أملاكه [٨]:

انْعَم صباحاً بثاني العيد يا ملكاً أيامُه كلُّها عيدٌ وأفراحُ
قضّيتَ بالأمسِ ما قضّيتَ من سننٍ بها تنعّمُ أجسادٌ وأرواحُ
... والعبدُ يستأذن المولى على سفرٍ بالجسم والقلبُ في مثواك يرتاحُ

وقوله يحييه في صباحية مادحاً ركابه بوادي الخرس[٩]:

(١) ديوان ابن زمرك:٦٤.
(٢) المصدر نفسه ص٧٧. انظر أكثر ص٧٠، ٧١، ٧٥ ،٧٣، ٧٨،١١٢، ١٠٢،١٠٣، ١١٤، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٩٧، ٢٩٩،
(٣) المصدر نفسه: ٨٦.
(٤) المصدر نفسه: ٢٥٣.
(٥) المصدر نفسه: ٢٤٠.
(٦) جمع صبوحية، نسبة إلى الصبوح، والصبوح لغة: يحمل معنى الأكل والشرب صباحاً، جاء في لسان العرب: " والصبوح: كل ما أكل وشرب غدوة، وهو خلاف الغبوق، وحكى الأزهري عن الليث: الصبوح: الخمر؛ وأنشد:
ولقد غدوت على الصبوح معي شَرْبٌ كرامٌ من بني رُهْمِ
والصبوح من اللبن ما حلب بالغداة، واصطبح القوم: شربوا الصبوح. وصبّحه: سقاه صبوحاً فهو مصطبح. انظر: جمهرة اللغة: ٦١/١. ولسان العرب: ٥٠٧/٢
(٧) الديوان: ٥٣٨. وانظر: ٥٤١.
(٨) المصدر نفسه: ٦٤.
(٩) المصدر نفسه: ٧٠.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ألا عِمْ صباحاً ضاءَ منك جبينُه وراقَ به الإقبال واقتبلَ البِشْرُ
فأنتَ لنا شمسٌ إذا متَعَ الضُّحى. عجبنا وفي الليلةِ الليلاءِ أنتَ لنا بدرُ
لوادي الخُرْسِ قد سالَ أنعماً فلم ندرِ وادٍ ما جرى فيه أم بحرُ؟

في حين أنه يقصد بالصبوحيات الشعر أو الموشح الخمري، الذي يصف مجلس أنس صباحي، ليجتمع فيها موضوع الخمر ووصف مجلسه مع وصف الطبيعة والغزل، ويخلص فيها إلى مدح الخليفة في آخرها، وتسميتها صبوحية هنا يتسق مع المعنى المعجمي للفظة الصبوح، وهي الخمر التي تشرب صباحاً. ويعضد ذلك قوله(١):

ريحانةُ الفجر قد أطلّتْ خضراءَ بالزُّهر تزهرْ
ورايةُ الصبح قد أظلّتْ فالشهب في مرقب الشمس تنشرْ
من غارة الصباحِ ترعدُ خوفاً وتخفقْ
وأدهم الليل في جماحِ أعنّةَ البرقِ يطلقْ
والأفق في ملتقى الرياحِ بأدمع الغيثِ يشرقْ

ويمضي في وصف الطبيعة إلى أن يقول:

والسحب بالجوهر استهلّتْ فالبرق سيفٌ مجوهرْ
صفاحه المذهبات حلّتْ في راحة الجو تشهرْ
والكأس في راحة النديمِ يجلو بها غيهب الهمومْ
أقبست النار في القديم من قبل أن تخلق الكرومْ
والنهر في ملعب النسيمِ للزهر في عطفه رقومْ

(١) الديوان: ٥٣٨. وانظر : ٥٤١.

فلبّـــة الحلـــي قـــد تحلّـــتْ والطـــلّ في الحلـــي جـــوهرْ
وبهجـــة الكـــون قـــد تجلّـــتْ والـــروض بالحســـن يبهـــرْ

أما محقق الديوان الدكتور محمد النيفر فقد جعل مصطلحي "الصباحيات" و "الصبوحيات" بمعنى واحد، فقال عن "الصباحيات: "جمع صباحية: وهي قصيدة مدحية تنشد للأمير في الصباح. ولعلها من استعمالات ابن زمرك"(١). وعن "الصبوحيات":"جمع صبوحية وهي المدحية التي تقال في الصباح(٢)".

ويبدو أن الدكتور النيفر قد أغفل في تعريفه مكونين من مكونات الصباحيات الزمركية وهما:

أ ـ تعدد الموضوعات التي تمتزج بها الصباحيات، كالشكر(٣) والتهنئة بالإبلال من المرض(٤)، والاستئذان(٥)، والوصف(٦)، والهدية(٧)، والطرديات(٨)، والعيديات(٩)، والإخوانيات(١٠)، ووصف الخمر ومجالس الأنس(١١) وغيرها. إضافة إلى المدح وإن كان هو الموضوع الأبرز.

ب ـ بناء الصباحيات على عنصر التحية الصباحية، وهو الأصل في التسمية بالصباحيات.

أما فيما يخص الصبوحيات، فقد قصرها على المدح باعتبار الغرض المتخلّص إليه، في حين أن مفتتح الصبوحيات يتمثل في وصف الخمر ومجلسها، ولهذا سميت بالصبوحيات اتساقاً مع المعنى

(١) الديوان:٦٤. وهامش: ٦١٠.
(٢) المصدر نفسه هامش: ٥٣٨.
(٣) المصدر نفسه: ٨٥، ٨٦.، ٢٤٥، ٤٥٠، ٤٣٦.
(٤) المصدر نفسه: ٧٥، ٧٨،١١٤
(٥) المصدر نفسه: ٦٤
(٦) المصدر نفسه: ٧٢، ٧٣،١٠٣، ١١٢،٣٢٣.
(٧) المصدر نفسه: ١٠٢، ٧٩
(٦) المصدر نفسه: ٢٩٩.
(٩) المصدر نفسه : ٤٦٢
(١٠) المصدر نفسه: ٣٧١، ٣٧٣.
(١١) المصدر نفسه: ٢٩٧، ٢٩٩.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

اللغوي للكلمة، فحينما قدم الجامع لصبوحية ابن زمرك، عقب بقوله" سامحه الله تعالى، ورحمه، ورضي عنه"(١) وذلك لما فيها من ذكر لشرب الخمر والتهتك(٢).

ومصطلح الصبوحيات نجد أوليته عند شيخ ابن زمرك لسان الدين بن الخطيب، حينما أمره سلطانه النصري بنظم أبيات صبوحية على عادته، وهي قصيدة خمرية (٣):

خـذْها فقـد وضـح **الصـباحُ** ولاحـا ... والـروض يُهـدي عَرْفَـه النفّاحـا
مـازال يكـتم مـن حـديث نسـيمِه ... والآن أمكنـه الحـديث فباحـا
لمـا رأى جـيشَ الصـباح مشـمِّراً ... عمـت مضـاربُه رُبىً وبِطاحـا
.. والطـيرُ يـدعو **للصـبوحِ** مكـرراً ... فـتراه قـد نفـض الجنـاح وصـاحا
حُـثَّ الكـؤوسَ وهاتنيهـا قهـوةً ... تنفـي الهمـوم وتجلـب الأفراحـا
.. وامـزج بصِـرف الـراح عـذب رُضـابها ... مـا ضـرّ أن خلـف الحـرامِ مُباحـا
قامـت تقـول، وفي فتـور جفونهـا ... سِنةُ الكرى: مـولاي، **عمْـتَ صـباحا**

فهو يستهل القصيدة بذكر دال الصباح، ويكرره خمس مرات، ويعرض للتحية الصباحية في المتن على لسان قينة السلطان يوسف النصري، وتكاد تكون هذه القصيدة الوحيدة التي وردت عند ابن الخطيب مقدّم لها بمصطلح "الصبوحية"، لأنها استهلت بمقدمة صبوحية خمرية طويلة، ثم إن الشاعر ابن زمرك اقتفى أثر شيخه

بيد أنه اختط لنفسه مساراً خاصاً، حينما تلقف خيوط الفكرة من شيخه وبنى عليها لوناً شعريا جديداً مبتكراً، بمسمى صباحي، له أصوله وقواعده البنائية والفنية والأسلوبية، فلابن الخطيب سبق الفكرة، ولابن زمرك فضل ابتكار وتطوير فن شعري، اختص به ألا وهو "الصباحيات".

(١) المصدر نفسه: ٥٣٨، وانظر:ص٤١.
(٢) انظر تعليق المحقق هامش رقم " ٦ " : ٥٣٨.
(٣) ديوان ابن الخطيب: ١/ ٢٢٢،٢٢١.

ثم إن هذا التفرد الإبداعي الزمركي في فن الصباحيات، ليؤكده تواتر عدد مهم من قصائد الصباحيات في ديوانه، ما يزيد عن ثلاثين قصيدة ومقطعة، ذات خصائص بنائية وموضوعية وفنية تنهض بها فناً شعرياً قائماً بذاته، وهو من ملامح التجديد الفني والشعري لدى ابن زمرك.

إذن، فالصباحيات والصبوحيات اكتسبا مسمّييهما من استهلاليهما، إن مطلع صباحي أو مقدمة صبوحية، وليس بحسب الغرض الشعري.

ويمكن أن نمثل فرق ما بين المصطلحين الشعريين بالرسم الآتي:

الصباحيات = مطلع صباحي + مدح خالص أو ممتزج بغيره + زمن الصباح

الصبوحيات = مقدمة صبوحية خمرية + مدح + زمن الصباح

إنا من خلال تتبعنا لهذا اللون من الشعر، وجدنا علاقة بنائية وفنية ودلالية، تتشكل بين الصباحيات والصباح، سواء كانت افتتاحية بتحية، ابتداء، أو وسطاً، او خاتمة [1]، أو بذكر دال الصباح في الاستهلال أو المتن، ليشع بمدلوله النوراني والنفسي والفني على هذا الشعر.

ولا تكاد قصيدة أو مقطعة تخلو من ذكر دال الصباح في الاستهلال أو المتن، فأضحت كلمة الصباح والمعجم النوراني الدائر في فلكه من نور وشمس وبدر وشعاع وسناً، والهالة والهلال، والشهب والنجوم والضياء والغرة ..أيقونة تتكرر في كثير من موضوعاته الشعرية، خاصة شعر المديح السلطاني.

من ذلك قوله مهنئاً بخلافة السلطان يوسف الثاني[2]:

[1] ستناول تفصيل هذه المسألة في مبحث خاص بالبناء الفني للصباحية.

[2] الديوان: ٤٦٦. وانظر :٤٧١.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

طلع **الهلالُ** وأفقه متهلّلُ فمكبِّرٌ لطلوعه ومهلِّلُ
أوفى على وجه **الصباح بغرّةٍ** فغدا **الصباح بنورها** يتجمّلُ
شمسُ الخلافة قد أمدّت **نورَه** وبسعدها يرجو التمام ويكملُ
لله منه **هلال** سعد طالع **لضيائه** تعشو **البدور** الكُمّلُ
وألحْتَ يا **شمس** الهداية **كوكباً** يُعشي **سناه** كلّ من يتأمّلُ
والتاجُ **تاج البدر** في أفق العلى مازال **بالزُّهر النجوم** مكلّلُ
ولئن حوى كل الجمال فإنه **بالشهب** أبهى ما يكون وأجملُ
أطلعتَ يا **بدر** السماح **هلالَه** والملكُ أفق والخلافة منزلُ
يبدو **بهالات السروج** وإنه من **نور وجهك** في العلى يستكملُ

فغدا دال الصباح لازمة ينضح بها شعره، استفتاحاً ومتناً، وفي أكثر من موضوع شعري. من ذلك قوله مهنئاً ممدوحه بالإياب من رحلة صيد(١):

يا خير من فضح الصباحَ بغرّةٍ من بشرها أنواره تتوقّدُ
اهنأ بمقدمك السعيد فإنه للنصر والفتح المبين مجددُ

وقوله في إخوانية واصفاً رسالة وجهها إليه ابن الخطيب(٢):

طالعتُها دون الصباح صَباحاً لما جلتْ غُررَ البيان صِباحا
ولقد رأيت وما رأيت كحسنِها وجهاً أغرَّ ومبْسِماً وضّاحا
عذراء أرضعها البيان لِبانه وأطال مغْدى عندها ومراحا

وقال في المديح النبوي قصيدة استهلها بذكر صباح الشيب(٣):

(١) الديوان: ٣٠٠. ٣٠١. وانظر :٤٧٤.
(٢) المصدر نفسه: ٣٧٣. وانظر أيضاً : ٣٤٥.
(٣) المصدر نفسه: ٣٧٥.

هذا الصباحُ صباح الشيب قد وضَحا سرعان ما كان ليلاً فاستنار ضحى

للدهر لونان من نورٍ ومن غسقٍ هذا يعاقب هذا كلما برحا

من خلال ما تقدم يتبين لنا أن المقصود **بالصباحيات هي فن شعري موضوعه مدح خالص أو ممتزج بغيره من الموضوعات التي تدور في فلكه؛ كالشكر والتهنئة والوصف. ينشد زمن الصباح، يستهل بمطلع صباحي، ذي تحية ملوكية غالباً، يشع بلفظ الصباح ومدلولاته النورانية والجمالية والزمانية على هذا الشعر ليغدو الصباح تيمة شعرية مدحية، ولازمة فنية، تتكرر في الصباحية.**

المبحث الثاني: دلالات الصباحيات

١. الدلالة النورانية

لقد وظف الشاعر دال الصباح، بمدلوله النوراني والإشعاعي، فأضفاه على ممدوحه النصري، فغدا مصدر النور، فالصباح يستمد إشراقه من غرته الصبوحة، وفي هذا يبدو أن وجه الخليفة كان نورانياً بهي الغرة، فوجهه يحيل على الصباح، والصباح يحيل على وجه الخليفة. من ذلك قوله في الغنى بالله في مجلس أنس [(١)]:

عِمْ صباحاً فأنت نورُ الصباحِ واسرح اللحظَ في الوجوهِ الصِباحِ

واغتنم للسرور يوماً فيوماً وصل اليُمنَ دائماً بالنجاحِ

فهنا اتكأ الشاعر على التشبيه البليغ، إذ جعل الممدوح أي المشبه عين المشبه به أي نور الصباح، فالخليفة نفسه نور الصباح قد بلغ حالة من الحلول والاتحاد بعلاقة التماهي لا تستطيع بعدها أن تفصل بينهما:

(١) الديوان: ٢٩٩.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

الخليفة النصري ⇄ نور الصباح

وهذا المعنى النوراني يلح عليه كثيراً، موظفاً في تجليته التشبيه البليغ قليلاً، والتشبيه المقلوب كثيراً؛ فيجعل الصباح مرة يشرق من وجه الخليفة أو محياه، أوغرته، أو جبينه ماحياً بنوره حلكة الدجى(١):

أمـا وصـباحٍ مـن جبـينٍ تبلّجـا وليـلٍ بهـيمٍ للغـدائر قـد سـجا
وبـدر محيـاً أخجـلَ البـدرَ حسـنُه وقـد صـدعت أنـوارُه حُلكـةَ الـدجا

ويختم هذه القصيدة بالمعنى نفسه(٢):

ويشـرق منـه يومُـه بجبينـه وقـد لاح وضّـاحَ الأسـارير أبلجـا

إن الشاعر ما انفك يجعل للخليفة نوراً يعم الوجود، يشع من وجهه وغرته، في صباحيته التي مطلعها:

هـذا الصـباحُ وأنـت غـرّة وجهـه فـانعم بـه متواصـل الأفـراحِ
واجعـل صـبوحَك والسـعود تـديره مـن خمـرة الأحـداق لا الأقـداحِ
في منـزل تعلـو القصـور قبابُـه مثـل الحَبـاب علـت بكـأس الـراحِ
تتطلـع الخـدّامُ مـن هالاتهـا مثـل النجـوم وأنـت بـدرُ لياحِ
مـلأوا بشـمس الـراح بـدر زجاجـةٍ تُجلـى علـى زُهـر الوجـوه صـباحِ
داروا عليـك وأنـت مـلءُ عيـونهم مثـل الفـراشِ تـدور بالمصـباحِ
...لـك **غـرّةٌ ضـاءَ الوجـودُ بنورهـا** يا بـدر كـل هدايـةٍ وسمـاح

(١) الديوان: ٢٥٨.
(٢) المصدر نفسه.

إن هذا النص مجلل بالأنوار، بدءاً بنور غرة الممدوح، التي شبه بها الصباح في تشبيه فني مقلوب مبالغة في شمول إشراق الممدوح وإحاطة نوره بكل ما حوله، حتى لتستحيل معه غرته إلى مصدر للنور ينير بضوئه الوجود، محدثاً انبهاراً ضوئياً يخطف أبصار الحاضرين، وكأنهم فراش ينجذب نحو مصباح ويدور حوله.

وتحت تأثير نورانية الممدوح، يسري نوره، فيغدو شعلة من نور، كلٌّ يقتبس منه، فوجهه صباح مشع بالنور، وفرسه ملجم بنور، وسيفه من نور، ورماحه أسنتها من نور، وسرج فرسه يحكي هالة من نور، فالخليفة نور على نور[1]:

مُحيّـــاك بـــدرٌ بالصـــباح معمّـــمُ وطِرْفُـــك ريـــحٌ بالكواكـــب مُلجَـــمُ
وشُـــهبُ الـــدياجي للعـــوالي أســـنّةٌ وســـيفُك بـــرقٌ في الأعـــادي مصـــمِّمُ
وسَـرْجُك يحكـي هالـةً فـوقَ مرقـبٍ وأنـــت بـــه بـــدرٌ منـــيرٌ مـــتمَّمُ

إن هذه النورانية تيمة مدحية ولازمة شعرية تتكرر في غير ما صباحية، لتغدو معنى شعرياً محورياً، تنداح معه في دائرته جميع المعاني المدحية الأخرى كالشجاعة والكرم وعلو المنزلة.

ألا عـمْ صـباحاً أنـت غـرّةُ وجهـه بهـا **نشـر الأنـوار** في كـل مشـهدِ[2]
ومـا أنـت إلا البُـدر نـوراً ورفعـةً وفي كـل مغـنىً قـد حللـتَ بأسـعدِ
وأهـــديتني والله يهـــديك نصـــرَه هديـــة بحـــرٍ للســـماحة مُزبـــدِ

إن المتأمل في القيم المدحية التي يحلي بها ابن زمرك ممدوحه لنلفيه يعلي من قيمة النور والإشراق على قيمة الجود والكرم، فتأتي قيمة مدحية أولى، فيما تنزاح قيمة الكرم درجة ثانية، ما يثير الاستغراب والدهشة، ولعل ذلك يرجع إلى علاقته الحميمية بممدوحه الغني بالله، حيث لم يكن يلجئه إلى

(١) الديوان: ١٠٤. بل ويصرح بكونه نوراً على نور، كما في قوله:٤٦٣: نور على نور بأبهى منظرٍ في حسنه لمؤمِّل ما يتأملُ.
(٢) المصدر نفسه: ١٠٢. وانظر : ٢٩٧.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

الاستجداء لكثرة إغداق النعم عليه من غير ما مسألة[١]. فهو "لم يكن يقل الشعر لغرض التكسب كعادة معظم الشعراء لأنه كان غنياً عن ذلك فاتصاله المبكر بابن الخطيب ثم اتصاله السلطان ابن الأحمر جعل المال متوفراً بين يديه"[٢].

يؤكد ذلك قوله ينعم صباح الغني بالله [٣]:

اِنعمْ صباحاً تجلى وهو ذو خجلٍ لما رأى وجهك الوضّاحَ شمْسَ ضُحى
وغارت السحبُ من يمناك فانبجست لما رأت بحرها بالجود قد طفحا

ولعل احتفاء الشاعر بالنور وعزفه على وتره، مراراً وتكراراً يرجع إلى مسحة صوفية لديه[٤] استقى منها معجمه النوراني، فغدا شعره ينضح بمعاني صوفية.

(١) يؤكد ذلك أنه حينما صرف عن الوزارة بعد وفاة سلطانه الغني بالله، صنع صنيع شعراء العرب في التمدح بالجود والكرم قيمة أولى، وتقديمها على غيرها من معاني المدح. ونكص عن عادته وسيرته الأولى في البدء بصفة النورانية. وهو ما يطالعنا به في قوله مخاطباً السلطان أبا عبد الله متوسلاً بقديم ذمامه والخدم المتعددة من نظامه:

أيعطش أولادي وأنت غمامةٌ تعمُّ جميع الخلق بالنفع والسُّقيا
وتظلم أوقاتي ووجهك نيّرٌ تفيض بها الأنوار للدين والدنيا
وجدّك قد سمّاك ربّك باسمه وأورثك الرحمن رتبته العليا
وقد كان أعطاني الذي أنا سائلٌ وسوّغني من غير شرطٍ ولا ثُنيا
...وقد أكثر العبد التشكّي وإنه وحقك يا فخر الملوك قد استحيا
وما الجود إلا ميتٌ غير أنه إذا نفحت يمناك في روحه يحيا

انظر الديوان: ٥٣٧. وفي البيت الأخير وردت لفظة " نفحت " هكذا في الديوان، والصواب ما ورد في أزهار الرياض " نفخت". ١٥٩/٢.

(٢) عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زمرك: ٤٥.

(٣) المصدر نفسه: ١١٢.

(٤) فقد عرف عنه من سيرته سلوكه طريق التصوف، فكان" متشوفاً مع ذلك السلوك، مصاحباً للصوفية، آخذا المصدر نفسه بارتياض ومجاهدة... واختص بالفقيه المحدث الصدر أبي عبد الله بن مرزوق روى عنه كثيراً"٤. الذي توجهه بالعمامة الصوفية بعد أن اهتدى إلى طريق الخطبة ومناهج الصوفية٤، وكان ذلك عند تغربه إلى المغرب في دولة السلطان أبي سالم المريني. انظر أزهار الرياض ج٢/ص١٤ وفي هذا التتويج يقول ابن زمرك مرتجلاً:

تـــوّجتني بعمامـــةْ تُوّجـــتَ تاجَ الكرامـــةْ
فـــروض حمـــدك يُزهَـــى مـــني بســـجع الحمامـــةْ

انظر الديوان: ٤٩١. وللاستزادة انظر: ابن زمرك سيرته وأدبه: ١٦٨.

وكان لهذه النزعة الصوفية أثر في اتجاه صباحياته اتجاهاً نورانياً صوفياً إذ نجد انعكاس القول بأزلية النور المحمدي(١) والحقيقة المحمدية(٢) في شعره عامة وصباحياته خاصة، وأن هذا السر المحمدي توارثه الإمام النصري عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فغدا مصدر النور الوجودي الذي ينبلج من غرته ومحياه كما مر سلفاً، وأنه مصدر نور لكل جسم مشع كالشمس تقتبس منه نورها، ليتوج هذا الوصف النوراني بجعله نوراً على نور كما في قوله(٣):

تجلـو لنـا الأكـوان منـك محاسـناً تُـروى علـى مـرّ الزمـان وتنقُّـل
فالشـمسُ **تأخـذ مـن جبينـك نورَهـا والبِشـرُ منـك بوجههـا متهلِّـلُ**
... وجـهٌ كمـا حسـر الصـباح نقابَـه لضـيائه تعشـو البـدور الكُمَّـلُ
... نـورٌ علـى نـورٍ بأبهـى منظـرٍ في حسـنه لمؤمـل مـا يأمـلُ

ومن تجليات النور المحمدي على صباحياته، فكرة التجسد النوراني، وفي هذا يقول ابن زمرك في إحدى مخمساته، يبين فيها تجسد النور المحمدي في إمامه النصري(٤):

أرقـت لـبرق مثـل جفـني سـاهرا يـنظم مـن قطـر الغمـام جـواهرا
فأضـحك زهـر الـروض منـه أزاهـرا **وصـبح حكـى وجـه الخليفـة باهـرا**

تجسم من نور الهدى وتجسّدا

(١) حيث يقول في إحدى المولديات: وأنت لهذا الكون علة كونه ولولاك ما امتاز الوجود بأكوانِ
ولولاك للأفلاك لم تجلُ نيّرا ولا قلّدت لباتهنّ بشهبانِ
انظر الديوان: ٤٩٦. وللاستزادة من شعره الصوفي انظر قصيدته: ٥٠٦ وما بعدها.

(٢) الحقيقة المحمدية: قبل أن يخلق آدم كان قد خلق أول ما خلق النور المحمدي، نور الوجود الأزلي (ومن هنا كان النبي حيا وسيبقى برغم موته الجسدي) وأن هذا النور قد تنقل من زمن إلى زمن، فظهر في صورة آدم، فنوح فإبراهيم فموسى فعيسى.. إلى أن ظهر في صورة محمد، ثم في صورة علي بن أبي طالب، والأئمة من بعده. انظر: بردة البوصيري ـ قراءة أدبية وفولكورية: هامش ١٥: ٨١. وانظر أيضاً: " فصول في الشعر ونقده :٢٣٠

(٣) الديوان: ٤٦٢، ٤٦٣.

(٤) الديوان: ٣٩٢ ـ ٣٩٣. وانظره يصرح بذلك في قوله في إحدى قصائده الوصفية: ٨٢.
سندٌ أئمته صفاتُ خليفةٍ جمع الجلالة والبسالة والسماحْ
المنْتقى من نور منبَعَثِ الهُدى والمجتبى من عنصر المجد الصُّراحْ

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وهذه الدلالة النورانية تجاوزت شعر الصباحيات لتشمل شعر ابن زمرك عامة(١).

٢. الدلالة الجمالية:

لا نبعد النجعة إن قلنا بأن الصباحية الشعرية إنما هي صباحية جمالية في أبهى صورها الإنسانية والإبداعية، في تجسيد الصورة المثلى العالية والنموذج المشرق في الجمال المطلق، الذي يتمثل في الإمام النصري، فإذا به يفيض بجماله وكماله على الوجود كله الذي يستمد منه جماله الطبيعي، حيث النور والبهاء، وهنا نجد الشاعر في غير ما صباحية، بل في شعره المدحي مغرماً بجمال سيده حد التقديس، فهو معنى الجمال وسره، وله المحاسن والجمال المطلق(٢).

والشاعر ما انفك يتغنى بجمال وجه الخليفة النصري وبهاء غرته كثيراً، والتمدح بهذه الصفة وإن كانت جسمانية فإن "الوجه الجميل يزيد في الهيبة، ويتيمن به، ويدل على الخصال المحمودة"(٣)، واتصاف أمراء بني نصر بالجمال وصباحة وجوههم أمر تظاهرت عليه نصوص تاريخية (٤) وشعرية (٥).

(١) نظر الديوان: ٢٦٢، ١٠٦،١٠٥. ١١٢. ٢٤٥.

(٢) يقول في ذلك: ٢٦٢.

لـك في الكمـال مظـاهرٌ لا تلحـقُ ... فبكـل شـأوٍ للمكـارم تسـبقُ
مـولاي يا معـنى الجمـال وسـرّه ... والكـون ألسـنُه بفضـلك تنطـقُ
في كـل عـين مـن جمالـك قُـرّةٌ ... وبكـل قلـب للتجلـي مشـرِقُ
ولـك السـماحة والملاحـة كلُّهـا ... ولـك المحاسـن والجمـالُ المطلـقُ
شِمْـتَ الصـباحَ بغُـرّةٍ وضّـاحةٍ ... فالكـل عـن ذاك الصَّـبُوحِ يرقّـقُ
كـم رحمـةٍ لـك في القلـوب وهيبـةٍ ... فيهـا الجمـالُ مـع الجـلال موفّـقُ
لا قلـبَ إلا فيـه منـك صـبابةٌ ... لا طـرفَ إلا مـن حيائِـك يطـرفُ

(٣) سر الفصاحة:٢٦٦.

(٤) من ذلك وصف ابن الخطيب السلطان محمد بن يوسف الغني بالله بأنه "مشتمل على خلال وأوصاف قل أن تجتمع في سواه من حسن الصورة واعتدال الخلق، والعراقة في الخير وسلامة الصدر وصحة العقد وشمول الطهارة". وقال عنه أيضاً: "سافر عن وسامة يكنفها جلباب حياء وحشمة". انظر: اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ١١٣. وانظر أيضا : ٩٠، ١٠٢،١٢٦.

(٥) مدح الشاعر ابن زمرك آل نصر وأمراءهم بأن وجوههم صبيحة.

من ذلك قوله [١]:

نعمتَ صباحاً ومن للصباحِ بوجهك أبهى الوجوهِ الصِّباحِ
فقد كان وجهك من قبله ينير الدياجي ببدرٍ لياحِ

فهنا يتكئ على أسلوب التفضيل" أبهى للدلالة على أن حسن وجمال وجهه وبهاء طلعته وغرته يفوق كل وجه صبيح، وهو أسلوب يتكرر في غير ما صباحية، من ذلك قوله [٢]:

محيّاك من شمس الظهيرة **أجملُ** وأنت من البدر المكمّل **أكملُ**
وما راق وجه الصبح إلا لأنه رأى منك وجهاً بشرُه يتهلّلُ
فأنعمَ ربي فيه صبحك بالرضا وأعطاك فيه كل ما أنت تأملُ

وقوله [٣]:

لك غرّةٌ ودَّ الصباحُ جمالها ومحاسنٌ تهوى البدورُ كمالَها
وشمائلٌ تحكي الرياضُ خِلالَها وأنامٌ تُزجي الأنامُ خلالَها

فهذه الافتتاحيات تنضح بما يمكن أن نسميه صباحية غزلية، وأي شيء أشد أثراً في النفوس من رؤية الوجوه الحسان الصِباح! إن هذه الصورة الصباحية التي تتجسد في صباحة وجه الممدوح ليرتقي بها الشاعر لدرجة أن يخفت نور الصباح إزاءها، وهذا من المبالغة. ذلك "أن أمداح الخلفاء يجب أن تكون نمطاً واحداً يُنحى بأوصافها أبداً نحو الإفراط"[٤] وهنا، يتبدى الصباح في موقف الشغوف المتطلع للاقتباس من حسنه وجماله ووضاءته وبهائه، وتشرق النصوص بأفعال مثل: ودّ، راق،

(١) الديوان: ٧٣.
(٢) المصدر نفسه: ٨٦.
(٣) المصدر نفسه: ٤٧٤.
(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٧١.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ذو خجل[١]، وغار[٢]، وغير ذلك من إظهار الصباح عجزه عن اللحاق بجمال الممدوح، ولنا أن نتأمل في هذه الصورة التي عقدها في هذا الاستعراض الجمالي[٣] :

ووجهـــك ــ زاد الله وجهـــك نضـــرةً ــ تُغـــير بـــه تاج البـــدورِ العمـــائمُ
فلـــو رامَ وجـــهُ الصـــبح شـــبهَ جمالـــه حكمنـــا بأنّ الصـــبح في الأفـــق نائـــمُ
.. **وعمـــتَ صـــباحاً** أنـــت ناصـــرُ دينـــه وكافلـــــه والله كـــــافٍ وراحـــــمُ

والشاعر يتكئ على التشخيص في تشبيه الصبح بالإنسان إذ جعل له وجهاً، وهو يحاول عبثاً أن يضاهي شبه جمال الممدوح، فما يلبث أن يرجع بخفي حنين، وتبرز هنا صورة للصبح فيها من الإدهاش، فلم يعد هذا الصبح طبيعياً كما نعهده، بل بدا لنا في صورة إنسان نائم يغط غطيطاً، على سرير الأفق، وهذه الاستعارة أتت فعاليتها في تجلية الدلالة الجمالية للممدوح، في إسناد وصف النوم "نائم" لكائن حي من إنسان وغيره، أدخل الصبح في عالم بني الإنسان، فهذا الصبح الطبيعي قد تخلق بهذه العلاقات الإسنادية ليغدو "صبحاً شعرياً"[٤]؛ ليرشحه لخوض مضمار المنافسة مع الممدوح البشري، فيتمنى مضاهاة جماله، لكن هيهات، ذلكم أن النائم غالباً ما يذهب رونق وجهه وبهاء طلعته، فيسلب الشاعر من الصبح النائم إشراقه، ليستفرد الممدوح بحظوة الإشراق وجمال الغرة والطلعة والطلة.

وفي هذه الصورة الشعرية التي تظهر استحالة حصول الصبح على جمال يقارب جمال الممدوح، وظف حرف الشرط "لو "الذي خرج إلى معنى التمني وهو أسلوب إنشائي، والغرض البلاغي منه "هو

(١) الديوان: ١١٢.
(٢) المصدر نفسه: ٧٠.
(٣) المصدر نفسه: ٧٩.
(٤) الجملة في الشعر العربي: ١١

الإشعار بعزة المتمنى وندرته، لأن المتكلم يظهره في صورة الممنوع، إذ أن لو تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط"[١].

إن الصباح في أبعاده الجمالية ليحيل الصباحية إلى قطعة من جمال، تشع بأفعال الحسن وأوصاف الأبهة، فهو بمثابة ريشة فنية يرسم بها الشاعر الأشياء، ويلونها بنوره وإشراقه وجماله، وبعد أن رأينا كيف شكل الصباح معادلاً موضوعيا لجمال سيده، لكن بطريقة عكسية، فإذا كان الصباح آية الجمال الكوني نوراً وإشراقاً، فإن ممدوحه قد فاقه وصفاً وصفة.

وهكذا نجد الشاعر يوظف إيحاءات الصباح وتداعياته الجمالية على كل ما يتعلق بمخدومه، وكأن جماله المستقى من سنى الصباح ووضاءته يسري إلى كل ما يمت إليه بصلة، كوصف رقاع مخدومه وخطه[٢]، وهداياه وتحفه[٣]، ودروعه ومِخْتمة[٤].

فمن صباحياته الوصفية بريشة الجمال قوله يصف إحدى رقاع سيده[٥] :

وتحفـــةِ طـــرسٍ أتتـــني عِشـــاءً فقابلـــتُ منهـــا مُحيّـــا الصـــباحِ
ســـكرتُ عليهـــا بكـــاس الحـــديثِ ومـــا مُـــدَّ فيهـــا إلى الـــراح راحـــي
وقـــد واصـــلت لي مـــن ظرفهـــا زمـــان اغتبـــاقي بوقـــت اصـــطباحي
ونزهّـــتُ طـــرفيَ في روضـــها وغازلـــتُ منهـــا عيـــون المِـــلاحِ

نلاحظ توظيف الصباح بدلالته الجمالية ليسبغها على رقعة الخليفة فتستحيل تحفة رغم أنها أتته عشاء، وكأن الصباح بجمال محياه وحسن طلته أصبح مقياساً للجمال يتمثل به فإذا ما رأى منظراً

(١) علم المعاني: ١١٣.
(٢) الديوان: ١٠٣. ٧٤.
(٣) المصدر نفسه: ١٠٢، ١١٥.وانظر: ٢٤٦.
(٤) المصدر نفسه: ٣٢٢،٣٢٣.
(٥) المصدر نفسه: ٧٤.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

حسناً بهياً ذكّره هذا المنظر بجمال الصباح وإن كان بالليل. وهذه الدلالة الجمالية نجدها أيضاً في وصف رقعة ابن الخطيب(١).

إن الدلالات الجمالية لتمتد إلى ما ظاهره غير الحسن، فيسبغ عليه من نفثات الصباح وفيوضات روح الإمام النصري عليه، وهو ما نطالعه في وصف دروعه الحديدية وعدده الحربية، فبدت لنا ذات حسن وجمال أخاذ(٢):

اهنـــأ بيـــوم البشـــائر يقبـــلُ ... وانعـــم بصـــبح بشـــره متهلـــلُ
اهنـــأ بمقـــدمك الســـعيد فإنـــه ... للنصـــر والفـــتح المبـــين مجـــددُ
..أبـديت مـن عُـدد السـلاح ذخـائراً ... **بجمالهـــــا** يتمثـــل المتمثّـــلُ
مَوْشـــيّةَ الأعطـــاف رائقـــةَ الحُلـــى ... أبـــدى بـــدائعَها الإمـــامُ المفضـــلُ
لبسـت مفاضـة عسـجدٍ مـن فوقهـا ... وبطيّهـــا بـــيض الصـــفائح تصـــقلُ
وببعضـــها مـــرآة هنـــدٍ أثبتـــتْ ... فـــترى الوجـــوه بصـــفحها تتمثـــلُ
قـد صـففت مـن فـوقهنّ كواكـبٌ ... فزهـــت ببـــدرٍ بالنجـــوم يكلّـــلُ
مـا كنـت أحسـب قبـل رؤيـة **حسـنها** ... أنّ الحديـد علـى الجسـوم يفصّـلُ
حـتى رأيـت مـن الحديـد مجاسـداً ... قـد فصّـلت مـن فـوق مـا يتخيّـلُ
هـــنّ الجســـومُ وروحهـــنّ خفيفـــة ... نصـــر الـــذي يـــؤتي الفتـــوح ويجـــزلُ
قـد **أجملـت** فيهـا **المحاسـن** كلهـا ... لكـــنْ مـــن الله الوقايـــة **أجمـــلُ**

إن ما يثير الغرابة هنا إضفاء صفات الجمال والحسن على عُدد السلاح من دروع ومجاسد وصفائح وهي من حديد، حيث الصلابة والقوة والثقل، ثم هي تكون كأحسن ما يلبس، وألين ما

(١) انظر: ٣٢ من البحث.
(٢) الديوان: ٣٢٣،٣٢٢.

يتحرك ويتعطف، فجمع بين الخشونة والليونة، إذ غدت قمصاناً ومجاسد غاية في الجمال والحسن، لكن من حديد، موشية ومزخرفة ببديع الألوان من أبيض وفضي وأصفر وذهبي، بلغت من الشفافية والصقالة، وكأنها مرآة هند، رائقة الحلى، وكأننا أمام عروس حسناء تزينت بأبهى الحلل والحلى.

واختياره للفظة الإمام دون الخليفة أو السلطان أو الملك، للدلالة على قدسيته الدينية، ما يفسر سر جمالها الأخاذ إذ أخذت من روح الإمام النصري الإشراق والبهاء والجمال، فإذا بجسومها الثقيلة تتحول إلى خفيفة بفعل نفثات روحانية للإمام النصري. ويعبر عن هذه الدلالة الجمالية معجم جمالي: بجمالها يتمثل المتمثل، رائقة الحلى، بدائعها، حسنها، المحاسن، أجمل، فوق ما يتخيل.

٣. الدلالة الزمانية:

إن هذه الصباحيات استمدت وصفها وكينونتها من الصباح زمناً، ومقوماً فنياً، وما افتتاحها بالتحية الصباحية التي تستهل بذكر الصباح والتحية به إلا خير دليل على ارتباط الصباحية الشعرية بالصباحية الزمنية؛ وهذا ما نطالعه في غير ما تقديم لها، من مثل قول الجامع: "أنشده صبيحة يوم، شاكراً"، "وقال يصابحه رحمة الله عليه بالتحية"، "وقال أيضاً من تحيات الصباح.."، لذلك فإن الصباح يمثل زمن الإنتاج الشعري.

إن للصباح فترات زمنية، تمتد من نصف الليل الآخر إلى الزوال، لهذا نجد حضوراً زمنياً لجميع ساعات الصباح كالسحر، والصبح، والصباح، والإصباح، والبكور، والضحى، والظهيرة، وهذه أزمنة طبيعية، كما أنه يستدعي أزمنة رديفة له كالعشاء والليل والليلة الليلاء، والنهار، واليوم والأمس، والساعة والشهر، زمان الاغتباق، وقت الاصطباح، وكذا مطلق الزمن كالدهر، والزمن، إضافة إلى الزمن النفسي أو الشعري الذي يأتي طيّ الصباحية، فيتلبس بدلالات قطبي التحية الصباحية، كزمان السعود، ويوم أنس، الدهر المبتسم، الزمان المبتهج.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
العدد الحادي عشر- جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - ديسمبر ٢٠٢١
ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

إن ذلكم الزمن الشعري لتتنازعه دلالات جزئية، فالصباح زمن التفاؤل، وزمن البشائر والسعود، وزمن اليمن والبركة[١] وزمن اللذة والانتشاء[٢]، وزمن النصر، وزمن بثّ الحياة وتجددها.

يبدو أن للشاعر قصة نفسية مع الصباح، يحتفي به ويهيم به عشقاً، من أول طلعته، يترقبه كما يترقب الحبيب قدوم حبيبه، وتكتمل النشوة أوجها عند بزوغ فجر الصبح، وتباشيره، فالشاعر يطالعنا في إحدى صباحياته الخمرية، في زمن السحر، وهو يحث صاحبيه أن يشاركاه هذا الترقب، موظفاً بعض أساليب الإنشاء من نداء، "يا نديميّ" وأفعال الأمر "قربا وارقبا، بما فيهما من جناس معكوس، خلقا نوعاً من الإيقاع الموسيقي احتفاء واستعداداً بمقدم الصباح، طالباً منهما أن يممما وجهيهما تلقاء الشرق، "عله شمعة الصبح أسرج ". وهنا، شبه الشاعر الصبح في أول تباشيره بالشمعة بلونها وشعاعها الأبيض المشرب بحمرة، وهنا، ندرك سبب هذه اللهفة والترقب والعشق للصباح، إذ أنه زمن بث الحياة وتجددها في الكون والطبيعة والرياض، فإذا بنواويرها وأزهارها كالسوسن والبنفسج والأقحوان تصحو من نومها، وتتفتح، فتكشف عن جمالها وبهائها، وقد عبر عن هذا البعث والإحياء المتجدد كل صباح بلفظي: "أطلع "و"استرد" اللذين يحيلان على معاني البعث والإحياء، واسترداد الروح، التي نفث الصباح فيها من روحه وإشراقه، وهذا الفضاء المكاني الطبيعي الذي يمثله الروض بما فيه من رياحين وأزهار ما كان ليتخلق ويحسن ويجمل إلا في ظل زمن الصباح. كما يقترن بهبوب النسيم المدرج بأريج الروض ونفحاته، ولولا الصباح ما استطاعت الأشجار الضخمة أن ترسل ظلها سجسجا، وهو كذلك يعشق الصباح لما فيه من مجالس أنس وسرور، وخمر تفرج الهم حد تعبيره، فزمن الصباح أصل جمال الكون ومبعث تجدد الحياة[٣]:

(١) الديوان: ٧٧.
(٢) المصدر نفسه: ٢٧٤.
(٣) المصدر نفسه: ٢٧٨،٢٧٧.

يانـــــــديميّ **سُـــــــحرةً** قـــــرِّبا الكـــــاسَ وامزُجـــــا
وارقبـــــا الشـــــرق علّـــــه شمعـــــةَ **الصـــــبح** أســـــرجا
أطلـــعَ **الصـــــبحُ** سوســـناً واســـــــتردَّ البنفســـــــجا
وأقاحـــــــــاً حســـــــــبتَه كـــــأن ثغـــــراً مفلّجـــــا
شـــــاربَ الخمـــــر إنهـــــا تشـــــربُ العقـــــلَ والحِجـــــا
فـــــاترك العقـــــل جانبـــــاً وتـــــرى الهـــــمَّ أُفرجـــــا
يا نســـــــيماً مـــــــدرّجاً نفحـــــة الـــــروض أرّجـــــا
قـــــل لبـــــاناتِ لَعْلـــــعٍ ترســـــل الظـــــلّ سجســـــجا
فـــــوق ظـــــبيٍ مهفهـــــفٍ أكحـــــل الطـــــرف أدعجـــــا
فضـــــح الغصـــــن قـــــدُّه في كثيـــــــبٍ ترجرجـــــــا
وجـــــلا **صـــــبح غـــــرةٍ** تطلـــــع **الصـــــبحَ أبلجـــــا**

والنص كما يبدو يجلله معجم زمني يتمثل في ذكر ألفاظ: سُحرةً المنصوب على الظرفية الزمانية، وتكرار للفظ الصبح أربع مرات، ولفظ "صباح آخر القصيدة، تعميقاً للدلالة الزمنية المهيمنة على النص.

كما يهيم الشاعر بالصباح كونه زمناً للعبّ من اللذة والمتعة، والانتشاء من خمرة الصبوح، إذ يمثل إطاراً زمانياً لفضاء مكاني يقضي فيه ساعات الأنس واللهو سواء كانت في مجلس أنس أو نزهة طردية بين أحضان الطبيعة، وهنا يجتمع الزمان بالمكان ليؤثثا جو الصباحية الماتع. وبذلك يعد الصباح زمناً مثالياً لاغتنام اللذة واقتناص السرور. من ذلك قوله في وصف مجلس أنس[1]:

(١) الديوان: ٣٠٠،٢٩٩.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

عمْ صباحاً فأنت نورُ الصباحِ واسرح اللحظَ في الوجوهِ الصِباحِ
واغتنم للسرور يوماً فيوماً وصل اليُمنَ دائماً بالنجاحِ
واجتلِ الشمسَ من سماءِ زجاجٍ تجلبُ الأنسَ من جميع النواحي
ما جلاءُ النفوسِ في يوم أنسٍ غير راحٍ تجلى على أفقِ راحِ
من مدير يزهى بورد خدودٍ فوق ثغر يزهى بنور الأقاحِ
واقتنص في القصور كل مهاةٍ فاتنات اللحاظ خودٍ رداحِ
لاعباتٍ بكل قدٍّ رطيبٍ لعب الغصن في مهبّ الرياحِ
واقتنص في القفار كل غزالٍ بابلي اللحاظ عذب المزاحِ
يرجع اللحظ عن سقيم جفونٍ تنفث السحر في القلوب

يمثل زمن الصباح هنا رمزاً للذة والمتعة والانتشاء، لما تعقد فيه من مجالس الأنس واللهو، فالشاعر يدعو إلى اغتنام كل لحظاته سعادة وأنساً، بشرب الخمر، والتلذذ بجمال النساء والجواري، موظفاً أفعال "اغتنم" و "اقتنص" مرتين، وكأن الزمان يشكل هاجساً لدى الشاعر، لهذا نجده يكرر الدعوة إلى اغتنام واقتناص لحظات المتعة يومياً قبل تجهم الزمان، وهو ما نجده في قوله: "واغتنم للسرور يوما فيوماً.. وصِلْ" بما فيها من دعوة لاستغلال أمثل للزمن كله متواصلاً في اللذة دون انقطاع، بما أفادته الفاء من تعقيب وتوالٍ، يعززه الأمر بوصل الزمان. وهنا يتحول الصباح زمناً مخصوصاً إلى مطلق الزمان. وهذا الأمر غير خاص بابن زمرك، بل يشكل ظاهرة نفسية عامة لدى الأندلسيين، فهم كانوا يعيشون في نعيم مادي وأجواء سحرية حالمة، تتمثل في الحياة اللاهية وأجواء الطرب وجانب الطبيعة الأندلسية برياضها وأزهارها ومنتزهاتها، ومجالس الأنس والشراب والغلمان والجواري، "ذلكم النعيم كان يقابله على المستوى الخارجي الفتن والتقلبات المذهلة مما جعل الشاعر الأندلسي يطلق الدعوات المكررة إلى اللهو، واغتنام الفرصة قبل فوات الأوان، دعوات إلى اختلاس لحظات المتعة قبل تجهم الدهر"[(١)].

(١) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : ٥١.

كما يمثل الصباح زمن الفأل الحسن، فالشاعر يتيمن به، فلطالما رآه حاملاً للبشائر والسعود والفتوح والأعياد والنصر [1]؛ لهذا كان يفتتح به إبداعه الشعري. من مثل قوله[2]:

بُشرى على صفحة الإصباح ترتسمُ لذلك يصبح ثغرُ الثغر يبتسم
جاءت تبشر بالإقبال مملكة بعزة الله في الأملاك تحتكمُ
وافت تخبر أنّ العيد عائده بالسعد يبدأ والإسعاد يُختتمُ

ما كان لهذا المطلع أن يتوهج فقط بلفظة بشرى، لولا ارتسامها على وجه الصباح، وهنا يغدو الصباح زمناً شعرياً من خلال الاتكاء على تشخيص الصباح، والثغر، فإذا بالصباح إنسان ترتسم على ملامح وجهه بشرى غامرة، فسرت، سنا ابتسامته لتغمر ثغر البلد، فيشخصه بإنسان مبتسم، يبادله الابتسامة بمثلها تجاوباً شعرياً، وفي هذا التوظيف المجازي للغة، تخلقت كائنات لغوية جديدة، بدلالة جديدة، فيتلبس زمن الصباح بالابتسام والسرور. ويعزز هذه الدلالة الشعرية للزمن توظيفه للصباح مصدراً وفعلاً "الإصباح، يصبح". أما المصدر فيدل على أن هذه البشرى أضحت صفة ثابتة وقارة بالصباح، وأما الفعل "يصبح" فيدل على حدوث وتجدد الابتسامة التي هي علامة البشرى زمن الصباح، ويعد اختياره للفعل "يصبح "دون "يكون "أو يغدو "مثلاً، اختياراً أسلوبيا، (ليظاهر بلفظه وزمنه حدوث فعل الابتسام صباحاً) أراد به الجمع بين معنيين: تجدد البشرى، ومعنى تكوّن الابتسام.

وتتناغم مع هذه الدلالة الزمانية الفرائحية أفعال مضارعة: ترتسمُ، يبتسمُ، تبشّرُ، تخبرُ، يُبدأ، يُختتمُ، مما يدل على تجدد البشرى على المملكة النصرية.

(١) انظر: لديوان: ٦٤، ٧١،٧٢. وانظر: ٧٨، ١١٤.ص١٨٨.ص٣٠٠١،٣٠٠. ٣٢٣،٤٥٠ .
(٢) المصدر نفسه: ١٨٨ وانظر :٤٦٢.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

المبحث الثالث: البناء الفني للصباحيات:

إن نمط شعر الصباحيات يتميز ببناء هيكلي خاص، فمنه ما يأتي على شكل مقطعات وهو الأقل، بيد أن الصباحية تأتي غالباً قصيدة مكتملة الأركان، والقصيدة بحسب التحديد النقدي هي ما بلغت سبعة أبيات أو عشرة فأكثر(١). وإن كان موضوع الصباحية الرئيس المدح السلطاني، فإنها غالباً ما يمزج فيها بين المدح وأغراض أخرى، وهي بهذا قصيدة مركبة كما يقول حازم القرطاجني" والقصائد منها بسيطة الأغراض، ومنها مركبة، والبسيطة مثل القصائد التي تكون مدحا صرفا أو رثاء صرفا، والمركبة هي التي يشتمل الكلام على غرضين، مثل أن تكون مشتملة على نسيب ومديح، وهذا أشد موافقة للنفوس الصحيحة الأذواق"(٢)، فتأتي صباحية مدحية في مليكه وفي وصف كل ما يتعلق به كوصف ركابه، ووصف قصره، ووصف دروعه، ووصف رقعة بخط يده، ووصف هداياه وشكر إنعامه وهو كثير، أو وصف مجلس أنس انتظم بشمله، أو وصف نزهة طردية، أو مدحية مع تهنئة بعيد أو بنصر أو إبلال من مرض، ونادراً ما تأتي صباحية يمتزج فيها المديح النبوي بالسلطاني، أو تكون مدحية إخوانية. وقلما تأتي الصباحية مدحاً خالصاً(٣).

لقد وجدنا علاقة بنائية ودلالية وفنية، تتشكل بين الصباحيات والصباح، سواء وردت التحية الصباحية أو دال الصباح مطلعاً، أو وسطاً، أو خاتمة.

المطلع الصباحي:

قبل الخوض في ماهية عنصر افتتاح الصباحية، يجدر بنا أن نقف وقفة عند مصطلحين نقديين يتنازعهما موقع أول القصيدة ومبتداها، وهما المطلع والمقدمة، وما الفرق بينهما؟ لقد أضحى من

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:١/١٥٨.
(٢) منهاج البلغاء:٣٠٣.
(٣) الديوان: ٧٨، ص١٠٤، ص٢٤٠. ص٤٥٠.

المتعارف عليه بين الدارسين المحدثين "أن المطلع تقصد به الدلالة على البيت الأول من القصيدة، وأن المقدمة تقصد بها الدلالة على كل العناصر السابقة للموضوع"[١]، أي موضوع القصيدة. فيما ضبط الدكتور حفني دلالة المطلع بدقة بأنه "العنصر الأول من القصيدة وينطبع غالباً على البيت الأول وما له ارتباط به من حيث الدلالة"[٢]، ومعنى ذلك أن للمطلع ظلالاً تمتد إلى ما بعده من أبيات، لاسيما البيت الذي يتلوه وأن هذه الامتدادات تتفاوت قوتها ووضوحها تبعا لقرب البيت من المطلع وبعده عنه[٣].

لقد تنوعت مقدمات القصيدة العربية ما بين مقدمات طللية وغزلية، وهي مقدمات أساسية، وأخرى ثانوية كالبكاء على الشباب ووصف الطيف[٤]، ثم استحدثت مقدمات جديدة بحسب تطور العصر، إذ وجدنا مقدمات خمرية وطبيعية وبحرية وحجازية وغيرها. ويبدو أن المقدمات الغزلية تربعت على باقي أنواع المقدمات التي استهلت بها قصائد المديح في الشعر الأندلسي، حتى غدت ظاهرة شائعة في أشعار الأندلسيين بصفة عامة"[٥]، بمن فيهم ابن زمرك، فكانت أكثر مقدماته ما بين غزلية[٦]وصباحية، وإن لم نعدم وجود مقدمة طللية [٧]ومقدمة ربيعية[٨]، ومقدمة حجازية، ومقدمة صبوحية[٩].

ولا شك أن المطلع الصباحي يمثل بحق إضافة جديدة ونقلة نوعية في مطالع القصيدة العربية وخاصة الأندلسية، اختص بابتكارها شاعرنا ابن زمرك.

(١) مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية: ١٥.
(٢) المرجع السابق.
(٣) شعرية المطلع في القصيدة العباسية:٨٦.
(٤) ينظر: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي: ٧١ إلى ص١٠٧.
(٥) مقدمة القصيدة في شعر ابن الأبار القضاعي بين النمطية والتنوع:٧٦. وانظر أيضاً: قصيدة المديح الأندلسي، دراسة تحليلية: ٢٥. ؛ قصيدة المديح في الأندلس قضاياها الموضوعية والفنية " عصر الطوائف":١١٩.
(٦) ديوان ابن زمرك: ٢٥٧,٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٦، ٢٨٦.
(٧) المصدر نفسه: ٤٥٨.
(٨) المصدر نفسه: ٢٥٠.
(٩) المصدر نفسه: ٥٣٨، ٥٤١

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وهو يأتي على نمطين: الاستهلال بالتحية الصباحية وهو الكثرة الكاثرة لدرجة أن التحية كانت بمثابة قيد في إطلاق التسمية بالصباحية لدى الجامع أو ابن زمرك، والنمط الثاني، الاستهلال بدال الصباح.

النمط الأول: الاستهلال بالتحية الصباحية: إن الشاعر كان له منزع فني في بداءة قصائد ومقطوعات صباحياته بمطالع صباحية، تتضمن التحية بالصباح بصيغ متعددة، نحو قوله "اِنعَمْ صباحاً" وهي الصيغة الأكثر دوراناً، إذ تواتر ذكرها (١٥) مرة، بعدها "عِمْ صباحاً "(٦) مرات، ثم "نعمتَ صباحاً" (٣) مرات، ثم "أنعِمْ صباحاً" مرة واحدة، كما وردت التحية بصيغ أخرى منها: "أنعمَ ربي صبحك"(١) و "أنعمَ الله صباحك"(٢) و" وانعم بصبحٍ"(٣) و "عليك تحية"(٤).

ونجد أن صيغة "اِنعَمْ صباحاً" أكثرها استعمالاً، رغم كونها تحية جاهلية، لأمرين: أولهما، أنها تحية ملوكية، فاختص بها مليكه لما لها من دلالة الدعاء له بالملك والبقاء والسلامة من الآفات، وثانيهما، للغنى الدلالي للفظي "أنعم" و "صباحا "، من الدعاء لمليكه بكثرة النعيم والخير والترفه ونعومة العيش، والمال والأهل، والمسرة والفرح، ولما تحيل عليه كلمة "صباحاً" من دلالة زمنية، ودلالة نورانية، ودلالة جمالية مسخرة لمدح مليكه. فأضحت "أنعم صباحاً" قطباً محورياً أو مركزياً تستقطب جل معاني الإنعام والصباح، بما تحويانه من تداعيات وانزياحات دلالية(٥).

إن الغنى الدلالي لـ "أنعم صباحاً "ـ وكونها مطية سهلة، يلج منها إلى المدح مباشرة دون احتياج إلى اختلاق وسيلة لحسن التخلص ـ رشحها لأن تكون مطلعاً ينضح ببراعة الاستهلال، فنلفيها تناسب بمدلولاتها المتعددة موضوعات الصباحيات المفتتحة بها، فإن كان الموضوع في التهاني والبشائر

(١) الديوان: ٨٦. ذكرت مرة واحدة.
(٢) المصدر نفسه: ٢٤٠. ذكرت مرة واحدة
(٣) المصدر نفسه: ٣٢٣.
(٤) المصدر نفسه: ٣٤٥.
(٥) سنتناول هذه الدلالات في المبحث الخاص بها.

والفتوحات والأعياد والإبلال من المرض والشكر على الهدايا والنعم، يترجح قطب "أنعم "بإيحاءاته الغنية بالفرح والسرور والنعيم والدعة والرفاهية ورغد العيش ولينه وهنائه، وإن كان الموضوع في الوصف سواء أكان وصف مجالس الأنس والطرديات أم وصف الهدية أم وصف الرسالة أم المدح، فإنه يترجح قطب "الصباح "بدلالاته وإيحاءاته النورانية والجمالية والزمانية.

ومن مطالعه الصباحية المفتتحة بالتحية الصباحية يستأذن فيها الخليفة في السفر إلى تفقد أملاكه ثاني عيدٍ[1]:

اِنْعَمْ صباحاً بثاني العيد ياملكاً أيامُه كلُّها عيدٌ وأفراحُ
قضّيتَ بالأمسِ ما قضّيتَ من سُننٍ بها تنعّمُ أجسادٌ وأرواحُ
هذا زمانُ سعودٍ لا انقضاءَ له في وجهه غررٌ تبدو وأوضاحُ
فاستقبل الدهرَ بالراحات في دعةٍ والراحُ تُجلى عروساً فوقها الراحُ
.. والعبدُ يستأذن المولى على سفرٍ بالجسم والقلبُ في مثواك يرتاحُ
بقيتَ للدين والدنيا إمام هدى تطيّبُ الدهر في علياه أمداحُ

أتت هذه الافتتاحية متناغمة في دلالتها مع جو القصيدة حيث العيد، فتكتسي دلالة جديدة تمتح من أجواء العيد الطربية الفرحة المرحة، حيث السرور والتوسع في الملذات من أكل وشرب ونزه ومجالس لهو وانس واجتماع الأهل والأحباب، وهو ما نطالعه في بنية القصيدة من تناوله للحديث عن الصبوح ووصف الخمرة ومجالسها تعميقاً لجو الفرحة والمتعة والسرور.

وهنا يحضر المعجم المشحون بدلالات المسرة والحبور والنعمى: أفراح، تنعم، السعود، الراحات، دعة، وحتى لفظة الراح التي اختارها الشاعر هنا من بين أسماء الخمرة الكثيرة "كان اختياراً نفسياً

(١) الديوان: ٦٤.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

للدلالة على ارتياح عام لهذا الجو المنطلق"[١]، وقد تكررت أربع مرات، بمعنيين مختلفين من باب الجناس التام، الخمر والكف، وهذا التكرار ليس اعتباطاً وإنما ليتساوق مع الجو العام المرح.

ولعل لفظة "انعم" بصيغتها الدعائية هنا تغذي هذا الجو بدلالاتها المتعددة من الإنعام ورغد العيش والفرح والسرور، ومن هنا جاء التوظيف الفني لهذه الافتتاحية بما يجلي براعة في الاستهلال المتساوق مع البنية الموضوعية للقصيدة، ذلك أنه "إذا كان الابتداء حسناً بديعاً، ومليحاً رشيقاً كان داعية إلى الاستماع لما يجئ بعده من الكلام"[٢].

وبراعة الاستهلال تكاد تطرد في جميع صباحياته، إذ لا نجد نبوّا ولا تنافراً بين التحية مطلعاً وموضوع القصيدة، بل تناغماً وانسجاماً لتشكل لحمة موضوعية وبنائية وفنية. "وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة، إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها، المتنزلة من القصيدة منزلة الوجه والغرة، تزيد النفس بحسنها ابتهاجاً ونشاطاً بتلقي ما بعدها"[٣] من ذلك قول ابن زمرك يهنئ مليكه بالإبلال من المرض، ذاكراً نعماً أهداها إياه[٤]:

اِنعَمْ صباحاً بالبشائر والنعمْ وادعُ الزمان يقول مبتهجاً: نعمْ
فالدهر وضّاح الجبين وثغره بالبِشر عن شنب الثغور قد ابتسمْ
يا واحد الدنيا ومالكها الذي تفديه من لمم الحوادث بالأُممْ
مدّت لراحتك السعادة راحةً لتزيل عنك من الشكاية ما ألمْ
فاستقبل الصنع الجديد مبلَّغاً ما شِئْتَ في النفس النفيسة والحُرَمْ

(١) جماليات المعنى الشعري" التشكيل والتأويل": ٨٦.
(٢) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: ٤٣١.
(٣) منهاج البلغاء: ٣٠٩.
(٤) الديوان: ١١٤.

انظر كيف يعزف على وتر النعم، فهي بمثابة كلمة السحر ومفتاح القصيدة، إذ كررها في صدر المطلع فعلاً واسماً، فعلاً دالاً على الدعاء للخليفة بالنعمة آناً ومستقبلاً، في ديمومة وتجدد لهذا النعيم، واسماً دالاً على الثبات، ليجمع بين معنيي التجدد والثبوت، كما وظف من جنس لفظ انعم حرف الإثبات "نعم" في نهاية البيت، وفي هذا الجناس الاشتقاقي "انعم والنعم ونَعم" تكرار يصب في معنى تحقق نعمة العافية وهي تاج النعم، وهو الغرض الأول من القصيدة التهنئة بالإبلال من المرض، عزز هذا المنحى المعنوي الإرداف بلفظة البشائر، فتحققت البراعة هنا لأن المطلع ينبغي أن "يكون دالاً على غرض القصيدة، وأن يكون مع ذلك عذب المسموع"(١).

وعزز جمالية هذا المطلع التصريع بين الشطرين وزناً وتقفية "النعم ـ نَعم" بما خلق من جرس موسيقي رائع "فإن للتصريع في أوائل القصائد طلاوة وموقعاً من النفس، لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها، ولمناسبة تحصل لها بازدواج صيغتي العروض والضرب، وتماثل مقطعها لا تحصل لها دون ذلك"(٢). وجاءت قافية القصيدة بروي الميم الساكنة تعميقاً لدلالة "انعم" توافقاً وتجانساً مع موضوع الصباحية.

ومن هذا المطلع ينداح معجم لغوي يفيض بمعاني البشر والابتهاج على القصيدة ككل، مبتهجاً، البشائر، البشر، ابتسم، راحتك، السعادة، راحة، تهلل. وفي هذه المطلع يتكئ الشاعر على عنصر التشخيص لإبراز مشاركة الكون زماناً ومكاناً في الابتهاج بنعمة الصحة لمليكه، فقد شبه الشاعر الدهر والزمان بإنسان، على سبيل الاستعارة المكنية، يدعوه مليكه فيجيبه ملبياً بكل فرح وابتهاج، فكأن الزمان طوع بنان إمامه يحركه أنى شاء ومتى شاء" وادع الزمان يقول مبتهجاً نعمْ"، كما يخلع عليه أوصافاً إنسانية أخرى تظهر ابتهاجه، فهو وضاح الجبين، ذو ثغر مبتسم، موظفاً الجناس

(١) منهاج البلغاء: ٢٨٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢٨٣.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

بين ثغره "الفم "والثغور "البلدان". وهنا جمع الشاعر بين المكان والزمان إشارة على شمول البهجة والفرح والسرور بعودة عافية الخليفة، كعودة العافية للحياة والكون.

وإذا كان الشاعر فيما سبق قد ضرب على وتر النعم، فإنا نراه في كثير من مطالع مقطوعاته وقصائده يضرب على وتر الصباح بما فيه من إيحاءات ودلالات نورانية. من ذلك قوله مادحاً الغني بالله في يوم أنس(١):

عمْ صباحاً فأنت نورُ الصباحِ واسرح اللحظَ في الوجوهِ الصِباحِ
واغتنم للسرور يوماً فيوماً وصل اليُمنَ دائماً بالنجاحِ
واجتلِ الشمسَ من سماءِ زجاجٍ تجلبُ الأنسَ من جميع النواحي
ما جلاءُ النفوسِ في يوم أنسٍ غير راحٍ تُجلى على أفقِ راحِ

أول ما يطالعنا في مطلع هذه الصباحية تكرار دال الصباح باشتقاقاته ثلاث مرات .كما تكرر في النص السابق "انعم "باشتقاقاته ثلاث مرات أيضاً . بدلالاته الثلاث؛ الزمانية(صباحاً) والنورانية (نور الصباح) والجمالية(الوجوه الصِّباح)، بما يجعل من هذا المطلع عنواناً يؤشر على موضوعات القصيدة الثلاث (مدح الخليفة وسط مجلس أنس زمن الصباح)، وبما يحيل على بؤرة القصيدة ودلالاتها المركزية التي تجعل من الخليفة قطباً مركزياً للنور(٢)، و" في أغلب النصوص الشعرية القديمة تقوم المطالع أو المقدمات مقام العنوان في القصيدة الحديثة، فتمثل خيطاً أساسياً إلى حل شفرة النص"(٣)، فشفرة النص هنا هي جملة "فأنت نور الصباح "وهي "الجملة المفتاح"، ومركز الإشعاع الدلالي في القصيدة(٤).

(١) الديوان: ٢٩٩ . ٣٠٠.
(٢) انظر المبحث الخاص بالدلالة النورانية.
(٣) النص وآليات القراءة:١٢
(٤) الجملة في الشعر العربي: ٢٠٣.

كما يعد الصباح معادلاً موضوعياً للممدوح، وفي اتساق المطلع مع موضوع النص تتجلى براعة الاستهلال. كما عزز من فنيته وإيقاعه الموسيقي تكرار دال الصباح ثلاثاً، وتصريعه، واختيار حرف الحاء روياً، الدال على الانتشاء واللذة[١]، وهو اختيار يكاد يشكل ظاهرة قافوية في شعر ابن زمرك من كثرة بناء قصائد الصباحيات عليه[٢].

وكذا توظيفه للجناس الاشتقاقي: اجتلِ، جلاء، تجلى، و (صباح وصِباح)، وجناس تام بين: راحٍ وراحٍ، فمثل هذا التجنيس ليس مجرد صنعة سطحية، إن اللعب باللغة كما قال د. محمد مفتاح "هو جوهر العمل الأدبي الأصيل والشعر منه خاصة"[٣]، وتكرار كلمات وحروف بعينها، كتكرار يوم ثلاث مرات، وتكرار حروف صفيرية كحرفي السين والصاد. وهذا التكرار لوحدات صوتية جرسية منتظمة تولد إيقاعاً داخلياً بين الصيغ والدلالات والكلمات، ومنه يتولد التوازي وهو ما حقق وظيفة شعرية عالية في هذه الصباحية.

كما غني هذا المطلع الصباحي بأسلوب إنشائي تمثل في أفعال الأمر: عِمْ، اسرح، اغتنمْ، صِلْ، اجتلِ، خرج إلى معاني الدعاء وطلب العبِّ من المتع واغتنام السرور، واجتلاب الأنس، من خلال النظر إلى الوجوه الصباح والاصطباح بخمر الصباح زمن الصباح، إذ أن الزمن الأمثل لحصول فعل اللذة والانتشاء هو زمن الصباح. وفي الخطاب بضمير المخاطب ظاهراً أنت، ومستتراً في أفعال الأمر المتقدم ذكرها، يمزج بين وصف مجلس الأنس ومدح الخليفة كونه ـ أي الخليفة ـ صدر هذا المجلس الذي يفيض بنوره ويبث سناه على كل من يحيط به من صباح وصبوح ووجوه صباح، وينهي القصيدة كما بدأها بإشعاعات صباحية، وبالدعاء لمليكه بدوام الغبطة والرفعة[٤]:

(١) إن حرف الحاء يجسم كل الأحوال، وأنه قاسم مشترك بين المتعة والألم، لأن الإنسان إذا ارتاح والتذ قال: أح، وإذا تألم أو تعذب قالها كذلك. انظر فنية التعبير في شعر ابن زيدون: ٤٤.

(٢) انظر على سبيل المثال: الديوان: ٦٤، ٧٣، ٧٥،٧٨، ١١٢، ٣٧٣،٣٧٤، ٢٩٩.

(٣) تحليل الخطاب الشعري: ٤١.

(٤) الديوان: ٣٠٠.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

واغـــنم الأنـــس والمســـرّة فيـــه بـــين ظـــلٍّ ينـــدى وعـــذبٍ قـــراحِ
دمـــتَ في غبطـــةٍ ورفعـــة شـــانٍ مـــا انجلـى الليـلُ عـن ضـياءِ الصـباحِ

النمط الثاني: الاستهلال بدال الصباح: (وهنا يلتبس دال الصباح بمقدمة الصباحية، أو يذوب أو يمتزج بمقدمة عادة غزلية أو بكاء الشيب والشباب) وهو أقل بالمقارنة مع الاستهلال بالتحية الصباحية، والفرق بين الاستهلالين أن الاستهلال بالتحية يجمع فيها بين دلالات القطبين المركزيين لأنعم صباحاً، وهي دلالات الإنعام والصباح، في حين يقتصر في الاستهلال بدال الصباح على قطب الصباح بدلالاته الثلاث الزمانية والنورانية والجمالية، وفرق آخر أن الاستهلال بالتحية الصباحية كونها تحية ملوكية خصت بالمديح السلطاني، بينما الاستهلال بالصباح عم ليشمل المديح السلطاني[(١)] والإخواني والنبوي، ويتحرر من قيد التحية فينطلق في آفاق رحبة، فإذا به يمزج بين الصباح مطلعاً والمقدمة الغزلية لما يحمله من دلالات الحسن والوضاءة. وكذا يدمجه مع المقدمة التي تبكي الشيب. وهذا ما نلفيه في غير ما صباحية [(٢)] منها قوله في إخوانية واصفاً رسالة وجهها إليه ابن الخطيب[(٣)]:

طالعتُهـــا دون الصـــباح صَـــباحاً لمـــا جلـــتْ غُـــررَ البيـــان **صِـــباحا**
ولقـــد رأيـــت ومـــا رأيـــت كحســـنِها وجهـــاً أغـــرَّ ومبْسِـــماً وضّـــاحا
عـــذراء أرضـــعها البيـــان لِبانـــه وأطـــال مغْـــدى عنـــدها ومراحـــا
فأتـــت كمـــا شـــاءتْ وشـــاءَ نجيُّهـــا تـــذكي الحِجـــا وتـــنعِّمُ الأرواحـــا
لا بـــل كمثـــل الـــروض باكـــره الحيـــا وســـقى بهـــا زهـــر الكمـــام ففاحـــا
وطـــوتْ بســـاطَ الشـــوقِ مـــني بعـــدما نشـــرت علـــيّ مـــن القبـــول جناحـــا

(١) الديوان: ٣٠٠.
(٢) انظر: المصدر نفسه: ١٨٨، ٢٥٨. ٣٠٠، ٣٧٥، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٧٤،٤٧١.
(٣) المصدر نفسه: ٣٧٣. وانظر أيضاً: ٣٤٥.

فهنا، يهيمن دال الصباح على هذا المطلع في هذه المقطعة الإخوانية، من خلال تكرره باشتقاقاته ثلاث مرات، موظفاً الجناس والتصريع، (صباحا ـ صِباحا)، متكئاً على التشخيص، حيث جعل للبيان وجوهاً بيضاء صباحاً، بل إن الرسالة في حسنها ونورها امرأة فاتنة؛ ذات وجه أغر ومبسم وضاح. ولا شك ما في هذا المطلع من براعة الاستهلال جاء متناسباً مع وصف جمال الرسالة بياناً وبلاغة.

ومن مطالعه الصباحية لمديح سلطاني أتت ممتزجة بمعاني المقدمة الغزلية، ما جاء في قوله[1]:

أمـا وصـباحٍ مـن جبـينٍ تبلّجـا ولـيـلٍ بهـيمٍ للغـدائر قـد سـجا
وبـدر مُحيّـا أخجـل البـدرَ حسـنُه وقـد صـدعت أنـوارُه حُلْكـةَ الـدُّجا
ونُـور أقـاحٍ قـد سـقتْه سُـلافةٌ رشـفْتُ بـه ثغـراً شـهيّاً مفلّجـا
ونـرجسِ لحـظٍ أمطـر الـورد لؤلـؤا فـرشَّ بمـاء الـوردِ خـداً مضـرّجا
ومسـرى نسـيمٍ صـافح البـانَ بالحمـى فعطّـر أرجـاء الـرياض وأرّجـا
لقـد نهـج المـولى الإمـامُ محمـد إلى نيـل أبعـاد الكواكـب منهجـا

فيحيلك هذا المطلع على التغزل بامرأة كأن وجهها صباح منير، شعَّ النور من جبينها، ليعقبه بذكر الليل الذي يحيل على سواد غدائرها، فحضرت هنا الثنائية بين الصباح والليل، وإن كان الصباح يقابل المساء لا الليل، ولكنه يقابله بنوره، فثمة لونان أبيض وهو نور الصباح هو نور وجه المحبوبة، وأسود وهو لون شعرها، معززاً البيت الأول بالثاني في الإلحاح على وضاءة وجه هذه المرأة، وحسن غرتها، لدرجة أن خجل من حسنها البدر مبالغة في الحسن والوضاءة، ونورانية صدعت ونسفت حلكة الدجى والظلام.

(١) الديوان: ٢٥٨.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وتتداعى معاني الغزل وتنبث في هذه المقدمة بذكر الثغر المفلج، وما يكون له من رشف وكأنه سلافة خمرة، وهنا، نلحظ أسلوب التنكير في هذه المقدمة بتنكير الصباح والجبين ليوهم أنه بصدد التغزل بامرأة، وهو في الحقيقة يروم التمدح من خلال هذه المعاني الغزلية بجمال مليكه ونورانيته، وهو ما كشف النقاب عنه في مختتم القصيدة، بأسلوب التعريف، فإن ذلكم الجبين الوضّاء الذي تبلج الصباح منه ما هو إلا جبين مخدومه الإمام محمد:

ويشـــرقُ منـــه يومُـــه بجبينـــه وقد لاحَ وضّاحَ الأساريرِ أبلجا

وفي المديح النبوي يستهله بالصباح، في تركيب إشاري يفيد التفخيم والتعظيم، "هذا الصباح" ليجعل منه قاعدة يبني عليها مفهوماً جمالياً للشيب، فيضفي عليه مسحة من نور الصباح وجماله، فيبرزه أي الشيب . صباحاً من باب التشبيه البليغ بإضافة المشبه إلى المشبه به، "صباح الشيب" في بياضه وسرعة انتشاره، ويعزز هذا المنحى النوراني للشيب بتشبيهه بنور الضحي "فاستنار ضحى". في حين أبرز الشباب الذي لم يصرح به، وإنما دل عليه بالليل فجعله رمزاً للشباب، مستغلاً ثنائية الصباح والليل بما فيهما من نور وظلمة للدلالة على ثنائية الشباب والشيب. وهنا يقابل بين لوني الدهر من "نور و "غسق "للدلالة على سنة الكون في تعاقب زمني الليل والنهار، وكذا سنة الحياة في تعقب الشيب للشباب وهو تعقب زمني أيضاَ. وفي تكرار ثنائيتي النور والغسق، والشيب والشباب في هذه المقدمة لتنداح منه دلالتان نورانية وزمانية، وهنا تتداخل المقدمة الصباحية مع مقدمة بكاء الشيب، "بصفته نذيراً وعاذلاً على التفريط والتمادي في الغواية ففي ذلك تناسب بين المطلع والغرض"[(١)] ليخلص منها إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم[(٢)].

هذا الصباحُ صباح الشيب قد وضَحا سرعان ما كان ليلاً فاستنار ضحى

(١) عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زمرك الغرناطي :٨٣.

(٢) الديوان: ٣٧٥

للـدهر لـونان مـن نـورٍ ومـن غسـقٍ هــذا يعاقــب هــذا كلمــا برحــا
وتلــك صــبغة أعــدى بنيــه بهــا إذا تراخــى مجــالُ العمــر وانفســحا
مـا ينكـر المـرء مـن نـورٍ جـلا غسـقاً مــا لم يكــن لأمــاني الــنفس مُطّرحــا
إذا رأيـت بـروق الشـيب قـد بسـمتْ بمفــرقٍ فمُحيّــا العــيش قــد كلَحــا
..وا رحمتــا لشــبابي ضــاع أطيبُــه فمــا فرحــت بــه قــد عــاد لي ترَحــا
..يا ربِّ لا سـببٌ أرجـو الخـلاص بـه إلا الرســولُ ولطفــاً منــك إنْ نفحــا

٢. الاختتام بالصباحية تحية أو دالاً:

لم تكن الصباحية مجرد مقدمة يفتتح بها، وإنما نجد دلالات الصباح تشع في القصيدة حتى منتهاها، وهو أمر يتكرر أكثر من مرة، منها هذه الصباحية التي يفتتحها بدال الصباح ويختمها بالتحية الصباحية في تناغم وانسجام دلالي وفني. وقد نجد العكس في الافتتاح بتحية الصباح والاختتام بداله(١).

يا طلعــة الصــبح المبــين ومخجــل الــ ــــدرِ المنــيرِ إذا بــدا في موكــبِ(٢)
الشــمسُ أنــت إذ الملــوك كواكــبُ والشــمسُ تهــدي نورَهــا للكوكــبِ
أنــوارُ وجهــك يا محمــدُ زاحمــت عنــد الصــباح ضــياءه بالمنكــبِ

إلى أن ختمها بالدعاء له شاكراً إياه على سؤاله عنه.

فــانعمْ صــباحاً بالغــاً مــا شــئتَه فالصــبحُ طِــرْفٌ أشــهبٌ فلتركــبِ

والختم بالدعاء أمر يشتهيه الملوك(٣)، ونجد هذا الاختتام مناسباً لموضوع الصباحية في وصف جند الخليفة في بعض مواكبهم ،ذلك أن شرط الشعر الجيد "أن يكون الاختتام في كل غرض بما

(١) انظر المصدر نفسه:٣٠٠.
(٢) المصدر نفسه: ٨٥ ـ ٨٦.
(٣) العمدة :١٩٩/١

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

يناسبه"[١]، كما ينبغي أن يكون الاختتام بمعانٍ سارة فيما قصد به التهاني والمديح[٢]، كما وينبغي أن يكون اللفظ فيه مستعذباً، والتأليف جزلاً متناسباً، فإن النفس عند منقطع الكلام تكون متفرغة لتفقد ما وقع فيه، غير مشتغلة باستئناف شيء آخر"[٣]، وهذا ما نلفيه في هذه الخاتمة، إذ جرد من الصباح فرساً أشهبا، على سبيل التشبيه البليغ، يمتطيه سيده ذي الطلعة النورانية، ليكون رأس الموكب، وقد تناسبت بداءة القصيدة هنا مع مختتمها "وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكماً... وإذا كان أول الشعر مفتاحاً وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه"[٤].

هذا، وقد يقتصر في الختم بالتحية الصباحية دون الافتتاح بها أو بدال الصباح، من مثل قوله[٥]:

يا خير من ورث الملك العزيز ومن ... بذاته وكمال الخلق قد كسبهْ
وجوده عمّ أهل الأرض قاطبةً ... وفخره أعجزَ الكتّابَ والحسَبَهْ
العبد يسأل مولانا وموئلنا ... عن حاله بعد ما قد حسّ بالحسَبَهْ
وانعمْ صباحاً فنور الصبح مكتسَبٌ ... لنور وجهك يا مولاي قد نسَبَهْ

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى نتائج نسجلها كالآتي:

ـ كشف البحث عن فن شعري جديد، له مقوماته وعناصره المميزة له، ألا وهو الصباحيات، وهو من مظاهر التجديد الشعري والفني عند ابن زمرك في شعره المدحي.

(١) منهاج البلغاء: ٣٠٦.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الديوان: ٥٨.
(٥) الديوان: ٢٥٨.

ـ تعد "الصباحيات" مصطلحاً شعرياً، من مبتكرات ابن زمرك أو الجامع، التي لم يسبق إليها. وقد عمدنا إلى تأصيل المصطلح لغة واصطلاحاً، من خلال استقراء النصوص الشعرية وربطها بسياقاتها اللغوية والتاريخية، والوقوف على تصور الجامع وتحديد المحقق للمصطلح، لنخلص بعد استقراء النصوص الشعرية الزمركية إلى توسيع نطاق مفهوم الصباحيات بناء على احتفاء ابن زمرك بالصباح تحية ودالاً، مبتدأ ووسطاً وخاتمة، وإلى تعريف جامع مانع يتمثل في أن الصباحيات هي فن شعري موضوعه مدح خالص أو ممتزج بغيره من الموضوعات التي تدور في فلكه؛ كالشكر والتهنئة والوصف.. ينشد زمن الصباح، يستهل بمطلع صباحي، ذي تحية ملوكية غالباً، يشع بلفظ الصباح ومدلولاته النورانية والجمالية والزمانية على هذا الشعر ليغدو الصباح تيمة شعرية مدحية، ولازمة فنية، تتكرر في الصباحية.

ـ يعد المديح السلطاني موضوع شعر الصباحيات الرئيس، وقد تأتي ممتزجة مع موضوعات أخر تدور في فلك المديح كالشكر والتهنئة بالإبلال من المرض والوصف والهدية، والطرديات، والعيديات، ووصف الخمر ومجالس الأنس، إضافة إلى المديح الإخواني والنبوي.

ـ بلغت قصائد الصباحيات ما ينيف على الثلاثين، بعضها منصوص عليها بالصباحية، وبعضها الآخر غير معنون ولها النسق الصباحي نفسه، مبثوث بين ثنايا أغراض أخرى، كالتهاني، والوصف، والشكر، والإبلال من المرض، والنزهات، والإخوانيات، والمخمسات.

ـ جعل ابن زمرك من الصباح تيمة شعرية مدحية، احتفى به لدرجة أنه يفيض بدلالاته وإيحاءاته على القصيدة الصباحية مطلعاً ومتناً وخاتمة، فيصبغ أغراض الشعر الممتزج بها.

ـ أفرز شعر الصباحيات فن فواتح التحيات الصباحية السلطانية.

ـ يعد المطلع الصباحي كشفاً جديداً إضافياً إلى مطالع القصيدة الأندلسية والعربية، وقد امتاز ببراعة الاستهلال، اتساقاً مع موضوع القصيدة، وهو على نمطين: الأول الافتتاح بالتحية الصباحية،

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

والثاني، الافتتاح بدال الصباح. وتركزت معانيها في الجمع بين دلالتي قطبي التحية الصباحية "أنعم صباحاً" وأخواتها، لتفيض بها على ثنايا النص الصباحي.

ـ شكلت الدلالات النورانية، والجمالية والزمانية ثلاث دلالات مركزية للصباحيات. فكشفت الدلالة النورانية عن مسحة صوفية لابن زمرك، ارتقت بإمامه النصري إلى مصاف القطبية، فغدا مصدراً للنور الوجودي. وهنا غدت قيمة النور قيمة مدحية مهيمنة، فيما تنزاح باقي القيم المدحية كالجود والشجاعة وغيرها. وشكل الصباح معادلاً موضوعيا لجمال الممدوح. كما استمدت الصباحيات وصفها وكينونتها من الصباح زمناً، ومقوماً فنياً، لذلك فإن الصباح يمثل زمن الإنتاج الشعري، وزمن التفاؤل، وزمن البشائر والسعود، وزمن اليمن والبركة، وزمن اللذة والانتشاء، وزمن النصر، وزمن بثّ الحياة وتجددها.

ـ اتكأت الصباحية كثيراً في نسقها الإيقاعي على حرف الحاء روياً ليشكل ظاهرة قافوية فيها، كما عزز ذلك عنصر التكرار بأنواعه تكرار الألفاظ والحروف، وكذا الجناس بأنواعه، لإغناء الدلالات الصباحية. كما وظف ابن زمرك الأساليب الإنشائية من أبرزها أسلوبا الأمر والنداء الذين انزاحا بلاغياً إلى معاني الدعوة إلى المشاركة في العبّ من لذائذ الصباح؛ كون الصباح رمزاً للذة والمتعة والانتشاء.

ـ تشكلت الصباحيات أسلوبياً وفنياً وبنائياً من إشعاع الصباح؛ فمفتاح القصيدة الصباح في بعده النوراني والجمالي والزماني. ومن حيث المعجم فهو نوراني جمالي، والصورة نورانية، إذ بنيت على التشبيه البليغ والمقلوب والاستعارة المكنية التشخيصية.

إن القصيدة الصباحية تستقي من الصباح بنورانيته وشعشعانيته توهجها الشعري وألقها الفني، فتغدو صباحية شعرية يخلع الشاعر عليها من تجليات الصباح ما يجعل منها تحفة فنية رائعة، ينشدها بين يدي مليكه زمن الصباح، غنية بأساليب التحية والثناء والمدح والوصف الفني.

المصادر والمراجع:

١. أحمد، بتول الزبير علي، عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زمرك الغرناطي" رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، السودان، أبريل ٢٠٠٩.

٢. الأزدي، ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

٣. البغدادي، شرح البغدادي لقصيدة امرئ القيس "ألا عِمْ صباحاً أيها الطلل البالي"، تحقيق ودراسة: محمود محمد العلمودي، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) غزة– فلسطين، المجلد التاسع عشر العدد الأول، يناير ٢٠١١.

٤. الجراري، عباس، فنية التعبير في شعر ابن زيدون، ١٩٧٧مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء.

٥. الحمصي، حمد سليم، ابن زُمرك الغرناطي، سيرته وأدبه، ٧٣٣. ٧٩٦هـ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط١ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٦. ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٧. ابن الخطيب، لسان الدين، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة ـ بيروت، ط ١٩٨٣م.

٨. ابن الخطيب، لسان الدين، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان، ط٣، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٩. ابن الخطيب، لسان الدين، ديوان لسان الدين ابن الخطيب السليماني، صنعه وحققه وقدم له: محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ـ المغرب، ط٢، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

١٠. الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١١. الرباعي، عبد القادر، جماليات المعنى الشعري" التشكيل والتأويل"، دار جرير للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

١٢. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

١٣. ابن زمرك، محمد بن يوسف الصريحي، ديوان ابن زمرك الأندلسي، تحقيق: محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٧م.

١٤. الصامل، محمد بن علي، بلاغة أساليب التحية في الشعر العربي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٦/ ع٢٨، شوال ١٤٢٤هـ.

١٥. ضيف، شوقي، فصول في الشعر ونقده دار المعارف، ط٣، ١٩٨٨م.

١٦. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ـ القاهرة، دون: ت، ط.

١٧. طحطح، فاطمة، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١/ ١٩٩٣م.

١٨. بو عامر، بو علام، شعرية المطلع في القصيدة العباسية، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، العام الجامعي ١٤٣٣ ـ ١٤٣٤هـ، ٢٠١٢ ـ ٢٠١٣م.

١٩. عبد اللطيف، محمد حماسة، الجملة في الشعر العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٢٠. عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، ط٢٠٠٩.

٢١. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩ هـ.

٢٢. عطوان، حسين، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠.

٢٣. عيسى، فوزي، النص وآليات القراءة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦م.

٢٤. الفيومي، أحمد بن محمد (ت نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية ـ بيروت.

٢٥. القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء قديم وتحقيق، محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط٣، ١٩٨٦.

٢٦. لقمان، شاكر، مقدمة القصيدة في شعر ابن الأبار القضاعي بين النمطية والتنوع، مجلة الأثر، جامعة أم البواقي الجزائر، العدد ١٧، جانفي ٢٠١٣م.

٢٧. مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١ ١٩٨٥.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٢٨. المقري، أحمد بن التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت، ط ٢٠٠٤ م.

٢٩. المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٣٠. ابن منظور، لسان العرب دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣١. الموسى، فيروز، قصيدة المديح الأندلسي، دراسة تحليلية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق ٢٠٠٩.

٣٢. نجا، أشرف محمود، قصيدة المديح في الأندلس قضاياها الموضوعية والفنية "عصر الطوائف"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط٢٠٠٣،١م.

٣٣. النجار، محمد رجب، بردة البوصيري ـ قراءة أدبية وفولكورية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت/ الحولية السابعة، الرسالة الثالثة والثلاثون، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

الحكمةُ في كليلة ودمنة باب (ابن الملك وأصحابه)

دراسة نصّية تربوية

د. محمد عبد الله الطاهر باعبود(*)

ملَّخص البحث:

يتناولُ هذا البحثُ الحكمةَ في كتابِ كليلة ودمنة، باب (ابن الملك وأصحابه)، وقد جاءَ في مقدِّمةٍ وثلاثة مباحث وخاتمة، أمَّا المقدِّمَةُ فتناولتْ الحِكَمَ بوصفها ثقافة تجسِّدُ تجاربَ الأمم، فيما تطرَّقَ المبحثُ الأوَّل إلى قدْرٍ يسيرٍ من الحكمةِ في الكتابِ والسُّنَّة، والمبحث الثَّاني أشارَ إلى ذكر نزرٍ من النَّماذج الشِّعرية، والنَّثرية لشعراءٍ وكتَّابِ بعض العصورِ الأدبية، وَمَا فاهتْ به أفواهُهُم مِنَ الحِكْمَةِ، والقول الجزل، والكلام الفَصْل؛ لغرضِ بثِّ التَّوعيةِ والتَّثقيف، في حين تناولَ المبحثُ الثَّالث شرحًا مفصَّلاً للفظةِ الحكمةِ في قصَّةِ (ابنِ الملكِ وأصحابِهِ)، وبيان القيمة الأدبية لكتاب كليلة ودمنة.

الكلمات المفتاحية: الحكمة، كليلة ودمنة، القضاء والقدر.

(*) أستاذ الأدب والنقد والبلاغة المساعد – جامعة سيئون.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
العدد الحادي عشر - جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - ديسمبر ٢٠٢١
ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

The Wisdom in Kalila and Dimna
(The King's Son and his Companions)
A Pedagogical Textual Study

Abstract:

This research deals with the wisdom in the book of Kalila and Dimna, (The chapter of the king's son and his companions). It comprises an introduction, three sections, and a conclusion. As for the introduction, it dealt with wisdom as a culture that embodies the experiences of nations. The first section has slightly manifested wisdom from the Qur'an and the Sunna. The second section referred to mentioning a few poetic and prose samples of the poets and writers who belong to some different literary eras. This includes their wise, eloquent and detailed quotations and sayings that were articulated for the purpose of spreading awareness and educating people. The third section dealt with a detailed explanation of the word wisdom in the story of the king's son and his companions, and manifestation of the literary value of the book of Kalila and Dimna.

Keywords: Wisdom; Kalilah and Dimnah; Fate and destiny.

مقدِّمة:

لا شكَّ أنَّ لكلِّ أمَّة ثقافات متجذِّرة الأصول، بل لها تجارب عميمة خاضتها في مضمارِ الحياةِ، ولعلَّ أبرزَ تلخيص تنطوي عليه تلكَ التَّجارب هي الحِكَمُ والأمثالُ، الَّتي تُعَدُّ أنموذجًا حيًّا يعكسُ تجاربَ الشُّعوبِ وثقافاتها؛ حتَّى أضحتْ رموزًا يُقْتَدى بها، وإنَّنا ومن خلالِ هذا البحث الموسوم (الحكمة في كليلة ودمنة باب ابن الملكِ وأصحابه)، سنلقي الضَّوءَ على معاني (الحكمةِ) في آياتِ الذِّكرِ الحكيمِ، والسُّنَّة المطهَّرة، وما تناثرَت في الأدبِ العربي شِعْرًا ونثرًا، محلِّلين قصَّة (ابنِ الملكِ وأصحابِه) تحليلاً أدبيًا نقديًا.

والبحثُ ينساقُ في ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأوَّل: الحكمةُ في القرآن والسُّنة.

المبحث الثَّاني: الحكمةُ في الأدبِ العربي شعرًا ونثرًا.

المبحث الثَّالث: الحكمةُ في كليلةِ ودمنة، باب (ابْنِ المِلكِ وَأَصْحَابِهِ).

وَقَدِ انتهجَ الباحثُ في كتابةِ بحثه الميسَّر المنهج (الوصفي التَّحليلي)، محلِّلاً من خلالِهِ قصَّة (ابن الملكِ وأصحابه)، مستخرجًا من ثناياها الصَّبغة الجمالية، والحكم الزَّاهية، والمعاني الخلَّابة، والألفاظ الرَّنَّانة.

ثُمَّ طُوِيَ البحثُ بخاتمةٍ اشتملتْ على وعاءٍ صُبَّ فيه أبرزَ النَّتائج والتَّوصيات.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
العدد الحادي عشر- جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - ديسمبر ٢٠٢١
ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

المبحثُ الأوَّل: (الحِكمةُ في القُرآنِ وَالسُّنَّةِ)

حَظيتْ الحكمةُ بمنزلةٍ كبيرةٍ في التَّنزيل، بل ما أكثرُ النُّصوص القرآنية الَّتي تناولتِ الحِكَمَ وفصلَ الخطاب **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾[١]، يعني الفهمَ والعقلَ والفطنةَ[٢]، والحكمةُ كلمةٌ جامعةٌ تلخِّصُ مجموعةَ ملاحظات وتجارب[٣]، يقولُ محمد التَّونجي: "الحكمةُ مقتبسةٌ من الحِكَم، اشتهرَ بها العربُ في الجاهليةِ، وجاءتْ في القرآن الكريم، وهي تجربةٌ وقعَ بها النَّاس، فَعَرَضَها الحكماءُ نثرًا والشُّعراءُ نظمًا[٤]، ولعلَّ أروعَ اختصارٍ للتَّجربةِ الإنسانية هو الَّذي تنطوي عليه حِكَمَةٌ أو يرْويهِ مَثَلٌ[٥].

وممَّا ينبغي الإشارة إليه أنَّ سورةَ لقمان تناولتِ الحكمةَ والبيانَ، حيثُ بيَّنتِ الحِكَمَ الَّتي تفرَّد بها (لقمان) وتميَّزَ حتَّى سُمِّي بالحكيم، وقد استطردَ ﷻ قصَّته، وذكر فضيلةَ الحِكْمةِ قالَ جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾[٦]، وهي الإصابةُ في القولِ، والسَّدادِ في الرَّأي[٧]. فلقمان أُوتي الفهم والعلم والتَّعبير[٨]، وفي موضعٍ آخر يقولُ سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾[٩] أي: "ادعُ يا محمَّدُ النَّاسَ إلى دينِ الله بالأسلوبِ الحكيمِ،"[١٠].

(١) ص: [٢٠].
(٢) تفسير القرآن الكريم: ٨٠-٨١.
(٣) معجم المصطلحات العربية في اللُّغة والأدب: ١٥٣.
(٤) المعجم المفصَّل في الأدب:٣٧٦.
(٥) معجم روائع الحكمة والاقوال الخالدة:٦.
(٦) لقمان: [١٢].
(٧) صفوة التفاسير:٤٩١.
(٨) تفسير القرآن الكريم:٥٢.
(٩) النَّحل: [١٢٥].
(١٠) صفوة التفاسير: ١٤٨/٢.

وتتوالى حِكَمُ لقمان الحكيم ومواعظُهُ الَّتي ينثرها على ابنِهِ، متضمِّنةً معانٍ أخلاقيةً ساميةً، ونجدُ ذلكَ في مواضع متفرِّقة من كتابِ الله –عزَّ وجلَّ– منها: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ** ﴾[1]، يريدُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْأَذَى فِيهِمَا[2]، وقولُهُ تعالى: ﴿ **وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ** ﴾[3]؛ أي أقبلْ على النَّاسِ بوجهكَ تواضعًا[4]، وتأمَّلْ قولَهُ سبحانه: ﴿ **وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ** ﴾[5]، ما بينَ الإسراع والبطء، يقولُ ﷺ: "سرعةُ المشي تذهبُ بهاءَ المؤمن"[6]، ولا تتكلَّف رفع الصَّوت، وخذْ منه ما تحتاجُ إليه. والمرادُ بذلكَ كلّه التَّواضع[7]، وتلكَ الوصايا العظيمة، تجمعُ أمَّهاتِ الحكم[8].

ولسنا — هنا– بصددِ حصر لفظة الحكمة في القرآن، بل نكتفي بتوضيح وتفسير معناها، إذْ إنَّ المرادَ من الحكمةِ إمَّا العلم أو فعل الصَّواب[9]، حيثُ يُرْوَى عن مقاتل أنه قالَ: تفسيرُ الحكمةِ في القرآنِ تأتي على أربعة أوجه[10]: **أحدها:** مواعظ القرآن **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ** ﴾[11]، **وثانيها:** بمعنى الفهم والعلم، ومنه قولُهُ تعالى: ﴿ **وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا** ﴾[12]، **وثالثها:** بمعنى النبوَّة كما في سورة النِّساء: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ**

(١) لقمان: [١٧].
(٢) تفسير البغوي:٢٨٩.
(٣) لقمان: [١٨].
(٤) الكشَّاف:١٦.
(٥) لقمان: [١٩].
(٦) الجامع لأحكام القرآن:٧١.
(٧) المصدر نفسه:٧١.
(٨) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان:٦٤٨.
(٩) مفاتيح الغيب:٥٩.
(١٠) المصدر نفسه:٢/ ٤٧.
(١١) البقرة: [٢٣١].
(١٢) مريم: [١٢].

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[١] **ورابعها:** القرآنُ بما فيه من عجائب الأسرار في النَّحل **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾[٢]، وجميع هذه الوجوه عند التَّحقيق ترجع إلى العلمِ، وهو تعالى ما أعطى إلَّا القليل من العلم[٣] **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٤].

والسُّنَّةُ النَّبويةُ بلا منازع اشتملتْ على أحاديث شريفة، بيَّنتِ السُّبلَ اليسيرةَ، والمنهجَ القويمَ الَّذي أسَّسَهُ النَّبيُّ محمَّد ﷺ لينيرَ طريقَ البشريةِ، فقد بلغَ شأوًا كبيرًا من الفصاحةِ والبيانِ، وأُعطيَ جوامع الكلم وخواتمه[٥] وَفَاهَ بالحِكَمِ والأمثالِ، ونسجَ كلامَهُ الَّذي لم يسبقْهُ إليهِ عربيٌّ، ولا شاركَهُ فيهِ أعجميّ، ممَّا صارَ مستعملاً ومثلاً سائرًا، منْ ذلكَ قوله ﷺ: "ماتَ حتْفَ أنفه"[٦]، يقولُ محمَّد بن سلام: قالَ يونسُ بنُ حبيب: "ما جاءَنَا عن أحدٍ من روائع الكلام ما جاءَنَا عن رسولِ الله ﷺ[٧].

وممَّا يُروى من ذلكَ ما صوَّرهُ ﷺ في بيانِ حال الجليس الصَّالح والجليس الطَّالح، وما يعودُ نفعُ الأوَّلِ لجليسِهِ، ونقيض ذلكَ جليس السُّوء الَّذي ضرره أكثرُ من نفعه. فيقول ﷺ: "إنَّما مثَلُ الجليس الصَّالحِ وجليس السُّوء، كحاملِ المسكِ ونافخِ الكير"[٨] فيشبّهُ الصَّالحَ ببائع الطِّيب، إمَّا يضمّخُ الطِّيبَ عليكَ، وإمَّا تستطيبُ من نَشْرِ طِيبِهِ، فأنتَ في حضرتهِ بربحٍ دائمٍ، ونشوةٍ غامرةٍ، عكس جليس السُّوء الَّذي إمَّا يحرقك بناره أو شراره، فصحبته همٌّ وغمٌّ[٩].

وفي قولٍ آخرَ يؤكّدُ ﷺ حكمةً بليغةً فيها دعوةٌ إلى القوَّةِ، والأخذُ بأسبابِ العزَّة والنُّصرة، فيقولُ: "المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأفضلٌ وأحبُّ إلى اللهِ – عزَّ وجلَّ – من المؤمنِ الضَّعيف وفي كلٍّ

(١) النِّساء: [٥٤].
(٢) النَّحل: [١٢٥].
(٣) مفاتيح الغيب، السَّابق:٥٩.
(٤) الإسراء: [٨٥].
(٥) سنن البيهقي الكبرى:٢٩١.
(٦) البيان والتَّبيين:١٥.
(٧) المصدر نفسه:١٨.
(٨) مسند الروياني:١٥٧.
(٩) من كنوز السُّنَّة:٣٩.

خير"[١]، ولعلَّ لفظةَ (القوي) جاءتْ عُمومًا؛ لتشملَ قوَّةَ الإيمان، والبدن، والنَّفس، والعلم[٢]، فالإسلامُ دينُ عزٍّ وكرامةٍ، وَحَريٌّ بأبنائِهِ أنْ يكونوا أعزَّةً رافضينَ المهانة[٣].

وتراني أسردُ فنًّا جميلاً من قولِهِ ﷺ فنًّا يحسِّدُ كلامًا قلَّ حروفهِ، وكثر معانيه، وجلَّ عن الصُّنعة، ونُزِّه عن التَّكلُّف، فلم ينطقْ إلَّا عن ميراث حِكْمَةٍ[٤]، من ذلكَ قوله ﷺ: "لا يُلدغُ المؤمنُ من جحرٍ مرتين"[٥]، وقد مدحَ ﷺ صاحبَ الحكمةِ حينَ يقضي بها ويعلمها، لا يتكلَّف من قبله ومشاورة الخلفاء وسؤالهم أهل العلم[٦]، ويردفُ القولَ مبيِّنًا حال الزَّاهد، والحث على الاحتكاكِ بهِ؛ لأخذِ الحكمةِ، يقولُ ﷺ: إذا رأيتم مَنْ يزهدُ في الدُّنيا فادنوا منهُ فإنَّهُ يلقى الحكمة[٧]، إذْ إنَّ الحكمةَ في رأسِ كلِّ امرئ وتثبت لمن تواضع، يقُولُ ﷺ: ما من امرئ إلَّا وفي رأسِهِ حكمةٌ، والحكمةُ بيد مَلَكٍ فإنْ تواضعَ قِيلَ للملك ارفعِ الحكمةَ، وإذا أرادَ أنْ يرتفعَ قِيلَ للمَلَكِ ضع حكمته[٨].

مِنْ هذا كلِّهِ يتبيَّنُ مكانة الحكمةِ في الكتابِ والسُّنَّة الغرَّاء، والحديثُ عن ذلكَ يطولُ، والخاطرُ في أروقتِهِ يَصُولُ ويجولُ، وما سردناهُ آنفًا لا يُعَدُّ إلَّا نَزْرًا يَسِيرًا من الحِكَمِ البليغة في القرآن والسُّنَّة الَّتي فَاهَ بها الرَّسولُ الأكرمُ -ﷺ- وترجمتها أفعال صحابته وأتباعه رضوان الله عليهم أجمعينَ.

المبحثُ الثَّاني: (الحِكْمَةُ في الأدبِ العربي شِعْرًا وَنثْرًا)

المتأمِّلُ في ميدانِ التَّربيةِ والتَّعليمِ، يُلْفِي حاجةَ المتعلِّم إلى مَنْ يرشدهُ إلى سبيلِ الرَّشاد، ويقيه من العثرات، ويفتحُ لهُ الأبوابَ المؤصدة، الَّتي تهديهِ للفوزِ والفلاح، ولا مناص لذلكَ إلَّا بخبراتٍ ملموسةٍ

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل:٣٦٦.
(٢) من كنوز السُّنَّة:٤٧.
(٣) المصدر نفسه:٤٩.
(٤) البيان والتَّبيين:١٧.
(٥) سنن البيهقي الكبرى:١٢٩.
(٦) الجامع الصَّحيح:١٢٦.
(٧) سند أبي يعلى:١٧٥.
(٨) مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار):٢٦٠.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

محسوسةٍ، تحقِّقُ الغرضَ المنشود، ولعلَّ تلكَ الخبرات هي الحِكَمُ الَّتي جادتْ بها قرائحُ المفكِّرينَ، التي انتهجوها من خُلاصةِ تجاربهم، وخبراتهم في الحياة، فأضحتْ دروسًا ينتفع بها الخاصُ والعامُ.

والمكتبةُ العربيةُ، ومصنَّفاتها الأدبيةِ كانتْ ولا زالتِ، غنيةً بالحِكَمِ؛ فهي ماءُ العطشان، وزادُ الجوعان، وأنيسُ الحيران، ولعلَّ الأطفالَ في مدرسةِ الحياةِ بحاجةٍ إلى منهجيةٍ ممزوجةٍ بمفرداتٍ واضحةٍ بيّنةٍ، وَحِكَمٍ بليغةٍ آسرة يتَّخذونهُا سبيلاً لتحقيق الهدف المنشود، يقولُ ابنُ المقفَّع: "إذا جُعِلَ الكلامُ مَثَلاً، كانَ ذلكَ أوضحَ للمنطقِ، وأبْيَنَ في المعنى، وآنقَ للسَّمع"(١)، وفي موضعٍ آخر يضيفُ: "كلامُ الحكمةِ يُونقُ الأسماع، وعملُ الحكمةِ يَرُوقُ القلوب"(٢)، ولعلَّ (ابنَ المقفَّع) يرمي إلى أهمِّيةِ الحِكَمِ النَّفيسة، ودورها في تقويمِ الاعوجاج الَّذي طرأ في قَوَامِ أخلاقِ الورى، حتَّى أضحتْ ضرورةً مُلحَّةً في حياتهم؛ لما تثريه من خبرات، تُسْهِمُ في إنارةِ دروبِ الحياةِ. يقولُ فايز يوسف: "الحكمُ تُصقلُ نفوسَ النِّشء، وتُقَوِّمُ الأخلاقَ من ناحيةٍ، وتدعو إلى التَّعاونِ والاتِّحادِ من ناحيةٍ أخرى(٣).

والأدبُ الجاهلي حافلٌ بشعراءِ الحكمة، الَّذين نَظَمُوا أقوالاً جزلة، أضحتْ نبراسًا يهتدي بها الهائمونَ في معتركِ الحياة، فتأمِّلْ شاعرَ الحوليات (زهير بن أبي سلمى)؛ الَّذي نَظَمَ معلَّقةً مزجَ عُصَارةَ جهدِهِ؛ ليصبَّ عليها ماءَ الحِكْمةِ، الَّتي يلهثُ خلفها العطشان، فهو يَصِفُ مَنْ خَافَ الموتَ، والموتُ ينالُه، ولا نَفْعَ من خوفِهِ ولو رام الصُّعودَ إلى السِّماءِ فرارًا، مشيرًا إلى مَنْ يصنعِ المعروفَ في غيرِ أهلِهِ ومستحقِّيهِ يُذمُّ، يقولُ(٤):

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ ... وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ... يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ

(١) الأدب الكبير والأدب الصَّغير:٣٠.
(٢) طرائف الحكمة:٢٥-٢٦.
(٣) قاموس الطُّلَّاب في الحكم والأمثال:٥.
(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى:١١٥.

وتلوحُ الحكمةُ في العصرِ الأموي، فينثرُ (الفرزدقُ) قولاً بليغًا يصوّرُ عقولَهُم مثل الجبال الرَّاسخة في الرَّزانة والوقار، بينما جاهلهم كالجنّ يفوقُ في طيشِهِ الجهَّال الآخرينَ. يقولُ:

أَحْلاَمُنَــا تَــزِنُ الجِبَــالَ رَزَانَــةً　　وَتَخَالُنَــا جِنًّــا إِذَا مَــا نَجْهَــلُ[١]

وترفرفُ الحكمةُ على أسوارِ العصر العبَّاسي، فيظهر شاعرُ الحكمةِ أبو الطَّيب (المتنبّي)، الَّذي لم تنفك قصائدُهُ من سرد الحِكَمِ البليغةِ النَّفسيةِ الَّتي تهدي العقولَ والألبابَ، حيثُ يقولُ:

مَــنْ يَهُــنْ يَسُــهلُ الهَــوَانُ عَليــه　　مَــا لجُــرحٍ بمَيِّــتٍ إيــلامُ[٢]

وينظمُ (أبو فراس الحمداني) حِكَمًا جليلة، يبيّنُ شجاعته في وقتٍ هم أَحْوَجُ إليه؛ لتخفيف كربتهم والتَّنفيس لهم:

سيذكرني قومي إذا جَدَّ جَدُّهم　　وفي اللَّيلةِ الظَّلماءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ[٣]

فيما يشيرُ (أبو تمَّام) إلى أهمّيةِ التَّغافل في استقامةِ الحياة المجتمعية، وتعزيز روابط الأخوَّة، وصرف النَّظر عن زلَّات الآخرين، ولعلَّها حكمةٌ بليغةٌ يسْعَى لنيلها القاصي والدَّاني. حيثُ يقولُ[٤]:

لَــيسَ الغَــبيُّ بِسَــيدٍ في قَومِــهِ　　لَكِــنَّ سَــيِّدَ قَومِــهِ المتَغَــابي

وشعرُ الإمامِ الشَّافعي جرى مجرى الحكم والأمثال، يقول د. أحمد شتيوي: "يرتكزُ الشَّافعي في شعرِهِ على نسجِ معاني الحكمةِ والزُّهدِ، والتَّعبيرِ عن التَّجارب الذَّاتية والعامة"، من ذلكَ قوله[٥]:

نَعِيْــبُ زَمَانَنَــا وَالعَيْــبُ فِينَــا　　وَمَــا لِزَمَانِنَــا عَيْــبٌ سِــوَانَا

(١) الأغاني:٣٠٩.
(٢) ديوان أبي الطَّيب المتنبّي:١٦٣.
(٣) شرح ديوان أبي فراس الحمداني:٧١.
(٤) زهر الآداب وثمر الألباب:٨٤.
(٥) ديوان الإمام الشَّافعي:٣١.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ويتجلَّى العصرُ الحديث حاملاً من الحِكَمِ أنفسها، ومن القولِ أبلغُهُ، ولعلَّ الحِكَمَ الشَّوقية شاهدةٌ للعيان؛ فنرى أحمد شوقي في حكاياتِهِ الشِّعرية، يختمُ أبياتها بحكمةٍ تعدُّ مفتاحَ الحكاية، مبرزًا القيمة الخُلقية والاجتماعية، ويكفي أنْ استشهدَ بيتَ القَصِيد في حكايةِ (القبَّرة وابنها)[١] الَّتي تبيَّنُ عاقبةَ المستعجلينَ، حيثُ يقولُ:

لِكُـلِّ شَـيءٍ في الحَيَـاةِ وَقْتُـهُ وَغَايَـةُ المسْـتَعْجِلينَ فَوتُـهُ!

وفضلاً عمَّا ذُكِرَ شعرًا، نوردُ نزرًا يسيرًا نثرًا، إذْ إنَّ النَّثرَ قد أخذَ قِسْطًا كبيرًا في الكتبِ الأدبيةِ، ومن أقدر الحكماء (قِسُّ بن ساعدة الأيادي) يُرْوى أنَّهُ اجتمعَ حولَهُ مَنْ اجتمعَ من النَّاس بسوقِ عكَّاظ، فنثرَ حِكَمَهُ عليهم بقوله: "كُلُّ مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَكُلُّ مَنْ مَاتَ فَاتَ، وكلُّ ما هو آتٍ آت"[٢]، فيما نلمحُ الجاحظَ يوضِّحُ فضلَ البيان بقولِهِ: "أحسنُ الكلامِ ما كانَ قليلُه يُغنيكَ عن كثيرِهِ"[٣]، وقِيلَ لقيس بن عاصم: بماذا سُدْتَ؟ قالَ: ببذلِ النَّدى، وكفِّ الأذى، ونصر الموالي[٤]، وقِيلَ لسُقْرَاط: أمَا تخافُ على عينيكَ من إدامةِ النَّظر في الكتبِ، فقال: إذا سَلِمَتِ البصيرةُ لم أحفلْ بسُقام البصر[٥]. ويؤكِّدُ (تيرنس) ذلكَ بالقولِ: "إنَّ الحِكْمَةَ هي البصيرةُ"[٦].

وجملةُ القولِ: إنَّ المرءَ بحاجةٍ ملحَّةٍ إلى الحِكَمِ لإصلاحِ الأفئدة، كحاجةِ الأجسامِ للغذاءِ للوقاية من الأوبئةِ، يقولُ أنو شروان: "القلوبُ تحتاجُ إلى أقواتها من الحِكْمَةِ كاحتياجِ الأبدانِ إلى

(١) الشَّوقيات:٢١٨.
(٢) أمثال العرب:١١٣.
(٣) البيان والتَّبيين:٨٣.
(٤) الأغاني:٧٦.
(٥) الفهرست:١٦.
(٦) قاموس الطُّلَّاب في الحكم والأمثال:٢٠٨.

أقواتها من الغذاء"[١]، وعلى ذلكَ يمكنُ القول: إنَّ المكتبةَ العربية قد زخرتْ بالحكمِ والأمثالِ الَّتي امتطاها كلُّ فارسٍ في الميدان، وجعلها زادًا لمجابهة أعاصير الحياة.

المبحثُ الثَّالث: الحِكْمةُ في كليلة ودمنة باب (ابْنِ الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ)

تناولَ النَّثرُ العربي في مصنَّفاته ضربًا من ضُروبِ الحِكَمِ والأمثالِ؛ لبثِّ العِظة والعبر، ومن تلكَ اللَّطائف والمثل ما قِيلَ: "إنَّ أخاكَ مَنْ آساكَ"؛ أي إنَّ أخاكَ حقيقةً مَنْ قَدَّمكَ وآثركَ على نفسه[٢]، وما جرى في المَثَلِ السَّائر من حِكَمٍ قولهم: "أوَّلُ الغيثِ طَلٌّ" في إشارةٍ إلى النَّهي عن استصغارِ الصَّغير أو استحقار الحقير[٣]، ويتراءى حديثُ النَّبيِّ ﷺ فيما رواهُ أبو هريرةَ: "الحكمةُ ضَالةُ المؤمن"[٤]؛ أي مطلبه، فالمؤمنَ يَحْرِصُ على جَمْعِ الحِكَم من أينَ يجدها يأخذها[٥]، وفي (المثلِ السَّائر) يقولُ ابنُ الأثير: "مذْ سمعتُ هذا الخبر النَّبوي جعلتُ كدّي في تتبُّعِ أقوالِ النَّاسِ في محاوراتهم"[٦].

والحكمةُ هي معرفةُ الحقِّ لذاته، ومعرفة الخير لأصلِ العملِ به[٧]، وعند الخليلِ بنِ أحمد الفراهيدي: "مرجعها إلى العدلِ والعلمِ والحلمِ[٨]. وقد اسْتنتجَ الأدباءُ من التَّجارب والاصطدامِ بأحداثِ الواقعِ حِكَمًا تَرْجَمُوها كلامًا بلاغيًا، وألبسوها أسلوبًا فنِّيًا[٩]، وتكونُ العاقبةُ كما جاءَ في

(١) الكامل في اللُّغة والأدب:٤٩٠.
(٢) المنتقى من أمثال العرب وقصصهم:٢٣.
(٣) المثل السَّائر:١٣٩.
(٤) سنن التِّرمذي:٥١.
(٥) المنتقى من أمثال العرب وقصصهم:٥٩
(٦) المثل السَّائر:٨١.
(٧) معجم اللُّغة العربية المعاصرة:٥٤٠.
(٨) كتاب العين:٣٤٣.
(٩) المعجم المفصَّل في الأدب:٣٧٦.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

الحكمةِ الَّتي تبيّنُ ثمرةَ العَجَلة: (من استعجلَ الشَّيء قبلَ أوانه ابْتُلِي بحرمانه)[١]، ويُذْكَرُ في المعجم الوسيط: إنَّ الكلامَ الَّذي يقلُّ لفظه ويجلُّ معناه هو حِكَم[٢].

بإيجازٍ نقول: مصطلح الحِكَمَة قدْ أخذتْ حيّزًا كبيرًا في كتبِ الأدبِ، والأمثلةُ الواردةُ في سياقِ ذلكَ لا تُعَدُّ ولا تُحصى، ومن تلكَ المعاني ما يرويه ابنُ الأثير بقولِهِ: "إنّي سِرْتُ في بعضِ الطُّرُق، وفي صحبتي رجلٌ بدويٌّ من الأنباط لا يُعْتدُّ بقولِهِ، فكانَ يقولُ: "غدًا ندخلُ البلدَ، وتشتغلُ عنّي، وكان الأمرُ كما قالَ، فدخلتُ مدينةَ حَلَب، وشُغِلْتُ عنه أيامًا، ثُمَّ لقيني، فقالَ: "مَنْ تروَّى فَتَرَتْ عظامُهُ"[٣].

وثمَّةَ مصنَّفاتٌ عديدةٌ، لها معانٍ وجيزة، منها كتاب (الكامل) للمبرَّد[٤]، أوجزَ الكاتبُ الهدف الَّذي من أجله أُلِّفَ الكتاب، ويحرّرُ ذلكَ: "هذا كتابٌ يجمعُ ضروبًا من بين كلامٍ منثورٍ، وشعرٍ مرصوفٍ، ومثلٍ سائرٍ، وموعظةٍ بالغةٍ.."[٥]، فالكتابُ مليءٌ بالحِكَمِ والأقوالِ المأثورة، وما ذكرهُ أبو العبَّاس في قولِ بعضِ الحكماء لدليل على ذلكَ، يقول: "مَنْ أدَّبَ ولدَهُ صغيرًا سُرَّ بهِ كبيرًا"[٦]، وقد سُئلَ معاويةُ: ما النُّبل؟ فقالَ: الحِلمُ عندَ الغضب، والعفو عند المقدرة[٧].

والأدبُ الكبيرُ والأدبُ الصَّغيرُ لابنِ المقفَّع، لا يقلُّ أهمِّيةً عن أمثالهِ من المصنَّفاتِ الواردة سابقًا، أودعَ المؤلِّفُ فيه زادًا أدبيًا وضَّحَ أحوالَ الرَّعيل الأوَّل، وما امتازوا بهِ من حِلْمٍ، وقوَّةٍ جسمٍ.

(١) صحيح موارد الظَّمآن إلى زوائد ابن حبان:٣١.
(٢) المعجم الوسيط:١٩٠.
(٣) المثل السَّائر:٨١.
(٤) المبرِّد أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد (٢٠١ -٢٨٥/٨٢٦-٨٩٨م) أديب ولُغوي ونحوي عربي. وُلِد بالبصرة وتوفي في بغداد، يُعتبر كتابه (الكامل) مرجعًا من أهم المراجع اللُّغوية والأدبية القديمة، وهو من أشهر آثاره على الاطلاق. ومن مصنَّفاته الأخرى: "التَّعازي والمراثي" و "نسب عدنان وقحطان" و "المقتضب" وهو كتاب في النَّحو. (أعلام المورد: ٤١٦).
(٥) الكامل في اللُّغة والأدب:٥١.
(٦) المصدر نفسه:١٠٢.
(٧) المصدر نفسه:٩٥.

يقولُ ابنُ المقفَّع: "إنَّا وجدنا النَّاسَ قبلنا كانوا أعظمَ أجسامًا، وأوفرَ مع أجسامهم أحلامًا"[١]. ومن ذلكَ، وَصْفَهُ (العُجْب) بآفة العقل، في قولِهِ: "العُجْبُ آفةُ العقل؛ واللَّجاجةُ قُعُودُ الهوى، والبُخْلُ لقاحُ الحِرص"[٢]، ويُبدي رأيًا حكيمًا في مَنْ احتارَ بين أمرينِ، بقولِهِ: "إذا بَدَهَك أمرانِ لا تدري أيُّهما أَصْوبُ، فانظر أيُّهما أقربُ إلى هواكَ فخالِفْهُ، فأكثرُ الصَّواب في خلافِ الهوى"[٣].

يتبيّنُ من قولِ ابنِ المقفَّع أنَّهُ يميلُ إلى فصاحةِ الألفاظِ، ورقَّةِ المعاني وعذوبتها، وجزالة التَّراكيب[٤]، حيثُ يبرزُ فَضْلُهُ في خِدمةِ العربيةِ وعلوِّ شأنها، ورفع مكانة النَّثر العربي، من خلالِ إدخالِ الحكمة الفارسية والهندية والمنطق اليوناني، وعلم الأخلاق والسِّياسة[٥]، ومصنَّفاتُهُ خيرُ شاهدٍ على أثر التَّمازج، وتلاقح الفكر الهندي واليوناني في استقامةِ خيط رفيع يُعرَفُ بالحكم والتَّجارب، الَّتي بلا شكٍّ ستسهمُ في الوقايةِ من نوائب الدَّهر، وإعانة المرء على إدارةِ شؤون حياته.

والتُّراثُ العربيُّ حفلَ بمؤلَّفاتٍ فريدةٍ خلَّدهَا التَّاريخُ، لعلَّ أشهرها الرَّونق الأدبي المشهور قديمًا وحديثًا (كليلة ودمنة) الَّذي يضمُّ بين دِفَّتيه مجموعةً متنوِّعةً من القصصِ الماتعةِ الفريدةِ، والحكمِ الغزيرةِ، على ألسنةِ الحيوانات، ترجمها ابنُ المقفَّع إلى العربية، للمؤلِّف (بيدبا)[٦] الفيلسوف الهندي؛ ليسردها على الملك (دبشليم) مقدِّمًا لهُ نصحًا عديدة دونَ لفت انتباهه.

والجديرُ ذكره في كتابِ (كليلةَ ودمنةَ) انَّهُ يُعَدُّ رصيدًا هائلاً من التَّجاربِ الإنسانية، ذات القيم الأخلاقية الَّتي تهذِّبُ النُّفوس[٧] يقولُ ابن المقفَّع في خطبة الكتاب مادحًا: "هو في ضروبِ السِّياسة

(١) الأدب الكبير والأدب الصَّغير:٧٩.
(٢) المصدر نفسه:٣٩.
(٣) المصدر نفسه:١٥٢.
(٤) المصدر نفسه:٧.
(٥) المصدر نفسه:٧.
(٦) بيدبا: يعرفه الغربيون عادة باسم بلباي أو بدباي؛ وهو صاحب كليلة ودمنة، ولعلَّ معنى اسمه: صاحب العلم، وهو شخصية أسطورية.(المعجم المفصل في الأدب: ٢٠٤).
(٧) ابن المقفَّع: أديب عربي فارسي الأصل، يعتبر أحد أئمة البلاغة في الأدب العربي كله، وذلك لبيانه السَّهل الممتنع، اتُّهم بالزَّندقة فقتله والي البصرة في عهد المنصور العبَّاسي. أشهر آثاره: "كليلة ودمنة" وقد ترجمه عن الفارسية، وكتابا: "الأدب الصَّغير" و"الأدب الكبير". (معجم أعلام المورد:٣٧).

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
العدد الحادي عشر- جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - ديسمبر ٢٠٢١
ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

أكبر آية، وفي جوامع الحكم أبلغ غاية"[١] فهو "كتابٌ قيّمٌ، جامعٌ للحكم والعبر والأمثال، ويدعو للأخذ بمكارم الأخلاق"[٢] نثرَ فيهِ لحنًا جميلاً مستساغًا، ممزوجًا بالحِكَمِ والأمثالِ، غايتهُ النُّصح والعبر؛ ليتفيأ بظلالِهِ الوارفةِ الأجيالُ تلوَ الأجيال؛ وتمضي بهم قافلةُ الحكمةِ إلى طوقِ النَّجاةِ من منغِّصاتِ العيشِ وعواصف الحياة، وإزاء ذلكَ فالكتابُ ذاعَ صَيْتُه، وبلغَ مبلغًا كبيرًا من الشُّهرةِ، حيثُ يقُولُ الشَّاعرُ العبَّاسي (أبان بن عبدالحميد اللاحقي)[٣]:

هَـــذَا كِتَـــابُ أَدَبٍ وَمِحْنَـــهْ وَهـو الَّـذي يُـدعَى كليلـة ودمنـهْ
فِيـــهِ احْتِيَـــالاتٌ وفِيـــهِ رُشْـــدُ وهـــو كِتَـــابٌ وضـــعتهُ الهنـــدُ

ويؤكِّدُ سليمانُ الخراشي ذلكَ: "أمَّا كتاب (كليلة ودمنة) فقد اشتهرَ بينَ الخاصَّة والعامَّة، بهدفِ التَّثقيف، بأسلوبٍ لطيفٍ، على ألْسِنةِ الحيوانات"[٤]، ومن المعلومِ بداهةً، أنَّ كلَّ مخلوق له هدفٌ وغايةٌ في الحياةِ، وبذلك يحتاجُ إلى عقلٍ حكيمٍ، ورأيٍ سديدٍ يعينهُ في اتِّخاذ القرار الصَّائب في مسيرةِ حياته. يقولُ ابنُ المقفَّع: " غايةُ النَّاسِ وحاجاتهم صلاح المعاش والمعاد، والسَّبيل إلى دركها العقل الصَّحيح[٥]، فهو بذلكَ يرمي إلى دورِ العقلِ في اتِّخاذِ جملةِ القراراتِ الصَّائبة، يضيفُ حكيمٌ سائلاً: ما خيرُ ما يُؤتَى المرءُ؟ قِيلَ: غريزةُ عقلٍ. قالَ: فإنْ لم يكن؟ قِيلَ: فتعلُّمُ عِلْمٍ"[٦].

وقصَّةُ (ابن الملكِ وأصحابه) تُحاولُ استلهام التُّراث الدِّيني (القضاء والقدر) وغرسه بينَ النَّاس، ولعلَّهُا جاءت؛ لتمحوَ الظَّنَّ وتجلي الشُّكوك، ويبدو جليًا من تساؤل دبشليم الملكِ لبيدبا الفيلسوف: "إنْ كانَ الرَّجُلُ لا يُصِيبُ الخَيرَ إلَّا بِعَقْلِهِ ورأيهِ كَمَا يَزْعُمون، فمَا بالُ الجَاهِلِ يُصِيبُ الرِّفْعَةَ، والحَكِيمِ

(١) كليلة ودمنة:١.
(٢) المصدر نفسه:٥.
(٣) الأغاني:١٦٤.
(٤) تهذيب إسلامي لقصص: كليلة ودمنة:٧.
(٥) الأدب الكبير والأدب الصَّغير:١١.
(٦) المصدر نفسه:٥٩.

قدْ يُصيبُ البَلَاءَ والضُّرَّ؟"[١]، وينساقُ الحقُّ حينئذٍ لإثباتِ جزئيتينِ اثنتينِ أوَّلها: الحِلْمُ والعقلُ، ثانيها: القضاءُ والقَدَرُ، والحِلْمُ متَّصلٌ بالعقلِ وقد قِيلَ: "الحِلْمُ دعامةُ العقل"[٢]، وقالَ بعضُ العلماءِ: "الحلمُ أرفعُ من العقلِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى تسمَّى به"[٣]، ويقودنا السِّياقُ في توضيحِ صِفةِ الحليم، ومعرفةِ الشَّجاع، وكشفِ سِماتِ الخلِّ الوفي بالقولِ: "ثلاثةٌ لا يُعْرَفونَ إلَّا في ثلاثة مواطن: الحليمُ لا يُعْرَف إلَّا عندَ الغَضَبِ، والشُّجاعُ في الحربِ، ولا تعرفُ أخاكَ إلَّا عندَ الحاجة إليه"[٤].

ومن الثَّابت أنَّ العقلَ مركزُ الفكرِ والحكمِ والفهمِ، وبه يكونُ التَّفكير والاستدلال[٥]، والإدراك والتَّميُّز، نقولُ: عَقَلَ الغلامُ: أي أدركَ وميَّز[٦]، والفكرُ أثْمَنُ ما يملكُ الإنسانُ[٧]، وقد خصَّ اللهُ التَّفكيرَ لأهلِ الفكرِ؛ لأنَّهم أهلُ التَّمييز بينَ الأمور، والفحصُ عن حقائق[٨] **قَالَ تَعَالَى:** ﴿نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٩]؛ أي: نبيِّنُ حُجَجَنا لِمَنْ تفكَّر[١٠]، من هنا ندركُ تلازم التَّفكير والعقل؛ فهو شرفٌ لصاحبه، وبه تُسْتوفَى الفضائلُ.

وعلى ضوءِ ما ذُكِرَ نستلهمُ من شخوصِ القصَّةِ شخصية جوهرية (ابن الملك)، تلكَ الشَّخصية التي مثِّلتِ المرتكزَ الأساسَ، والمحورَ الرَّئيس في النَّص، واللَّافتُ توظيف المصنِّف كلمة (ابن) دون (ولد) لتلكَ الشُّخوصِ، حيثُ نلاحظُ (ابن الملك، ابن التَّاجر، ابن الشَّريف، ابن الأكَّار)؛ ولعلَّهُ عائدٌ إلى الخُصُوصية، إذ إنَّ (الابنَ) يفيدُ الاختصاصَ ومداومة الصُّحبة، تقولُ: تبنَّيتُ ابنًا إذا جعلتَهُ خاصًّا بك[١١]، وشخصيةُ (ابن الملك) على الخصوصِ قد تفرَّدَ من زاويتينِ **الأولى:** تسمية

(١) كليلة ودمنة:٣٧٨.
(٢) معجم حكمة العرب:١٥٤.
(٣) إحياء علوم الدِّين:١٧٩.
(٤) المصدر نفسه:٧٦.
(٥) معجم اللُّغة العربية المعاصرة:١٥٣١.
(٦) المصدر نفسه:١٥٣٠.
(٧) قاموس الطُّلَّاب في الحكم والأمثال:٣٨٦.
(٨) تفسير الطَّبري:١٥١.
(٩) يونس: [٢٤].
(١٠) تفسير الطَّبري:١٥١.
(١١) الفروق في اللُّغة:٢٧٥.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

القِصَّة باسمه: (ابن الملك وأصحابه)، وتصدِّرهُ الَّذي يظهرُ في قولِ بيدبا الفيلسوف دون غيره: "زعموا أنَّ أربعةَ نفرٍ اصطحبوا في طريقٍ واحدةٍ، أحدهم ابنُ ملكٍ"(١) فهو ابنُ مَلِكٍ، والملكُ ذو السُّلطان والجاه(٢).

الثَّانية: حكمته الَّتي سِيقَتْ للتَّأكيدِ على غايةٍ نبيلة، وتحقَّيقِ مطلبٍ سَامٍ وهو (القضاءُ والقدر)، ولعل ما يثبتُ ذلكَ قولُهُ حينما كانَ راجعًا إلى طباعِهِ الَّتي جُبِلَ عليها، بعدَ الشِّدَّةِ والجهدِ الَّذي أصابهم في الغربةِ، نراهُ ينثرُ الحكمةَ: "إنَّ أمرَ الدُّنيا كُلَّهُ بالقَضَاءِ والقَدَر"(٣)، فالموقفُ كانَ شديدًا والحالُ عسيرٌ، والكلُّ بحاجةٍ إلى توفيرِ قوته، غير أنَّه لم يبالِ، بلْ سَعَى في تأكيد مبدأ (القضاء والقدر)، مشيرًا إلى تأصيلِهِ من جانبٍ آخر بقولِهِ: "إنَّ الاجتهادَ والجمالَ والعقلَ، وما أصَابَ الرَّجلُ في الدُّنيا مِنْ خَيرٍ أو شَرٍّ إنَّمَا هو بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَره"(٤).

وممَّا لا شكَّ فيه انَّ (القضَاءَ والقدرَ) عقيدةٌ أقرَّتها جميعُ الرِّسالاتِ الإلهية لبني البشر، ويأتي (زوج الهدهد) ليؤَكِّدَ ذلكَ بقولِهِ: "إنَّ القَضَاءَ إذَا نَزَلَ صَرَفَ العيونَ عَنْ مَوضِعِ الشَّيء وغَشَّى البَصَر"(٥)، ويأتي الاستفهامُ الإنكاري للإيضاحِ والإبانة: "أمَا تعلمُ أنَّ القَدَرَ غَالبٌ على كُلِّ شيءٍ؟!"(٦).

وتلزمنا الإشارة – في الحديث عن الحِكْمةِ– إلى عقدِ مقارنة بين شخوص القصَّة الأربعة ابتداءً بـ (ابن الملك)، وتباعًا (ابن التَّاجر، وابن الشَّريف، وابن الأكَّار)، (فابنُ الملكِ) أداةُ حكمه القضاء

(١) كليلة ودمنة:٣٧٨.
(٢) معجم متن اللُّغة:٣٤٧.
(٣) كليلة ودمنة:٣٧٩.
(٤) المصدر نفسه:٣٨٣.
(٥) المصدر نفسه:٣٨٦.
(٦) المصدر نفسه:٣٨٦.

والقدر، بدلالة قوله: "إنَّ أمرَ الدُّنيا كلَّهُ بالقَضَاءِ والقَدَرِ، والصَّبرُ للقضاءِ والقدرِ وانتظارهما أفضلُ الأمور"(١).

فيما (ابنُ التَّاجر) عتادُهُ الحِلْمُ والعقلُ. يقولُ: "العَقْلُ أفضَلُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ"(٢)، بينما (ابنُ الشَّريف) عتادُهُ الجمال، والشَّريفُ هو النَّبيلُ، سامي المكانة، رفيعُ الدَّرجة، عالي المنزلة(٣)، ويبدو أنَّ مَنْ ينالُ تلكَ المنزلةَ له مزايا البهاء وصفات الجمال، وفي النَّصِّ بيانُ ذلك: "الجمالُ أفضلُ مِمَّا ذَكَرْتُمْ"(٤)، أمَّا (ابنُ الأكَّار) فَسِلَاحُهُ الجدُّ والاجتهاد في العملِ، ولعلَّ رابطةً وثيقةً تربطُ ابن الأكَّار بالاجتهاد، إذْ معنى (أكَّار) حرَّاث؛ أي زرَّاع(٥)، والزرَّاعُ سمتُهُ الاجتهادُ في حرثِ الأرض، وهو ما يقودنا إلى وجودِ وفْرٍ تامٍ من (الحكمةِ) في النَّص ولا غرو، فكليلة ودمنة مكنزٌ أدبي ثريٌّ بقصصِهِ الهادفة بما فيها من عِبَرٍ، وعليهِ يمكنُنا استخلاص آيات الحكمةِ لشخصياتِ القِصَّة، وفق التَّسلسل الآتي:

ممارسة شخوص القِصَّة التَّفكير؛ للنَّأي عن الضُّر الَّذي أَصَابَهم: "فبينما هُمْ يمشُونَ إذْ فكَّرُوا في أمرِهم"(٦)؛ أي مارسوا نشاطَهُم الذَّهني، والتَّفكيرُ هو "إعمالُ العقلِ فيهِ؛ ليصلَ إلى نتيجةٍ أو قرار"(٧)، وجعلوا الشُّورى منهجًا لإصابة الهدف المنشود، فهم قد "جلسوا في ناحيةٍ يتشاورون"(٨)؛ من أجلِ تلاقح الأفكار، وإصابة الرَّأي الرَّاجح، وتحقيق المراد.

(١) كليلة ودمنة:٣٧٩.
(٢) المصدر نفسه:٣٧٩.
(٣) معجم اللُّغة العربية المعاصرة:١١٩١.
(٤) كليلة ودمنة:٣٧٩.
(٥) المصدر نفسه:٣٧٩.
(٦) المصدر نفسه:٣٧٩.
(٧) معجم اللُّغة العربية المعاصرة:١٧٣٣.
(٨) كليلة ودمنة:٣٧٩.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وتتفاوتْ درجاتُ الحكمةِ من شخصيةٍ إلى أخرى، فيظهرُ التَّفكيرُ؛ ليبرزَ (ابن الأكَّار)، ومن ذلكَ، ما وردَ على لسانِهِ حين انطلاقه لكسبِ قوتهم من الطَّعام: "سألَ عن عمَلٍ إذَا عَملهُ الإنسانُ يكتَسبُ فيهِ طعامَ أربعةِ نَفَرٍ"(١). ولعلَّ الاستفهامَ عن شيءٍ ما، ينبعُ بعد فِكْرٍ عَميقٍ، وتأمُّلٍ دقيقٍ، فيما (ابنُ الشَّريف) يعملُ فكرَهُ وعقلَهُ لاكتساب قوتهم، ويظهرُ ذلكَ من خلالِ قوله: "ففكَّرَ في نفسِهِ"(٢)، حتَّى أوصلهُ التَّفكيرُ إلى مبتغاهُ، وفوزُهُ بمائةِ درهمٍ.

ومع تصاعد مبدأ التَّفكير تظهرُ جماعةُ التُّجَّار؛ بغية بيع ما في سفينتهم من متاعٍ "فجلسوا يتشاورونَ"(٣)؛ أي لا يقطعونَ بأمرٍ حتَّى يجتمعوا ويتشاوروا(٤) فيسوقهم (ابنُ التَّاجر)؛ ليرسمَ لونًا ساميًا في حُسْنِ التَّصرُّفِ، وإعمال العقل فيربح مائة ألف درهم، وقدْ قِيلَ شِعْرًا في بيانِ فضلِ العقل(٥):

إنَّمَــا الفَضْــلُ بِعَقْــلٍ رَاجِــحٍ وَبِأَخْــــــلَاقٍ كِـــــرَامٍ وأدبٍ

وثمَّة ضربٌ آخرُ يبرهنُ صفوةَ أهلِ المدينةِ وأشرافها؛ في محاولةٍ لتنصيب ملك لهم: "فلمَّا كانَ أهلُ تلكَ المدينة يتشاورونَ فيمن يملِّكُونَهُ"(٦) باحثينَ عن مشورةٍ أو نصحٍ من رأيٍ يهتدون إليها(٧) فيتصدَّر (ابنُ الملكِ) المشهدَ؛ لكسب زادهم وطعامهم: "فانطلقَ حتَّى أتى إلى بابِ المدينةِ فَجَلَسَ على دكَّةٍ"(٨). وتتجلَّى إرهاصاتٌ على امتلاكِهِ ناصية المُلْك، منها: حينما مُرَّ عليه بجنازةِ مَلِكٍ لم يحزنْ؛ إيمانًا بالقضاءِ والقدرِ: "فلمَّا ذَّهَبُوا عَادَ الغُلَامُ فجلس مكَانَهُ"(٩).

(١) كليلة ودمنة:٣٧٩.
(٢) المصدر نفسه:٣٨٠.
(٣) المصدر نفسه:٣٨١.
(٤) معجم اللُّغة العربية المعاصرة:١٢٤٧.
(٥) السِّحر الحلال في الحكم والأمثال:٢٧.
(٦) كليلة ودمنة:٣٨٢.
(٧) معجم اللُّغة العربية المعاصرة:١٢٤٧.
(٨) كليلة ودمنة:٣٨٢.
(٩) المصدر نفسه:٣٨٢.

فالموقفُ جسيمٌ، والحالُ مهيبٌ (الجنازة)، لكنَّهُ لم يأبه بذلكَ، فأنكرَ الجمعُ حالَهُ، وشتمهُ البوَّابُ، وقالَ لَهُ: "مَنْ أَنْتَ يا هذا"[١]. وما ذاكَ إلَّا إدراكٌ لحسنِ تفكيره، ودهاءِ عقله، وإيحاء بشخصهِ، ولفت انتباههم وأنظارهم إلى مكانته، ويبدو ذلكَ من خلالِ بَعْثِ أشراف أهلِ المدينةِ إلى الغُلامِ للسُّؤالِ عن حَالِهِ، وإقدامه إلى مدينتهم"[٢] فيجيبُ بثقةٍ: "أنا ابنُ ملكِ فَوِيرَانَ"[٣]، من ذلكَ يُفْهَمُ مدى الحكمةِ الَّتي مكَّنته من التَّفرُّدِ على أقرانِهِ الثَّلاثة.

وفي سياقِ المقارنة الآنفة، يتبيَّنُ جَلاءً تلكَ الحكمةُ، إذ يأتي شيخٌ ليؤكِّدَ حِلمَ ابنِ الملكِ، وكفاءته بالحِكَمِ، وجدارته بالملك، والشَّيخُ هو صاحبُ المكانة من علمٍ أو فضلٍ[٤]، يقُولُ: "تكلَّمتَ بكلامِ كاملِ عَقْلٍ وحكمةٍ"[٥]، إشارة إلى حِلْمِ (ابن الملك) وجودة رأيه وتفكيره.

ولعلَّ تنازلَهُ عن الحُكْمِ فضلاً عن منازعةِ أخيه؛ لَتَأكِيدٌ على حكمتِهِ ونباهته. يقولُ: "لمَّا ماتَ أبي غَلَبَني أخي على المُلْكِ، فهربتُ مِنْ يَدِهِ؛ حَذَرًا على نفسي حتَّى انتهيتُ إلى هذِهِ الغاية"[٦]، ولعلَّ النَّاظرَ يخالُ ذاكَ الهروب جُبْنًا وخوفًا، غير أنَّ ذلكَ الرَّأي يُوحي إلى قوَّةِ العقلِ، وبيانِ الحكمةِ، باتخاذه الحِلْمَ غاية للنَّجاةِ من الهلكة.

يمكننا القول: إنَّ (ابنَ الملك) بعد استوائِهِ على الحكم، عَمَدَ إلى اتِّخاذِ جُملةً من إجراءاتِ الحِكْمةِ، منها:

- إشراك صاحب العقل (ابن التَّاجر) مع الوزراء[٧]، لجودةِ رأيِهِ، وضمان سير الحياة بهدوءٍ وسكينة.

(١) كليلة ودمنة:٣٨٢.
(٢) المصدر نفسه:٣٨٢.
(٣) المصدر نفسه:٦٨٢.
(٤) المعجم المفصَّل في الجموع:٢٥٥.
(٥) كليلة ودمنة:٣٨٤.
(٦) المصدر نفسه:٣٨٢-٣٨٣.
(٧) كليلة ودمنة:٣٨٣.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

- ضمَّ المجتهد (ابن الأكَّار) إلى أصحابِ الزَّرع[١]؛ ليُحَفِّزَ العاملينَ، ويدبُّ الحماسَ بينهم ممَّا يسهمُ في الإنتاج الوفير.
- نَفْيُ ذي الجمال (ابن الشَّريف)[٢]؛ خوفًا من الافتتان به ويظهرُ في قولِهِ: "نَفَاهُ كَيْ لا يُفْتَتَنَ بِهِ"[٣].

ما سبقَ لا يعني سُخفًا، بل نُبلاً ودهاءً، ويتجلَّى ذلكَ في الاجراءاتِ المتَّخذة سلفًا، ما يترجمُ ذكاء (ابنِ الملكِ) وحكمته، وخبرتِهِ، وبرغم تلكَ المزايا الَّتي تشكَّلتْ في شخصِهِ، إلَّا أنَّنا نلمحُ سمتينِ ميَّزته: الأولى وفاؤُهُ لأصحابِهِ الثَّلاثةِ، وحسن كرمِهِ لهم بعد تولِّيه الملك، الثَّانية: رجاحةُ عقلِهِ، وحكمتِهِ في تأمينِ حُكْمِهِ، وضمانِ البقاء.

أخيرًا... لو تأمَّلنا مشاهدَ القصَّةِ منْذ اصطحاب الرِّفقة معًا في طريقٍ واحدٍ منْ شدَّتهم في الغربة، مرورًا بالصِّعابِ الَّتي تعرَّضوا لها في سبيلِ اكتسابِ طعامهم، إلى نيل (ابن الملك) الملْك على مدينة (مَطْرُون)، لألفينا (القضاءَ والقدرَ) يجمعها، من خلالِ ما ذُكِرَ أعلاه، فَجُلُّ ما تُصوِّرهُ الحياةُ من مواقف وطقوس، ما هي إلَّا مشهدًا من المشاهد الَّتي قضاها الحقُّ تباركَ وتعالى، وقدَّرَ حدوثها في أوانها، وقَدْ أشَارَ سبحانه إلى ذلكَ بقولهِ: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[٤]؛ أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم[٥].

والقصَّةُ وما تحتويها من فصولٍ ومشاهد، تعلِّمنا الحِكْمةَ والبيانَ، فهي تحملُ في طيَّاتها (العقل)، وضرورة إعماله في اتِّخاذِ القرارِ، ويتجاوزُ ذلكَ كلَّهُ (القضاء والقدر)، فثمَّةَ مَنْ يحاولُ الإثباتَ والظَّفر بعملِهِ على غيره مثلما فعلَ (ابنُ الأكَّار، وابنُ الشَّريف، وابنُ التَّاجر)، حيثُ كتبَ

(١) كليلة ودمنة:٣٨٣.
(٢) المصدر نفسه:٣٨٣.
(٣) المصدر نفسه:٣٨٣.
(٤) فصلت: [١٠].
(٥) الكشَّاف:٣٦٩.

الأوَّلُ على بابِ المدينة: "عَمَلُ يِوْمٍ وَاحِدٍ إذا أَجْهَد فيهِ الرَّجُلُ بَدَنَهُ قِيْمَتُه دِرْهَمٌ"(١)، والثَّاني: "جمالُ يَوْمٍ يُسَاوي مئةَ دِرْهَمٍ"(٢)، ويسجّلُ الثَّالثُ: "عَقْلُ يَوْمٍ واحِدٍ ثَمَنُهُ مائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ"(٣).

ويجمعُ (ابنُ الملكِ) علماءِ أرْضِهِ وأربابِ الرَّأي؛ ليسجِّلَ كلماتٍ لطيفةٍ تُعبِّرُ عن حقائق، مؤكِّدًا انَّ تلكَ المنحةَ الَّتي حَظِي بها كانت بقَدَرٍ، ويظهرُ ذلكَ في قولِهِ: "إنَّ الَّذي مَنَحني اللهُ وَهيَّأهُ لي إنَّما كَانَ بِقَدَرٍ، ولم يكنْ بجمالٍ ولا عَقْلٍ وَلا اجْتِهَادٍ"(٤)، وإذا جازَ لنا القول: إنَّ ما يحدثُ في الكونِ عامةً يخضعُ للقضاءِ والقدر، ونؤكِّدُ ذلكَ جازمينَ حقيقتها، إذْ نستمعُ إلى (ابنِ الملكِ) وهو يعزفُ سيمفونيةً تنسابُ من كلماتها العذوبة، وقطرات النَّدى مخاطبًا: "أمَّا أَصْحَابي فقدْ تيقَّنُوا أنَّ الَّذِي رَزَقَهُم اللهُ تَعَالى مِنَ الخيرِ إنَّما هو بقضاءِ اللهِ وقدَرِهِ"(٥)، ويؤكِّدُ ذلكَ شيخٌ شهدَ ذلكَ الجمع، فاستوى قائمًا يُعدِّدُ مزاياه: "إنَّ الَّذي بلغَ بكَ ذلكَ وفورُ عقلِكَ وحُسْنُ ظنِّك"(٦)، حيثُ كنَّا نعرفُ ما قسمَهُ اللهُ تعالى لكَ من العقلِ والرَّأي(٧)، والمحظوظُ مَنْ وُهِبَ عقلاً راجحًا ورأيًا صائبًا، فالعقلُ نورُ القلبِ، يعرفُ الحقَّ والباطلَ(٨)، والرَّأيُ نظرةُ الشَّخصِ الَّتي يتبنَّاها حكمًا لفكرةٍ معينةٍ.

وللجانبِ الدِّيني حُضُورٌ في القصَّة، يمثِّلهُ سائحٌ كانَ خادمًا في صغرِهِ، وشيخًا من أشرفِ النَّاسِ في كِبره قد بدا له رفض الدُّنيا، والقارئ المتمعِّن يعيشُ في ظِلالِها لحظاتٍ خلَّابة، حيثُ يلمحُ طيَّاتها قد امتلأتْ بالصِّدقَةِ الَّتي فاضتْ بالإنسانيةِ، مقرونةً بالرَّحمةِ والشَّفقةِ، فتسمو في ألَقٍ وبهاءٍ؛ لتحقِّقَ مبدأ (القضاء والقدر)، فالسَّائحُ يتقاضى دينارينِ أُجرةً، فيُوثِرُ الصَّدقةَ بدينارٍ وإبقاء الآخر قائلاً:

(١) كليلة ودمنة: ٣٨٠.
(٢) المصدر نفسه: ٣٨٠.
(٣) المصدر نفسه: ٣٨٢.
(٤) المصدر نفسه: ٣٨٤.
(٥) المصدر نفسه: ٣٨٤.
(٦) المصدر نفسه: ٣٨٤.
(٧) المصدر نفسه: ٣٨٤.
(٨) المعجم المفصَّل في الأدب: ٦٥١.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

"فأردتُ أنْ أتصدَّقَ بأحدهما وأستبقي الآخر"(١). بعدها يُساومُ صيَّادًا في إمكانيةِ شراءِ أحدِ الهُدْهُدَينِ وترْكِ الآخر، عندها تبرزُ الإنسانيةُ خشيةَ التَّفريقِ بينَهما، وتلكَ النَّفحةُ رَسَمَتْ أبجدياتِ الإنسان الوفي، مولَّدة الرَّحمةُ، يقولُ: "أدركني لهُمَا رحمةٌ فتوكَّلتُ على اللهِ وابتعتهما بدينارينِ"(٢)، مبيّنًا الغاية من ذلكَ في قولهِ: "أشفقتُ إنْ أرْسلتُهُمَا في أرضٍ عامرةٍ أنْ يُصَادَا، ولا يستطيعا أنْ يطيرا ممَّا لقيا من الجوع"(٣).

وأمام تلكَ المعادلة تأتي ثمرةُ الإنسانية؛ لتهديَ مكافئةً للسَّائح، فَيَقُولُ أَحَدُ الهُدْهُدَينِ: "لقد اسْتَنْقَذَنَا هذا السَّائحُ ونجَّانَا من الهَلَكَةِ، وإنَّا لخليقانِ أنْ نكافئَهُ بِفعْلِهِ"(٤)، ولعلَّ تلكَ المعادلة تخلصُ إلى الكشفِ عن ثباتِ مبدأ (القضاء والقَدر)، إذْ يُبْصِرانِ الهُدهُدَانِ ماهيةَ ذلكَ فيجزمان القولَ: "إنَّ القضاءَ إذا نزلَ صرفَ العيونَ عن موضعِ الشَّيءِ وغشَّى البصر"(٥)، يقولُ ابنُ عبَّاسٍ: "إذَا حَلَّ القَدَرُ عَمِيَ البَصَرُ"(٦).

ويتجلَّى حقيقةُ ذلكَ ليشملَ غلبة القضاءِ على كلِّ شيءٍ، فيكشف الهُدْهُدَانِ ذلكَ: "أيُّها العاقِلُ، أمَا تعلمُ أنَّ القَدَرَ غَالبٌ عَلَى كُلِّ شيء، لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يتجاوزه؟"(٧)، والنَّتيجةُ شهادةُ الشَّيخِ السَّائحِ أفضتْ إلى المِلكِ مراده بالقولِ: "وَأَنَا أُخْبِرُ المِلكَ بِذلكَ الَّذي رأيتُهُ، فإنْ أَمَرَ المِلكُ

(١)كليلة ودمنة:٣٨٥.
(٢) المصدر نفسه:٣٨٥.
(٣) المصدر نفسه:٣٨٥.
(٤) المصدر نفسه:٣٨٦.
(٥) المصدر نفسه:٣٨٦.
(٦) قاموس الطُّلَّاب في الحكم والأمثال:٤٠١.
(٧)كليلة ودمنة:٣٨٦.

أَتَيْتُهُ بالمالِ فأودعْتُهُ في خزائنه"[١]، ويتجاوزُ (ابنُ المِلكِ) حدودَ الذَّاتِ مشيرًا بقولِهِ: "ذلكَ لكَ، وموفَّرٌ عليكَ"[٢].

التَّأثُّر بالهَدي الدِّيني بيِّنٌ في النَّص، ومعانيه ظاهرةٌ لوَّحَ بها (ابنُ الملكِ) من قبلُ ومن بعدُ، إلى أنْ ظفرَ بتحقيق غايته؛ غلبة (القضاء والقدر) ابتداءً وانتهاءً، متجاوزًا رفاقه، ممنْ اصابهم جهْد الغربة، غير انَّهم ظفروا بالمراد، بعد أنْ آلَ الحكمُ إلى ابنِ الملكِ، ولعلَّ ذلكَ يُفضي إلى أنَّ "العملَ بالحِلْمِ، والعَقْلَ بالتَّثبُّتِ؛ لكن القضاءَ والقدرَ يغلبانِ على ذلكَ"[٣].

ممَّا سبقَ، نرى كلَّ المعاني الإنسانية، الممزوجة بالصِّبغةِ الإسلامية واضحةً في حِكَمِ (ابنِ الملكِ)، ولنا في قصَّتِهِ آياتٌ، حُقَّ أنْ نزهوَ بحِكَمِهَا المتناثرة، ونستنشقَ عبيرَها الفوَّاح، ونستشعرَ معنى (القضاء والقدر) في صورةٍ حسِّيةٍ، ليتمثَّلَ النَّاشئةُ ذاكَ المعنى.

الخاتمة

في ختامِ هذا البحث، ومن غوصنا في دقائق القصَّة، لا بُدَّ من ترجيح مفهوم (القضاء والقدر) على جلِّ المفاهيم الأخرى، والمقاصد الَّتي تناثرتْ في أثناء النَّص، وضرورة توطين النِّفس البشرية، وتسليمها لما يقدِّرُهُ اللهُ تعالى، إضافةً إلى إبرازِ مفهومِ الحكمةِ، ومدى الاستفادة منها. وقد أفضى البحثُ إلى نتائج وتوصيَّاتٍ هامة:

أوَّلاً النَّتائج:

١. إنَّ جميعَ ما يجري في الكون من خيرٍ أو شرٍّ، وفرحٍ أو حُزنٍ إنَّما هو مرهونٌ بالقضاءِ وَالقَدَر.

(١) كليلة ودمنة:٣٨٦.

(٢) المصدر نفسه:٣٨٦.

(٣) المصدر نفسه:٣٧٨.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٢. إنَّ القصَّةَ ستُسْهِمُ بلا ريبَ، في تثبيتِ منظومةِ التَّربيةِ الدِّينية، وإيثارها على الذَّاتِ الإنسانية.

٣. إنَّ الصَّبرَ وتدريب النَّفس على الرِّضا بقضاءِ اللهِ وقدره، أمرٌ مستحبٌّ دعا إليه دينُنا الحنيف.

٤. كُلُّ ما في الحياةِ من اجتهادٍ وجَمَالٍ وعَقْلٍ، وما أَصَابَ الرَّجلُ في الدُّنيا وغيرها منوطة بالقضاءِ والقَدَرِ.

ثانيًا التَّوصيات:

١. حث وزارة الأوقاف على إلزامِ خُطَباءِ وأئمَّةِ المساجد، على توظيفِ مفهومِ القضاءِ والقَدَرِ في أنشطتهم العلمية ومحاضراتهم الدِّينية، من أجلِ توعويةِ الفردِ والمجتمعِ بينَ الحين والآخر.

٢. دعوة القائمينَ على المؤسَّساتِ التَّعليميةِ الحكومية والأهلية، إلى إدراجِ قصصٍ هادفةٍ في منهجي: (القراءة والإسلامية)، تشملُ القيمَ الأخلاقيةَ، في مختلفِ المستوياتِ الدِّراسيةِ؛ من أجلِ التَّربيةِ والتَّهذيبِ، وضرورةِ تفعيلِ برامج الإذاعاتِ المدرسيةِ، تشملُ موضوعاتٍ دينيةٍ، وَحِكَمٍ مفيدة تُسْهِمُ في تأهيلِ المتعلِّمينَ أخلاقيًا.

٣. الإسهامُ في إقامةِ محاضراتٍ توعويةٍ وندواتٍ علمية، لغرس مبدأ (القضاءِ والقدرِ) بينَ شريحةِ المتعلِّمينَ في الكلِّياتِ والمعاهد، وبثِّ السَّكينة والطُّمأنينة، لخَلْق جيلٍ يُدْرِكُ مهمَّتَهُ في الحياةِ.

٤. دعوة مكاتب الشَّباب والرِّياضة، على تفعيلِ الجانب الثَّقافي في المؤسَّسات الرِّياضية، من خلالِ إجراء محاضراتٍ ومسابقاتٍ، في سياقِ بثِّ مفهوم الطُّموح، مع الإيمان بالقضاءِ والقدر بينَ أوساطِ الشَّبابِ، لتقويم مسار حياتهم من الانجراف إلى الرَّذيلة.

المصادر والمراجع

أوَّلاً المصادر:

١. الفيلسوف الهندي، بيدبا، ترجمة: عبدالله بن المقفَّع، كليلة ودمنة، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان ، ط٢ ٢٠٠٩م.

ثانيًا المراجع:

١. ابن الأثير، ضياء الدِّين، المثل السَّائر، تقديم وتحقيق وشرح: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطَّبع والنَّشر الفجالة– القاهرة، ط٢، ١٩٨٣م.

٢. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، مؤسَّسة جمال للطِّباعة والنَّشر بيروت– لبنان، د.ت.

٣. الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار الفكر– بيروت، ط٢، د.ت..

٤. الألباني، محمد ناصر الدِّين، صحيح موارد الظَّمآن إلى زوائد ابن حبان، دار الصميعي للنَّشر والتَّوزيع– المملكة العربية السُّعودية، ط١، ٢٠٠٢ م.

٥. بديع يعقوب، إميل، المعجم المفصَّل في الجموع، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٦. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، مسند البزار، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنوَّرة، ط١، ١٩٨٨م.

٧. البعلبكي، منير، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين– بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٨. البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النّمر وآخرون، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، ط٤، ١٩٩٧م.

٩. البقاعي، يوسف الشَّيخ محمد، الشَّوقيات، دار الكتاب العربي، ٢٠١٠م.

١٠. البيهقي، أحمد الحسين علي، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز- مكة المكرمة، ١٩٩٤م.

١١. البيهقي، دلائل النَّبوة، تحقيق: عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلِّمية - دار الرَّيان للتُّراث، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

١٢. التَّرمذي، محمد بن عيسى، سنن التَّرمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التُّراث العربي- بيروت، د.ت.ط.

١٣. التَّميمي، أحمد علي المثنى أبو يعلى، مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتُّراث- دمشق، ط١، ١٩٨٤م.

١٤. التَّنوجي، محمَّد، المعجم المفصَّل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٩م.

١٥. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتَّبيين، تحقيق وشرح: عبدالسَّلام محمد هارون، دار الجبل- بيروت، د.ت.ط.

١٦. الحمداني، أبو فراس، شرح ديوان أبي فراس الحمداني، شرح وتحقيق: عبَّاس إبراهيم، دار الفكر العربي- بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

١٧. الخراشي، سليمان بن صالح، تهذيب إسلامي لقصص: كليلة ودمنة، دار القاسم للنَّشر- الرِّياض، ط١ ١٤١٩هـ.

١٨. الرَّازي، فخر الدِّين محمد بن عمر التِّميمي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٩. رضا، الشَّيخ أحمد، معجم متن اللُّغة، دار مكتبة الحياة- بيروت، د. ت.ط.

٢٠. الروياني، محمد بن هارون، مسند الروياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة- القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ.

٢١. الزَّمخشري، جار الله، الكشَّاف، تحقيق: الشِّيخ عادل أحمد والشَّيخ علي محمَّد معوَّض وآخرون، مكتبة العبيكان- الرِّياض، ط١، ١٩٩٨م.

٢٢. السَّعدي، عبد الرَّحمن ناصر عبد الله، تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرَّحمن بن معلا اللويحق، مؤسَّسة الرِّسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٣. أبو سلمى، زهير، ديوان زهير بن أبي سلمى، تقديم وشرح وتعليق: د. محمد حمود، دار الفكر اللُّبناني، ط١، ١٩٩٥م.

٢٤. الشَّافعي، ديوان الإمام الشَّافعي، جمع وتحقيق: أحمد أحمد شتيوي، دار الغد الجديد المنصورة- مصر، ط١ ٢٠٠٣م.

٢٥. شلق، أمل، معجم حكمة العرب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩١م.

٢٦. الشَّيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، د.ت.ط.

٢٧. الصَّابوني، محمَّد علي، صفوة التَّفاسير، دار القرآن الكريم بيروت،ط٦ ،١٩٨٥م.

٢٨. الصَّابوني، محمَّد علي، من كنوز السُّنَّة، عالم الكتب-بيروت،ط ١، ١٩٨٥م.

٢٩. صالح الخراشي، سليمان، المنتقى من أمثال العرب وقصصهم، دار القاسم للنَّشر والتَّوزيع،، ط١، ٢٠٠٧م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٣٠. الضَّبي، المفضَّل بن محمد بن يعلى بن سالم، أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الرَّائد العربي بيروت– لبنان، ط١ ،١٩٨١م.

٣١. الطَّائي، حاتم، ديوان حاتم الطَّائي، تقديم وشرح وتعليق: محمد حمود، دار الفكر اللُّبناني، ط١، ١٩٩٥م.

٣٢. الطَّبري، محمَّد بن جرير، تفسير الطَّبري، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التُّركي، بالتَّعاون مع مركز البحوث والدِّراسات العربية والإسلامية بدار هجر عبد السَّند حسن يمامة، هجر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع والإعلان، د.ت.ط.

٣٣. عبيد، أحمد، طرائف الحكمة، المكتبة العربية لأصحابها عبيد إخوان- مصر، ط١، د.ت.

٣٤. العسكري، أبو هلال، الفروق في اللُّغة، تحقيق: لجنة إحياء التُّراث العربي، دار الآفاق الجديدة–بيروت، الطَّبعة الخامسة، ١٩٨٣م.

٣٥. العقَّاد، عبَّاس محمود، الأدب الكبير والأدب الصَّغير، دار التَّقوى للطَّبع والنَّشر والتَّوزيع، ٢٠١٥م.

٣٦. عمر، أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، معجم اللُّغة العربية المعاصرة، عالم الكتب–القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

٣٧. الغزَّالي، محمَّد، إحياء علوم الدِّين، دار المعرفة – بيروت، د.ت.ط.

٣٨. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ترتيب وتحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط١، ٢٠٠٣م.

٣٩. الفيلسوف الهندي، بيدبا، ترجمة: عبدالله بن المقفَّع، كليلة ودمنة، المطبعة الأميرية ببولاق- القاهرة، ١٩٣٧م.

٤٠. قبش، أحمد، مجْمَع الحكم والأمثال في الشِّعر العربي، دار الرَّشيد، ط٣، ١٩٨٥م.

٤١. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وآخرونَ، دار الكتب المصرية–القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

٤٢. القيرواني، إبراهيم بن علي الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: يوسف على طويل، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٤٣. ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مصطفى السَّيد محمَّد وآخرون، مؤسَّسة قرطبة للطَّبع والنَّشر والتَّوزيع– جيزة، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٤. المبرَّد، محمد بن يزيد، الكامل في اللُّغة والأدب، تحقيق: يحيى مراد، مؤسسة المختار للنَّشر والتَّوزيع– القاهرة، ٢٠١٣م.

٤٥. المتنبِّي، ديوان أبي الطَّيب المتنبِّي، تحقيق: بدر الدِّين حاضري، دار الشَّرق العربي بيروت– لبنان، ط٢، ١٩٩٥م.

٤٦. محمَّد، فايز يوسف، قاموس الطُّلاب في الحكم والأمثال، دار الكتاب العربي بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

٤٧. مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، د.ت.ط.

٤٨. ابن المقفَّع، عبدالله، كليلة ودمنة، دار الحياة للنَّشر والتَّوزيع، ٢٠١٦م.

٤٩. المكتب العلمي للتَّأليف والتَّرجمة، معجم روائع الحكمة والأقوال الخالدة، إشراف: روحي البعلبكي، دار العلم للملايين،ط٣ ،٢٠٠١م.

٥٠. النَّديم، محَّمد بن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة – بيروت، ١٩٧٨م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٥١. النِّيسابوري، محمد عبدالله، المستدرك على الصَّحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٩٠م.

٥٢. الهاشمي، أحمد، السِّحر الحلال في الحكم والأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت.ط.

٥٣. وهبه، مجدي، معجم المصطلحات العربية في اللُّغة والأدب، مكتبة لبنان-بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

منهج التأليف الصرفي عند (أحمد فارس الشدياق)
في كتابه (غُنيَــة الطالِب ومُنيَــة الراغِب)

د. محمد علوي أحمد بن يحيى(*)

د. أحمد عبد اللاه عوض البحبح(**)

الملخَّص:

يُعنَى هذا البحث، بإبراز جهود التأليف اللغوي، لدى أحد روَّاد عصر النهضة العربية، ممَّن كان له الأثر البارز في الرقي بالثقافتين: اللغوية، والأدبية، لدى الكثير من شعوب المجتمع العربي، عقب تحرُّرها من سطوة الدولة العثمانية، وسطوة الحملة الفرنسية على مصر–ألا هو (أحمد فارس الشِدياَق).

وقد تناول هذا البحث، دراسة الجانب الصرفي، لأحد مؤلفاته اللغوية، ذات الطابع التعليمي، الذي وسَمَه بـ (غُنيَة الطالب ومُنيَة الراغب)، وأورد فيه عددًا، من الدروس الأساسية، في: الصرف، والنحو، وحروف المعاني.

ومن خلال دراسة المادة الصرفيَّة، في هذا الكتاب، تبيَّن أنَّ مادته تجاوزت الجانب التعليمي، إلى التوسُّع في الجانب العلمي (التخصصي)، وهو ما جعل مادة هذا الكتاب تفيد الطالب، المبتدئ، والمنتهي (الباحث)، على السواء.

(*) أستاذ الدراسات اللغوية واللسانية المشارك، كلية الآداب–جامعة عدن.

(**) أستاذ النحو والصرف المشارك، كلية الآداب–جامعة عدن.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
العدد الحادي عشر - جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - ديسمبر ٢٠٢١
ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

Ahmad Fares Al-Shidyaaq's Approach of Morphological Authorship in his book 'Ghuniat At-taleb wa Muniat Ar-ragheb

Abstract :

This research is concerned with highlighting the efforts of the linguistic authorship of one of the pioneers of the Arab renaissance era who has had a prominent impact in the advancement of the two cultures: from the linguistic and literary aspects for many peoples of the Arab community following their liberation from the rule of the Ottoman State and the French crusade over Egypt - (Ahmed Faris Al-Shidiyaaq).

The research has explored the Arabic morphological aspect of one of his linguistic writings, which is of an educational nature titled (Ghuniat At-taleb wa Muniat Ar-ragheb). Moreover, he has listed a number of basic lessons: morphology, grammar and meaning particles.

By studying the morphological material in this book, it has been found that its material has gone beyond the educational aspect, to the expansion of the scholarly (specialist) aspect, which has made the material of this book useful to the student, both the beginner and the researcher alike.

تمهيد:

مَن يسرّح النظر في تاريخ النهضة العربية الحديثة[١]، ولا سيما في جانبيها: الصحفي، واللغوي، لابد من أن يُقرِن بها نشأة المطابع، سواء في سوريا ولبنان، أو في مصر[٢]. ولا تكاد تُذكَر هذه حتى يُستدعَى معهما ذكر مطبعة (الجوائب) [٣]، التي تأسَّست في (الأستانة)، عاصمة الدولة العليَّة (اسطنبول)، وترسَّخت بفضلها مداميك تينك النهضتين.

ولا يكاد يُستدعَى ذكر هذه المطبعة، حتى يُقرَن بها اسم مؤسِّسها، وصاحب السَبق، في نهضتيها: الصحفيَّة، واللغويَّة، بلا منازع (أحمد فارس الشِدياق) [٤]، المولود في قرية (عشقوت)، في (لبنان)، سنة (١٢١٩هـ= ١٨٠٤م)، والمتوفَّى في (الأستانة) سنة (١٣٠٤هـ= ١٨٨٧م)، والذي اتخذ من هذه المطبعة، ثم من جريدته الرائدة، جريدة (الجوائب) [٥]، منبرًا مشرقًا، للارتقاء بذينك المجالين، والتي تركت أثرًا بارزًا، لكل من اشتغل بهما، ممَّن أعقب هذه الحِقبة، حتى عصرنا الحاضر.

جهود (الشدياق) اللغوية من خلال عمله الصحفيّ:

يمكن القول: إنَّ الفضل الرئيس لسُطوع نجم شخصيّة (الشدياق) اللغوية، كان يرجع إلى اشتغاله، بدءًا، بالعمل الصحفي، في جريدته الغرَّاء (الجوائب)!...

(١) بدأت هذه النهضة منذ الحملة الفرنسية على مصر، بقيادة (نابليون بونابرت)، سنة (١٧٩٨م). ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية: ١١٦٩/٤.

(٢) ينظر السابق: ١٢٢٧/٤–١٢٢٨.

(٣) تأسست في أواسط القرن التاسع عشر، في الأستانة (تركيا حاليًا). ينظر السابق: ١٢٢٦/٤.

(٤) هو: أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق، عالم باللغة والأدب. ولد في قرية عشقوت (بلبنان) سنة (١٢١٩هـ=١٨٠٤م). رحل إلى مصر متلقياً العلم والأدب عن علمائها وأدبائها. سافر إلى مالطة، وإلى عدد من دول أوربا، ثم سافر إلى تونس واعتنق فيها الإسلام، وتسمَّى بأحمد فارس، ثم سافر إلى الأستانة (تركيا)، وأقام فيها بضع سنوات، ثم أصدر بها جريدة (الجوائب) سنة ١٢٧٧هـ، فعاشت (٢٣) سنة. وتوفي بالأستانة سنة (١٣٠٤هـ=١٨٨٧م)، ونقل جثمانه إلى لبنان. من مؤلفاته: كنز الرغائب في منتخبات الجوائب (اختار مقالاته ابنه سليم)، وسر الليال في القلب والإبدال، والواسطة في أحوال مالطة، وكشف المخبا عن فنون أوربا، والجاسوس على القاموس، والساق على الساق فيما هو الفارياق، وغنية الطالب ومنية الراغب، وغيرها. (ينظر: الأعلام: ١٩٣/١، و: تاريخ آداب اللغة العربية: ٢٦٢/٤، ٢٧٢، و: بناة النهضة العربية: ١٧٧–١٧٨).

(٥) صدرت هذه الجريدة في (١٨٦٠م)، في (الأستانة)، واستمرت إلى (١٨٨٤م). ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية: ١٢٣٩/٤.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

فقد كان العمل الصحفي، إبَّان تلك الحقبة، يهدف، في الأساس، إلى الرُقي بالهويَّة اللغويَّة، لدى الشعوب العربيَّة، ونَفي ركونها إلى تداول اللهجات العاميَّة المبتذلَة، واستعمال الألفاظ الدخيلة، والأساليب الكتابيَّة الركيكة... (١)

وقد حاز (الشدياق) سهمًا وافرًا، من الذَود عن لغة (الضاد)، في تلك الحقبة الحساسة، من تاريخ النهضة العربيَّة؛ إذ انبرى، من خلال مقالاته، التي نشرها تباعًا، على صفحات جريدته، لنقد، وتفنيد، ودفع مظاهر الضعف، التي شابت ألسنة، وأقلام الكُتَّاب العرب، المعاصرين له. (٢)

ولم يقف عند هذا الحد، وإنما ارتقى طموحه، إلى الدعوة إلى إنشاء مَجمَع لغويّ، يضطلع بمهام تعريب، وترجمة العلوم، والمعارف، والمخترعات الغربيَّة الحديثة، إلى العربيَّة؛ بهدف اللحاق بركبها، ومنافستها في مظاهر رقيِّها اللغوي، والعلميّ(٣)... وكان له ما أراد.

إسهاماته التأليفيَّة، في المجالَين: المُعجَميّ، والتصريفيّ:

لم يكد (الشدياق) يتعلَّم القراءة والكتابة، وهو في سن الخامسة من عمره، حتى ظهرت عليه مخايل النجابة، والميل إلى دراسة علوم العربيَّة... فبدأ "ينظم الشعر، وهو في حدود العاشرة، وكان فيه ميل غريزي لقراءة الكلام الفصيح، والتبحُّر في معاني الألفاظ الغريبة، التي يعثر عليها فيما يقرأه من الكتب"(٤).

ولعل هذا الميل الغريزي، هو الذي صرَفه، فيما بعد، إلى التعلُّق بدراسة المعاجم العربية، وعلم الصرف، الذي يُعَدُّ مفتاحها، ومطيَّتها، وفي هذا يقول (د. محمد الزركان): "لقد كانت ألفاظ المعجم

(١) ينظر: الجوانب اللغوية عند أحمد فارس الشدياق: ٤٠-٤١.
(٢) ينظر السابق: ٣٩.
(٣) ينظر: القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: ١٩.
(٤) بناة النهضة العربية: ١٧٢، وينظر: رد السهم للشهم: ١٠.

العربي شغله الشاغل، كما كانت كل لفظة يسمعها، تشغله؛ فلا يقبلها على علاَّتها، وإنَّما يردُّها إلى أصل مفهوم"[١].

وتمخَّض عن هذا الجهد الدؤوب، في سَبر أغوار هذه الألفاظ، إنتاج سِفرَين كبيرين، من أهم أسفار الدراسات اللغوية الحديثة، هما: الجاسوس على القاموس، وسرُّ الليال في القلب والإبدال، وقد ألَّفهما في وقت متزامن[٢].

ويعلِّق (إدوَرد فَنديك) عليهما بقوله: "سِرُّ الليال في القلب والإبدال، ط في ٦٠٠ صح، في (القسطنطينية) ١٢٨٤هـ، وهو عظيم الفائدة، لمعرفة اللغة، ومبني على ثلاثة مقاصد، حذا فيه حذو المحكَم لابن سِيده"[٣].

أمَّا كتابه (الجاسوس)، فيعلِّق عليه بقوله: "الجاسوس على القاموس، ط في (القسطنطينية) ١٢٩٩هـ، في ٦٩٠ صح، وهو انتقاد على خطأ (الفيروزآبادي)، في قاموسه المحيط، غير أنَّ كثيرين، من المتأخِّرين، المقلِّدين، لم يرضوا بما وجده (أحمد فارس)، من الخطأ في القاموس، وفي أي الحالات، فإنَّ (الجاسوس) هذا لا يخلو من الفوائد، في كشفه على بعض هفوات الفيروزآبادي"[٤].

إسهاماته في تيسير علوم العربيَّة:

أيُّ نهضة، لأيّ شعب، لا تصاحبها نهضة لغويَّة، هي نهضة مزيفة، ومنقوصة؛ إذ من أهم لوازمها، تطوير دلالات ألفاظها: اللغوية، والاصطلاحية، تطويرًا يؤسِّس لمجتمع مدني، راقٍ في استعمال مفردات لغته. وهذا الإصلاح يبني، بالضرورة، ثقافة أدبيَّة، وعلميَّة، وعقليَّة، تمكِّنها من اللحاق بركَب ثقافات الشعوب الأخرى: شرقًا، وغربًا[٥].

(١) الجوانب اللغوية: ٦٠.

(٢) ينظر السابق: ٣٤.

(٣) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: ٤٠٦.

(٤) السابق: ٤٠٦-٤٠٧.

(٥) ينظر: مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين: ٧.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وقد كان هذا الهاجس يؤرّق رواد النهضة اللغويَّة، في العالم العربي، منذ أواسط القرن التاسع عشر، غير أنهم اختلفوا في الأسلوب الإجرائي الناجع، المؤدِّي إلى تحقيق هذه النهضة، ومن أبرز هذه الأساليب:

١- أسلوب نشر (لغة الصحافة)، بين شرائح المجتمع العربي؛ بحيث تكون حلقة الوصل، بين الفصحى والعاميَّة؛ فتجعل من هذه اللغة، لغة سهلة التداول، يستسيغها العامّي، ويراها دانية إلى فهمه، والخاص لا ينكرها، ولا يضيق بها صدرًا(١).

٢- أسلوب (تيسير الكتاب اللغوي)، سواء أفي علم الصرف كان، أم في النحو، أم في البلاغة، أم فيما يُلحَق بها من علوم اللغة؛ على أن يرتكز أسلوب هذا التيسير، على سمات مجدية، تؤدِّي غرضها المقصود، من هذه النهضة اللغوية، لعل أبرزها: العرض الجيّد، والترتيب اليسير، والمقدار الملائم من المادة اللغوية المعروضة، وحذف التفصيلات الكثيرة، والخلافات، وما لا حاجة للتلاميذ به، مع مراعاة مستويات المتلقِّين؛ بأسلوب سهل ويسير، واستخدام الوسائل، وطرائق التدريس الحديثة، والأساليب التربويَّة، والنفسيَّة، واستخدام الفهارس المفصَّلة، والجداول الميسَّرة(٢).

ولم يغفل (الشدياق) عن استعمال الأسلوبين السابقين معًا، بيد أنَّه خصَّ الأسلوب الثاني، باهتمام خاص، تمثَّل في تأليفه مؤلَّفًا في علوم العربيَّة، وسمَه بـ(غُنيَة الطالب ومُنيَة الراغب- في الصرف والنحو وحروف المعاني) (٣).

وسيتناول هذا البحث دراسة الجانب (الصرفيّ) منه.

(١) ينظر مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين: ٢٧.

(٢) ينظر: الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة: ١١٥-١١٦.

(٣) أول طبعاته كانت في القسطنطينية (اسطنبول)، في (٢٧٨) صفحة. (ينظر: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: ٤٠٧).

المادة الصرفيَّة في الكتاب:

يصنِّف الدارسون المحدَثون كتاب (غُنية الطالب) في ضمن المختصرات، ذات الطابع التيسيريّ، والتعليميّ؛ يقول (جرجي زيدان): "هو كتاب مدرسيّ، في علم الصرف، والنحو"(١)، ويقول أيضًا: "غُنيَة الطالب: في الصرف، والنحو، للتعليم"(٢).

أمَّا (د. حسن منديل) فيصفه بقوله: "أحمد فارس الشدياق، في كتابه (غُنيَة الطالب ومُنيَة الراغب ١٨٧٧م) استخدم الطريقة التقريرية، سهلة الترتيب، والتبويب، والعَرض"(٣).

وما سبق، في وصف هذا الكتاب، يؤيِّده مؤلِّفه (الشدياق)، نفسه؛ إذ يصفه بأنَّه رسالة "سهلة الترتيب، واضحة التبويب"(٤). ويبيِّن القصد من تأليفه بقوله: "ما المقصود به سوى تسهيل العبارة، على قدر الإمكان، ولا سيَّما لمن كان غريبًا عن هذا اللسان، فإذا تمكَّن الطالب من قواعد اللغة العربيَّة الكلِّية، وأراد بعدها الوقوف على متفرِّعاتها الجزئيَّة، راجع فيها الكتب المطوَّلة، والشروح المفصَّلة"(٥).

غير أنَّ من يُنعِم النظر، في صفحات هذا الكتاب، ولاسيَّما في مادته الصرفيَّة، يجده لم يثبت في وصفه هذا، وإنَّما يجده، في كثير من مواضعه، يجنح إلى التفصيل، وبثِّ الفوائد، والشوارد الصرفيَّة، التي تعكس خبرته الطويلة، والغزيرة، في الاشتغال بهذا المجال، وهذا الأمر يجعل من هذا الكتاب كتابًا

(١) بناة النهضة العربية: ١٨٢.

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية: ١٤٦٢/٢.

(٣) الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة: ١١٧.

(٤) مقدمة (غنية الطالب): ٢. والجدير بالذكر أنَّ مادة هذا الكتاب، عمومًا، ومادته الصرفيَّة، خصوصًا، تعرضت للنقد، من أحد الدارسين المعاصرين للشدياق، وهو (سعيد الخوري الشرتوني)، المتوفَّى في (شرتون)، بلبنان، سنة (١٩١٢م=١٣٣٠هـ)، وصاحب معجم (أقرب الموارد) –الذي ألَّف كتابًا خاصًا بنقد كتاب (غُنيَة الطالب)، وسمَّه بـ (السَّهم الصائب في تخطِئة غُنيَة الطالِب لمحرِّر الجوائب)، غير أنَّ بعض المناصرين للشدياق رد على هذا الكتاب، كـ (يوسف الأسير)، المتوفَّى سنة (١٨٨٩م=١٣٠٧هـ)، برسالة صغيرة، وسمها بـ (رد السهم للشهم). وطُبع هذا الكتيِّب، في مطبعة (الجوائب)، بالأستانة العليَّة، سنة ١٢٩١هـ، في (٥٧) صفحة..

(٥) السابق: ٣.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

يحمل طابعَين: تعليميًّا، وعِلميًّا، على السواء. وسنحاول تجلِيَة هذا الأمر، حينما نحلِّل عددًا من مسائله الصرفيَّة.

اختيـارات (الشديـاق) الصرفيَّـة في (غُنيَـة الطالـب):

لم تكن شخصيَّة (الشدياق) الصرفيَّة، فضلاً عن اللغوية ولِيدة بضعة أيام، أو شهور، أو سنوات، وإنَّما استغرقت عصارة جُلّ عُمره، الذي نذره في خدمة لغة (الضاد)، وكابد من أجل عشقه إيَّاها، أشدّ مكابَدة!... يقول (د. الزركان): "من الجدير أن يُنوَّه بما للشدياق في مباحثه اللغوية من قوة ملاحظة، وجَلَد في الاستقراء، وهو أمر هامّ، في كل بحث علميّ، يضاف إلى ذلك ما وُهِب من قدرة على التحليل، والتأويل"(١).

ويقول في مكان آخر، مقرًّا بغلبَته، في الجانب اللغوي، بشقيه: المعجميّ، والصرفيّ، على الجانبين: النحوي، والأدبي: "لا بُدَّ لنا، من الإشارة، إلى أنَّ الشدياق تفوَّق، في الجانب اللغويّ، أكثر من الجانب الأدبيّ، ثم إنَّ مقدرته في اللغة غلبَت براعته في النحو، ممّا يوجب أن يُعَد من اللغويين لا من النحاة"(٢).

ويمكن القول: إنَّه، بهذا الجهد الفريد، الذي خصَّصه للدرس الصرفيّ، قد أغنى المكتبة اللسانية الحديثة، بالكثير من الآراء الصرفية القيِّمة، التي وُظِّفَت ، فيما بعد، في هذا الحقل المستجد؛ يقول (د. محمد عبد الدايم): "إنَّ الدرس الصرفيّ العربيّ، لم يحظَ بالعناية، التي حظي بها قسيمه النحو العربي، من الدرس اللغوي المعاصر؛ فبينما يوزّع الدرس اللغويّ، القائم على المفاهيم اللغويَّة المعاصرة، كثرة من التطبيقات العربيَّة، للنظرية النحوية، في طورها (التحويليّ التوليديّ)، وجملة من بحوث (لغويّات النص والخطاب)، يقف الصرف بمنأى عن مثل هذه الدراسات.... فقد أهملت النظرية (التوليديّة التحويليّة)

(١) الجوانب اللغوية: ١٦٢.
(٢) السابق: ٥٦.

الجانب الصرفي، في أول أمرها؛ إذ توفَّرت على دراسة المستوى (الفونولوجي)، مع كل من المكوِّن: النَظميّ، والدلاليّ، ولم يتّضح الجانب الصرفيّ للغة، في معالجات النظريَّة، إلاَّ في طورها الثاني، الذي تأخرت إليه بدايات معالجة الصرف، في إطار النظريّة (التحويليَّة التوليديَّة)" [(١)].

ويجدر بأن يقف الباحثان، على عدد من المسائل الصرفيّة، التي عالجها (الشدياق) في كتابه (الغنية)، ويوضّح موقفه منها. ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

أ- **دمجه عددًا من مسائل الصرف، في ضمن مسائل النحو**

لقد كان الدرس الصرفي، قديمًا، غير محدد المعالم؛ فكانت أبوابه ومسائله ترد مختلطة مع سائر علوم اللغة الأخرى، ويكفي تدليلا على ذلك (كتاب سيبويه)، و(أدب الكاتب- لابن قتيبة)، ونحوهما، ثم أدخلت مسائل هذا الدرس، في مراحل لاحقة، في ضمن الدرس النحوي، وحسب، فكان حد علم (النحو)، عند كثير من نحاة تلك الحقبة، يشمل معه علم (الصرف)، وفي هذا يقول (ابن الحاجب): "اعلم أن التصريف جزء من أجزاء النحو، بلا خلاف من أهل الصناعة، والتصريف – على ما حكى سيبويه عنهم- هو أن تَبنِي من الكلمة بناء، لم تُبنِه العرب على وزن ما بَنَتْه، ثم تعمل في البناء الذي بنيتَه، ما يقتضيه قياس كلامهم... والمتأخرون على أنَّ التصريف: علم بأبنية الكلمة، وبما يكون لحروفها من أصالة، وزيادة، وحذف، وصحة، وإعلال، وإدغام، وإمالة، وما يعرض لآخرها، مما ليس بإعراب ولا بناء، من الوقف، وغير ذلك"[(٢)]. و(للفاكهي) كلام شبيه بما ذكره (ابن الحاجب) [(٣)].

(١) نظرية الصرف العربي: ١٦. والطور الثاني للنظرية، هو الذي رافق نشر (تشومسكي) كتابه (مظاهر النظرية النحوية)، سنة (١٩٦٥م)، وفيه أحدث مصطلحًا جديدًا، وسمه بـ(الحالة) Case، وهو توضيح لمصطلح تقليدي، كان يدل، في بعض اللغات، على صيغ خاصة، ببعض الكلمات، التي تختلف كل صيغة منها، باختلاف الحالة التي يكون عليها هذا الاسم، في الجملة. (ينظر: نظرية تشومسكي اللغوية: ١٦٩).

(٢) شرح شافية ابن الحاجب: ١١/١.

(٣) ينظر: شرح الحدود النحوية: ٤٥.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وفي عصر النهضة اللغوية الحديثة، دعا عدد من الدارسين المحدَثِين إلى إعادة ربط بعض المستويات اللغوية ببعضها؛ فطائفة منهم دعت إلى ربط الدرس (الصوتي) بالدرس (الصرفي)، كـ (د. محمد خير الحلواني)، الذي دعا في كتابه (الواضح في علم الصرف)، إلى توسيع ميدان الصرف ليشمل ما اصطُلِح على تسميته، في اللسانيات الحديثة: المورفولوجيا Morphology. [(١)] و(د. ديزيره سقال)، في كتابه (الصرف وعلم الأصوات)، الذي سلك فيه المسلك نفسه.

في حين دعت طائفة أخرى إلى ربط الدرس (الصرفي) بالدرس (النحوي)، وهؤلاء يتصدَّرهم مؤلِّفو الكتب المدرسيَّة، ذات الطابع التعليميَّ، ككتابَي: (هداية الطالب إلى قواعد اللغة العربية)، لأحمد مصطفى المراغي[(٢)]، و(النحو الواضح في قواعد اللغة العربية- للمدارس الثانوية)، لعلي الجارم، ومصطفى أمين[(٣)]، ونحوهما؛ ففي هذين الكتابين، مثلاً، لم يسلك مؤلِّفوها ما سلكه أقرانهم، في هذه المرحلة، من تقسيم كتبهم على قسمين مستقلَّين، أحدهما لدروس الصرف، والآخر لدروس النحو، وإنَّما مازوا كتبهم بخلط دروس كلا المستويين بعضها ببعض، بطريقة مرتَّبة ترتيبًا منهجيًّا.

أمَّا (الشدياق) فقد اتبع في مؤلَّفه، عمومًا، طريقة فصل دروس الصرف، عن دروس النحو، وحروف المعاني. بيد أنَّه، من خلال تأمُّل مباحثه، الصرفيَّة، نجد أنَّه لم يلتزم منهجه هذا، وهو ما يبدو من إدخاله مسائل، في ضمن الدرس الصرفي، وحقُّها أن تكون في ضمن الدرس النحوي، ويمكن توضيحها في الآتي:

١-إدخاله باب (بناء الفعل وإعرابه) في سياق الكلام في بنية الفعل، ويظهر هذا في قوله: "الفعل الماضي يكون مبنيًّا، على الفتح، معلومًا كان، أو مجهولاً، والمضارع يكون مرفوعًا، إذا تجرَّد عن عامل يعمل فيه، فيغيِّره"[(٤)].

(١) ينظر: الواضح في علم الصرف: ٦.
(٢) من طبعاته القديمة التي ظفرتُ بها، طبعته (الثانية)، المطبوعة في (المطبعة الحديثة/القاهرة) في ١٣٤٤هـ= ١٩٢٥م.
(٣) أول طبعة منه كانت في أوائل الربع الثاني، من القرن العشرين. ينظر: الخلاف النحوي: ١١٨.
(٤) غنية الطالب: ٧.

٢-إدخاله باب (الفاعل)، حينما يكون مُضمرًا، في ضمن مسائل الصرف، وأوصلَه بالفعل (ضَرَب)، على أربعة عشر وجهًا.

ولعل هذا الإجراء ترك صدى متقبَّلاً، لدى عدد من الدارسين المحدَثِين، أمثال (د. تمام حسّان)، الذي جعل دلالة الضمير تتجه إلى المعاني الصرفيَّة العامَّة، التي أطلق عليها (معاني التصريف)، ورأى أن يُعبَّر عنها بـ(اللواصق)، و(الزوائد)، ونحوها، والمعنى الصرفيّ العام الذي يُعبِّر عنه الضمير هو عموم الحاضر أو الغائب(١). بل إنَّه أفرد (الضمير) في قسم مستقل من أقسام الكلمة العربيَّة، التي قسَّمها على سبعة أقسام (٢)، مخالفًا التقسيم الذي وضعه سلَفه، من النحاة للكلمة العربيَّة. (٣)

ووافقه في رأيه هذا (د. محمد عبد الدايم)، الذي اقترح أن تُعالَج مسألة تغيُّر صيغ المبنيّات، كالضمير، واسم الإشارة، والاسم الموصول، في ضمن الدرس الصرفي المستقل؛ إذ إنها من وجهة نظره، تغيُّرات صرفيَّة خالصة، تُقَوَّم على وفق الأجناس الصرفية المتصرِّفة(٤).

وعلى الرغم ممَّا يحمله هذا الرأي من بعض الوجاهة، ولا سيما أنَّ لكل من الموصولات الاسميَّة، وأسماء الإشارة، والمضمرات، عمومًا، بِنَى صرفيَّة، كبِنَى الأسماء المتمكِّنة، والأفعال المتصرِّفة-يبدو لي أنَّه يفتقر إلى سِمَة الجَمع والمنِع؛ ذلك أنَّ ما ذُكِر من ألفاظ إنما هي، في حقيقتها، كنايات عن أسماء: جامدة، ومشتقَّة، يُعبَّر عنها بألفاظ، أو حروف، موجزة، ترمز إليها. ولو وُسِّع هذا الباب، الذي

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٠٨

(٢) ينظر السابق: ٩٠، ١٣٣.

(٣) يُعِدُّ النُحاة (المضمرات) نوعًا من الكنايات، "وإنَّما أُتِي بالمضمرات كلها؛ لضرب من الإيجاز، واحترازًا من الإلباس... لأنَّك تستغني بالحرف الواحد، عن الاسم، بكماله، فيكون ذلك الحرف، كجزء من الاسم. وأمَّا الإلباس؛ فلأنَّ الأسماء الظاهرة كثيرة الاشتراك.... وإنما يزيل الالتباس منها، في كثير من أحوالها، الصفات... والمضمرات لا لبس فيها، فاستغنت عن الصفات؛ لأنَّ الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات، والأحوال المقترنة بها حضور المتكلِّم، والمخاطَب، والمشاهدة لهما، وتقدُّم ذكر الغائب، الذي يصير بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم". (شرح المفصل لابن يعيش: ٨٤/٣).

(٤) نظرية الصرف العربي: ٢٤-٢٥.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

سلكوه، لدخل فيه كل حروف المعاني؛ لأنَّ فيها من دلالات مباني التصريف، ما لم يغفل عنها النحاة، في مصنفاتهم، وانظر على سبيل المثال، مسألة (العِلَّة القياسيَّة في نصب اسم الحرف الناسخ)، في الكلام عن العلل الثواني، من العلل النحويَّة، التي أوردها (الزجاجي ت ٣٤٠هـ)، وغيره(١)، وكذلك (علة نصب المنادى بأداة النداء)(٢)، ومثله (علة نصب المستثنى بإلا)(٣)، ونحوها.

لهذا يبدو لي أن وضع النحاة هذه الكنايات في باب (الاسم المعرَّف)، الذي هو من مباحث الدرس النحوي، أجدَى وأسلم؛ لكونها تنوب عنه بالخصوص، والحصر.

٣-إدخاله باب (نائب الفاعل)، الذي هو من أبواب النحو، في باب (الفعل المبني للمجهول)، الذي هو من أبواب الصرف.

ويمكن ملاحظة ذلك في قوله: "(تنبيه) الاسم الذي يقع بعد الفعل المجهول، يُعطَى حكم الفاعل، وإن يكن مفعولًا في المعنى، نحو: ضُرِبَ زيدٌ، ويُضرَبُ..."(٤).

وهذه المسألة يُحمَل حكمُها على ما سبق ذكره؛ فيما يخص إدخال باب (الفاعل) المضمر، في مسألة بنية الفعل. وقد يفضِّل بعض المؤلفين الإشارة إلى ذكر (نائب الفاعل)، من باب توضيح اختلاف بنية الفعل المبني للمجهول، عن الفعل المبني للمعلوم، ونوع المسند إليه فيهما.

٤-إدخاله (لام الأمر)، الجازمة للفعل المضارع، في ضمن مباحث (الصرف)

وممَّا أدرجه في هذا الباب، كلامه في حركة (لام الأمر)، المتَّصلة بالفعل المضارع، في ضمن مباحث علم (الصرف)، على الرغم من أن هذه اللام تُحدِث أثرًا إعرابيًّا في الفعل الذي تدخل عليه،

(١) ينظر: الإيضاح في علل النحو: ٦٤، و: الرد على النحاة: ١٣٥.

(٢) يقول (الأنباري): "ذهب بعضهم إلى أنَّ العامل فيه النصب، بفعل مقدَّر، والتقدير: أدعو زيدًا، وذهب آخرون إلى أنَّه منصوب بـ(يا)؛ لأنَّها نابت عن: أدعو، وأنادي". أسرار العربية: ١٧٣.

(٣) نُقِل عن بعض النحويين، أنَّه جعل (إلاَّ) تعمل النصب، في المستثنَى بها؛ بمعنى (أستثني). ينظر السابق: ١٥٦.

(٤) غنية الطالب: ٢١.

وهذا الأثر يدخل في اختصاصات علم (النحو)؛ يقول: "حركة هذه اللام الكسر، و(سُلَيم) تفتحها، وإسكانها بعد الواو والفاء أكثر من تحريكها، نحو {**فَلْيستجيبُوا لي وليُؤمِنُوا بي**}[(١)]، وقد تُسكَّن أيضا بعد (ثُمَّ)، نحو: {**ثُمَّ لْيَقضُوا**} ...." [(٢)].

أمَّا من المنظور اللساني، فيمكن عد هذه اللام، لاصقة (سابقة)، تقوم مقام (المورفيم المقيَّد)، الدال على تحويل بنية الفعل المضارع، الدال على الحال، إلى فعل أمر؛ بجعل هذه اللام عنصرا تحويليًّا، من عناصر الزيادة [(٣)]، على الصيغة (التوليديَّة)، وهذه اللاصقة اتصلت بلاصقة (سابقة) أخرى، تقوم أيضًا مقام (المورفيم المقيَّد)، هي حرف المضارعة (الياء) في الأفعال: فَلْيَستجيبُوا، ولْيؤمِنوا، ولْيَقضُوا؛ وهي أيضًا عنصر زائد، حوَّل البناء التوليديّ، لهذه الأفعال، في البنية العميقة، من بنيتها على صورة الماضي، إلى بنية أخرى تدل على الحال، وتُوسَم بالفعل المضارع، التي تُعَدُّ عند اللسانيين (مورفيمًا حُرًّا)[(٤)].

ولأنَّ كل (مورفيم) يُزاد في التركيب، لابد من أن يرتبط ببؤرته (محور التركيب)، فإنَّ بؤرة المركَّب الفعلي (أحد ركني الجملة الفعليَّة)، هنا هي الأفعال: جاب، وأَمِن، وقَضَى، ويمكن تحليل هذا المركب في الآتي:

لام الأمر (عنصر تحويلي) + ياء المضارعة (عنصر تحويلي) + الفعل المجرَّد (عنصر توليدي)

(١) سورة (البقرة): ١٨٦.

(٢) غنية الطالب: ٢٤.

(٣) على الرغم من أنَّ عنصر (الزيادة)، مصطلح يستعمله التوليديون والتحويليون، في المستوى التركيبي، لا أرى أي مانع من أن توظَّف (عناصر التحويل) هذه، في البنى الصرفيَّة أيضًا؛ لوجود نوع شبه، بين مورفيمات الصيغة الصرفيَّة، التي تتألف وحداتها الصغرى من (الحروف)، ومورفيمات السياق التركيبي، التي تتألف من وحداتها الكبرى (الكلمات)!

(٤) يقسِّم اللسانيون (المورفيم) الظاهر، باعتبار بنائه على نوعين: أحدهما–حر Free morpheme، والآخر–مقيد Bound morpheme، ويُقصَد بالأول: الذي يقوم بالمصدر نفسه، من غير الحاجة إلى غيره، في حين يُقصَد بالثاني: الذي لا يقوم بالمصدر نفسه، بل هو في حاجة إلى غيره. (ينظر: اللسانيات–المجال والوظيفة والمنهج: ١١٧–١١٨)، أمَّا من يضيف المورفيم الصفري Zero morpheme، فإنَّما يعتبر، في هذا التقسيم، الجانب الدلالي؛ لأنَّ هذا المورفيم ليس له بنية متصوَّرة، في السطح (المتلفَّظ به)، ومن أمثلته (الضمير المستتر). ينظر: (اللسانيات–المجال والوظيفة والمنهج: ١١٠–١١١، و: دراسات في اللسانيات التطبيقية: ٤٥). ويمكن أن يُحمَل على الضمير المستتر، أي عنصر محذوف من السياق.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ولعل (الشدياق)، فطن إلى مفهوم (المورفيم المقيَّد)، في مرحلة مبكرة من مراحل تشكل الدرس اللساني الحديث، وهو ما جعله يُدخِل (لام الأمر)، الجازم للفعل المضارع، في الدرس الصرفي؛ بجعله من المورفيمات، التي تختص بالدخول على الفعل المضارع، الذي يُعَدُّ مورفيمه حُرًّا، مستقلاً بذاته، ويسهم في إتمام دلالة مورفيم الفعل.

ب-ميلُه **إلى عرض اختلاف العلماء في عدد من المسائل الصرفيَّة**

على الرغم من أنَّ (الشدياق) قد ترسَّم، في مؤلَّفه هذا، هدفًا واضحًا، هو "تسهيل العبارة على قدر الإمكان، ولا سيَّما لمن كان غريبًا عن هذا اللسان"(١)، نجده قد حاد عن هدفه هذا، في أكثر من موضع، واستحسن التوسُّع في ذكر آراء النحاة، في عدد من المسائل الصرفيَّة، نائيًا بذلك عن منهجه (التعليميّ)، الذي كان ينبغي أن يثبت عليه، من مبدئه، حتى منتهاه.

ومن أبرز هذه المواضع:

١-ذكره اختلاف الصرفيين في دلالة (همزة التعدية)

فصَّل (الشدياق) اختلاف الصرفيين، في هذه المسألة بقوله: "هذه الهمزة تكون، غالبًا، للتعدية، نحو: أخرَجَ زَيدٌ عَمرًا، وعن (سيبويه): إنَّ هذه الهمزة تنقل الفعل القاصر، فيصير متعدِّيًا قياسًا، وفي غيره سماعًا، وقيل: إنَّه كلَّه سماعيّ، وقيل: قياسيّ، وفي القاصر، وفي المتعدِّي إلى واحد فقط(٢)، وقال (الرضي)، في (شرح الشافيَّة)، لابن الحاجب، عند قول المصنف: وأفعل: للتعدية، غالبًا، نحو: أجلَسْتُه...إلخ. وليست هذه الزيادات قياسا مطَّردًا؛ فليس لك أن تقول، مثلاً، في ظَرُف: أظْرَف، وفي نَصَر: أنْصَر، ولهذا ردَّ على (الأخفش)، في قياس: أظَنَّ، وأحْسَبَ، وأخالَ، على أعلَمَ، وأرَى،

(١) غنية الطالب: ٣.

(٢) ينظر: كتاب سيبويه:٤/٥٥، ونص عبارته: "هذا باب افتراق (فعَلْتُ وأفْعَلْتُ) في الفعل للمعنى-تقول: دخَل وخرَج وجلَس، فإذا أخبرتَ أنَّ غيرَه صيَّره إلى شيء من هذا قلت: أخرجَه، وأدخلَه، وأجلسَه...".

وكذا لا تقول: نَصَّر، ولا دَخَّل، وكذا في غير ذلك، من الأبواب، بل يحتاج في كل باب إلى سماع استعمال اللفظ المعين...إلخ[(١)]، قلت: يُرَدُّ عليه أنَّ صاحب (العباب) روى: دَخَّل، ونصُّ عبارته: دخَّلَ التمرَ تدخيلاً، إذا جعله في الدَوخَلَة، وتدخَّلَ الشيءَ: دخَّل قليلاً قليلاً (أهـ)[(٢)]"[(٣)].

ولم يكن ليضيره شيئًا لو اختصر هذه العبارة، وقصرها في قوله: "هذه الهمزة تكون، غالبًا، للتعدية، نحو: أخرجَ زيدٌ عَمرًا. وليست زيادة هذه الهمزة قياسا مطَّردًا؛ فليس لك أنْ تقول، مثلاً، في (ظَرُف): أظْرَف، وفي (نَصَر): أنْصَر، وإنَّما يحتاج هذا النوع، من الأفعال إلى النقل عن فصحاء العرب".

٢–ذكره اختلاف الصرفيين حصر أوزان مصادر الفعل الثلاثي

يقول (الشدياق)، في تفصيل هذه المسألة: "فمصدر الفعل الثلاثي لا ضابط له؛ لكثرة أوزانه، وإنَّما يمكن أن يُقال: إنَّ أكثره يأتي على وزن (فَعْل)، و(فُعُول)؛ قال في (المصباح المنير): الثلاثي المجرَّد ليس لمصدره قياس ينتهي إليه بل أبنيته موقوفة على السماع؛ قال (ابن القوطيَّة): أو الاستحسان، وحكى عن (الفرَّاء): كل ما كان من الثلاثي متعدّيًا فـ(الفَعْل)، بالفتح، و(الفُعُول) جائزان في مصدره، لأنهما أختان[(٤)]"[(٥)].

وكان الأحرى به أن يحتفظ بمنهج الكتاب، التعليميّ، ويختصر الكلام، في عبارة واضحة، موجزة، كأن يقول: "فمصدر الفعل الثلاثي لا ضابط له لكثرة أوزانه، وإنما يمكن أن يقال: إن أكثره يأتي على وزن (فَعْل)، و(فُعُول)"، ويحذف عبارة (الفيُّوميّ)، التالية، التي استدل بها على كلامه.

(١) شرح شافية ابن الحاجب: ٦٢/١.

(٢) لم أجد من معجم (العباب الزاخر واللباب الفاخر) للصاغاني، في الشابكة، سوى خمسة أجزاء، مصورة بصيغة pdf، تشمل الكلمات المختومة بالحروف: الهمزة، والسين، والطاء، والغين، والفاء. وليس بينها، مع الأسف، الجزء الخاص بالكلمات المختومة بحرف (اللام).

(٣) غنية الطالب: ٧–٨.

(٤) المصباح المنير (الخاتمة): ٢٦٥.

(٥) غنية الطالب: ١١.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وبدلاً من أن يسرد آراء الصرفيين، في المسألة، كان يكفيه أن يورد عددًا من الأمثلة، التوضيحية، لعدد من مصادر هذه الأفعال؛ فهي أنفع للمتعلِّم، في مثل هذا الموضع.

٣-ذكره اختلاف الصرفيين في (النَسَب إلى المفرد وإلى الجمع)

يقول (الشدياق) مفصِّلاً آراء الصرفيِّين، في هذه المسألة: "إنَّ للمنسوب قواعد كثيرة أهمها: إنَّ البصريِّين لا يرون النَسب إلاَّ إلى واحد الجموع، إلاَّ إذا كان علَمًا، كـ(أنبار)، علَم لبَلدة، و(فرائض)، علَمًا للعِلم المشهور، وأنْ يُغلَّب على شيء حتى يُلحَق بالعلَم عليه، كـ(أنصاريّ)، جمع (ناصِر)، أو (نَصِير)، وأن تُقصَد النسبة إلى اللفظ، كـ(شُعُوبيّ)، قال (ابن بَرّي): كونه لا يُنسَب إلى الجَمع، قولُ البصريِّين، وهو المشهور، وخالفهم الكوفيُّون؛ فجوَّزوا النَسَب إلى الجمع مُطلقًا، كذا في (شرح دُرَّة الغوَّاص- للخفاجي)[(١)]. فكن على هذين الإمامين من المترجَمين؛ فإنَّ هذه الفائدة، الجليلة، خلَتْ عنها صُحُف الصرفِيِّين".[(٢)]

ويبدو أنَّه كان الأجدر به، أن يكتفي بالإشارة، إلى أنَّ النِسبة إلى الجَمع تكون بإفراده، إلاَّ في الحالات الخاصة، التي ذُكِرَت في كُتُب الصرفيين، ثم يعطِف على ما ذكره، بأنَّ طائفة من الصرفِيِّين أجازت النسبة إلى الجَمع، مُطلَقًا، ويستشهد بعدد من الأمثلة الفصيحة، وحسب.

أمَّا حَضُّه على الأخذ بقول (ابن برّي، ت ٥٨٢هـ)[(٣)]، و(الشهاب الخفَاجي، ت ١٠٦٩هـ)، فلم يبيِّن قصده تمامًا، من (الفائدة الجليلة)، التي نقلها عنهما؛ أهي مسألة الخلاف في جواز النسبة إلى الجمع، مطلقًا، أم نسبة هذا الخلاف إلى: البصريين، والكوفيين؟!

فإن كان قصده نقل تفصيل هذه المسألة، فهي مبثوثة في مؤلَّفات كثير من النحاة، والصرفيين، سواء في كتب المتقدمين منهم أو المتأخرين[(٤)].

(١) شرح دُرَّة الغَوَّاص في أوهام الخَوَاص: ١٩٨-١٩٩.

(٢) غنية الطالب: ٤٤.

(٣) ينظر: حواشي ابن برّي وابن ظفر على دُرّة الغوّاص في أوهام الخوَاص: المسألتان: (١٩٧)، و (١٩٨): ١٩٢-١٩٣.

(٤) ينظر (على سبيل المثال): شرح المفصل: ٦/٩-١٠، و: شرح الكافية الشافية: ١٩٥٨-١٩٥٩، وهمع الهوامع: ٦/١٧٠-١٧١.

أمَّا إن كان يقصد نسبة هذا الخلاف إلى نحاة المصرَين، فأغلب الظن أنَّه لم يَجِد عن الصواب(*).

جـ–إبراز **آرائه الخاصة في عدد من المسائل الصرفيَّة**

لم يكن (الشدياق)، في مواضع كثيرة، من كتابه هذا، مقلِّدًا، وسارِدًا، مَحضًا، لآراء أسلافه من الصرفيين، كما هي عادة الكثير من معاصريه، وممن سبقه، في هذا المجال، وإنَّما كان يميل، في أكثر من موضع، إلى إبراز عصارة قراءاته الواسعة، التي أنتجت، فيما بعد، آراء متفرِّدة، تشهد له بعلوّ كَعبه، في الجانب الصرفيّ... من هذه الآراء، على سبيل المثال:

١–ميله إلى إضفاء دلالة خاصة، بصيغة الفعل الثلاثي، المزيد بألف المفاعلة

من الدلالات المشهورة، لصيغة الفعل الثلاثي، المزيد بألف المفاعلة (فاعَلَ)، دلالته على اشتراك طرفين، أو أكثر، في إحداثه، بيد أنّ (الشدياق)، رأى أنْ يُضيف إلى هذه الدلالة، جَعْل المسند إليه، المتقدِّم في الرتبة، هو البادئ بإحداث الفعل؛ يقول: "يكون للمشاركة؛ وهو أن يشترك اثنان فصاعدًا، في فعل؛ فيفعل أحدهما بصاحبه ما يفعله الآخر به، لكنَّ المبتدئ بالفعل هو الأول، الذي يلي الفعل، وقد يكون بمعنى الثلاثي، نحو: سافَر، فإنه بمعنى السَفَر، وقاتلهم الله: أي قتَلَهم، وللمغالبة، نحو: ماجَدَ، وفاضَلَ؛ تقول: ماجَدَ زيدٌ عَمرًا فمجَدَه، أي: غَلَبه في المِجد، وفاضله ففَضَله، أي: غَلَبه في الفضل".(١)

ولعله استند، في اختياره هذا الرأي، إلى رأي ،(الجاربردي، ت٧٤٦هـ)، و(زكريا الأنصاري، ت ٩٦٢هـ)(٢)؛ على الرغم من أنَّ (الرضي الاسترابادي، ت٦٨٦هـ)، نفى أيَّ وجود لهذه الدلالة، قائلاً:

(*) الجدير بالذكر أنَّ (السيوطي)، في (همع الهوامع)، لم يخصّ الرأي الذي يجيز النسبة إلى الجمع، مطلقا–بالكوفيين. (ينظر: ١٧١/٦).

(١) غنية الطالب: ٤٤.

(٢) ينظر: شرح الشافية للجاربردي:٢٣٩/١، والمناهج الكافية في شرح الشافية للأنصاري: ٢٣٩/١، المطبوعان بهامش (مجموعة الشافية في علَمي التصريف والخط).

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
العدد الحادي عشر- جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - ديسمبر ٢٠٢١
ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

"اعلم أنَّه لا فرق، من حيث المعنى، بين (فَاعَل)، و(تَفَاعَل)، في إفادة كون الشيء بين اثنين فصاعدًا، وليس كما يُتَوَهَّم من أنَّ المرفوع، في باب (فاعَل) هو السابق بالشروع في أصل الفعل على المنصوب، بخلاف (تَفَاعَل)؛ ألا ترى إلى قول (الحَسن بن علي- رضي الله تعالى عنهما)، لبعض من خاصمه: سَفِيهٌ لم يَجِد مسافِهًا؛ فإنَّه (رضي الله عنه) سمَّى المقابل له في السفاهة مسافِهًا، وإن كانت سفاهته لو وُجِدَت* بعد سفاهة الأول، وتقول: إنْ شتَمْتَني فلا أُشاتِمُك، ونحو ذلك...".(١)

من خلال تأمُّل قول (الحسن بن علي بن أبي طالب)(٢) رضي الله تعالى عنهما، يبدو لي أنَّ تفسيره يمكن أن يحتمل معنى آخر، مغايرًا لما نَصَّ عليه (الاسترابادي)؛ هو أنَّ هذا السفيه، طبعًا، لم يجد من يجاريه في سفاهته؛ وبناء على هذا المعنى، المحتمَل، يمكن للمسافِه (بكسر الفاء) أن يُوقِع الفعل أولاً، بقصد استثارة حفيظة المسافَه (بفتح الفاء)، ثم يصير فعل المسافهة مشتركًا بينهما. وليس معنى ذلك، بالضرورة، أنَّ السفيه، الذي نفى المتكلِّم وقوع الفعل عليه، لم يكن متَّصفًا بالسفاهة، قبل أن يستفزَّه الفاعل بفعل المسافهة! وما قيل في هذا المثال يُحمَل عليه المثال الآخر: إنْ شتمْتَنِي فلا أُشاتِمُك.

بل إنَّ في القرآن الكريم، وهو الذروة في الفصاحة، من الأفعال المزيدة بألف المفاعلة، الدالة على بدء حدوثها من الفاعل-عددًا من الشواهد، منها على سبيل المثال، قوله تعالى: {**ولا تُقاتِلُوهم عِندَ المسجدِ الحرامِ حتى يُقاتِلُوكم فيه فإنْ قاتَلُوكُم فاقْتُلوهُم كذلكَ جَزاءُ الكافِرِين**}.(٣) فقد اتفق المفسِّرون على أنَّ معنى الفعل (لا تُقاتِلُوهم)، أي: لا تبدَؤُوهم بالقتال.(٤) وكأنَّ (الشدياق)، استلْهَم هذا المعنى، الوظيفي، منهم.

(*) لعل قصدَه: وإنْ كانت سفاهتُه لو وُجِدَت [فهي واقعة] بعد سفاهة الأول.

(١) شرح الشافية: ١/ ٧٣.

(٢) وُلِد في نصف رمضان، سنة ثلاث من الهجرة، وتُوفِّي بالمدينة سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: إحدى وخمسين، ودفن بالبقيع. (ينظر: تهذيب الأسماء واللغات: ١/١٥٨)، ولغته يُحتَجُّ بها، لكونه من أهل عصر صدر الإسلام.

(٣) البقرة: ١٩١.

(٤) ينظر: تفسير الطَبَري (جامع البيان في تأويل القرآن): ٢/٥٦٦، و: تفسير القُرطُبي (الجامع لأحكام القرآن): ٢/٣٥١، و: تفسير البحر المحيط: ٢/٧٤.

٢–رأيه في أنَّ الأفعال، المبنيَّة على صيغة (افْتَعَل)، أكثر ما تُستعمَل، في كلام العرب، متعدِّية

يعدِّد (الشدياق) مواضع استعمال الأفعال الثلاثيَّة، المزيدة بحرفَين، والمبنيَّة على (افْتَعَل)، بقوله: "أن يُزاد فيه همزة وتاء، فيصير على وزن (افْتَعَل)، ومضارعه: يَفْتَعِل، ويأتي لازمًا، بمعنى الثلاثي، نحو: ابْتَسَم؛ فإنَّه بمعنى: بَسَم، وللمطاوعة، نحو: جَمَع زَيدٌ المال، فاجْتَمَع، ولمجاراة الثلاثي المتعدِّي، نحو: جَذَب واجْتَذَب، وكَسَب واكْتَسَب، وهو كثير، خلافًا لمن زعم بقلَّته، بل هو أكثر من المطاوعة، يظهر ذلك لمن طالع كتب اللغة، ومنهم من جعله للمبالغة في الثلاثي، بناء على أنَّ زيادة الحروف، تكون زيادة في المعنى".[(١)]

ولعله قصد، من إيراد هذا الحكم، الرد على (ابن الحاجب)، وعدد من شُرَّاح شافيته، الذين رأوا أنَّ صيغة (افْتَعَل) تُستعمَل للمطاوعة، غالبًا[(٢)]، وهي من دلالات الفعل اللازم، أي إنَّ غيرها، من الاستعمالات، ترد قليلة، في كلام العرب. وليته أشار، ولو في هامش كتابه، إلى عدد من كتب اللغة، التي تؤيِّد حكمه، ولا يشفع له، أنَّه هدف من وضع مؤلَّفه هذا، أن يكون خاليًا عن التطويل[(٣)]، وهو قد حاد عنه، في كثير من مواضع كتابه؛ ولا سيَّما أنَّ مثل هذه الأحكام، تتَّصف بصفة (العِلميَّة)، وتحتاج إلى التدليل على صحتها، وليست مجرَّد قواعد (تعليميَّة)، يقاس عليها.

أمَّا قوله: "ومنهم مَن جعَلَه للمبالغة، في الثلاثي، بناء على أنَّ زيادة الحروف، تكون زيادة في المعنى"، فلعلَّه يقصد، ضِمنًا، (سيبويه)، من وافق رأيه من النحويين؛ الذين رأوا أنَّ في الفعل (اكْتَسَب)، معنى زائدًا، على معنى (كَسَب)؛ إذ يقول: "أمَّا (كَسَب)، فإنَّه يقول: أصَاب، وأمَّا (اكْتَسَب)، فهو التصرُّف والطلب، والاجتهاد بمنزلة الاضطراب".[(٤)]

(١) غنية الطالب: ١٠.

(٢) ينظر: شرح الشافية: ٧٨/١، و: شرح الشافية لنقرة كار (ت ٧٧٦هـ): ٢٤٥/١، و: المناهج الكافية في شرح الشافية لزكريا الأنصاري: ٢٤٥/١، المطبوعان بهامش (مجموعة الشافية في علمي التصريف والخط).

(٣) ينظر: غنية الطالب: ٢.

(٤) كتاب سيبويه: ٧٤/٤، وينظر: شرح الملوكي في التصريف: ٨٣. والجدير بالذكر أنَّ (الشدياق) يُعَدُّ أول القائلين، في عصر النهضة الحديثة، بأنَّ زيادة المبنى، في الكلمة، تدل على زيادة المعنى. (ينظر: الجوانب اللغوية: ٦١).

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وينقل (السمِين الحلَبيّ)، آراء النحاة والمفسِّرين، في قوله تعالى: {**لها ما كَسَبَتْ وعلَيها ما اكْتَسَبَتْ**}[(١)]، التي فحواها، أنَّهم اختلفوا على رأيين: أحدهما-يرى اختلاف دلالة كلا الصيغتين، والآخر-يرى دلالتهما على معنى واحد.[(٢)] أمَّا هو فقد رجَّح الرأي الأول؛ بناء على أنَّ الأدنى من أفعال الخير تكون للإنسان؛ تكرُّمًا من الله تعالى؛ لأنَّه من كَسبِه، بخلاف العقوبة؛ فإنَّه لا يؤاخذ بها، إلاَّ مَن جَدَّ فيها واجتهد، وهو القول الأظهر عنده.[(٣)]

نظرة اللسانيين المحدثين إلى الحروف الزائدة الواقعة في حشو البنية الصرفية:

من خلال مقابلة مصطلح (التصريف)، في الأفعال والأسماء، العربية، مع غيرها من اللغات الحية، نجد في هذه اللغات ما يشبه مفهوم هذا المصطلح، هو مصطلح (الحشو) Infix، الذي يعد أحد الأقسام الثلاثة، لتصريف الكلمة، فيها. أمَّا القسمان الآخران فهما: (السوابق) Prefix، و(اللواحق) Suffix. [(٤)]

ففي الإنجليزية مثلاً، نجد مظاهر التغيير في البنية الداخلية للكلمة، ترد في جمع عدد من الأسماء، كـ: Foot (قدم)، التي تجمع على Feet، و: Man (رجل)، Woman (امرأة)، اللتين تجمعان على: Men، Women [(٥)]. كما نجد طروء هذه التغييرات أيضا، على عدد من الأفعال المضارعة، حينما تصاغ على صورة الماضي، كالفعلين المضارعين: Teach،Bring ، اللذين يصاغان، في الماضي، بلفظ: Brought، Taught. بيد أن هذه التغييرات الداخلية، لهذه

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٢/٦٩٩-٧٠١.

(٣) ينظر السابق: ٢/٧٠٠-٧٠١.

(٤) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٨٧، و: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: ٨٥.

(٥) يرى بعض اللسانيين الغربيين أن مورفيم الجمع (Men)، يُدرَج في ضمن المورفيم الصفري (Zero morpheme)، الذي تُعَد دلالته، عندهم، غير ملفوظ بها، غير أن (د.استيتية) يرى أن هذا المورفيم كائن، لا من حيث وجود علامة الجمع، وإنما من حيث مخالفته المفرد (ينظر: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج: ١١٠)، وهو ما أميل أليه. بل إن دلالته ملفوظة في البينة السطحية؛ ويمكن التفريق بين مورفيم المفرد ومورفيم الجمع؛ من خلال تقصير حركة الفونيم (e) في مورفيم الجمع (Men)، والتلفظ بها كحركة الكسر في العربية، أمَّا مورفيم المفرد (Man)، فيُلفَظ بالفونيم (a) فيه، كحرف الألف الممدود، في العربية. وهذا التغيُّر في المورفيم، واقع في حشو الكلمة ((Infex).

الكلمات، في الإنجليزية، ليس لها صيغ محددة، مطردة، يمكن بناء مثيلاتها عليها، كما في العربية، وهو الذي يجعل الصرف العربي، من وجهة نظري، متقدمًا، في هذه الخصيصة، على نظائره من اللغات الحية المعاصرة.

وبناء على ما سبق نجد أن التغيير، الذي يحدث في حشو الكلمة، في عدد من اللغات الغربية (كاللغة الإنجليزية)، يصاحبه تغير في المعنى، شأنها في ذلك شأن التغير الذي يحدث في صيغ الكلمات العربية، كما مُثِّل سابقا بالفعل المبني على صيغة (افْتَعَل).

٣–ميله إلى إدخال مسألة الحروف التي تُزاد، في الرسم، ولا تُنطَق، في ضمن مباحث (الصرف)

تعد مسألة زيادة الحروف، ونقصها، في رسم الكلمة، من المسائل المدرجة، حاليًّا، في دروس (الإملاء). وقد كانت تدرج في مؤلفات النحاة القدامى –ولا سيما في خاتمة مؤلفاتهم–في ضمن باب (الخط)، الذي يرد مختلطا، إمَّا بالدرس الصرفي، لوحده، وإمَّا بالدرسين: النحوي، والصرفي، معًا.

أمَّا الشدياق فقد أدرجها في ضمن الدرس الصرفي، مقتديًا، بطريقة المتقدِّمين، من الصرفيين، كـ (ابن الحاجب)، وغيره. غير أنَّه انماز منهم، بأن أضفى على كتابه شيئًا من خبراته القرائية، في كتب التراث اللغوي، وعمله في نسخ الكتب، في بدء مشواره العلمي –في تأصيل كتابة هذه الهمزات، وإن خالفت القواعد الإملائية المشهورة.

فنجده، مثلًا، يناقش مسألة زيادة الألف في كلمة (مائة)، في ضمن حديثه عن أحكام رسم الهمزة المتوسطة في الكلمة! ويتجلَّى هذا في قوله: " للهمزة أحكام كثيرة، قد اختلف فيها أهل الرسم، وأكثر ما جرى الخلاف في رسمه، لفظة (مائة)، قال في (المطالع النصرية للمطابع المصريَّة) [*]: إنَّ الألف زيدت في (مائة)؛ للفرق بينها وبين (منه)؛ فإنَّ الهمزة في (مائة) تُكتَب ياء؛ لوقوعها مفتوحة، بعد كسرة، حتى يجوز نقطها، والنطق بها ياء حقيقة غيرة مشددة، كما في قول (زرقاء اليمامة): تَمَّ الحَمام مِيَة، فإذا كتبتَ: أخذتُ (مِيَة)، بلا زيادة ألف، اشتبهت بأخذتُ (مِنْه)؛ لأنهم كانوا أولا يتساهلون

(*) ينظر: قواعد الإملاء المسمَّى (المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطِّية): ١٨٧–١٨٨.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

بترك النقط، كما كان في المصحف أولًا، في عصر الخلفاء الراشدين؛ فجعلوا زيادة الألف لمنع الالتباس، ولكنَّهم أبقوها معها، عند التركيب مع الآحاد، في نحو (ثلثمائة، وستمائة)، وأخواتهما، بل أبقاها بعضهم في (مائتين) أيضًا، إلحاقًا للمثنى بالمفرد؛ لعدم تغيُّر الصورة، بخلاف الجمع نحو: مِئات، ومِئين، قال: وحُكي عن (أبي حيّان) أنه قال: وكثيرًا ما أكتب أنا (مِئَة) بلا ألف، مثل كتابة (فِئَة)؛ لأن زيادة الألف خارج (كذا) عن الأقيسة، فالذي اختار كتابتها بالألف، دون الياء، على وجه تحقيق الهمزة، أو الياء، دون الألف، على وجه تسهيلها. قال: وقد رأيت بخط بعض النحاة (مِأَة)، بألف عليها همزة دون ياء، وقد حُكي كتب الهمزة المفتوحة ألفًا، إذا انكسر ما قبلها، عن حُذَّاق النحويين، منهم (الفرَّاء)، رُوي أنَّه كان يقول: يجوز أن تُكتَب الهمزة ألفًا، في كل موضع. (انتهى)، فيكون لكتب (المائة) أربع صور، وهي هذه: مائَة، ومِأة، ومِئَة، ومِيَة، وقد رأيتها مكتوبة بخط (الصغاني)، و(الفيروزآبادي)، وغيرهما، مثل (فِئَة)".[(١)]

من خلال مناقشة (الشدياق) آراء المتقدمين من النحاة، في طريقة كتابة كلمة (مائة)، يبدو أنَّه يقف من آرائهم موقف الحياد، بدليل أنَّه خَلُص إلى أنَّ لهذه الكلمة أربع طرق في كتابتها، من غير أن يرجِّح أيًّا منها.

أمَّا غيره، من الدارسين المحدَثين، فعلى الرغم من تأثر عدد منهم، بما ذكره (الشدياق)، من آراء، نجدهم لم يقفوا على الحياد، كما فعل هو، وإنما رجَّحوا كتابتها من غير ألف.

فنجد (الغلاييني)، يصرّح برأيه في قوله: "من الفضلاء من يكتبها بياء، بلا ألف، هكذا: (مِئَة)، ومنهم من يكتبها بألف، بلا ياء، هكذا: (مِأة). ووجه القياس أن تُكتَب بياء، بلا ألف، وهذا ما نميل إليه. وإنما كانوا يكتبونها بزيادة الألف، يوم لم تكن الحروف تُنقَّط؛ كيلا تشتبه بكلمة (مِنه)، المركَّبة من (مِن) الجارة، وهاء الضمير، كما قالوا".[(٢)] والغريب أنه أورد هذه المسألة تحت عنوان (ما

(١) غنية الطالب: ٤٦-٤٧. وثمة مصادر نحوية وصرفية، ناقشت اختلاف رسم الهمزة في كلمة (مائة)، وعلة زيادة الألف فيها، منها على سبيل المثال: شرح المقدمة النحوية: ٤٣٩-٤٤٠، واللباب في علل البناء والإعراب: ٥٤٧، وشرح شافية ابن الحاجب: ٢٢٥/٣، وهمع الهوامع: ٣٢٦/٦-٣٢٧.

(٢) جامع الدروس العربية: ٢٧٨/٢.

يُكتَب ولا يُلفَظ)، في ضمن مبحث (الخط)، وهذا المبحث جعله في ضمن مباحث خمسة، تندرج في ضمن باب (الإعلال)، وهو من أبواب الدرس (الصرفي)!

أمَّا (عبد العليم إبراهيم)، فقد أورد مسألة رسم كلمة (مِائة)، في كتابه (الإملاء والترقيم في الكتابة العربية)، في ضمن دروس (الإملاء)، كما درج عليه رواد المنهج (التعليمي)، من الدارسين المحدَثين المختصين بالتأليف في علوم العربية. وعلَّق على هذه المسألة بقوله: "أرى حذف الألف المقحَمة في كلمة (مِائة)؛ إذ لا فرق في النطق بين (مِائة)، و(فِئَة)، و(رِئَة).

ولقد أدى إقحام الألف، بين أحرف (مِئَة)، إلى تحريف نطقها، في مجال التقدير العددي؛ إذ يقول كثيرون من الصيارف، ورجال الإحصاءات (ماية)، بنطق الألف، التي يرونها في الكتابة".[(١)]

وإلى رأي هذين المؤلفين أميل، فيما يخص كتابة كلمة (مِئَة)، بحذف الألف منها، لأنَّ وجودها، في الكتابة، حاليًّا، يؤدي إلى الوقوع في اللبس والغموض، في المعنى، وعدم وضوحه، الذي هو أبرز سمات العربيَّة الفصحى[(٢)].

٤–إبراز ذخيرته القرائية، في طريقة رسم الهمزة المتوسطة على الكلمة

ثم استطرد (الشدياق)، عقب إتمامه الكلام، في طريقة كتابة كلمة (مِئَة) –على غير عادة المؤلفين للمناهج التعليمية، الذين يؤثرون فيها اختصار المادة اللغوية–في الحديث، في طريقة قدامى النحاة واللغويين، لكتابة الهمزة المتوسطة في عدد من الكلمات؛ إذ يقول: "ورأيت في الخطوط القديمة، الصحيحة، (مَسْئُول)، و(مَشْئُوم)، بواوين: أولاهما–مهموزة، وكذا نحو (رُؤُوس)، و(شُؤُون)، ورأيت بخط (الفيروزآبادي)، و(الصبَّان)، لفظة (بقائِي)، وأمثالها، بهمزة وكسرة، بعد ألف، منفصلتين عن الياء، كما هي في المصحف. وكذلك اختلفوا في رسم (الهَيْئَة)؛ فأكثرهم يكتب همزتها بصورة ألف،

(١) الإملاء والترقيم في الكتابة العربية: ١٢٤.

(٢) ينظر: مواضع اللبس في العربية وأمن لبسها: ١٠، ١٨، مجلة (مؤتة)، للبحوث والدراسات، المجلد الثاني/العدد الأول (١٩٨٧م). والجدير بالذكر أن د.عبد الفتاح الحموز، مال في بحثه هذا، إلى حذف الألف من كلمة (مائة)؛ لأنها تعد، لديه، من مواضع اللبس في (الرسم الإملائي).

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وفي نحو (يَؤُول)، منهم من يكتبها هكذا، ومنهم من يكتب الهمزة بصورة ألف، وفي مثل (رِدْء)، إذا وقع منصوبًا، منهم من يجعل الهمزة على الألف، ومنهم من يضعها قبلها، ونحو (جُزئَين)، منهم من يكتبها هكذا، ومنهم من يكتب الهمزة بصورة ألف، ومنهم من لا يجعل لها صورة، إلى غير ذلك، مما يطول شرحه.

فلو أن الهمزة رُسِمَت، من الأصل، بصورة حرف مخصوص، لما نَشأ شيء، من هذا الخلاف الذي لا داعي له".[١]

من خلال ما أورده (الشدياق)، في النص السابق، نجده يكتفي بسرد ما اطلع عليه، في كتابات عدد من قدامى النحاة واللغويين، للهمزة المتوسطة في الكلمة، مُبدِيًا لومه إيَّاهم، في عدم توصلهم إلى طريقة توافقية، في كتابتها.

ولا يبدو لي أنَّ اتخاذه مسلك الاستشهاد بكتابة الكُتَّاب القدامى، يصلح لاتخاذه منهجًا علميًّا سليمًا، يُعتَدُّ به، في تقعيد الكتابة العربيَّة، عمومًا، وتقعيد كتابة همزاتها، خصوصًا، وإنما كان الأجدر به أن يُدلِي هو بدلوه، في التأصيل لطريقة، يسيرة مطَّردة لكتابتها؛ وذلك أنَّ الخط في جميع اللغات، يُعَدُّ وسيلة ناقصة، للتعبير عن الصورة السمعية الحيَّة، كما يذهب إلى ذلك علماء الأصوات من المحدَثِين.[٢]

وقد تنبَّه (ابن خلدون)، قديمًا، إلى هذه الميزة، بقوله: "كان الخط العربي، لأول الإسلام، غير بالغ إلى الغاية، من الإحكام، والإتقان، والإجادة، ولا إلى التوسُّط؛ لمكان العرب من البداوة والتوحش، وبعدهم عن الصنائع. وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف؛ حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مُستحكَمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم، ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها...".[٣]

(١) غنية الطالب: ٤٧.
(٢) ينظر: فصول في فقه العربية: ٤١٠.
(٣) مقدمة ابن خلدون: ٣٢٨.

ثم إنَّ إيراد (الشدياق)، طريقة (الفيروزآبادي)، و(الصبَّان)، في كتابة كلمة (بقائِي)، هكذا (بقاءِي)، بهمزة منفردة مكسورة بعد ألف المد، التي اتبعا فيها طريقة خط المصحف الشريف–تُعَدُّ مخالفة لما أصله النحاة والصرفيون، في مؤلفاتهم؛ من أنَّ خطَّه جاء مخالفًا لأقيستهم، التي هي الأكثر.(١) ولهذا قال (ابن درستويه): "خطَّان لا يُقاسان: خط المصحف، والعروض".(٢)

أمَّا قوله بأنَّه رأى في الخطوط القديمة الصحيحة (مَسْئُول)، و(مَشْئُوم)، بواوَين (مَسْؤُول)، و(مَشْؤُوم)، وكذا نحو (رُؤُوس)، و(شُؤُون)... لا أدرى علام اعتمد في تصحيح هذه الخطوط القديمة؟!

وليته بدلًا من انتهاج طريقته هذه، التي تعتمد، أساسًا، على تتبُّع طريقة كتابة المؤلِّفين، القُدامى، والمتأخرين، لمواضع الهمزات في الكلمة، انتهج طريقة قدامى اللغويين، والصرفيين ممن أصَّلوا لكتابة هذه الهمزات، بقواعد مَقِيسة، مطَّردة، رسموها للكُتَّاب، من بعدهم.

فـ (ابن قتيبة)، المتوفَّى في (٢٧٦هـ)، مثلًا، نجده يؤصِّل لطريقة كتابة الهمزة المتوسِّطة على الواو، والألف، بقوله: "مما اختلفوا فيه (مَؤُونة)، و(شُؤُون)، جمع (شَأن)، و(رُؤُوس)، و(رَجُل سَؤُول)، (يَؤُوس)، كتبه بعضهم بواوين، وبعضهم بواو واحدة، وكله حسَن".(٣)

كما أصَّل لطريقة كتابة الهمزة المتوسِّطة، بعد ياء ساكنة، والمختومة بهاء التأنيث، كما في كلمة (الهَيْئَة)، بقوله: "فإن كان قبل هاء التأنيث ياء، أو واو، أو ألف، حذفت الهمزة، نحو (الهَيْئَة)، و(السَوءَة)، و(الفَيْئَة)".(٤)

(١) ينظر: شرح المقدمة النحوية: ٤٠٦.

(٢) همع الهوامع: ٦/ ٣٤١.

(٣) أدب الكاتب: ٢٦٥.

(٤) السابق: ٢٦٧.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

أمَّا إن جاءت الهمزة متطرِّفة، منفردة، بعد حرف ساكن، ككلمة (رِدْء)، المنكَّرة، وما ينحو نحوها، في حالة نصبها، فقد أصَّل (ابن قتيبة)، طريقة كتابتها بقوله: "فإذا كانت في موضع نصب، منوَّن، ألحقتها ألفًا، نحو قولك: أخرجْتُ حَبْئًا، وأخذْتُ دِفْئًا، وبَرَأْتُ بُرْءًا، وقرأْتُ جُزْءًا".(١)

وأمَّا في حال مجيئها متطرِّفة، وتلَتْها علامة التثنية، فقد اكتفى (الشدياق)، بالإشارة، إلى أنَّ طريقة رسمها مُختلَف فيه، كما في كلمة (جُزْئَين)؛ إذ كتبها بعضهم على الياء (نَبْرة)، وبعضهم على ألف، وبعضهم تركها منفردة.

ومن خلال الوقوف على بعض مصادر الصرفيين القدامى، ك (ابن بابِشاذ)، المتوفَّ في (٤٦٩هـ)، نجده يؤصِّل لطريقة كتابتها، لكن ليس مع علامة التثنية، وإنما مع الضمائر المتصلة بها؛ إذ يقول: "فإن اتصل بهذه المتطرِّفة، المتحركة، ضمير، خرجت عن حكم الطرف، وصار حكمها حكم المتوسِّطة، في جميع ما ذكرناه، مثل: هو يَقرَؤُه، ولن يقرَأَه، ولم يقرَأْه، وهو يُقرِئُه السلام".(٤)

وبناء على ما سبق فإنَّ تأصيل قاعدة كتابة الهمزات، ونحوها من الأبواب، المندرجة في ضمن (علم الخط) قديمًا، أو ما اصطلح عليه (علم الإملاء) حديثًا، تبدو لي هي الأجدى للطالب المعاصر، ولا سيما في الكتب ذات الطابع التعليمي.

الخاتمـة:

من خلال دراسة هذا البحث يمكن التوصُّل إلى الآتي:

١. إنَّ مادة كتاب (غُنيَة الطالب ومُنيَة الراغب)، الصرفيَّة، خصَّها مؤلِّفها (أحمد فارس الشدياق)، للطالب المبتدئ، في دراسة اللغة العربية، ولا سيَّما لغير الناطق بها، أصلًا.

(١) السابق: ٢٦٧.

(٤) شرح المقدمة النحوية: ٤٢٧.

٢. على الرغم من أنَّ دروس (الصرف)، في هذا الكتاب صاغها مؤلِّفها، في عمومها، صياغة موجزة، فقد انحرفت صياغته عن هذا النهج، في عدد من المواضع، ومال إلى الإسهاب؛ إمَّا بنقل نصوص من كتب التراث الصرفي، وإمَّا بعرض الخلافات الصرفية بين الصرفيين، وإمَّا بعرض آرائه الخاصة فيها، وهو ما أكسب هذا الكتاب صفة علميَّة، إلى جانب صفته التعليميَّة.

٣. لم ينهج مؤلّف الكتاب طريقة المؤلِّفين المحدَثِين، في تأليف الكتب اللغوية، ذات الطابع التعليمي؛ فيما يخص الإكثار من التمارين التطبيقية، عقب كل درس، وهو ما جعل كتابه، من وجهة نظري، يفتقر لأهم جانب، يحتاج إليه الطالب المبتدئ، في دراسة العربية.

٤. على الرغم من إضافة المؤلِّف، على متن كتابه التعليمي، نصوصًا كثيرة، ليست ضروريَّة لمثل هذا النوع من المؤلَّفات؛ فإنَّ هذه النصوص أظهرت جوانب عميقة، من شخصية المؤلِّف العلميَّة، وبيَّنت مدى طول مراسه، وتفوُّقه، في هذا الفن، وهذا ما جعله يفوق الكثير من أقرانه، سواء ممَّن عاصره، أو ممَّن خَلَف عصره.

المصادر والمراجع:

١. إبراهيم، عبد العليم، الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، مكتبة غريب، مطبعة الفجالة، مصر، د.ت.

٢. الاسترابادي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي–بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.

٣. الأسير، يوسف، رد السهم للشهم الأستانة العليَّة: مطبعة الجوائب، ١٢٩١هـ.

٤. الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن محمد بن أبي سعيد (ت ٥٧٧هـ)، أسرار العربية، تح: بركات يوسف هبود، دار الأرقم بن أبي الأرقم–بيروت/لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٥. الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، المناهج الكافية في شرح الشافية، المطبوع بهامش (مجموعة الشافية في علَمي التصريف والخط)، تح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت/لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ= ٢٠١٤م.

٦. ابن بابَشاذ، طاهر بن أحمد (ت ٤٦٩هـ)، شرح المقدِّمة النحوية، تح: د. محمد أبو الفتوح شريف، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية، ١٩٧٨م.

٧. الجاربردي (ت ٧٤٦هـ)، شرح الشافية المطبوع بهامش (مجموعة الشافية في علَمي التصريف والخط)، تح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ= ٢٠١٤م.

٨. الجياني، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي (ت ٦٧٢هـ)، شرح الكافية الشافية، تح: د.عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م.

٩. حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٩٤م.

١٠. حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م.

١١. الحلواني، محمد خير، الواضح في علم الصرف، دمشق: دار المأمون للتراث، ط٤، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

١٢. حواشي ابن برّي وابن ظفر على دُرّة الغوّاص في أوهام الخوَاص، تح: د. أحمد طه حسانين سلطان، مطبعة الأمانة-القاهرة، مصر، ط،: ١٤١١هـ= ١٩٩٥م.

١٣. أبو حيّان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط، (ت ٧٤٥هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوَّض، وزكريا عبد المجيد النوتي، وأحمد النجولي الجمل، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميَّة، ط١، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

١٤. الخفاجي، أحمد شهاب الدين (ت ١٠٦٩هـ= ١٦٥٨م)،شرح دُرَّة الغَوَّاص في أوهام الخَوَاص القسطنطينية، مطبعة الجوائب، ط١، ١٢٩٩هـ.

١٥. ابن خلدون، عبد الرحمن (٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، المطبعة الخيرية، القاهرة، مصر، ط١، ١٣٢٢هـ.

١٦. خليل، حلمي، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية–الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٣م.

١٧. الزجاجي، أبو القاسم (ت ٣٤٠هـ)، الإيضاح في علل النحو، تح: د. مازن المبارك، دار النفائس، د.ت.

١٨. الزركان، محمد علي، الجوانب اللغوية عند أحمد فارس الشدياق، دار الفكر–دمشق، سورية، ط١، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

١٩. الزركلي، خير الدين، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين–بيروت، لبنان، ط١٤، شباط/فبراير ١٩٩٩م.

٢٠. زوين، علي، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة–بغداد، العراق، ط، ١٩٨٦م.

٢١. زيدان، جرجي، بناة النهضة العربية، دار الهلال، د.ت.

٢٢. زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، ٢٠١٣م.

٢٣. ستيتية، سمير شريف، اللسانيات–المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، ط١، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٥م.

٢٤. سقال، ديزيره، الصرف وعلم الاصوات، دار الصداقة العربية–بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٢٥. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف المعروف (ت ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم-دمشق، سورية، د.ت.

٢٦. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، كتاب سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

٢٧. السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد السلام محمد هارون ود. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة-بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ= ١٩٩٢م.

٢٨. الصاغاني، حسن بن محمد (ت ٦٥٠هـ)، العُباب الزاخر واللباب الفاخر، تح: د. فير محمد حسن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط١: ١٣٩٨هـ= ١٩٧٨م.

٢٩. الطبري، محمد بن يزيد (ت ٣١٠هـ)،تفسير الطَبَري (جامع البيان في تأويل القرآن) تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م.

٣٠. عبد التواب، رمضان، فصول في فقه العربية، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٦، ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.

٣١. عبد الدايم، محمد عبد العزيز، نظرية الصرف العربي دراسة في المفهوم والمنهج، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة (١٥٨)، الحولية الحادية والعشرون، مجلس النشر العلمي (جامعة الكويت) –الكويت، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.

٣٢. العصيمي، خالد بن سعود بن فارس، القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار التدمُرِيَّة، ط٢، ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م.

٣٣. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين البغدادي (ت ٦١٦هـ)،اللباب في علل البناء والإعراب، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، مصر، ط١: ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٩م.

٣٤. العكيلي، حسن منديل حسن، الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة، دار الضياء للنشر والتوزيع–عمّان/ الأردن، ط١: ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م.

٣٥. الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، اعتنى به: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة ناشرون–بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.

٣٦. فارس، أحمد (ت ١٣٠٥هـ= ١٨٨٧م)، غُنية الطالب ومُنية الراغب (في الصرف، والنحو، وحروف المعاني). مطبعة الجوائب بالأستانة العليَّة، ط٢، ١٣٠٦هـ.

٣٧. الفاكهي، عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد (٩٧٢هـ)، شرح الحدود النحوية تح: محمد الطيب الإبراهيم، بيروت، دار النفائس، ط١، ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م.

٣٨. فنديك، أدورد، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، صححه: محمد علي الببلاوي، الفجالة، مصر، مطبعة التأليف (الهلال)، ١٣١٣هـ= ١٨٩٦م.

٣٩. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي ، المصباح المنير، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.

٤٠. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، أدب الكاتب، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة–بيروت، لبنان، د.ت.

٤١. القرطبي، عبد الله بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)،تفسير القُرطُبي (الجامع لأحكام القرآن)، دار إحياء التراث العربي–بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.

٤٢. كار، نُقْرَة (ت ٧٧٦هـ)، شرح الشافية المطبوع بهامش (مجموعة الشافية في علَمي التصريف والخط)، تح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية–بيروت، لبنان، ١٤٣٥هـ= ٢٠١٤م.

٤٣. ليونز، جون، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق: د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية–الإسكندرية، مصر، ط١، ١٩٨٥م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٤٤. ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ)، الرد على النحاة، تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٨٢م.

٤٥. مواضع اللبس في العربية وأمن لبسها، مجلة (مؤتة)، للبحوث والدراسات، المجلد الثاني/العدد الأول (١٩٨٧م)

٤٦. موسى، محمد عطا، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، دار الإسراء-عمان، الأردن، ط١: ٢٠٠٢م.

٤٧. النووي، محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، د.ت.

٤٨. الهوريني، نصر، قواعد الإملاء (المسمَّى: المطالع النَصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطِّية)، تح: د. عبد الوهاب محمود الكحلة، مؤسسة الرسالة-بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.

٤٩. يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ)، شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب، د.ت.

٥٠. يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ)، شرح الملوكي في التصريف، تح: د. فخر الدين قباوة، مطابع المكتبة العربية بحلب-حلب، سورية، ط١، ١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م.

صورة الإعاقة والمعاق في المدونات الشعبية لسالم مرزوق أبو جابر بلحاف

أ.د. أمين عبد الله محمد اليزيدي(*)

ملخص:

يحضر اسم سالم مرزوق أبو جابر في الفعاليات الثقافية والأدبية في المهرة لركيزتين في تصور الباحث: الأولى: كونه شاعرا حرص على المشاركة في الفعاليات المختلفة.

الثانية: أنه معاق حركيا. والركيزة الثانية أبرزت قدرات الشاعر وتجاوزه للنظرة القاصر للمجتمع تجاه المعاق كما أن الشاعر بث ذلك كثيرا في مدوناته، وهو ما يؤكد صدور الشعر عن باعث مقامي ونفسي ينعكس في تصوير الشاعر، وقد كشفت الدراسة حرص الشاعر على تصوير الإعاقة ورفضها في الوقت الذاتي متحديا ذاته والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: صورة، الإعاقة المعاق، مدونة شعبية.

The Image of Disability and the Disabled in the Folksy Publications of Salem Marzouq Abu-Jaber Balhaaf

Abstract:

In the researcher's perception, the name Salem Marzouq Abu-Jaber presents itself in the cultural and literary events in

(*) أستاذ الأدب والنقد – جامعة حضرموت.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

Al-Mahrah because of a two-fold underpinning. The first, him being a poet who was keen to participate in various events.

While the second is him being physically disabled. The second underpinning manifested the poet's capabilities and his coping with the society's trivial attitude towards the disabled. The poet also broadcasted this abundantly in his publications, which confirms the poetry's production from a contextual and a psychological motive reflected in the poet's depiction. The study revealed the poet's keenness in depicting disability and rejecting it, at the time of the text's scrutinization, challenging himself and the society.

Keywords: Image; Disability; Disabled; Folksy Publication.

مقدمة:

ارتبط الشعر بالكينونة العربية، وكان الشاعر مُعبِّرًا عن بيئته ومتأثِّرًا بمحيطه ومؤثرًا فيها، ولعل من أبرز المؤثرات التي تلازم الإنسان أثر الإعاقة؛ كون الإعاقة أمرًا ملازمًا لا يمكن الفِكَاكَ مِنهُ.

ولأن الإعاقة مما يغير الوظائف الطبيعية لأعضاء الإنسان أو تصرفاته، ومن ثم فقد يُنظَر إلى المعاق على أنه أقل قُدرة من غيره؛ هذه النظرة السلبية قد تدفع إلى الإحباط والانطواء، أو إلى تَقَبُّل العطف والشفقة، غير أنها لدى آخرين تدفع إلى التحدِّي والانطلاق وفقًا للقدرات المتاحة. وهؤلاء الذين يتجاوزون نظرة المجتمع المشفقة عليهم وينطلقون في حياتهم يغلب عليهم الإبداع أكثر ممن يُنظر إليهم على أنهم أسوياء، ولو تأمَّلنا بشار بن برد، والمعري، لوجدنا أن إبداعهما فاق إبداع الأسوياء في

كثير مما يتطلَّبُ حاسة البصر لاسيما في إبداع الصورة الفنية، وفي العصر الحديث نجد البردوني قد ملأ الساحة الفنية والأدبية، وأضحى منارا يُهتدى به وكأنَّهُ مدرسةٌ يُنسب إليها أسلوبٌ ما مِن الشعر.

وفي المهرة يحضر اسم الشاعر سالم مرزوق أبو جابر بوصفه شاعرًا يتحدَّث باسم المعاقين وهو أحدهم، فهو مُعاق إعاقة بدنية تمنعه من الحركة الطبيعية من غير مساعدة العكاز.

ومن هنا، كان سبب اختيار الموضوع للدراسة؛ للنظر في صورة الإعاقة وأثرها في شعر سالم مرزوق أبو جابر، من خلال مدونة: إعاقتي سرُّ ابتسامتي، ومن مدوَّناتِهِ المرسلة عبر وسائط التواصل (الواتساب) أو المخطوطة الورقية التي أرسلها إليّ.

وتهدف الدراسة إلى:

- بيان صورة الإعاقة في شعر سالم مرزوق أبو جابر.
- بيان أثر الإعاقة في شعر سالم مرزوق.

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي مسترشدًا بالسيرة الذاتية للشاعر والولوج إلى لغته، وانعكاس جو النص في النص. ولأن هذا لم يكن كافيا؛ لذا فقد استعان الباحث بتوظيف معطيات الدراسة البَيْنِية، فجاءت الدراسة مزاوجة بين الانطلاق من السيرة الذاتية وجو النص إلى النص، ومن النص بوصفه نصًّا لغويًّا، فضلا عن المعطيات الخارجية بوصفها مؤثرات قد تنعكس في اللغة الأدبية.

وعلى هذا، ستنظر الدراسة إلى أثر الإعاقة في شعر سالم مرزوق أبو جابر من منطلقات هي:

- منطلق بيني، وهو النص ذاته؛ ويتمثل في دراسة لغة النصوص ومعجم الشاعر.
- منطلق خارجي، وهو طبيعة الشاعر. وحياته وما يتصل به في نشأته وثقافته.
- منطلق مقامي، وهو موقف إبداع النص، المتمثل في مناسبته وجوه العام.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

القسم الأول. التعريف بالشاعر:

هو سالم محمد مرزوق بلحاف من مواليد ١٩٧٧م بالغيضة، وهو ممن ابتلاه الله بالإعاقة الجسدية فهو غير قادر على الحركة الطليقة بقدَمَيْه، مُستنيرُ الفكر طَموحٌ إلى المعالي[١].

ولعلنا، من مجمل مشاركاته الاجتماعية، ندرك مستوى طموحاته، ومدى تطلعاته للارتقاء بنفسه، فهو:

- رئيس جمعية المعاقين حركيا.
- مدير مركز الشفاء للعلاج الطبيعي.
- رئيس تحرير صحيفة تقودر (محلية)
- رئيس نادي الإرادة للمعاقين حركيا.
- رئيس فريق يروب الرياضي الثقافي.
- عضو في اللجنة الشبابية للمجلس العام لأبناء المهرة و سقطرى.

ومن مدوناته يظهر أنه متقد الذهن؛ فهو يُشجع فريق منطقته لكرة القدم، ويشاركهم أفراحهم، وهو يتغزل غزلا تتمثل فيه الصور البديعة والمعاني الدافئة الدافقة، فضلا عن عنايته بزملائه المعاقين وتحفيزهم، ولا ينسى أن يحفز ذوي الإعاقة في مواصلة التعلم وعدم الركون إلى اليأس.

شعره ومشاركاته:

- صدر له ديوان: إعاقتي سرُّ ابتسامتي، ٢٠١٤م، وديوان: العكاز الطائر، ٢٠٢١م.
- نشر له في ديوان الشعراء اليمنيين قصائد عديدة ضمن فعاليات صنعاء عاصمة الثقافة العربية.

(١) زرته ذات يوم في مكتبه فاستقبلني بتلك الابتسامة العريضة المرحبة والشغوفة بالحب والعمل والفكر الطموح، وفي أثناء جلوسي معه دخل علينا مجموعة من الشباب العاملين في مجال التدريب، كان قد تواصل بهم ليقوموا بتقديم أفكارهم ودوراتهم التدريبية في مركز جمعية المعاقين حركيا.

- كما غنَّى له عدد من الفنانين في المهرة وعمان.
- له مشاركات عديدة في مناسبات مختلفة، ومنها:
- مهرجان التراث الأول بالمهرة.
- مهرجان التراث الثاني بالمهرة.
- شارك في العديد من الأمسيات الشعرية في المهرة وسلطنة عمان.

يقول من قصيدة له، بعنوان "تاج الدول"، وقد شارك بها في الأمسية الشعرية لمهرجان المهرة التراث الثقافي الثاني[1]:

سلام يا مهرة، ويا تاج الدول يا قلعة التاريخ يا كِنْ الظلال
يا هيبة الأبطال وعرين البطل يا موطن الشجعان ورجالك رجال
من هيبتك غنيت نظمت الجمل هوجاسيَ الثائر ببحر الشعر جال
تستاهلي يا ديرتي يا أغلى محل يا اللي سكنتي في الضمائر والخيال
يا منبع الأمجاد من ماضٍ أفل تاريخكي محفور باقي لا يزال
يا شامخة يا العالية فوق الجبل متربعة فوق العوالي والجبال
هذا سلامي وصل لك يا المحتفل وأيضا سلامي لراعي الاحتفال
تراثنا فخر ومهابه مكتمل منذ القدم نتوارثه يا رأس مال
مهما تطورنا وكل خاطر ذَهَلْ والكمبيوتر قد ظهر والسنترال
والطائرة أطنان أثقالي تَشِلْ وترتفع فوق السماء عالي وعال
وبضغطة الجوال نكلم متصل لو هو على المريخ نسمع ويش قال!
ونشاهد التلفاز والصورة تصل نطوي المسافات البعيدة والطوال

(١) المهرة ذكريات وخواطر وأشجان: ٢٤٥.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

أبقى على موروثي ما أبدِّلْ بَدَلْ ... وعاداتنا ما تنتسي، هذا محال
شامخ شموخ الرأس يوصل زُحَل ... نغرف من الحاضر ومن ماضي زلال
الود للغيضة يا تاج الأمل ... والود يا حوف الخضيرة والجمال
والود يا فَرْتَكْ وحِصْوِينَ الثقل ... والود يا قِشْن العَرَاقة والثقال
والود يا حَات الفريعة بالدَّبَلْ ... والود يا مَنْعَر عدد ما سَيْل سَال
والود يا حيريج بسيحوت المُقَل ... والود يا وادي المسيلة والتلال
والود يوصلها بعطورٍ وفُلْ ... ديرة شِحِنْ أُمَّ الصحاري والرِّمَال
والحب للمهرة يا تاج الدول ... احتلني رغبة بلا حرب وقتال

ويقول[1]:

سربُ الأحاسيسِ الدفينة طوابير ... وبوح الهواجس السهيرة معانات
من عمق خفاقي صدور التعابير ... بسطورها تحكي آلاف الحكايات
ترضيك أو تغضبك طيري أنا طير ... كلمة مشاعر عطرها كالنسيمات
اقرأ معاناتي سطورًا ومحابير ... ترسم لك الواقع، ولا هي خيالات
بليلة سَوَالِفَكْ تنام المغاوير ... وأنا سهير الليل والجفن ما بات
أتخيلك قُدَّام عيني بتصاوير ... كثر الشعور، يزيد في القلب نبضات
كلك حلا والزين سيد الغنادير ... لو ما رأتك العين ترسمك لوحات
الطيب دربك لو تطول المشاوير ... والعز تاجك والعلا والمنيفات
يا ريتهم صاروه أسودك مساهير ... بسنة نبي الله عليه الصلاوات

(١) المهرة ذكريات وخواطر وأشجان: ٢٤٥

أوقـف ومـن حـولي شـيوخٍ بـواكير وطـاب يومـك بالهنـاء والمسـرات
ودِّي بـردَّك وذا حظـوظ ومقـادير يا سـعدها إن قلـت صـوب المحطـات
ويا غـبن حظـي إن خـذلت التفـاكير بعـيش عمـري تائـهٍ في متاهـات
قبلي العرب يحكون أحلى الأساطير وحكـايتي تأتيـك مـن شـعر أبيـات
في انتظـارك لـو علـى الجمـر باسـير يا الله تجيـني منـك أحلـى الإجـابات

وعلى طريقة أداء الأغاني والموشحات يقول في المضمون الوطني[1]:

غنيـت لـبلادي رددت إنشـادي
فخـري وأمجـادي أعيـاد ثورتنـا
فخـري بسـبتمبر عـزّي بأكتـوبر
مجـدي بنـوفمبر يا رمـز عزَّتْنَـا
يا مـوطني الـوافي لـك ود بخـوافي
في عـز وعـوافي تعـيش أمتنـا
نفـداك يا الغـالي بـروح والمـالي
يا حلـم آمـالي ع الغـيم رايتنـا
مـن يـوم مـيلادك شـامخ بأمجـادك
وفي كـل أعيـادك اتزيـد فرحتنـا
يا ملقـن الأعـداء درسـن ولـن ينسـاء
تحيـة للشـهداء أبطـال سـيرتنا

(١) رسالة بالواتساب بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ٢٠٢٠م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

مرفوعة أعلامك وأناشيد أنغامك
بتيجان أوسامك تبقى وإنْ مِتْنَا

ويقول متحسرا[١]:

العروبة قوم في الواقع غُثاء صفرها معلوم في عهد الحداثةْ
ما مع العربي سوى شعر الرِّثَاء دُوم يتحسَّفْ ويِتْذَكَّرْ تُرَاثَه

ويقول في إعصار لبان[٢]:

يا منشي الأمزان والريح العصوف احفظ بلادي من شرور العاصفة
أنت الرحيم أنت القدير أنت الرؤوف رب البشر.. والغيب أنته عارفه
اجعل مزون (لبان) والسيل الدكوف تسقي أراضينا، وتصبح. قاطفه
تزهر أفانين البوادي والريوف وبلادي المهرة خضيرة عازفه
تصبح جنائنها، كما جاذب وحوف فِيِنِي تثير الشوق وكل العاطفة

وفي قصيدة غنائية، مهداة لنادي الأخوين، ألحان وغناء الفنان توفيق نهيان، يقول[٣]:

نعم الأخوين يستاهل محقق حلم جمهوره
رفع كاسه وتقديره على الهامات ومسيره
تصفق له جماهيره مشرف لعب بحضوره
نعم الأخوين يستاهل محقق حلم جمهوره

(١) رسالة بالواتساب بتاريخ ٨/ ١١/ ٢٠٢٠م .
(٢) رسالة الواتساب بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ٢٠٢٠م.
(٣) رسالة الواتساب بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ٢٠٢٠م

مميـــز بكـــل جولاتـــه ونفخـــر في بطولاتـــه
علـــى أمجـــاد راياتـــه ترفـــرف دوب مشـــهوره
نعـــم الأخـــوين يســـتاهل محقـــق حلـــم جمهـــوره
مهـــارة وفـــن بنجومـــه وســـط ودفـــاع وهجومـــه
نعـــم الأخـــوين ذا يومـــه زعـــيم وســـيد الكـــوره
نعـــم الأخـــوين يســـتاهل محقـــق حلـــم جمهـــوره
يـــروب العـــز لـــه غنـــت وأرض الفَيْـــدَمِي هنَّـــت
وشـــفت الحصـــن بـــه زانـــت ومونـــغ فيـــه مســـرورة
نعـــم الأخـــوين يســـتاهل محقـــق حلـــم جمهـــوره
ممثـــل ديـــرت المهـــرة وميـــدان النصـــر فخـــره
إلى القمَّـــة إلى الشُّـــهرة مقـــدِّم أفضـــل الصـــورة

ويقول متغزلا[1]:

يا بـديع المعـاني، ذيـع، حلـو الوصـائف زينـت، الكـون شمسـه ضـيء كـل النـواظر
حـي، شـوف المهيبـة حـي شـوف المنـيرة مـن ضـياءها خلائـق والنـواظر بصـيره
كامـل، الـزين زينـه والوصـائف مثـيره مـا خلـق مثـل شمسـه في الفـلا والبنـادر
ملكـه الحسـن والـزين في حضـوره وشـوفه كـم عيـون الخلقيـة مذهلـه بـه شـغوفه
يسـكن ليـل رمشـه وضـحى في كفوفـه والشـموس المُضـية مـن جبينـه تنـاظر
زاهـي، القـد زاهـي والخطـاوي فريـدة ونغـم في، كلامـه مثـل سـبك القصـيدة

(١) رسالة بالواتساب بتاريخ ٨/ ١١/ ٢٠٢٠م

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

خشم سيف المهلهل والفوارس شهيدة ... لو تخوض، المعارك بسيوف وخناجر
كالقمر في طلوعه تاج نور المداره ... للمهابة عناوين والكرم هي شعاره
في بنات العرب شمسه تحوز الصدارة ... صفها في الأوائل يا عيون وخواطر
حقها الفخر والعز والبها والتباهي ... نادر الجيد فيها والمصور إلهي
والنسب له بيارق من سلالات دواهي ... بنت، سالم أصيله رمز كل المفاخر

ويقول[1]:

يا جزيل الفرائد ترجمان المشاعر ... في بنات العرب رياد قمَّة وروعةْ
ايه الحسن مرسومه وخلقه بديعه ... معجزة بالوصائف لو حروفي تذيعه
في سباق المحاسن صفها في الطليعه ... غصب تأخذ نياشينه وتأخذ دروعه
في حضوره مهابه كالملك في قصوره ... مجلسه به تغنى، والهناء في حضوره
الخلائق سميعه راي، والشور شُوره ... لو أمر بالإشارة تحت أمره وطوعه
المباسم بروقي تتبعه. خير الامزان ... والخطاوي بشارة تجعل الأرض أفنان
نور وجه منوّر، يبصره كل عميان ... مخجل البدر كامل، زاهيا في طلوعه
وصف ريهام، ريما للفلا والبوادي ... قمة، الذوق ذوقه يا الرفيع الريادي
وفاطمة، فخرها يبقى بكم يا القيادي ... يا الزعيم المبجل، الوفاء في شروعه
اسأل الفرس والروم، والعرب في الجزيرة ... سامعي، قُوم واقرأ بالأف قصة وسيرة
بالمحاسن متوج فوق رأس الأميرة ... مستحيلة عيوني تشوف مثله ونوعه

ويقول في معاني الحكمة[2]:

(١) رسالة بالواتساب بتاريخ ٨/ ١١/ ٢٠٢٠م
(٢) رسالة بالواتساب بتاريخ ٨/ ١١/ ٢٠٢٠م

ما يرتفع رأسك بكبرك على الناس مرفوع رأسك بالتواضع والأخلاق
خليك طيب راعي الذوق والإحساس واجعل كلامك في المجاليس ذوَّاق
اشعل شموع الود بفتار الأغلاس وازرع ورود الوفاء بقلوب الأشواق
تذكر نبي الله من خير الأجناس معنى التواضع في البشر رمز الاشفاق

ويقول[1]:

يا نفس كوني لدرب الخير سبَّاقةْ ما عدت قادر أشوف الذنب و اعُدَّهْ
دنياش يا نفس حلو العمر سرَّاقة أيامها تمضي بها الراحات والشدَّةْ

ويقول[2]:

يا صاح، من كلمة تداوي مجاريح ويا صاح، من كلمة تسبب جراح
كم شخص من كلمة يجني مفاليح وكم شخص من كلمته تحت الثرى طاح
لسانك كالأعمي في دروبه مصابيح وما فاد أعمى لو تبع ضوء مصباح
يبقى لسانك في حياتك مفاتيح به ينفتح باب المصائب والإصلاح

ويقول[3]:

عقول الناس؛ حد جاهل وحد فاهم وذي حكمة من الله، وحده العالم
تصدق كل أكذوبة من الناقل ولا واعظ ولا صادق ولا حاكم

وله قصائد كثيرة، تتنوع في موضوعاتها وأغراضها، غير أن شعره كثيرا ما ينحو باتجاه الاهتمام بقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة.

(١) رسالة بالواتساب بتاريخ ٨/ ١١/ ٢٠٢٠م.
(٢) رسالة بالواتساب بتاريخ ٨/ ١١/ ٢٠٢٠م.
(٣) رسالة بالواتساب بتاريخ ٣/ ٤/ ٢٠٢١م.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
العدد الحادي عشر- جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - ديسمبر ٢٠٢١
ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

القسم الثاني: صورة الإعاقة والمعاق في شعر سالم أبو جابر:

تصوير الشاعر للإعاقة في نظر المجتمع:

لما كانت اللغة تعبيرا عن المكنون والمخزون الذهني الشعوري المدرك واللاشعوري، [١] فإن الشاعر كثيرا ما خاطب المجتمع ليثبت حضوره وحيويته فيه أو معاتبا إياه، ومن ذلك قوله عن المعاق في قصيدة بعنوان: إعاقتي[٢]:

صوتي وإحساسي بشر
لا فرق في نطق وفكر
لو خانت أطراف الجسد
حلقت بخيالي سفر
إرادتي ضي دروب
إعاقتي جاءتني قدر
أنا من أهل الهمم
كلي عطا مثل المطر
سأعيش دوما طامحا
لن أنطوي في غرفتي
كالبرق أمضي شامخًا
متحديًّا إعاقتي
روحي تعانق همَّتِي

(١) أنماط الصورة والدلالة النفسية في الشعر العربي الحديث في اليمن: ١٥٣.
(٢) مخطوط، ص: ١٥

والكون يعرف من أنا

نجمٌ برغم إعاقتي

والمستحيل لي انحنى

الخير بين جوانحي

والقلب يملؤه السنا

وكان بدري غيمةٌ

تأتي وتسقي موطنا

بالعزم يزهر عالمي

وينال خاطري المنى

وبجود عطف قلوبكم

يبقى التفاؤل بيننا

قوله: وكان بدري غيمة.. تأتي وتسقي موطنا، استعارة بديعة؛ إذ جعل له بدرا، وهذا البدر لم يعد للضياء فقط؛ بل هو للسقيا. ولعل هذا النص يصور تصويرا صادقا المعاقَ ونظرة المجتمع القاصرة اتجاهه، وتحدِّيه لهذه النظرة الغريبة اتجاه المعاق، فهم يرونه مجرد شخص يستحق التعاطف والإشفاق في حين أنه يرى نفسه:

كلي عطا مثل المطر

سأعيش دوما طامحا

وهم يرونه معاقا في مشاعره فيرد عليهم بقوله:

صوتي وإحساسي بشر

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

لا فرق في نطق وفكر

لو خانت أطراف الجسد

حلَّقت بخيالي سفر

إرادتي ضي دروب

ومن قصيدة أخرى يقول(١):

آدم عشق حوى وأنا ابن آدم

يا بنت حوى ارحمي ابن حوى

وهم ينتظرون أن يرونه عاجزا ينتظر من يخدمه، أما هو فيرى غير ذلك:

لن أنطوي في غرفتي

كالبرق أمضي شامخًا

متحديًّا إعاقتي

روحي تعانق همتي

وبالنظر في مدونة الشاعر **سالم مرزوق أبو جابر**، نلحظ أن المعاق لم يكن كذلك، بل هو كتلة من الحركة الدؤوبة؛ فهو:

يحلق بخياله، وإرادته تضيء دربه، وهو برقٌ، وهو نجم، وغيم يمطر الخير، ..إلخ، وهي صور ضدية بالنسبة لتصور المجتمع عن المعاق، فالمجتمع يراه عاجزا في حين يرى نفسه نجما، برقا، غيمة، وهذه عناصر استعارية تتميز بالعطاء، والهمة والحركة والسيطرة. ولعل الشاعر قد استغل تلك الثنائيات الضدية في تكوين صورة التحديّ؛ فالصورة نتيجة لعمل الذهن الإنساني في تأثره بالعمل الفني، وهي

(١) مخطوط، ص: ٢٢

تجسيد لرؤية رمزية لا تقف عند اختيار المستوى الحسي، بل تمتد إلى ما يكشف عن هذا الاختيار من اهتمام الشاعر وذوقه ومزاجه ورؤيته وقيمه، ودراسة ما وراء هذه الصورة الرمزية من أصول نبعت منها أو فحص العلاقة بين صور الشاعر والأنماط المشابهة لها في الشعائر والأساطير(١).

ولهذا فهو لا يغفل عن أن يذكر انتصاره، في قوله:

المستحيل لي انحنى.

ولعلي لا أدري؛ إن كان المستحيل –هنا– تعبير عن التحدِّي أم عن إذعان المجتمع الذي يؤمن بالمستحيل، فكأنَّ الشاعر قد عبر عن المجتمع القاصر في فَهْمِه للمعاق بأنه المستحيل الذي انكسر أمامه وانحنى مُعبِّرًا عن اعترافه بتفوُّق المعاق. ولم يكتف الشاعر بذلك بل إنه يمدُّ يَدَ العَونِ للآخرين ممَّن يرون أنفسهم أصحاء، فهو نجم يضيء، وهو برق، وللبرق رمزيته المتصلة ببشارة الغيث، وهو الغيمة التي تسقي ربوع الوطن فتعشوشب أرضه بالنماء والخير. " فأسلوب الصياغة الذي يستخدمه الشاعر هو التجربة وهو لغة الشعر، وكل كلمة في هذا الأسلوب بكل ما يتصل بها من إيقاع وصور ودلالات وموسيقى ومضمون وجد من التجربة"(٢)

والذي يبدو لي، أن المدَوَّنة رُبَّما قد دُوِّنت نتيجةَ باعثٍ لم يستطع الشاعر إخفاءَهُ منذ اللحظة الأولى، فهو يقول من غير مقدمات:

صوتي وإحساسي بشر.....

ثم يختم مدونته بقوله:

وكان بدري غيمة

تأتي وتسقي موطنا

بالعزم يزهر عالمي

(١) ينظر: المصطلح والأداة في الصورة الفنية: ٢٩٧

(٢) لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية: ٦٧.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وينال خاطري المنى
وبجود عطف قلوبكم
يبقى التفاؤل بيننا

ونلحظ شيئا من آثار الباعث الذي بعثه على قول النص في آخر المدونة حين يذكر جود عطف القلوب، لا لشيء إلا ليبقى التفاؤل، وهو قول يحمل في طيَّاتهِ عتابًا لاذعًا. والعلاقة بين الأدب والنفس لا تحتاج إلى إثبات؛ لأن الأدب يُفهم في ضوء المعرفة بالحقائق النفسية التي يلزمنا معرفة الإفادة منها إفادة عملية في دراسة الأدب(١)؛ لأن المؤثرات النفسية هي أحداث الحياة والتجربة الشخصية للشاعر، وانعكاس هذه المؤثرات في النفس وطبيعة انفعالها، وصياغة الانفعال بطريقة فنية تكشف أقاليم النفس المعتمة.

التحدي والإبداع في نظر الشاعر سالم أبو جابر:

في مدونة يُخاطب بها فاطمة صانون، يقول:

انثري الأفراح بدروب الحياة تبسمي للكون في عمر الزهور
الإرادة ..... ريح يبلغ مبتغاه والإعاقة فكر ماهي في الكسور
علِّمي الجاهل إذا فكره عماه وارسمي البسمة على كل الثغور
لا يردش شوك بطريق المشاة إعاقتش يا فاطمة برقٌ ونور

ولعل التعبير عن الرؤية القاصرة للمجتمع اتجاه المعاق بالأشواك، صورة مناسبة:

لا يردش شوك بطريق المشاة إعاقتش يا فاطمة برقٌ ونور

وكما يبدو فالتعبير يأتي بصورة مبطنة تحمل في طياتها تهكُّمًا في قوله:

(١) ينظر: التفسير النفسي للأدب: ١٣- ١٤.

الإعاقة فكر ما هي في الكسور.

وكأنه يقول للجمهور: إن هذه التي تسمونها معاقة ترسم لوحات فنية، فماذا صنعتم يا من ترون أنفسكم بكامل قواكم الجوارحية؟. " وبما أن النشاط الإبداعي تركيب جمالي بمعنى أنه مؤلف من اللغة والعاطفة والخيال فلا سبيل للفصل بين الحالة النفسية التي يكون عليها المبدع وبين التعبير "[١]

ومن ثم فإن الشاعر يواجه تلك النظرة السلبية لمجتمعه تجاه المعاق بالتحدِّي.

ويبرز التحدِّي في مظاهر لغوية وفنية كثيرة، منها التصريح، كقوله[٢]:

أنا أبو جابر قلاع العذول هادم وأنا اللحيفي قضاعي من بني طوه

وفي قوله من قصيدة بعنوان "التحدي"[٣]:

رغم القساوة والظروف أهوى التحدي وأمشي بخطواتي دروبا متعبه
لأجل المنى والحلم أبذل جهدي واطلع بروجا عالية حبة بحبه
أتكي على العكاز وأمشي وحدي والقلب آماله تضيء في دربه
صوب الهدف واجزع حدي واعبر حدود الهم شرقًا ومغربه
مهما صروف الدهر توقف بضدِّي بقوة إرادة قد خذيت التجربة
عرفت أن الوقت هم وسعدي لابد ما تلقى مواقف مرعبه
قد علموني الصبر أبوي وجَدِّي كل من صبر قالوا: تحقَّق مطلبه
منهم خذيت النصح وأنا في رشدي ولكم سؤالي قد عطوني الأجوبة

(١) مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة: ١١٩.

(٢) رسالة بالواتس بتاريخ ١٠/٢٧ / ٢٠٢٠م.

(٣) ديوان: إعاقتي سر ابتسامتي، ٢٠.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

مؤمن برب الكون عوني وسندي خالق مزون الغيم فوقي يسكبه
منشي الإعاقة بي وأنا في مهدي بايختبرني في الحياة الذاهبه
ما ظنتي في الكون أحدا ندي فارس وما حد في حياته يغلبه
أنا المعاق الشاعر المتحدي يا أيها التاريخ! اسمي اكتبه

والشطر الأخير من المدونة غاية في الإبداع وفي التعبير برمزية عن التحدي، فها هو يخاطب التاريخ أن يجعل اسمه ممن يدونهم في ذاكرته، والتاريخ لا يدون كل من نال قسطا من الحياة، بل لا يدون إلا من اخترع حياته الجديدة المخلدة في ذاكرته.

ويعبر عن هذا التحدي بالتصريح باسمه في موقف آخر في قوله[١]:

أنا أبو جابر قلاع العذول هادم وأنا اللحيفي قضاعي من بني طوه

ولعل التحدي يظهر من الصورة التي يرسمها من خلال التضاد بين المعنيين المتقابلين المفهومين من الصورة في قوله:

رغم القساوة والظروف أهوى التحدي وأمشي بخطواتي دروبا متعبه
لأجل المنى والحلم أبذل جهدي واطلع بروجا عالية حبة بحبه
أتكي على العكاز وامشي وحدي والقلب آماله تضيء في دربه
صوب الهدف واجزع حدي واعبر حدود الهم شرق ومغربه
مهما صروف الدهر توقف ضدي بقوة إرادة قد خذيت التجربة

ثم يختم المدونة:

ما ظنتي في الكون أحدا ندي فارس وما حد في حياته يغلبه
أنا المعاق الشاعر المتحدي يا أيها التاريخ! اسمي اكتبه

١) رسالة بالواتس بتاريخ ١٠/٢٧ / ٢٠٢٠م.

فالمشي على العكاز تصريح بالضعف الذي يراه فيه الآخرون، لكنه يأتي بصورة تقابله في قوله: **والقلب أماله تضيء في دربه.**

وهذه الصورة التقابلية نجدها كذلك، حين يُخاطب المعاقة الفنانة المبدعة: فاطمة صانون، من مديرية المسيلة، وقد رسمت لوحاتٍ فنية بأصابع قدميها بسبب إعاقتها، فيقول:

انثري الأفراح بدروب الحياة تبسَّمي للكون في عمر الزهور
الإرادة ..... ريح يبلغ مبتغاه والإعاقة فكر ماهي في الكسور
علِّمي الجاهل إذا فكره عماه وارسمي البسمة على كل الثغور
لا يردش شوك بطريق المشاة إعاقتش يا فاطمة برقٌ ونور

وكأنه يقول للمتابعين: هذه التي تسمونها معاقة ترسم لوحات فنية، فماذا صنعتم يا من ترون أنفسكم بكامل قواكم الجوارحية؟!. وأيًّا كان الأمر تفننا أو استجابة نفسية خالصة للموقف، فإن الاستجابة النفسية ستكون حاضرة؛ ذلك أن المبدع/ الشاعر لن يقول إلا بألفاظ اللغة، والألفاظ تحمل مدلولاتها الثقافية والعرفية والنفسية المتجذرة في نفس الإنسان المستخدم لها، ومن ثم فإن حشد المحسوسات ذات البُعد النفسي المرتبط بإثبات الحضور والتحدي، وذات المدلول المرتبط بالكينونة ليس أمرًا عبثيا، بل له نوازع نفسية ومقامية وبيئية، أما البيئية فإن بيئته المحيطة ملهمة لهذا الحشد من الصور، وأما المقامية فإنه مقام التعثر، وأما النفسية فإن طموح الشاعر الجامح في الوصول إلى معالي الأمور- كما نرى في سيرته الذاتية- يجعل من حشده لهذه الصور تعبيراً لا شعورياً عن رغبته الطموحة في تحقيق طموحات[1].

كما يظهر التحدي –أيضا– في عدم التأفف من الإعاقة:

(١) ينظر: الدلالات النفسية في شعر ابن عمار الأندلسي المهري: ٩٧

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

إذ لم تكن الإعاقة الحركية يوما ما عائقا عن حركة القلب ومشاعره، فبعد أن يبدع في تصوير محبوبته يقدم لها قلبه المفعم بالصدق الشاعري فيقول(١):

أهــواك عــدَّ البحــر والــريح تأتيــك وأنا معــك صــادق قلــبي صــدوقي
تصــدِّقْ لــو تطلبــني الــروح أفــديك وأنقــذك مــن نــيران اصــبر حروقــي
يا ليتـــني دكتـــور مـــرَّة أداويـــك أعطيــك دمــي أســحبه مــن عروقــي
ويا ليتـــني خـــاتم بإصـــبع أياديـــك تحملــني اكفوفــك ضــحى والغســوقي
ويا ليتــني رمشًــا علــى جفــن عينيــك أحمــي عيونــك مــن غبــارٍ لحــوقي
ويا ليتــني في البيــت كأســك وشــاهيك أتــذوقك مــن قبــل ذوقــك بــذوقي

في قوله: (**أهواك عد البحر**) إلى قوله: (**أتذوقك من قبل ذوقك**).

في هذه المقطوعة من المدونة الشعرية نلحظ أمنيات الشاعر المتسمة بالطموح والتحدي. وهنا يلفت نظرنا أنه لا يخفي إعاقته ولا يتأفف من أدوات الإعاقة، بل يراها صديقا وفيا يتعامل معه بصدق، وحين ننظر في مدونات أخرى للشاعر نجده يذكر العكاز في أكثر من مدونه، فها هو يصور إعاقته ليس بصفته معاقا بل بصفته يمثل جزءا من المجتمع فيصورها في صورة درامية على هيئة حوار بينه وبين فاطمة.

كما يظهر التحدي في إعادة توظيف الأعضاء الصالحة للعمل تعويضا عن الأعضاء المعاقة، وهذا يظهر جليا في مخاطبته للرسامة المبدعة فاطمة صانون؛ التي رسمت لوحاتها بأصابع قدميها بسبب إعاقتها، وهي من مديرية المسيلة في قصيده بعنوان (الإرادة).. في لوحة درامية تعتمد السرد، يعبر فيها الشاعر عن موقف يختزل الواقع الحركي للمعاق ونظرة الجمهور له، يقول(٢):

(١) مخطوطة، ص: ٢٣
(٢) ألقاها في الأمسية الشعرية في المهرجان المهرة التراثي، الثقافي

انشـــري الأفـــراح بـــدروب الحيـــاة تبســـمي للكـــون في عمـــر الزهـــور
الإرادة ..... ريـــح يبلـــغ مبتغـــاه والإعاقـــة فكـــر مـــاهي ف الكســـور
علِّمـــي الجاهـــل إذا فكـــره عمـــاه وارسمـــي البســـمة علـــى كـــل الثغـــور
يا فاطمـــة يا زهـــر يجـــذبنا شـــذاه في سمـــاء الإبـــداع طـــيري كـــالطيور
هـــد هـــد... الإبـــداع يلفـــاكي نبـــاه وأنـــتِ بلقـــيس الـــيمن وســـط القصـــور
لا يـــردش شـــوك بطريـــق المشـــاة إعـــاقتش يا فاطمـــة برقـــاً ونـــور
بنـــت مهـــرة فخـــر بالبرقـــع والعبـــاة تعـــانق الإبـــداع مـــن لوحـــات ســـطور
أصـــابع الأقـــدام كمـــا فكـــر الجبـــاه تـــترجم الإصـــرار والقلـــب الصـــبور
تفخـــر المهـــرة.. بعظمتهـــا وجـــاه بفاطمـــة نفخـــر وكـــل مهـــري فخـــور
يا راسمـــة لوحـــة تـــراث مـــا أجمـــل حـــلاه بأصـــابع القـــدمين تـــذهلنا حضـــور
الآدمـــي مـــأجور إذا ربِّي ابـــتلاه الآدمـــي مخلـــوق مـــن ربٍ غفـــور
يا فاطمـــة فـــوق الســـحاب وفـــوق مـــاه بيارقـــك .... مرفرفـــة دايم تـــدور
وقلبـــكِ الطـــاهر يُعلِّمْنَـــا وَفَـــاه يحكـــي صـــمودك يا محطمـــة الصـــخور
البـــدر قـــد غنَّـــا ويلفـــانا ضـــياه والليـــل، شعشـــع وأنـــتِ يا بـــدر البـــدور
فاطمـــة نـــبراس في هـــذه الحيـــاة رسمهـــا... إبـــداع يهـــدينا الســـرور

وكذلك، يظهر تحدي الإعاقة عند الشاعر، في الحديث عن المستقبل وسلاحه المتمثل في العلم، حيث يقول[1]:

خـــذ بيـــدي في دروب العلـــم نمضـــي كـــي أرى مســـتقبلي نـــور وســـعادة

(١) أنشودة (خذ بيدي) مرسلة بالواتس بتاريخ ١٩ يناير ٢٠٢١م

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

مركز اقرأ أنت عوني أنت سندي صرحك الشامخ هو مفخر بلاده
عشت أنا في جهل أفنيت عمري في ظلام الجهل كم قاسي عناده
القراية و ... الكتابة كل حلمي انعدم.... حرفي ما خطه مداده
عددت الأيام. يوما تبع يومي والأمل غائب، والحسرة شهاده
في معاناتي، كم عانيت وحدي جهلي، ومرضي، وأتعابي زياده
في شروق العلم كم قد زاد فرحي انفتح .... بابك يا.. اقرأ بالريادة
يا معلنا، ومنَّك زان عقلي اكتب حروفي على صدري قلادة

ثانيا: صورة العاطفة والمشاعر

حين ننظر في القصيدة بوصفها مدونة لغوية قيلت في موقف شعوري غير متجزئ ندرك مدى الطموح الذي يبثُّه الشاعر متحدِّيًا إعاقته، فهو يصفُ مشاعر الشوق في صورة مفعمة بالروح الغزلية الصادقة، وكأنَّهُ يقول للمجتمع: لا تستغربوا ذلك من المعاق؛ فهو يملك المشاعر والأحاسيس.

وهو يشير إلى ذلك صراحة في قوله:

صوتي وإحساسي بشر

لا فرق في نطق وفكر

لو خانت أطراف الجسد

والصورة مزيج بين حاستي: السمع والبصر؛ أي من الصورة ذات الامتداد السمعي (صوتي؛ النطق)، والصورة البصرية (بشر؛ الجسد)، والصورة التأملية (مجمل الصورة). " فالصورة في الشعر ليست إلا تعبيرا عن حالة نفسية معينة يعانيها الشاعر إزاء موقف معين من مواقفه مع الحياة، وإن أي

صورة داخل العمل الفني تحمل من الإحساس وتؤدي من الوظيفة ما تحمله وتؤديه الصورة الجزئية الأخرى المجاورة لها، وإن من مجموع هذه الصور الجزئية تتألف الصورة الكلية التي تنتهي إليها القصيدة"[1]

ويقول:

حنيت لك حنيت وكم فكرت فيك واشتقت لك، وحرَّك الدمع شوقي
وصرفت لك من خاطري مليار شيك من بنك حبك ذي بنيته في خفوقي
تائه بدربك ساريًّا أسأل عليك وسهرت ليلي حتى لي بان الشروقي
حتى نجومي خافتة في لياليك ونسائمك قد هيضت فين طروقي
بعت البشر في الكون وحدك أشتريك يا رأس مالي لو يقولوه طاح سوقي
أنت الغلا في ناظري دوم أغليك لك صفقة الأحداق والخاطر صفوقي
أنت الحلا وأنت العسل في وسط كيك ومباسمك قدام عيني كالبروق
وأنته جبينك ميل من دون تسليك لا كهرباء يحتاج، ولا بدر فوقي
وأنته عيونك سحر ترسل بلاويك وأنته دواء الخفاق متئم عشوقي
وأنته مقام الطيب ربي يخليك عائش فؤيد الناس طبعك خلوقي
أهواك عدَّ البحر والريح تأتيك وأنا معك صادق قلبي صدوقي
تصدق لو تطلبني الروح أفديك وأنقذك من نيران اصبر حروقي
يا ليتني دكتور مرة أداويك أعطيك دمي أسحبه من عروقي
ويا ليتني خاتم بإصبع أياديك تحملني اكفوفك ضحى والغسوقي

(١) لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية: ٨٢.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ويا ليتني رمشًا على جفن عينيك أحمي عيونك من غبارٍ لحوقي
ويا ليتني في البيت كأسك وشاهيك أتذوقك من قبل ذوقك بذوقي
يحملني العكاز، وأتبع خطاويك لو تبطي الخطوات جيتك سبوقي
جيتك على قافي يا الخل أشكيك أرجوك لك جنيت أعطيني حقوقي

لمعاني الحنين والشوق لها نصيب من معجم النص: حنيت، فكرت، اشتقت، شوقي، حبك، صرفته، تائه، سهرت، أشتريك، أهواك، صادق.

أما معاني التمني والتضحية فهي مما استأثر به النص في صور قد تكون قريبة لكنها دالة على مدى الاستحكام والتحكم: خاتم، طبيب، يسحب دمي، رمش عينيك، أحمي عيونك، تطلبني الروح، أفديك. " لقد تحولت المفردات في الصورة الشعرية من مجرد مفردات جامدة إلى إشارات انفعالية ترتبط كل منها برصيد من التجارب والمواقف الشعورية، والشاعر حين حشد هذه الإشارات أو المفردات إنما عمد إلى إثارة ما يرتبط بها من رصيد انفعالي"[(١)] أو ثقافي أو فكري أو اجتماعي أو تداخل ديني، مستغلا كل ذلك ليسمو باللفظة من المعجم إلى لفظة شعرية مشحونة بالدلالات والإيحاءات والإغراءات التي تغري بالقراءة والتأمل وتثير الدهشة والإعجاب.

فالتصوير فن، والفن عمل إنساني، ولذا لا يخلو من عاطفة، والصور هي التي تؤدي إلى التداعي، والارتباط بين الأفكار الكامنة وراء الألفاظ. والأثر الناشئ هو أحد أبعاد الصورة، وجزء من روحها. والأثر – هنا – يحيل إلى أن نجاح الصورة أو فشلها في القصيدة، مرتبط بتآزرها الكامل مع غيرها من العناصر؛ لكونها موصلا لخبرة جديدة فيما يتصل بالشاعر الذي يدرك، والقارئ الذي يتلقى؛ ذلك أنها لا تثير صورا حسية بصرية فحسب، بل تثير في ذهن المتلقي صورا لها صلة بكل الإحساسات الممكنة التي يتكون منها نسيج الإدراك الإنساني ذاته[(٢)] فما يعمله الشاعر في لغة النص من تشكيل أسلوبي وتصوير إنما هو اندماج من الشاعر مع حالته ومحيطه.

(١) لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية: ١٣٣.
(٢) ينظر: المصطلح والأداة في الصورة الفنية: ٢٩٨

أما قوله:

يا ليتني في البيت كاسك وشاهيك أتذوقك من قبل ذوقك بذوقي

فهي صورة مخترعة بالرغم من بساطة عناصرها المكونة لها، إلا أنها حملت معنى العشق والهيام.

صورة الإعاقة الحركية في شعر سالم أبو جابر:

لما كانت الإعاقة لدى الشاعر إعاقة حركة؛ لذا فإن صورة الحركة كانت صورة ملفتة للنظر في حضورها بالتعبير الصريح أو بذكر الأداة (العكاز) وقد تكررت كثيرا في مدونات الشاعر. وللنظر في صورة الحركة ننظر في الآتي:

– يخاطب المحبوبة مصورًا هيئة مجيئه في صورة قد تبدو اعتذارية لكنها أيضًا صورة تحدٍّ ووفاء، يقول:

جيتش على عُكَّاز والساقين تتصادم شباب ياحلاتي وشيبي قذ ظهر توه

فالصورة في قوله: جبتش على عكاز، بقدر ما فيها من تصوير حالة الضعف إلا أنها من ناحية أخرى تعبر بقوة عن الوفاء وصدق المشاعر، فقد تحمل آلام العكاز وآلام تصادم الساقين. وهو في كل ذلك لا ينسى أن يذكِّر محبوبته أن العكاز لم يكن بسبب الشيب، بل هو شباب ولم يظهر الشيب إلا لحظته تلك. ففي الصورة سطوة الواقع النفسي المحيط بالشاعر، ما جعله يستجيب نفسيا لهذا الواقع من خلال تصوير العجز الذي يعاني منه مقصوص الجناح، رغم رغبته الشديدة في الوصول إلى المورد، ولعل المورد – هنا– يمثل الغاية التي يريدها الشاعر(١).

والصورة –هنا– تتطلب حركة العين المتنقلة غير الثابتة، فهي في مستوى النظر لترى الهيئة كاملة لكنها لا تلبث أن تسترعى انتباهها حركة الساقين المضطربتين فتتحرك في حركة سريعة إلى أسفل، ثم

(١) ينظر: الدلالات النفسية في شعر ابن عمار الأندلسي المهري: ٩٨

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ترتقي إلى أعلى وإلى الجانب لتشمل الرؤية هيئة المعاق كاملة مع التركيز على العكاز، وكأنَّه ينبغي على بؤرة العين (الكاميرا/ التصوير) توثيق هذه اللحظة المتكررة بالنسبة للمعاق: لحظة حركة المعاق بمساعد العكاز مقبلا على حبيبته ساقاه يتصادمان. ولفظ التصادم يثبت لنا صورة اللقاء العنيف المتكرر بين الساقين، فهو لقاء مرهقٌ لا يمكن التحرُّر منه. ومع ذلك لم يغفل الشاعر عن بثِّ روح الأمل والدُّعابة والطموح فهو شباب، وما يظهر من تفاريق الشيب إنما ظهر هذه اللحظة فقط.

ولعلي لم أجد للشاعر صورة خصصها لإظهار ضُعف المعاق إلا هذه المدونة فقط، وهي قوله[١]:

مشيتُ وخطوتي حذرة على الطرقات تتعثر ... وخوفي قد عكس سيري من العقبات وحجاره
بطيت وما بطى غيري عليا اللوم قد أشَّرْ ... وأنا قد لُمْتُ عكَّازِي سبب تأخير مشواره
مشيت وفاطمة قُدَّام وخلفي محمد الأصغر ... من بعد العصر نمشي إلى بقَّالة الحارة
وتسأل فاطمة وتقول: أنت ليش متغير ... كل الناس تمشي بلا عكَّاز دواره
سؤالا صعب قد جاني وخلَّى الفكر متحيِّر ... وعقلي طار من رأسي وتاهت كل أفكاره
جوابي ضحكةً صفراء ووجهي انقلب أصفر ... وصمتي انقلب ثورة تهد قصور وأسواره
وقبل وصولنا الشارع سقط عكَّازيَ الأيسر ... طِحْت، وفاطمة تبكي خجولة تقول يا خساره
كل الناس تتفرَّج عليك، يا محزن المنظر ... يا ليت الليل قد خيَّم وراح النور ونهاره

ولعل الشاعر رسمها من صورة طفولية محفورة في ذاكرته، أو من صورة مرئية لتجربة غيره أو متخيلة عن موقف من المواقف. فالشاعر يستمد جل مواده التصويرية من الطبيعة، لا بوصفها محسوسات تقع خارج ذاته، وإنما بوصفها أداة حية لها نبض خاص وإيقاع ذو تردد ينسجم مع إيقاع النفس، فيكون وسيلة لبث الحالة النفسية[٢].

(١) ديوان : إعاقتي سر ابتسامتي: ٢٥.
(٢) ينظر: الدلالات النفسية في شعر ابن عمار الأندلسي المهري: ١٠٥

والمدونة تعبر عن صورة التقطها الشاعر من زوايا متعددة، فهي ملتقطة من زاوية جانبية تُظهر حَذَرَهُ وتعثُّرَهُ، وهي علوية بعين الصقر المراقب المتحرك لتظهر الصورة كامل هيئة المعاق وحركته، وهيئة الحركة وطبيعة الأرض التي تقع خطواته عليها، وصورة المباني والحارة وموقع البقالة الصغيرة.

ولا تغفل عين الشاعر عن أن تلتقط صورةً للشمس يظهر فيها شيء من الاصفرار المريض لهذا النجم الساطع؛ إذ يبدأ اعتلال الشمس ومرضها من العصر إلى أن تذوي ذابلة ميتة في المغرب. هذه كلها صورة بصرية متعددة الزوايا، يتخللها صورة تتطلب القُرب الشديد لالتقاط الصوت، إنها الصورة السمعية للسؤال الهامس الخجول البريء براءة الطفولة: (**أنت ليش متغير؟، كل الناس تمشي بلا عكاز دواره**)؛ هذه الصورة السمعية يقابلها في اللحظة نفسها بوصفها نتيجة للصورة السمعية صورة بصرية قريبة تركز على الوجه ثم تُختزل الصورة أكثر لتظهر ابتسامة سمَّاها الشاعر: صفراء.

ويختم الشاعر حركة التصوير بمشهد علوي من زوايا متعددة:

وقبل وصولنا الشارع سقط عكازي الأيسر طحت، وفاطمة تبكي خجولة تقول يا خساره

كل الناس تتفرج عليك يا محزن المنظر يا ليت الليل قد خيم وراح النور ونهاره.

وفي صورة أخرى، يقول:

يحملـــني العكـــاز، وأتبـــع خطاويـــك لـــو تبطـــي الخطـــوات جيتـــك ســـبوقي

جيتـــك علـــى قـــافي يا الخـــل أشـــكيك أرجـــوك لـــك جنيـــت أعطيـــني حقـــوقي

البيتان في صورة المعاق والتحدي، فهو رغم أنه يستعين بأداة العكاز على المشي والسير، إلا أنه كان سبَّاقا، في حين أن الناس ينتظرون منه عدم القدرة على المجيء. والصورة الاستعارية في قوله: يحملني العكاز.. صورة بديعة تجسد حالة التماهي والاتساق بين المعاق وأدواته. وهي؛ أي الصورة تقع في دائرة الامتداد البصري للمعاق، فهي ليست صورة من نمط عين الصقر الصياد، إنها

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

صورة من نمط الرؤية في مستوى البصر الموازي للناظر بصورة غير بعيدة، بحيث إن القرب يسمح للمراقب أن ينظر هيئة المعاق كاملة مع التركيز على العكاز ومحاولة تسليط الضوء البصري عليه؛ بوصفه الأداة المطلوب التركيز عليها، فهي العامل الأساس لتكوين صورة المعاق في ذهن المتلقي، وهي الأداة التي تسمح للمعاق بالحركة من غير مساعد بشري ملازم.

وأرى أن هذا التصوير المتعالي من زاوية علوية لها مدلول نفسي منبعث من التحدِّي؛ لأنه لم يكتف بالنظرة الموازية لمستوى البصر، فضلا عن أن يقنع بالنظر إلى مسافة خطواته المتقاربة. فالتصوير الشعري له أثره في ذهن المتلقي؛ ذلك أن وظيفة الشاعر ليست إفهام السامع فقط، بل لابد من تحقيق الانفعال لديه، يقول حازم: "والتخيل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المتخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها أو تصور شيء آخر بها انفعالا من غير رؤية إلى جهة من الانبساط والانقباض"(١).

الخاتمة:

استعرضت الدراسة طائفة من نصوص مدونات سالم مرزوق بلحاف، وهو شاعر من المهرة يقول الشعر بالعربية الملحونة وبالمهرية، وقد اقتصرت الدراسة على المدون بالعربية الملحونة، وخلصت إلى:

١. تجلى طموح الشاعر وتحدِّيه للإعاقة الحركية لواقعه الشخصي المحيط به، والمتمثل في نظرة المجتمع للمعاق.
٢. تميزت صور الشاعر المتعلقة بالإعاقة أو بالمعاق بالتحدي ومقاومة نظرة المجتمع تجاهه.
٣. ظهرت الإعاقة في شعر الشاعر بوصفها حافزا وباعثا على القول الشعري.

(١) منهاج البلغاء: ٨٩.

٤. ظهر الشاعر عاشقا يتقن مخاطبة الأنثى ويتقن وصف جمالها.

توصيات:

توصي الدراسة **بالآتي:**

- النظر في المدونات الشعرية للشاعر، وجمعها ودراستها من زوايا متعددة، بحيث تمثل أساسا لقاعدة علمية للشعر والنقد في المهرة.
- الاهتمام بأدب وشعر المهرة وجمعه وتدوينه ودراسته.

المصادر والمراجع:

١. إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، ط٤، ١٩٨١م.

٢. بلحاف، مدينة فايل محمد، الدلالات النفسية في شعر ابن عمار الأندلسي(المهري)، رسالة ماجستير غير منشورة، اليمن، جامعة حضرموت، ٢٠٢١م.

٣. بو جابر، ديوان إعاقتي سر ابتسامتي، د.ت.

٤. جبر، عبد المطلب، المصطلح والأداة في الصورة الفنية، مقدمة لتأصيل المفهوم، علامات في النقد، النادي الأدبي بجدة، مجلد ١٦، جزء ٦٤، فبراير ٢٠٠٨م.

٥. حمدان، فاطمة سعيد أحمد، مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة، رسالة دكتوراه، نشر جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها، ٢٠٠٠م.

٦. الغزالي، خالد علي حسن، أنماط الصورة والدلالة النفسية في الشعر العربي الحديث في اليمن، مجلة جامعة دمشق المجلد ٢٧ العدد الأول + الثاني ٢٠١١م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٧. القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.

٨. الورقي، السعيد، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة، بيروت، ط٣، ١٩٨٤م.

٩. اليزيدي، أمين عبد الله، المهرة ذكريات وخواطر وأشجان، إصدارات مركز اللغة المهرية، الغيضة، ط١، ٢٠٢١م.

البناء العروضي في شعر أحمد بن علوان

عصام مقام(*)

الملخص

يهدف هذا البحث إلى معرفة البناء العروضي في شعر أحمد بن علوان، والتعرف عليه، ومدى التزامه بالأوزان والقوافي، أو محاولة التجديد فيها، وقد خلص إلى أن أحمد بن علوان حذا حذو القدماء في استعمال البحور الشعرية، وجدد في بعض الأوزان حيث خرج عن بحور الخليل، كما جدد في بعض مظاهر القافية، وجارَى شعراء عصره في الكتابة على البحر الكامل.

الكلمات المفتاحية: البناء العروضي، الوزن، القافية، أحمد بن علوان.

The Prosodical Structure in the Poetry of Ahmad Bin Alwan

Abstract:

This research aims to identify the prosodical structure in Ahmed Bin Alwan's poetry, and the extent of his commitment to meters and rhymes, or his attempt to its modernization. It has been concluded that Ahmed Bin Alwan followed the example of the predecessors in the use of poetic meters and reformed in some meters as he departed from Khalil's meters. He also reformed in some aspects of rhyme and kept pace with the poets of his time in writing on the complete meter.

Keywords: Prosodical Structure; Meter; Rhyme; Ahmed Bin Alwan.

(*) باحث دكتوراه.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
العدد الحادي عشر- جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - ديسمبر ٢٠٢١
ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

مقدمة

يعد البناء العروضي الأساس الأول للنغم الموسيقي في الشعر، فبه يحصل التأثير، وعن طريقه يمكن إيجاد علاقات تناسب بينه وبين دلالة السياق، بل إن الفلاسفة يعدون النغم فضلا "بقي من المنطق لم يقدر الإنسان على استخراجه، فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا التقطيع، فلما ظهر عشقته النفس، وحنّت إليه الروح"(١)، ولا شك بأن هذا النغم يعد ظاهرة عروضية تميّز شعر أحمد بن علوان.

وترجع أهمية البنية العروضية إلى مهمتين؛ الأولى أنه "يعمق الإيقاع ويرفده، والثانية، أنه يقي الخطاب من التلاشي في ما ليس منه، أي أنه يضع حداً فاصلاً بين الشعر وما ليس بشعر"(٢).

وقبل أن تناول البناء العروضي في شعر أحمد بن علوان لابد أن نقف عند هذا الشاعر، ونعرف بشخصيته، فمن هو أحمد بن علوان؟

أحمد بن علوان، هو أبو الحسن صفي الدين أحمد بن علوان بن عطّاف بن يوسف بن مطاعن، المشهور بابن علوان، ولد عام (٦٠٠هـ)، في اليمن بمحافظة تعز، وتوفي فيها في منطقة يفرس عام(٦٦٥هـ)، كان أبوه كاتب إنشاء الملك المسعود، عاصر أحمد بن علوان، الملك المنصور عمر الرسولي مؤسس الدولة الرسولية، وكان له حظوة عنده، عاش حياته متصوفا حتى لقب بجوزي اليمن، ألف من الكتب: الفتوح، والمهرجان، والبحر المشكل، والتوحيد الأعظم، وهذه الكتب هي المدونة التي سيجرى البحث عليها(٣).

(١) العقد الفريد:٣/ ١٧٧.

(٢) ينظر: محاضرات في اللغة والأدب: ٥٧.

(٣) ينظر: الفتوح: ٤٠،٤١، وينظر: السلوك في طبقات العلماء والملوك: ٣٩٦/١.

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية البحث في السؤال عن ماهية البناء العروضي في شعر أحمد بن علوان، هل اختلف نظام هذ البناء العروضي عما نجده في الشعر العربي، أم اتفق معه؟

المنهج: من أجل الوصول إلى إجابة عن إشكالية البحث، رأى الباحث أن يستعمل المنهج التحليلي والإحصائي في دراسة البناء العروضي وعلاقته بالمعنى.

الدراسات السابقة:

١. تحقيق ودراسة ديوان الفتوح لأحمد بن علوان اليمني، حمود علي القيري، رسالة ماجستير، مخطوطة، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٩٨م، وهذه أول دراسة تناولت مؤلَّف الفتوح، وقد خصص الباحث جزءا من الفصل الثالث منها لدراسة الإيقاع الموسيقي، وتوصّل فيه إلى الإحصائية الآتية.

وكما هو واضح من عنوان هذه الرسالة، فهي لم تتناول من شعر أحمد بن علوان سوى كتاب الفتوح.

٢. شعر التصوف عند أحمد بن علوان، دراسة موضوعية وفنية، جميل سلطان محمد، رسالة ماجستير، مخطوطة، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت، الأردن،٢٠٠٢م، تناول فيها الباحث شعر أحمد بن علوان، في أربعة فصول، درس فيها حياته وثقافته، والرمز، والخصائص الموضوعية، والخصائص الفنية، إذ تناول في الخصائص الفنية الموسيقى الشعرية.

ومن هنا يأتي هذا البحث ليتقاطع مع هذه الدراسات، وليتناول البناء العروضي في شعر أحمد بن علوان.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

البناء العروضي:

ينصرف الحديث عن البناء العروضي إلى الحديث عن الوزن، كونها حلقات يقوم عليها الشعر، وتمثل قوامه، فالوزن "من أعظم أركان الشعر وأولاها خصوصية" (١).

من أن الوزن يقوم " على ترديد التفاعيل المؤلفة من الأسباب والأوتاد والفواصل، وعن ترديد التفاعيل تنشأ الوحدة الموسيقية للقصيدة كلها"(٢). وباستقراء الظاهرة العروضية الوزنية في شعر أحمد بن علوان نصل إلى أن الوزن يمثل خصائص هامة واستثنائية في بناء الأوزان في الشعر العربي وفي شعر أحمد بن علوان خاصة، وهو ما نقيم عليه فروض هذا البحث ومحاولة إثباتها.

نفترض أهمية القيمة الأسلوبية البنائية للوزن انطلاقا من الاستجابة للقيم الصوتية بسبب ارتباط شعره بثقافة التصوف وممارسة طقوسها وشعائره المختلفة، كالترنم بالمدائح وخلافه، وبناء على ما تقدم، فإن غايتنا من هذا المبحث، هي الكشف عن أهم السمات العروضية في شعر أحمد بن علوان، وهو ما سيتضح من الآتي:

أولاً: البحور الشعرية

تعد البحور الشعرية القالب الشعري الذي يصب فيه الشاعر انفعالاته وإحساساته، وبالتأمل في شعر أحمد بن علوان يظهر لنا أن القصائد في شعره قد وردت على قسمين، البحور التقليدية، والبحور غير التقليدية.

١- **البحور الشعرية التقليدية**، نقصد بها القصائد الشعرية أو المقطوعات التي التزمت بحرًا واحدًا من بحور الخليل الفراهيدي، وهذا الضرب هو الأغلب على شعر أحمد بن علوان، ويمكن تناوله كالآتي:

أ- البحور التامة ويمكن توضيحها من الجدول الآتي:

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١/ ١٣١.
(٢) الأسلوب: ١٩.

جدول (١) يبين نسبة استعمال البحور الشعرية بالنسبة إلى القصائد والمقطوعات في شعر أحمد بن علوان

البحر	الكامل	البسيط	الطويل	الرجز	المنسرح	الوافر	الخفيف	السريع	الرمل	المتقارب	الهزج	المتدارك	المجتث	المديد	الإجمالي
القصائد	٧٥	٢٢	١٨	٢٤	١٧	١٢	١٠	٦	٥	٧	٦	٤	٢	٠	٢١٠
المقطوعات	١٩	١٣	١٧	٨	٥	٦	٦	٥	٤	٢	١	٠	٢	٣	٩١
مج	٩٤	٣٥	٣٥	٣٢	٢٢	١٨	١٦	١١	٩	٩	٧	٤	٤	٣	٢٩٩
النسبة	٣١ %	١٢ %	١٢ %	١١ %	٧ %	٦ %	٥ %	٤ %	٣ %	٣ %	٢ %	١ %	١ %	١ %	١٠٠ %

من النظر في الجدول وحقوله الإحصائية، نصل إلى مؤشرات أولية، ذات قيم ودلالات إيحائية، في شعر أحمد بن علوان يمكن رصدها كالآتي:

- نظم أحمد بن علوان شعره على معظم بحور الشعر خلا بحرين شعريين هما: (المقتضب، والمضارع)، ومرجع ذلك إلى أن الإيقاع الموسيقي لهذين البحرين لا يتناسب و لا ينسجم مع الذوق الجمالي الذي ينشده أحمد بن علوان، لاسيما وأن هذا الشعر كان يستعمل في السماع الصوفي ويعبّر عن روح العصر الصوفية، وبناء على ذلك فإن إحصاء البحور الشعرية في شعر أحمد بن علوان كشف عن استعمال (١٤) بحرًا، تتفاوت نسبتها كالآتي:

- إن البحر الكامل هو أكثر البحور الشعرية، دوراناً في قصائده ومقطوعاته، بعدد(٩٤) قصيدة ومقطوعة، وبنسبة(31%)، ويمكن أن نرجع سبب تقدمه إلى ما يتميز به هذا البحر لأنه

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

أكثر بحور الشعر "جلجة وحركات وفيه لون من الموسيقى عذب، مع صلصلة كصلصلة الأجراس ونوع من الأبهة"(١)، كما أنه بحر متسع الإرجاء يتكون من (30) مقطعا لم تجتمع في غيره من البحور(٢)، وهذه السمات تجعله بحرا يصلح للإنشاد والترنم، يليه البحر البسيط، والطويل بعدد(٣٥) قصيدة ومقطوعة لكل واحد منهما، وبنسبة قدرها(12%) لكل واحد منهما، وهذه النسبة للبحر الطويل هي أقل من النسبة التي توصل إليها إبراهيم أنيس حين وجد أن البحر الطويل نظم عليه ثلث الشعر العربي(٣)، ثم بحر الرجز بعدد(٣٢) قصيدة ومقطوعة وبنسبة قدرها(11%) فالبحر المنسرح بعدد(٢٢) قصيدة ومقطوعة وبنسبة(7%) ثم الوافر، ثم الخفيف، بينما تقاسمت بقية البحور قصائد ومقطوعات أحمد بن علوان الباقية.

- إن البحور:(الكامل، والبسيط، والطويل، والرجز) حازت على المرتبة الأولى في شعر أحمد بن علوان وبنسبة تقدر(٦٢%)، ما يعني هذه البحور هيمنت على شعر أحمد بن علوان، فنظم معظم قصائده ومقطوعاته على هذه البحور، وهذا يؤكد حقيقة واقعية في الشعر العربي، وهي شيوع هذه البحور، أكثر من البحور الأخرى فيه، ويعزز الرأي القائل:" إن هناك بحورا متدفقة النغم ألفها الشعراء واستراحت لنغماتها الآذان، وعني بها الشعراء على وجه الخصوص في الشعر القديم، وهي الطويل، والكامل، والبسيط، والوافر، والخفيف، وعلى النقيض من ذلك، فإن بحر المديد نادر في الشعر ولا توجد له سوى أبيات معدودة"(٤)، ويمكن أن نعزو السبب في ذلك إلى الإمكانات التي تتميز بها هذه البحور من انسجام موسيقي، وطول نفسٍ، يسمح للشاعر بقولبة تجربته لاسيما و " للطويل بهاءٌ وقوة، وللبسيط بساطة وطلاوة، وللكامل جزالة وحسن اطراد، وللخفيف جزالة ورشاقة"(٥)، فضلا عن

(١) المرشد في فهم أشعار العرب: ١/ ٢٥٣.
(٢) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١/ ١٣١ .
(٣) موسيقى الشعر:١٨٧.
(٤) التجديد الموسيقي في الشعر العربي:١١٣.
(٥)منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٢٦.

تمتع هذه البحور بالطواعية على الإنشاد والسماع، وما يمكن أن ترصده الدراسة الأسلوبية هنا هو أن نسبة هذه البحور(البسيط، والطويل، والرجز) مجتمعة تأتي أقل من نسبة بحر الكامل.

- جاءت البحور:(المنسرح، والوافر، والخفيف، والسريع) في المرتبة الثانية وبنسبة تقدر(٢٢%) في حين تقاسمت البحور الأخرى المرتبة الثالثة، وما يلفت النظر هو أن أحمد بن علوان نظم على البحر السريع (١١) قصيدة ومقطوعة بعدد(٨٢) بيتا وبنسبة (4%)، على الرغم من نفور القدماء منه، فنادرا ما كانوا ينظمون عليه، وقد تمتعت هذه المقطوعات بنغم إيقاعي عال[١].

- وبالنسبة إلى ترتيب البحور فقد جاء إحصاؤنا مخالفا لما قام به إبراهيم أنيس في كتابه موسيقى الشعر[٢]، إذ حل الطويل والبسيط في شعر أحمد بن علوان في المرتبة الثانية بعد البحر الكامل، بدلاً من حلولهما في المرتبة الأولى.

- غلبت القصائد على شعر أحمد بن علوان، فقد أخذت النصيب الأكبر، وجاءت بعدد (٢٠٩) قصيدة وبنسبة (٦٩,٧%) في حين أن المقطوعات وردت بعدد(٩١) مقطوعة من إجمالي شعره البالغ (٣٠٠) قصيدة ومقطوعة وبنسبة (٣٠%) وهي نسبة قليلة بالنسبة إلى القصائد.

ومثلما اختلفت البحور الشعرية في تراتُبها، وتقدم بعضها على بعض، اختلف –أيضا– ترتيب البحور الشعرية ودورانها من حيث عدد الأبيات، ويمكن توضيح ذلك من الجدول الآتي:

جدول (٢) يوضح نسبة استعمال البحور الشعرية بالنسبة إلى عدد الأبيات

البحر	الكامل	البسيط	الرجز	البسيط	المنسرح	الوافر	الخفيف	السريع	الرمل	المتقارب	الهزج	المتدارك	المجتث	المديد	الإجمالي
الأبيات	١٢٤١	٣٧٠	٣٤٧	٢٥٩	٢٤٨	٢١٦	١٤٤	١٠٦	١٠١	٨٨	٨٢	٣٣	٢٣	١٠	٣٢٦٨
النسبة	%٣٧	%١١	%١١	%٨	%٨	%٧	%٤	%٣	%٣	%٣	%٣	%١	%١	٠,٣	١٠٠ %

(١) ينظر: موسيقى الشعر:٨٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٧.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

إن ما رشح لنا من الجدول السابق هو:

- إن البحر الكامل، يظل هو أكثر البحور دوراناً في شعر أحمد بن علوان بعدد(١٢٤١) بيتا من مجموع شعره البالغ عدده(٣٣٤٣) بيتا، وبنسبة تقدر(٣٩%)، بينما تأخر البحر الطويل في عدد الأبيات عن رتبته في عدد القصائد من نسبة(12%) إلى (7.4%)، وهو تراجع يفسر انتقال ذات أحمد بن علوان من غرض شعري إلى آخر، ومما جاء يظهر التحليل الإحصائي تقدم بحر الرجز على بحر الطويل من المرتبة الرابعة إلى المرتبة الثالثة بعدد(٣٤٥) وليحصل على نسبة(10.4%).

- إن بحر البسيط حل في المرتبة الثانية بعدد(٣٧٠) بيتا وبنسبة(11%)، ثم الرجز بعدد(٣٤٧) وبنسبة(10%)، ثم يأتي بعد ذلك البحر الطويل بعدد(٢٥٩) وبنسبة(٨%) بينما تقاسمت بقية البحور بقية المراتب، كما نلاحظ اهتمام أحمد بن علوان بالبحر المنسرح، فجاء في المرتبة الخامسة بعدد(٢٤٨) وبنسبة (٧%)، وهذه التغيرات توصلنا إلى القول: إن اتجاه هذه البحور في الأبيات كان أعلى منه في عدد القصائد والمقطوعات، وهذا يخلص بنا إلى أن أحمد بن علوان يعد من فحول الشعر الصوفي، كونه يتمتع بخاصية شعرية وبمعجم شعري خاص به.

ب- البحور المجزوءة

نقصد بالبحور المجزوءة، البحور التي سقطت منها التفيعلة الأخيرة في كل شطر[١]، ويكشف الإحصاء الأسلوبي لاستعمال البحور المجزوءة في شعر أحمد بن علوان، عن أن مجزوءات البحور لم تنل اهتماما لديه، والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (٣) يوضح العلاقة بين استعمال البحور (تامة/ مجزوءة) والقصائد والمقطوعات في شعر أحمد بن علوان وبموازنة هذا الجدول مع الجداول الإحصائية السابقة نجد:

(١) ينظر: المصدر نفسه:١٠٥.

- إن البحر الكامل يظل هو أكثر البحور تواترا في شعر أحمد بن علوان على مستوى البحور المجزوءة بعدد(٩٥) وبنسبة (٣٢%) قصيدة ومقطوعة، ويليه في المرتبة الثانية البسيط والطويل بعدد (٣٥) وبنسبة (١٢%) لكل منهما، ثم يأتي بحر الرجز في المرتبة الثالثة بعدد (٣٢) وبنسبة (١١%)، بينما تتقاسم بقية البحور بقية النسب، وهذا يعني أن استعمال أحمد بن علوان للبحور الشعرية، كاد يكون تقليديا للقدماء.

- إن عدد البحور التامة و المجزوءة، في شعر أحمد بن علوان، جاء يغاير عددها في النتائج التي توصل إليها الباحث جميل سلطان في دراسته، والجدول الآتي يوضح ذلك[1]:

البحر	الكامل	البسيط	الطويل	الرجز	المنسرح	الوافر	الخفيف	السريع	المديد	الرمل	المتقارب	الهزج	المتدارك	المجتث	الإجمالي
تام	٤٨	٢٤	٢١	٢٨	٦	٩	١٠	٩	٣	٥	٣	١	١	٣	١٧١
مجزوء	١٤	١٦	٠	٢٠	٠	٠	١	٠	٠	٢	٠	٨	١	٠	٦١
مج	٦٢	٤٠	٢١	٤٨	٦	٩	١١	٩	٣	٧	٣	٨	٢	٣	٢٣٢

وبالموازنة بين الإحصائيتين يظهر لنا إن دراسة الباحث جميل عثمان، لم تشمل شعر أحمد بن علوان كاملا، وتبعا لذلك فإن النتائج التي توصّل إليها لم تكن دقيقة، والدليل على ذلك، هو أن عدد القصائد والمقطوعات في دراسته (٢٣١) بينما هي في الحقيقة (٢٧٣) بعدد (٣٣٤٣) بيتا شعريا، تتوزع في نتاج أحمد بن علوان كالآتي:

الكتاب	الفتوح	التوحيد	المهرجان	المجموع
عدد الأبيات	٢٦٦٥	٦٠٥	٧٣	٣٣٤٣

(١) ينظر: شعر التصوف عند أحمد بن علوان دراسة موضوعية فنية: ١١٤، ١١٥.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

والسبب في ذلك يرجع إلى اعتماد الباحث على الإحصائية التي أوردها حمود القيري في كتاب الفتوح، دون الانتباه إلى أن إحصائية الباحث حمود القيري خاصة بكتاب الفتوح، وهو الأمر الذي ظهر لنا من خلال الاطلاع على كتاب الفتوح الذي حققه حمود القيري، فلا فرق بين إحصائيته وإحصائية الباحث جميل سلطان(١).

وأما نسبة الأبيات التامة والمجزوءة، فقد كانت كالآتي:

جدول(٤) يبين العلاقة بين البحور المجزوءة والتامة بالنسبة إلى عدد الأبيات في شعر أحمد بن علوان

البحر	عدد الأبيات	النسبة المئوية
البحور التامة	٢٤٥٧	%٧٥
البحور المجزوءة	٨١١	%٢٥
الإجمالي	٣٢٦٨	%١٠٠

يتبين من الجدول السابق:

-عدد الأبيات مجزوءة البحور وصل إلى(٨١١) بيتا من إجمالي الأبيات الشعرية وبنسبة(٢٥%)، بينما كانت الأبيات التامة البحور تمثل (٢٤٥٧) بيتا من إجمالي الأبيات، وبنسبة(٧٥%)، وهذا يدلل على استجابة البحور التامة لمضامين شعر أحمد بن علوان ، وانفعالاته الصوفية، التي تتطلب مقاطع طويلة تستوعب أغراضه الشعرية: الغزل، والمدح، والشكوى، والوعظ، والرثاء، وأن البحور المجزوءة، لا تتناسب وحالته الشعورية والعاطفية، لاسيما وقد طغى على معظم قصائده الوصف، وهو ما يحتاج إلى نفس طويل، وإلى بحر شعري ينبض بهذه التجربة ويعبر عنها، ومن هنا كانت البحور الطويلة هي الأنسب للتعبير عن لواعج الوجد الصوفي.

(١) ينظر: كتاب الفتوح لأحمد بن علوان اليمني.

إذا ما وصلنا إلى عدد الأبيات المجزوءة، نجد أن بحر الرمل يحتل المرتبة الأولى، ويمكن أن نوضح ذلك في الجدول الآتي:

جدول (٥) يوضح العلاقة بين استعمال البحور المجزوءة بالنسبة إلى الأبيات

البحر	الكامل	الرجز	الهزج	المنسرح	البسيط	الرمل	الوافر	الخفيف	المتقارب	السريع	الإجمالي
الأبيات	٢٨٣	١٢٨	١٠١	٩٤	٥٣	٤٣	٣٩	٣١	٢٩	١٠	٨١١
النسبة	%٣٥	%١٦	%١٢	%١٢	%٦	%٥	%٥	%٤	%٤	%١	%١٠٠

ومن الجدول نتبين الآتي:

إن مجزوء الكامل احتل المرتبة الأولى في أشعار أحمد بن علوان وبعدد(٢٨٣) بيتا من إجمالي الأبيات المجزوءة البالغ عددها (٨١١)، وبنسبة (**٣٩%**) يليه بعد ذلك الرجز البسيط بعدد (١٢٨) بيتا وبنسبة (**١٦%**) ثم بحر الرجز بعدد (١٠١) وبنسبة (١٢%) ثم المنسرح بعدد (٩٤) بيتا وبنسبة (**١٢%**) ، بينما تقاسمت بقية البحور بقية المراتب، كما نلحظ من الجدول- أيضا - أن المعيار هنا هو عدد الأبيات لكل بحر، وقد عمل هذا المعيار على تقدم بحر وتأخر بحر آخر، كما رأينا سابقاً، واختلاف الأبيات من قصيدة إلى أخرى هو سمة أسلوبية خاصة لكل شاعر.

-وتحسن الإشارة إلى أن توظيف أحمد بن علوان للمجزوءات قد خلا من بعض البحور كالطويل، والمتقارب، والمنسرح، إذ لم نجد بيتا مجزوءا - من عينة الدراسة — يدخل ضمن هذه البحور.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وهذا النمط من التشكيل الموسيقي الذي اتسمت به طريقة أحمد بن علوان، في توزيع البحور وتقدير أوزانها، وتناوبها بين التام والمجزوء في القصائد والمقطوعات، قد أسهم في توليد النغم الموسيقي على نحو يعكس قدرة أحمد بن علوان في اختيار الأوزان، بوصفها مصدرا من مصادر الإيقاع الموسيقي، وهذا ما انعكس في أشعاره بإيثار بحر دون بحر، أو استعمال البحر التام تارة، والمجزوء تارة أخرى، وليس هذا الاختيار من قبيل الصدفة، وإنما يكمن وراءه رَوزٌ، وإتقان، ومعرفة بقواعد العروض؛ تبعا لقيم الإيقاع الشعري، واتصالها بالموقف الشعوري أو بالمضامين الشعرية للقصائد، إذ أن الجمع بين المعنى والإيقاع ينتج عنه شعور بالارتياح وفيض من الطاقة الصوفية.

٢- البحور الشعرية المتداخلة أو المتنوعة

نقصد بها القصائد الشعرية التي وردت في شعر أحمد بن علوان مخالفة قانون العروض العربي، إذ تأتي القصيدة على غير بحور الشعر العربي التي ذكرها الخليل، فلا تلتزم بحرا واحدا، تاما أو مجزوءا، وقد جاء من هذا الضرب قصيدتان في شعر أحمد بن علوان بعدد(٧٥) بيتا، ونسبة(٢%) ومنه:

يا عِطـــر عَطّـــار القلـــوب ويا هبـــوب — صـــبا الغيـــوب بعلـــم مـــن لا يعلـــمُ
o // o /// o // o / o / o // o / o / — /// o // o /// o // o / o / o //o

بالله كيـــف تركـــت مـــن نهـــواهم — هـــل ســـلّموا أو أكرمـــوا أو أنعمـــوا
o// o / o / o // o /// o // o / o / — o// o / o / o // o / o / o // o / o o

يا بارَقُـــوش الفَرخـــوان — يا خَيلَخـــان الخيلخـــان
o //o/o/ o //o/o/ — oo //o/o/ oo //o/o/

قـــد زُخرفـــت لكـــم الجِنـــان — وأشـــرف الحـــور الحســـان
oo //o/// o //o/o/ — oo //o/o/ o //o//

بالله زيـــدي يا هـــلال سمائنـــا — يا زهـــرة الزهـــراء علمـــا عـــنهم[1]
o // o /// o // o / o / o // o / o / — o// o / o / o // o / o / o // o / o /

(١) الفتوح:١٠٥.

وهذه التفعيلة (متفاعلان) مُذالة ولا تأتي في قانون العروض إلا في مجزوء الكامل، ومثلها تفعيلة(مستفعلان) تأتي مضمرة مرفّلة، ولا تأتي إلا في مجزوء الكامل، وكأن أحمد بن علوان يمزج بهذه القصيدة بين التام والمجزوء من البحر الكامل، حتى يعبر عن حالته الصوفية التي تنتابه.

ومما جاء منه:

قابلتهـــا فَشَـــمْتها وضَـــمَمْتها ولثمتهـــا لـــثم الحبيـــب لطيفـــا
فَسَـــرت إليّ لطـــائف مـــن حبهـــا أصـــبحت مـــن صـــرعاتهن نَزيفـــا
خَـــودٌ أمالـــتْ لمـــا اســـتمالتْ تَيهـــا وقالـــت داروت جـــاني
وَارتْ معـــاني فَحْـــوى لســـاني يـــروي معـــاني داروت جـــاني
مـــا حســـنُها وجمالهـــا وكمالهـــا إلّا حيًـــا للعـــالمين وَريفـــا
ذاتٌ لهـــا حكمـــان حكـــم هاهنـــا وهنـــاك حُكـــمٌ يُوجـــب التّشـــريفا[1]

ثانيا: القافية وأنواعها

١–القافية

اهتم الباحثون بالقافية قديما وحديثا، فتناولوا تعريفاتها وصفاتها وعيوبها، إدراكاً منهم للدور الذي تقوم به داخل القصيدة أو خارجها، حتى قال بعضهم:" إن حظ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت"[2]، بل إن الشعر لا يسمى شعراً بدونها[3]؛ لأنها تعدّ جزءاً مهما من الشعر، بل وركناً أساسياً من أركانه يشاركها في ذلك الوزن[4].

والقافية عند الخليل هي من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، وعند الأخفش هي آخر كلمة في البيت، وعند الفراء هي حرف الروي،

(١) المصدر نفسه:١٧٦.
(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١/ ١٥١–١٥٤.
(٣) ينظر: الشعر وإنشاد الشعر: ١٣.
(٤) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١/١٥١–١٥٤.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وعند آخرين هي البيت، أو هي القصيدة [١]، أما عند المحدثين فهي" عدة أصوات تتكرر في أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزءا مهما من الموسيقى الشعرية"[٢]، والقوافي في الشعر مطلقة ومقيدة، فالمطلق ما كان حرف الروي فيها متحركا والمقيد ما كان حرف الروي فيها ساكنا[٣].

والقافية عند أحمد بن علوان لها سمة شعرية جديدة، إذ تأتي على ضربين: الضرب الأول القوافي الموحدة، والضرب الثاني القوافي المتنوعة، وسيتناولها البحث وفقا لذلك، من أجل الكشف عن إسهام القوافي في خلق الإيقاع الشعري، ومعرفة التجديد الوزني الذي قام به أحمد بن علوان في القرن السابع الهجري.

أ: القوافي الموحدة

نقصد بها القصائد التي تلتزم قافية واحدة تتكرر في أواخر الأبيات[٤]، وسنتناولها من خلال كونها مقيدة ومطلقة، والجدول التالي يوضح نسبة القوافي المتنوعة، و القوافي الموحّدة في شعر أحمد بن علوان، هي الأغلب، والجدول الآتي يوضحها نسبتها.

جدول (٦) يوضح نسبة القوافي الموحدة والمتنوعة في شعر أحمد بن علوان

م	القوافي	عدد القصائد والمقطوعات	عدد الأبيات	النسبة
١	المتنوعة	47	618	%18
٢	الموحدة	255	2725	%82
الإجمالي		301	3343	%100

(١) المصدر نفسه: ١/١٥١-١٥٤.

(٢) موسيقى الشعر: ٢٤٥.

(٣) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١/١٥٤، وينظر: فن التقطيع الشعري والقافية: ٢١٨.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٧٢.

كما هو واضح من الجدول أن القوافي الموحدة في شعر أحمد بن علوان جاءت بنسبة (82%) وشكلت لديه ظاهرة أسلوبية، بينما شكلت القوافي المتنوعة ما نسبته(18%)، وإن كانت هذه النسبة قليلة إلا أنها تعد محاولة مهمة، وتحسب لصاحبها، كونه حاول التجديد والخروج على نظام الشعر العربي السائد آنذاك، من خلال الخروج عن نظام القافية الموحد، وتطويع القالب الشعري لصالح تجربته الصوفية، بحيث يتناسب معها.

ويكشف البحث عن استعمال أحمد بن علوان للقوافي المطلقة والمقيدة من خلال الجدول(٧)

م	حركة الروي	عدد القصائد والمقطوعات	النسبة المئوية
١	المقيدة	١٢٧	%5
٢	المطلقة	٢٥٩٨	%95
م	الإجمالي	٢٧٢٥	%100

ويتضح من الجدول السابق أن القوافي المتحركة في شعر أحمد بن علوان جاءت بعدد(٢٥٩٨) قصيدة ومقطوعة من إجمالي عدد قصائده ومقطوعاته البالغ عدد أبياتها(٣٣٤٣) بيتا وبنسبة(٩٥%)، وقد بلغت نسبة كبيرة في أشعاره، ويعود السبب في هذا إلى مراعاة أحمد بن علوان للنغم الموسيقي واهتمامه به في أشعاره، فضلا عن كون القوافي المتحركة تأتي أوضح في السمع وأشد أثرا للأذن؛ لأن الروي فيها يعتمد على حركة بعده قد تستطيل في الإنشاد وتشبه حينئذ حرف مد[١]، فضلا عن أنها تساعد على امتداد النفس؛ مما يعطي القافية إيقاعا خاصا يتناغم مع حالات أحمد بن علوان الصوفية، وكأنه بهذه القوافي يعبر عن حالة الوجد الصوفية التي تعتريه وتتناسب مع الطابع الإنشادي للشعر الصوفي، في حين أن القوافي المقيدة جاءت بعدد(١٢٧) قصيدة ومقطوعة، وبنسبة(٥%)، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن القوافي الساكنة تحد من الحركة، كونها تمثل وقفات نفسية مفاجئة، توحي بعمق المعاناة.

(١) ينظر: موسيقى الشعر: ٢٥٥.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وبالنسبة إلى حركة القافية فالجدول الآتي يكشف عن استعمالها.

جدول (٨) يوضح نسبة حركة القوافي بالنسبة إلى عدد الأبيات في أشعار أحمد بن علوان .

م	حركة القافية	عدد الأبيات	النسبة
١	الحركة المكسورة	١١١٦	%43
٢	الحركة المضمومة	٧٤٦	%29
٣	الحركة المفتوحة	٧٣٦	%28
	الإجمالي	٢٥٩٨	%١٠٠

من الجدول نجد:

-أن الكسرة أغلب الحركات للقوافي في شعر أحمد بن علوان وبعدد(١١١٦)، بيتا من إجمالي عدد الأبيات البالغ عددها(٢٥٩٨) وبنسبة (43%)، وهذه النسبة تتفق مع النسبة التي ذكرها إبراهيم أنيس[(١)]، ويمكن أن تكون مؤشرا على علو انفعال أحمد بن علوان في بث همومه وحزنه، إما من شدة حبه للحقيقة المحمدية والذات العليا ورغبته في الاتصال بهما، أو من شدة حزنه على واقع الناس المنحرف عن الشريعة، وبناء على ذلك فإن نصف شعر أحمد بن علوان قد نظم على الروي المكسور، ما يعني أنه في نظم شعره يحذو حذو القدماء.

-أن الضمة جاءت في المرحلة الثانية بعدد (٧٤٦)، وبنسبة (29%) وكان التعبير بها عن مدى تجلده وصبره وتظاهره بالقوة والتماسك في مجاهدة النفس.

- ثم تليها الفتحة في المرتبة الثالثة (٧٣٦) بيتا، وبنسبة (28%)وقد جاءت لتعبر عن السعادة والوضوح والكشف عن معانيه، في حين أن القوافي الساكنة جاءت أقل وبعدد (١٣١) بيتا وبنسبة (١٤%) لتدلل على القلق والاضطراب، ما يعني أن القوافي المتحركة مثّلت مركز الثقل الموسيقي في شعر أحمد بن علوان .

(١) ينظر: موسيقى الشعر:٢٥٨.

ب- القوافي المتنوعة

نقصد به التزام الشاعر قواف متعددة في القصيدة الواحدة، وقد أكثر أحمد بن علوان من استعمال هذه القوافي المتنوعة في شعره، وكما هو واضح من الجدول (٦) فإن القوافي المتنوعة في شعره قد وردت في (٤٧) قصيدة ومقطوعة وبعدد(٦١٨) بيتا شعريا، حاول من خلالها أن يجدد في الشعر وأن يخرج على نظام القافية، أو أن يسلك نظاما وزنيا خاصا به يتماشى مع حالته الصوفية، ومع الإنشاد والسماع، ويمكن للباحث أن يصنف هذه القوافي المتنوعة في شعر أحمد بن علوان حسب ورود استعمالها، إلى أنماط.

أنماط القافية:

النمط الأول: القافية المتداخلة، ونقصد بها القافية التي ترد في القصيدة الواحدة متداخلة من قافيتين، بحيث تأتي القافية الثانية بعد بيتين، وهو الأغلب على هذا النمط، أو تأتي بعد ثلاثة أبيات، إذ تتداخل هاتان القافيتان، فتتكرران في القصيدة، وقد ورد هذا النمط في أربعة قصائد وبعدد(١١٢) بيتا وبنسبة(٣٥. ٣%) ومن ذلك قوله:[الكامل].

زُفّت إليك عروس آل البيت مَكنونُ مكنونُ الزمان الميتِ
حبل الوفاء وتُرجمان المصطفى والصوت بعد الصوت بعد الصوت
يا مُرتَضَى قد جاءك البريد ما شئت خُذ وانفِ لما تريد
عينا بأسرار العُلا تَجود والأرض من زهوٍ بها تَميد[1]

وما يلاحظ على هذا النمط، عدم التزام أحمد بن علوان نظام المربعات، إذ نجد لديه قصيدة شعرية يخرج فيها عن نظام المربعات الشعرية، إذ تأتي القصيدة على بحر واحد، وعلى قافيتين، بحيث

(١) الفتوح: ٩٩.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

تتداخل هاتان القافيتان، فتتكرران في القصيدة، وقد ورد هذا النمط في قصيدتين وبعدد (٧٥) بيتا وبنسبة (١٢,٤٦%) فيستعمل فيها أكثر من حرف روي يقول: [الكامل]

قَصبُ الوصال تحركتْ بالريح ... وتَرنّحتْ بالشّوق نحو السوحِ
سَوح الأحبة سوحُ آل محمد ... سوح البهاء وبرزخ التّسبيح
يا لاعبونا هل تخبرينا ... عن مالكينا في طُور سينا
يا لاعبونا هل قابلونا ... هل واصلونا أم قاطعونا
بالله يا حوراء آل محمدٍ ... ياسرَّ نفحة دُستمان الرّوح
يا لاعبونة كل قلب عاشق ... يا زات[1] هَيرَج بَابنا المفتوح
بالله قولي يا زنجبيلي ... يا سلسبيلي يا خيلخونا
ما كان منهم لما أتتهم ... أنفاس منهم فيهم بلونا[2]

لكن هذا التناوب في القافية لم يكن ملزما لأحمد بن علوان في بناء القصيدة، إذ نجده يتخلى عن هذا التناوب يقول:[الكامل]

أِلِفٌ ألفت عناقه بسرائري ... أحبب به ألفا لنا مألوفا
أصبحتُ بين يديه باء استقي ... ماء الحياة واكتب التأليفا
يا كاف هائي يا ألف يائي ... يا لام رائي يا غصن باني
ياسر قلبي يا حرف نصبي ... يا قاف قربي ممن دعاني
مولاي حاولت السبيل فلم أجد ... إلا سبيلك تالدا وطريفا
فوقفت بين يديك فيَّ حوائج ... للعالمين طرائقا وصنوفا

(١) زات، هذه اللفظة وردت في بعض قصائد الشاعر والسياق يدل على أنها ذات، ينظر: الفتوح: ١٠٧ ، ١١٥
(٢) الفتوح:١٠٣.

فَـــاقْرأ رســـائلهم وجُـــد بجـــوابهم واقـــض الحـــوائج لا عـــدمت شـــريفا
وارحـــم آراملهـــم معـــا وشـــيوخهم واجـــبر يتيمـــا مـــنهمُ وضـــعيفا[1]

وهكذا تستمر القصيدة إلى نهايتها بالحديث عن الحقيقة المحمدية، وجمالها من خلال التنقل بين موسيقى الأبيات التي تعمق الإحساس في نفسية المتلقي معتمدا على تأثير القافية.

النمط الثاني: المثلث المؤتلف: وهذ النمط لا يطابق شرط التثليث المنصوص عليها في قانون العروض العربي، بل تأتي فيه القصيدة مكونة من ثلاثة أشطار تشترك في قافية واحدة، في قصيدة واحدة وبعدد تسع أبيات يقول:[الرحز]

سِـيري جمـال عرفـات سِـيري وإن يكـــن أجنحـــة فطـــيري
بأنجـــم زهـــر إلى بـــدور
علـــى قـــرار سَـــرّ الســـرور في غـــرفٍ بـــيضٍ وفي قصـــور
وفي خدور ليس كالخدور
أطـوار سـينا عرفـات الطّـور أعلـى حـروف سـطره المسـطور
صفحات رقّه المنشور[2]

النمط الثالث: نمط المربعات: وقد يلتزم فيه أحمد بن علوان بنظام المربعات، وقد ورد منه في شعره(٤١) قصيدة ومقطوعة، وهو الأعم الأغلب على شعره يقول:[مجزوء المنسرح]

حَـــوراءُ زاتُ الحُـــور مـــن ســـاكنات الطـــور
ممزوجـــــة بالنـــــور والـــــدّر واليـــــاقوت
عَصّـــــارة للخمـــــر قدّاحـــــة للجمـــــر
أنفـــاس روح الأمـــر تاج البهـــا والصّـــيت[3]

(١) المصدر نفسه:١٧٧.
(٢) التوحيد الأعظم: ٢٦٨.
(٣) الفتوح: ١٢٨.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

النمط الرابع: المخمس، وقد ورد في شعر أحمد بن علوان بنمطين: **النمط الأول المخمس المؤتلف،** وهذ النمط لا يطابق شرط المخمس المنصوص عليها في قانون العروض العربي، بل تأتي فيه القصيدة مكونة من خمسة أشطار تشترك في قافية واحدة، يقول:[البسيط]

يا عرش بلقيس محمولا على الأسما ... يا روح أمر تَبَيَّنَّا له جِسما [(١)]
يا ثوب يوسف يَشفي ريحه الأعمى ... يا بَارقُوش المعاني يا فُرات الْمَا
يا كفُّ كفٍّ سماها يمطر النّعما
إني أنا ناسمُون الهَيرجا الشّما ... بهاء نُورِ بدور القُبّة العُظمى
بسّامة بالمنايا والمنى بَسما ... حمامة من حواميم الحِمى حَمّا
أرْمِي بعيني من أرمِي ولا أُرمَى
تسقي المعاني سموم الحية الرّقما ... عيني فتجري عيون الصّخرة الصّما
كأن عيني عصاموسى إذا تُرمى ... لتفلق البحر أو تجري عيون الماء
ولابتلاع المعاصي حية دَهما[(٢)]

النمط الثاني المخمس المختلف، وجاء موافقا لشرط المخمس، ومنه[منهوك المنسرح]

بالله يا سامونْ ... يا راحة المحزونْ
يا فرحة المسجون ... يا درة القانون
يا سين من ياسين
يا نار شمع الزّيت ... يا سرّ آل البيت
يا تُرجمان الصوت يا طاء من طاسين يا دُستكان الموت

(١)الصواب جسمُ.
(٢) الفتوح: ١٤٢.

ذات الخـــدود الزُهـــر ذات العيـــون الســـكر

ذاتُ الثنـــــايا الغُـــــر ذات الـــبُرود الخضـــر

يا ذات حور العين[١]

وهذا الاستعمال المتنوع للقوافي قد أضفى على شعر أحمد بن علوان قوة تعبيرية وتأثيرية على المتلقي، وعلى النسيج الداخلي المشكل للقصائد، ويؤكد على أن أحمد بن علوان من المجددين في الشعر العربي، كما يؤكد أنه أول من كتب المبيتات، والمخمسات، أو المربعات في الشعر اليمني، بل من الصعب على غير الصوفي أن يقتحم هذا المجال التجديدي، وأن يهتدي إلى مثل هذه الإيقاعات الغنائية التي تناسب حلقات الذكر وتتطابق مع ميل المتصوفة؛ لاشتياقهم إلى الموسيقى[٢].

٢-الإرداف

يعرف بأنه حرف مد أو لين ساكن يأتي قبل الروي مباشرة[٣]، أو هو "أحد حروف العلة يسبق الروي دون حاجز بينهما"[٤]، وقد أدرك أحمد بن علوان أهمية الإرداف في تكثيف الإيقاع لقصائده بغية التأثير في المتلقي فاستعمله في قوافي شعره، بشكل مكثف، فقد بلغت القصائد المردفة في شعره (132) قصيدة ومقطوعة بنسبة (55%) وهذه النسبة الكبيرة تعكس رغبة أحمد بن علوان في تكثيف إيقاع قصائده ومقطعاته، وحرصه على إيصال صوته إلى المتلقي واضحا مسموعا، لاسيما وأن حروف المدّ مقاطعها طويلة وملائمة للحالة الصوفية، كونها تعطي المتكلم حين النطق بها حالة من الاسترخاء، فضلا عن أنها مناسبة للتعبير عن الحركات الصوفية المصاحبة للإنشاد، وترسّخ فعل الشوق والمناجاة وتدلل على معاني الخضوع، وقد جاء الإرداف بألف المد في شعر أحمد بن علوان في المرتبة الأولى، يليه الإرداف بالواو والياء المزدوجتين في المرتبة الثانية، أما الإرداف بالياء مفردة أو الواو

(١) المصدر نفسه: ١٣٦.

(٢) مقدمة الفتوح: ٢٢، ٢٣.

(٣) ينظر: كتاب القوافي: ١١٤.

(٤) القافية في العروض والأدب:٦٦.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

مفردة فلم يرد إلا نادرا، وأكثرها في أبيات مفردة، ويمكن أن نوضح ذلك على النحو المبين في الجدول الآتي:

م	الردف	عدد القصائد والمقطوعات	عدد الأبيات	النسبة
١	الألف	65	687	%46
٢	الواو	40	374	%25
	الياء	27	432	%29
	الإجمالي	132	1493	%100

من الجدول نصل إلى:

- أن أحمد بن علوان قد أكثر من الإرداف بالألف المديّة التي تتميز بأنها"أوضح كل الحركات في السمع "[١] رغبة منه في أن يصل صوته واضحا مسموعا، فيشاركه المتلقي انفعالاته، ويسارع في التفاعل معه، ومن أمثلة الإرداف بالألف في شعر أحمد بن علوان قوله:.[الكامل]

نَبويّـــة رُفعـــت لهـــا الأعنـــاق ... علويـــة علقـــتْ بـــه العشـــاقُ
محجوبـة كَشـفت لنـا عـن وجههـا ... فَـــتلألأتْ بشموســـها الأفـــاق
تدعو الفروع إلى الأصول بلهجة ... عربيـــــة فتميـــــدها الأشـــــواق
رُوحيـة مـن أجلهـا خُلـق الثّـرى ... والمـــــاءُ والأفـــــلاك والأطبـــــاق
تَصفو بجوهرها جَواهَر بحره ... فلهـــا علـــى ظلماتهـــا إشـــراق
فإذا صَفَتْ وصَفت غرائبُ حسنِها ... وجمالهـــا وبـــدت لهـــا أخـــلاق[٢]

فقد جاء الإرداف بالألف في الأبيات السابقة في قوله:(العشاق، الآفاق، الأشواق، الأطباق، إشراق، أخلاق، الخلاق) بمداها الصوتي الطويل، ليوحي بالحالة النفسية المسيطرة على نفسية أحمد بن

(١) موسيقى الشعر:٢٦٣.
(٢) التوحيد الأعظم: ٢٦٦، ٢٦٧.

علوان، وليعكس الهدوء النفسي الذي يتمتع به، إنه يشعر بالسعادة والنشوة، وهو يصف الحقيقة المحمدية التي امتلكت من الصفات الإلهية مالم تمتلكه ذات أخرى، فالألف المردفة هنا تعبر عن النشوة التي يجسدها الاتساع الصوتي، وكأن أحمد بن علوان يريد نشر هذه الصفات التي تتمتع بها الحقيقة المحمدية، وترسيخها في ذهن المتلقي عن طريق هذا التأثير الموسيقى الذي قامت به القافية والوزن، ومن ثم يذعن المتلقي لما يقوله أحمد بن علوان.

-كما يلاحظ من الجدول السابق نزوع أحمد بن علوان إلى استعمال الياء والواو متعاقبتين في قوافي شعره، وهو في هذا يشايع السائد في الشعر العربي، فقد" تناوبت واو المد، وياء المد مكان إحداهما الأخرى، ولم يحس الشعراء في هذا بأي غرابة"[(١)]، ويعلل الأخفش اجتماع الياء مع الواو، وعدم اجتماع أحدهما مع الألف في حالة الردف بقوله:" إنما جازت الواو مع الياء في الردف، وفارقتهما الألف، لأن الألف لا يتغير ما قبلها أبدا، ولا يكون إلا فتحا، وما قبل الياء والواو يتغير، فنقول القَوْل والقُول والقِيل والبيَع..... والألف حالها واحد أبدا وحال ما قبلها، فلذلك فارقتهما"[(٢)]، وهذا التعبير هو الذي يمنح القافية إيقاعا متفاوتا متناوبا بين الكسر والضم، ومما جاء الأرداف به متناوبا بين الياء والواو قوله:[الطويل].

خطابك يَشفيني ووجهك يكفيني فما لي في الدنيا سواك ولا الدينِ
وما الملك إلا بين سمعي وناظري وما الحق إلا بين كني ومكنوني
أبوح وأخفي لاهيا بك ملهيا بوجهين باد للأنام ومخزون
سفير العُلا نحو المِلا يكشف البَلا ويدعو إلى طِيب الجوار بجيرون
على طُور سينا قاب قوسين من مِنى بنى المسجد الأقصى على الماء والطين
فيسقي المعاني من سُلافة أحمد شرابا يعيد الكون في الكاف والنون[(٣)]

(١) المصدر نفسه: ٢٦٥.
(٢) قوافي الأخفش:٢٢.
(٣) التوحيد الأعظم: ٣٢٧، ٣٢٨.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وهكذا فإن تعزيز الإيقاع بحروف الإرداف قد كثف الإيقاع في شعر أحمد بن علوان، وعزز حضور الحقيقة المحمدية من خلال الأوصاف التي يصبغها بصفات تأثيرية، ومما جاء يصف حالة الشهود وما يعتريه قوله: [الخفيف].

يا صحيحَ الفؤاد قلبي جريحُ ... وبسَيف الهوى قتيل ذبيحُ
شَهِد الحُسن والجمال فأضحى ... كقضيب الأراك ثَنّته ريح
مُزج الخمر بالضّنَى فاحتساها ... وَسَقاها المحب فهو يصيح
خَمر علم كأنها بدر تم ... مازجاها الغرام والتبريح
خَندَريس لنا حلال مباح ... وعلى غيرنا دم مسفوح
هاتها هاتها وخذها وخذها ... وأدِرْها على الجبال تنوح
صِفها تَصفُ للنديم وصِفها ... للغوادي عن الحبيب تروح
وأقم سوقها على كل سوق ... يا لها متجر وسوق ربيح[(١)]

وعليه فإن تعزيز الإيقاع بحروف الياء والواو قد كثف الإيقاع، والشعور بالحصول على اللذة المعبرة عنها بالخمرة.

د- الرّوي

يعرفه علماء العروض، بأنه الحرف الذي يقع عليه الإعراب، وتبنى عليه القصيدة، فيتكرر في كل بيت إن لم يظهر عليه الإعراب لسكونه[(٢)]. والروي حرف القافية وروحها، وقد يأتي ساكناً أو متحركاً، ويجب أن تشترك فيه كل قوافي القصيدة، والقيمة الإيقاعية للروي تتحقق من خلال تكراره على مسافات ثابتة، فكأن المتلقي ينتظر ضربة إيقاعية بعد انتهاء العدد نفسه من التفعيلات في كل بيت، والتأمل في روي أشعار أحمد بن علوان التي بين أيدينا، يظهر أن أحمد بن علوان لم يحد عن هذا المكون الإيقاعي، متبعا نهج من سبقه من الشعراء، والجدول الآتي يوضح ورود الروي المستعمل عنده:

(١) الفتوح: ٤٦٨، ٤٦٩.
(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١/١٥٤.

جدول (١٠) يوضح نسبة الحروف المستخدمة رويا في أشعار أحمد بن علوان

م	حروف المعجم	عدد الحروف	النسبة
١	المستعمل روى	١٩	%68
٢	التي لم تستعمل	٩	%32
	الإجمالي	٢٨	%100

يلاحظ من الجدول السابق:

أن عدد ما نظم عليه أحمد بن علوان من حروف الهجاء هو(19) حرفا، من إجمالي (28) حرفاً وبنسبة(78%)، وما لم ينظم عليه من حروف الهجاء هي(9) حروف وبنسبة(32%) وهي (الثاء، والصاد، والضاد، والغين، والواو، والخاء، والذال، والظاء، والزاي)، والجدول الآتي يوضح ذلك.

الجدول (١١) يوضح نسبة الروي بالنسبة إلى مجموع الأبيات ذات القافية الموحدة

الروي	ن	ر	ب	م	د	ل	ق	س	ف	ه	ن	ح	د	ء	ك	ش	ي	ج	ط	الإجمالي
الأبيات	493	413	302	269	217	192	144	178	144	103	83	71	58	54	30	24	10	16	12	2725
النسبة	%18	%15	11%	%10	%8	%7	%5	%7	%5	%4	%3	%3	%2	%1	%1	%1	%0.367	%0.587	%0.440	%100

من الجدول السابق يتضح الآتي:

- عزوف أحمد بن علوان عن استعمال بعض الأصوات حروف رويا، وهنا يتحقق قول ابن الأثير: " اعلم أنه يجب على الناظم والناثر أن يجتنب ما يضيق به مجال الكلام في بعض الحروف، كالثاء، والذال، والخاء، والشين، والصاد، والطاء، والظاء، والغين، فإن في الحروف الباقية مندوحة عن استعمال مالا يحسن من هذه الأحرف المشار إليها، والناظم في ذلك أشد ملامة ؛لأنه يتعرض لأن

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ينظم قصيدة ذات أبيات متعددة فيأتي في أكثرها بالبشع الكريه الذي يمجّه السمع لعدم استعماله كما فعل أبو تمام في قصيدته الثائية التي مطلعها: قف بالطلول الدارسات علاثا"[١]وهذا ما أخذ به أحمد بن علوان في قصائده، حين تجنب استعمال بعض الحروف رويا كما أشرنا سابقا.

توزيع الأصوات المستعملة رويا في شعر أحمد بن علوان، يكشف فضل بعضها عن بعض فقد تقدم روي النون وجاء في المرتبة الأولى بعدد(٤٩٣) وبنسبة (18.092%) بينما جاء الراء في المرتبة الثانية بعد روي الراء، بعدد(٤١٣) بنسبة (15.156%)، ثم يأتي بعدهما روي الباء بنسبة(11%) الميم بنسبة (10%) وهو أقل استعمالا منهما، وهذه الإحصائية تتفق مع ما توصل إليه إبراهيم أنيس[٢]، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن نسبة ورود هذه الحروف في أواخر الكلمات للغة، لا إلى انتماء الصوت إلى مخرج يخالف غيره[٣]، الأمر الذي يدل على أن الظاهرة الأسلوبية الصوتية أخذت شطرا هاما في استعمال صوت النون وقد كثر استعماله مع الياء، وحروف المد بكثرة؛ لأنه يتسع لاستيعاب عواطف أحمد بن علوان الصوفية، ويدل على الآهة، وحرف (الراء) من الروي المستعمل بكثرة في قصائد الشعر العربي[٤]، فالراء حرف لثوي تكراري متوسط، مجهور مرقق، يدل على الحركة والاضطراب[٥]، واستعماله كروي في أشعار أحمد بن علوان من شأنه أن يقرع أذن المتلقي لا سيما في المواعظ والمديح والغزل، فبتكراره يكون كل من: الشكوى، والغزل، والمديح، والوصف، متكررا على المتلقي.

جاءت معظم أبيات روي (الراء) في شعر أحمد بن علوان بحركة الياء للإيحاء بحالته النفسية التي تعاني الشوق، والضعف، والمناجاة؛ نتيجة البعد، والهجر، ومن ناحية أخرى جاء هذا الروي(الراء)

(١) المثل السائر: ١/١٨١.

(٢) ينظر: موسيقى الشعر: ٢٤٨.

(٣) ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات: ٤٦.

(٤) ينظر: أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي: ٤٨.

(٥) ينظر: موسيقى الشعر: ٢٥٢.

منسجما، وطبيعة الموضوعات الشعرية التي عبّر عنها أحمد بن علوان، فمعاني الحنين، والشكوى، والحب الإلهي، هي دلالات نفسية منكسرة تستوجب على الشاعر بناء نسيجه اللغوي بتناسق مع هذه القيم" وليس هناك حرف من حروف اللغة العربية أدق رسما وتصويرا لهذه الجوانب النفسية من حرف الراء بما فيه من تقوّس وتَثَنٍّ"(١).

وما يمكن أن يسجل هنا ظاهرة صوتية إيقاعية تخص أحمد بن علوان، هو استعماله حرف الباء، والاحتفاء به رويا مخالف بذلك نهج الشعراء.

- جاء إحصاؤنا مخالفا لما توصل إليه الباحث جميل سلطان محمد حيث يقول:" وقد غلب على استخدامه في روي قصائده حروف النون، ثم الراء ، والميم، والباء واللام، وأقلها استخداما حروف الواو والياء، والطاء والجيم، والهمزة والشين"(٢)، وهذه النتيجة التي توصل إليها الباحث لا تتفق مع الإحصائية التي قدمها في دراسته، التي نوضحها من خلال الجدول الآتي:

الروي	ر	ن	د	ل	م	هـ	ق	س	ب	ت	ع	ف	ك	ء	و	ج	ح	غ	ش	ط	الإجمالي
عدد أبيات	١٦٣	٨٢	١٣٠	٢٩٢	٤١٣	١٠	٢٢	١٠٦	٢٥٥	٨٧	٦٣	١٠٢	١٥٩	٣	٢	١٣	١٠١	١٠٨	٢٦	١٢	٢١٥٥

فكما هو واضح من الجدول الذي قدمه الباحث جميل سلطان، أن صوت الميم يأتي في المرتبة الأولى بعدد(٤١٣)، يليه حرف اللام بعدد(٢٩٢)، ثم حرف الباء بعدد(٢٥٥)، وهذه النتيجة تتعارض مع النتيجة التي توصل إليها يقول:" وقد غلب على استخدامه في روي قصائده حروف النون، ثم الراء، والميم، والباء واللام، وأقلها استخداما حروف الواو والياء، والطاء والجيم، والهمزة والشين"(٣).

(١) في نظرية الأدب: من قضايا الشعر والنثر في الأدب العربي: ٥٨/٢

(٢) ينظر: شعر التصوف عند أحمد بن علوان: ١١٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه:١١٧.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

-جاء إحصاؤنا موافقا لما توصل إليه (علي حلمي موسى)، في دراسته الإحصائية لجذور معجم (الصحاح) باستعمال الكمبيوتر[١]، إذ توصل إلى أن الأصوات ذوات التردد العالي هي(الراء، والنون، والميم، واللام، والواو، والياء) على التوالي بينما جاء إحصاؤنا مخالف لما توصل إليه الدكتور إبراهيم أنيس[٢] إذ إن الصوائت الأكثر ترددا عند أحمد بن علوان هي(الراء، والميم، وللام، والنون، والدال) إذ كان من المفترض أن يحل روي الميم في شعره في المرتبة الثانية بدلا من حلوله في المرتبة الثالثة، كما أن روي النون كان من المفترض أن يحل في المرتبة الرابعة بدلا من حلوله في المرتبة الثانية، والملاحظ أن هذه الأصوات ذات صفات قوية، فضلا عمّا تتمتع به من صفات كالقلقة والغنة وهي صفات تتناسب مع موضوعات الشكوى، والغزل والمديح، والرثاء، وأيا ما كان الأمر، فإن أي نوع من هذه الصفات، يحتاج إلى قوة ورسوخ ورصانة؛ مما يكون أدعى إلى استعمالها قواف ذات صفات قوية في تأديتها للمعنى، الأمر الذي يكشف عن معرفة أحمد بن علوان بأصوات الروي التي ينبغي تحاشيها في بناء القصائد والقوافي كحرف الثاء، والصاد، والغين، وغيرهن من الحروف، لاسيما وهذه الحروف مقاتل الفصاحة حينما تستعمل رويا للقصائد، كما يرى ابن الأثير[٣].

- وبالنسبة إلى الروي الساكن، فقد كان قليل الاستعمال، وأنه لم يقتصر على البحور المحددة التي ذكرها إبراهيم أنيس(الرمل، والطويل، والرجز والمتقارب، والسريع) [٤]، فقد ورد الروي الساكن على البحر الكامل، الذي يراه إبراهيم أنيس بأنه ينعدم فيه وفي بقية البحور.

- تميز الروي بالوضوح السمعي، فقد جاء معظمه من الأصوات الأسنانية والشفوية، المجهورة، التي تقرع الأذن بشدة، وتوقظ الإحساس والأعصاب بصخبها، وبذلك يضفي الروي على القوافي

(١) ينظر: دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر: ٢٤.
(٢) ينظر: موسيقى الشعر: ٢٤٦ .
(٣) ينظر: المثل السائر: ١/١٨١.
(٤) ينظر: موسيقى الشعر: ٢٥٨.

بعض الإثارة، في حين أن الأصوات المهموسة، تشعر المتلقي بالرفاهية والهمس[١]؛ ولذا غلب على شعر أحمد بن علوان حروف الجهر؛ لأن هذه الحروف تعبر عن انفعال سريع شديد في الغالب، ولعل هذا ينم عن عاطفة مشبوبة، ثائرة متمردة على الواقع النفسي المعيش.

- جاءت حروف الروي: (ذ، ث، غ، خ، ز، ج) قليلة الشيوع ونادرة في شعره، وهي إحصائية تتفق مع ما ذكره إبراهيم أنيس من أن هذه الأصوات قليلة الشيوع في الشعر العربي [٢].

النتائج:

مما سبق يمكن استخلاص النتائج الآتية:

- كتب أحمد بن علوان ديونا شعريا يضم حوالي (٣٣٤٣) بيتا شعري، ما يعني أنه خلّف ديوانا شعريا كبيرا، يمثّل الشعر اليمني في العصر الوسيط.
- استعمل أحمد بن علوان معظم البحور الشعرية في شعره، وكانت السيادة في شعره للبحر الكامل، ثم تلاه البسيط، والطويل، والرجز.
- خرج أحمد بن علوان عن دائرة البحور الخليلة، فكتب قصائد شعرية خارج القانون العروضي المعروف، حتى لا يقف النظام العروضي عائقا أمامه في صب مضامينه وانفعالاته وتأملاته الباطنية، وقد جاء هذا متلائما مع البحر الكامل دون سواه.
- لم يكن أحمد بن علوان ميالا إلى استعمال البحور المجزوءة، فهو لم ينظم على المجزوءات إلا القليل، وقد جاء البحر الكامل في المرتبة الأولى، ثم البسيط، فالطويل فالرجز.
- لم يكن أحمد بن علوان ميالا إلى القوافي المقيدة، والسبب في ذلك يرجع إلى أن القوافي المطلقة أقدر في التعبير عن الحالة الصوفية وما يعتريها من حركات وسكنات.

(١) ينظر: المدخل اللغوي في نقد الشعر، قراءة بنيوية: ٩٣.

(٢) ينظر: موسيقى الشعر:٢٤٦.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

- استعمل أحمد بن علوان القوافي المتنوعة كونها تتناسب مع التدفق الصوفي، وعن حبه للحقيقة المحمدية، بشكل اختلط فيه الدال بالمدلول، كما أن حضور القافية في بعض الأشطار وغيابها يمثل حالة القبض والبسط التي يعيشها.
- كتب أحمد بن علوان القافية المتنوعة، بأشكال موافقة لشروط العروض كالمربع، وأخرى غير موافقة لشروط العروض، كالتثليث المؤتلف، والمخمس المؤتلف.
- يعد أحمد بن علوان أول من كتب المبيتات، والمخمسات، و المربعات في الشعر اليمني .

المصادر والمراجع:

١. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزي(ت ٦٣٧هـ)، المثل السائر، تح، محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٩م.
٢. ابن علوان، أحمد، المهرجان والبحر المشكل الغريب المظهر لكل سر عجيب لكل عارف لبيب، تح، عبد العزيز سلطان المنصوب، سلسلة الصفاء، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط ٢، ١٩٩٥م.
٣. ابن علوان، أحمد، التوحيد الأعظم المبلغ من لا يعلم إلى رتبة من يعلم ، سلسلة الصفاء، تح، عبدالعزيز سلطان المنصوب، ط ٣، ٢٠٠٤م.
٤. ابن علوان، أحمد، الفتوح ديوان وكتاب، تح: عبد العزيز سلطان المنصوب، بيروت، سلسلة الصفاء، دار الفكر المعاصر، ط ٢، ١٩٩٥م.
٥. الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة(ت٢١٥هـ)، قوافي الأخفش، تح، عزة حسن، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦١م.
٦. الأندلسي، ابن عبده ربه، العقد الفريد، تح، محمد العريان، بيروت، دار الفكر، د.ت.
٧. أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، موسيقى الشعر، مصر، ط٣، ١٩٦٥م.

٨. التنوخي، أبو علي المحسن بن علي، كتاب القوافي، تح، عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، مصر، ط ٢، ١٩٧٨م.
٩. الجندي، محمد بن يعقوب السكسكي(ت ٧٣٢هـ)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تح، محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحِوَالي، صنعاء مكتبة الإرشاد، د.ط. ت.
١٠. خلوصي، صفاء، فن التقطيع الشعري والقافية، منشورات مكتبة المتنبي، بغداد، ط ٥، ١٩٧٧م.
١١. السعدني، مصطفى، المدخل اللغوي في نقد الشعر، قراءة بنيوية، منشأة المعارف، ١٩٨٧م.
١٢. السكاكي، يوسف بن أبي بكر(ت ٦٢٦هـ) مفتاح العلوم، المكتبة العلمية بيروت، ط ١، ١٩٨٣م.
١٣. الشايب ،أحمد، الأسلوب، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٩٦٦م .
١٤. الطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية،١٩٨١م.
١٥. عثمان، جميل سلطان محمد ، شعر التصوف عند أحمد بن علوان دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة آل البيت، كلية الآداب والعلوم، الأردن، ٢٠٠١م/ ٢٠٠٢م.
١٦. عيد، رجاء، التجديد الموسيقي في الشعر العربي، منشأة المعارف، ط ١، ٢٠٠٠م.
١٧. القاضي، النعمان عبد المتعال، أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م.
١٨. القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء تح: محمد الحبيب الخوجه، تونس، ١٩٦٦م.
١٩. القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات دار الجيل، بيروت، ط ٥، ١٩٨١م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٢٠. القيري، حمود علي، تحقيق ودراسة كتاب الفتوح لأحمد بن علوان اليمني، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٨م.
٢١. المجذوب، عبدالله الطيب، المرشد في فهم أشعار العرب، بيروت، دار الفكر، د.ت.
٢٢. موسى، على حلمي، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٨م.
٢٣. نصار، حسين، القافية في العروض والأدب، منشورات المكتبة المدنية، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٢م.
٢٤. اليوسفي، محمد لطفي، محاضرات في اللغة والأدب، الدار العربية للكتاب، تونس، د.ط، ١٩٩٢م.

اختيارات العلاَّمة عبد الله بن محفوظ الحداد في باب الصيام

دراسة فقهية مقارنة

د: صالح مبارك دعكيك(*)

الملخص

" اختيارات العلاَّمة عبد الله بن محفوظ الحداد في باب الصيام "دراسة فقهية مقارنة"

تهدف الدراسة لجمع الاختيارات الفقهية في باب الصوم لأحد فقهاء وقضاة الجهة الحضرمية، وهو العلامة عبد الله بن محفوظ الحداد (١٩٢٣-١٩٩٦م) وذلك من كتابه "الوجيز في أحكام الصيام وفتاوى رمضان" من خلال عرض اختياراته الفقهية، وذكر معتمد مذهب الشافعي، ثم مقارنتها مع آراء فقهاء المذاهب الأربعة، وذكر مستنداتهم الدليلية والتعليلية، ثم بالنظر في الترجيح استجلاء للأقرب ترجُّحا.

وقد تميز العلامة الحداد بممارسته القضاء والفتوى لما يزيد عن ثلث قرن، مع الجمع بين الأصالة والمعاصرة، والموازنة الحكيمة للقضايا الفقهية مع ميل للتوسط والتحرر من التقليد المحض.

وتوصلت الدراسة إلى نتائج منها: رجحان المسائل المختارة للعلامة الحداد، وعلو باعه في العلم الشرعي، وأن اختياراته تعتمد على أسس منها: الاتباع لظاهر الدليل الشرعي غير المعارض، وإعمال قاعدة التيسير، مع مراعاة مقاصد الشريعة الغراء، والترجيح بما ثبت علميا من العلوم الطبية التي تبين رجحان بعض المسائل الفقهية.

(*) أستاذ الفقه وأصوله المشارك – جامعة حضرموت

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وأوصت الدراسة بتوجيه عناية الباحثين لدراسة اختيارات أعلام الفقه والفتوى، لما لاختياراتهم من الأهمية في رفد مسيرة الفتوى والتقنين، والعناية بجمع تراث العلامة الحداد، وإخراجه لاستفادة العلماء والباحثين منه.

الكلمات المفتاحية: اختيارات الحداد، الاختيارات الفقهية، فتاوى الحداد، الوجيز في الصوم.

The Choices of the Scholar Abdullah Bin Mahfouz Al-Haddaad in the Chapter on Fasting
(A Jurisprudential Comparative Study)

Abstract:

The study aims at collecting the jurisprudential choices in the chapter on Fasting of one of the scholars and judges of the Hadhrami region, Abdullah Bin Mahfouz Al-Haddaad (1923-1996 AD) from his book "Al-Wajeez on the Rulings of Fasting and Fatwas of Ramadhan". It aims to present the scholar's jurisprudential choices, mentioning the approved Shafi'i sect and then comparing the choices of the scholar with the opinions of the scholars of the four schools of thought stating their evidence and reasoning on the basis of authority, besides considering the preponderant ones to clarify the most preferred one.

Al-Haddaad was distinguished through his practice of judgment and fatwas for more than a third of a century, combining authenticity with modernity, and possessing a wise balance with regard to jurisprudential issues with a tendency to adopt the golden mean and liberation from mere imitation.

The study reached to a set of results including preponderance of the issues chosen by Al-Haddaad as well as his possession of sublime knowledge in the science of Islamic law. Moreover, his choices depend on foundations which

include abidance by the apparent non-disputing legal evidence, implementation of the rule of facilitation taking into account the objectives of the noble shariah and giving preference to what has been scientifically proven by the medical sciences that manifest the preponderance of some of the doctrinal issues.

The study recommended directing researchers' attention towards studying the choices of scholars of jurisprudence and fatwas due to the choices' significance in supporting the process of fatwas and standardization. Further, considering the collection and publication of Al-Haddaad's heritage and choices for the benefit of scholars and researchers.

Keywords: Scholar Al-Haddaad; Al-Haddaad's choices; Jurisprudential choices; Al-Haddaad's fatwas; Al-Wajeez in fasting.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن علم الفقه علم واسع، وبحر لا ساحل له ، والبحث في مسائله ومعرفة اختلاف الفقهاء فيه قضية تستحق عناية الباحثين؛ خصوصا تلك الاختيارات التي ينفرد بها العلماء عن مذاهبهم التي أتقنوا أصولها وفروعها، مما يدل على وجود منزع قوي حدا بهم لاختيارها، وذلك يؤكد توجه عناية الباحثين إليها لمعرفتها ولما تضيفه من قيمة علمية، حيث يمكن أن تشكل مجموع تلك الاختيارات قوة لتلك المسائل تمكن العلماء من الوثوق والاطمئنان بالفتوى بها، كما يمكن اختيارها عند تقنين أحكام الشريعة باعتبارها ترجيحات توارد عليها فحول من العلماء، بعد تأمل عميق في

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

المسائل الخلافية ودلالتها، ونظرات ثاقبة في وقائع الأحوال، وسبر لمقاصد الشرع الشريف، نتجت عنه تلك الزبد الفقهية عالية الجودة والتأصيل.

وقد عرف القطر اليماني علماء جهابذة غاصوا في بحور العلم، وجمعوا فوائده ودرره، ودخلوا معترك المناقشات العلمية، ومقارنة الأقوال وتمحيص أدلتها ومعامدها، وخلصوا لاختيارات علمية كانت حصيلة التطواف بين أروقة العلم والقضاء، تحتاج الأمة للاستفادة من تلك الجهود الفقهية الضخمة.

وقد ازدانت جهتنا الحضرمية بفقهاء أفذاذ، كان لهم قدم صدق في المدارسات والمناقشات الفقهية، وتركوا ميراثا غزيرا، زبدته تلك الاختيارات الفقهية التي تمثل بحق علو كعبهم، وتعدد معارفهم العلمية.

وعالمنا السيد عبد الله بن محفوظ الحداد (١٩٢٣-١٩٩٦م) أحد أعلام حضرموت، فقيه، لغوي أصولي، متحرر، كان له اختياراته العلمية، بعد أن خاض غمار العلم والتعليم والقضاء والفتوى دهرا من عمره، مما يجعل الأنظار ترتفع لتلك الاختيارات؛ لصدورها من عالم مارس الفقه درسا وقضاء وإفتاء.

وهذا البحث محاولة لاستجلاء اختيارات العلامة الحداد في باب الصيام المخالفة لمذهب الإمام الشافعي، ومعرفة مراميها ودلالاتها، يُقدم على مائدة الباحثين في الدراسات الشرعية للنظر فيها، والسير على نهجها.

وقد التزمَتْ هذه الدراسة بالمنهج الوصفي والتحليلي والمقارن، وبدأت بعرض اختيار العلامة الحداد في باب الصيام، وذكر معتمد مذهب الشافعي، ثم عرض ومقارنة آراء فقهاء المذاهب الأربعة، وذكر مستنداتهم الدليلية والتعليلية، وخُتمتْ الدراسة بالنظر في الترجيح تكملة في استجلاء الصورة الأقرب ترجحا من مسائل البحث.

وقد انتظم هذا البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهمية دراسة اختيارات علماء اليمن العلمية عموما، وعلماء الجهة الحضرمية خصوصا.

المبحث الأول: ترجمة العلاَّمة الحداد، ومنهجه في اختياراته العلمية.

المبحث الثاني: اختيارات الحداد في باب الصيام.

المبحث الأول: ترجمة العلاَّمة الحداد ومنهجه في اختياراته

أولا: اسمه ومولده ونشأته[1]

هو العلامة السيد أبو محمد عبد الله بن محفوظ بن محمد بن إبراهيم الحداد باعلوي الحسيني، ولد في مدينة "الديس الشرقية" بحضرموت سنة ١٣٤٢هـ الموافق ١٩٢٣م، تولى تربيته ورعايته وتعليمه أساسيات العلوم جده السيد محمد بن إبراهيم الحداد، نظراً لاغتراب والده، وظل في كنف جده حتى بلغ الرابعة عشرة من عمره ثم أرسله جده إلى رباط تريم لإكمال تعليمه هناك.

ثانيا: طلبه للعلم[2]

تتلمذ العلامة عبد الله بن محفوظ الحداد العلم أولاً في مسقط رأسه "الديس الشرقية" على يد أستاذة الشيخ القاضي أحمد باصلعة، قاضي الديس آنذاك، ثم أرسله جده السيد محمد بن إبراهيم الحداد إلى مدينة تريم، وهي إحدى أكبر مدن العلم بحضرموت المشهورة بالعلم، حيث التحق برباط تريم الذي كان يدرس فيه مجموعة من أفاضل الفقهاء آنذاك، وعلى رأسهم العلامة عبد الله بن عمر الشاطري، فنهل من علمهم ومعارفهم لمدة تزيد عن أربع سنوات، عاد بعدها إلى مسقط رأسه بسبب وفاة جده وتعيينه وصيا على أملاك جده وأولاده.

(١) مقدمة تحقيق رسالة الصيام:١٢؛ رسالة فتاوى الصلاة: ٣؛ الندوة العلمية في الذكرى ٢٤ لحولية العلامة الحداد:٩، ٣٢.

(٢) مقدمة تحقيق رسالة الصيام: ١٤؛ رسالة فتاوى الصلاة: ١٦.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ثم التحق برباط غيل باوزير في دورة تأهيلية لتخريج القضاة في عهد السلطنة القعيطية، وبعد إكمال الدورة التأهيلية تم تعيينه قاضياً شرعياً في سنة ١٩٤٦م، وتنقل خلال عشر سنوات إلى عدة مدن بحضرموت، قاضيا وداعيا ومعلما.

وبعد مرور أكثر من عشر سنوات ابتُعث إلى السودان لإكمال الدراسات العليا في القضاء بجامعة الخرطوم قسم الشريعة، وتخرج منها سنة ١٩٥٩م.

ثالثا: أبرز مشايخه[(١)]

تتلمذ العلامة الحداد على مشايخ عدة من كبار علماء عصره، أبرزهم:

١. القاضي الشيخ أحمد باصلعة، قاضي الديس الشرقية، وهو أول من تعلم على يديه بعد جده.
٢. العلامة القاضي عبد الله بن عوض بُكيْر، رئيس مجلس القضاء الأعلى في السلطنة القعيطية.
٣. العلامة السيد عبد الله بن عمر الشاطري.
٤. العلامة السيد سالم بن حفيظ، وابنه محمد سالم صاحب كتاب (تكملة زبدة الحديث).
٥. العلامة السيد عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف مفتي حضرموت.
٦. المحدث السيد علي بن محمد بن يحيى، مدير المعهد الديني الجديد بغيل باوزير.
٧. الشيخ محمد بن عوض بافضل.
٨. العلامة السيد أحمد بن عمر الشاطري مؤلف (الياقوت النفيس).
٩. العلامة السيد محسن بن جعفر بونمي.

(١) مقدمة تحقيق رسالة الصيام: ١٢؛ تحقيق فتاوى الصلاة: ٢١.

١٠. العلامة الشيخ محمد يوسف موسى، أحد علماء الأزهر.

١١. العلامة الشيخ علي حسب الله، أحد علماء الأزهر.

رابعا: أهم الوظائف والأعمال التي تقلدها[١]

١. عين قاضيا شرعيا بعد إكماله لدورة القضاة بغيل باوزير وذلك في سنة ١٩٤٦م.

٢. عُين رئيسا لمحكمة الاستئناف بالمكلا سنة ١٩٦٠ م.

٣. تولى رئاسة المجلس العالي للقضاء بحضرموت سنة (١٩٦٥م – ١٩٦٩م) خلفا لشيخه العلامة القاضي عبد الله بن عوض بكير بترشيح منه.

٤. تولى التدريس والخطابة في جامه السلطان عمر بالمكلا سنة ١٩٧٥م.

٥. عين محاضرا بكلية التربية بالمكلا، وتولى رئاسة قسم اللغة العربية فيها سنة ١٩٧٦م إلى حين وفاته.

خامسا: ذكاؤه وبعض مواقفه[٢]

كان العلامة الحداد جاداً في طلب العلم، وكان حاد الذكاء، حريصاً على وقته وعلى الانتفاع به، ومما يؤكد ذلك أن كتاب منهاج الطالبيين وعمدة المفتين في فقه الشافعية للإمام النووي كان يُدرَّس برباط تريم في حوالي سبع سنوات، أكمله علامتنا في سنتين، ومما يدل على حرصه في طلب العلم أنه لم يجد أثناء تعلمه في الرباط وقتاً لدراسة البلاغة نظراً لانشغال شيخه إلى قبل الفجر.

وعند العزم على ابتعاثه إلى السودان، شرط على سكرتير الدولة القعيطية السوداني الشيخ "سعيد القدال" رحمه الله أن يستكمل منهج جامعة الخرطوم في سنتين بدلا من أربع، وبالفعل تم التنسيق مع جامعة الخرطوم فاستكمل دراسة المقرر في سنتين.

(١) رسالة فتاوى الصلاة: ١٧،١٨؛ الندوة العلمية: ١٠.

(٢) رسالة فتاوى الصلاة: ١١ وما بعدها؛ الندوة العلمية: ٣٢ وما بعدها.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وكان ضمن الدراسة في السودان منهج تطبيقي عملي للطلاب الدارسين في دوائر المحاكم في السودان، ووقع أن دخل رجل للقاضي السوداني وبرفقته السيد الحداد، واعترف الرجل أمام القاضي أنه طلق زوجته وهو سكران، فأراد القاضي أن يحكم ببطلان الطلاق معتمدا على مذهب السادة المالكية في ذلك، فاعترض عليه السيد الحداد وقال إن الإمام مالك لم يوقع على السكران الطلاق حتى لا تجتمع عليه عقوبتان، عقوبة الجلد وعقوبة الطلاق، وأنتم لا توقعون عليه عقوبة السُكر! ولو يعلم الرجل أنه سيجلد لسكره لم يعترف بالطلاق، فأمضى القاضي عليه الطلاق.

سادسا: مؤلفاته(١)

ألف العلامة الحداد عدداً من المؤلفات والرسائل النافعة، نذكر منها:

١. كتاب السنة والبدعة: ويقع في جزأين، طبع منه الجزء الأول في مجلد، والجزء الثاني لايزال مخطوطاً وفية تحقيقات فريدة نافعة.
٢. رسالة "رفع الستر عن أدلة القنوت في الفجر ".
٣. رسالة عن حكم الغناء في الإسلام، وهي رسالة صغيرة بحث فيها أحكام الغناء والموسيقى وما يتعلق بذلك.
٤. الوجيز في أحكام الصيام اعتنى بها الدكتور علي محمد العيدروس وألحق به أيضا فتاوى الصيام.
٥. ديوان خطب المنبرية: وهو يتضمن بعض خطبه المنبرية للجمعة والعيدين التي ألقاها في " مسجد السلطان عمر "، وهي خطب قيمة ناقش فيها كثيراً من قضايا المجتمع المسلم، طبع منها مجلدان.

(١) مقدمة تحقيق رسالة الصيام: ١٧ـ٢٤؛ رسالة فتاوى الصلاة: ١٩، ٢٠؛ الندوة العلمية: ٤٤ ، ٤٥.

٦. مجموع فتاوى: تتضمن فتاواه التي ألقاها عبر إذاعة المكلا بعنوان " ما يهم المسلم"، وقد حُقق منها:

أ- فتاوى الصلاة، حققه في رسالة ماجستير د. سالم عبد الله باقطيان، وقدم له ترجمة وافية.

ب- فتاوى الصيام، طبع مع كتاب الوجيز في أحكام الصيام بعناية الدكتور علي محمد العيدروس.

ج- فتاوى تهم المرأة، ويليه مسائل يكثر السؤال عنها، اعتنى به د. فؤاد عمر بن الشيخ أبوبكر.

ولا تزال بقية الكراسات بحاجة لتحقيق حتى ترى النور، بالإضافة إلى الدروس المسجلة في عشرات الأشرطة، التي كان يلقيها في بيته لطلاب العلم الشريف.

سابعا: وفاته [(١)]

في يوم صباح الجمعة الثالث عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٥ أكتوبر ١٩٩٦م توفي شيخنا العلامة عبد الله بن محفوظ الحداد بمرض ألم به، بعد عمر مبارك قضاه في العلم والفتوى والقضاء، وصُلِّي عليه بجامع السلطان عمر بالمكلا، وقد امتلاء بحشود المصلين وفدت من كل أنحاء البلاد، وخيمت على حضرموت أجواء الحزن العميق على وفاة مفتيها، وامتلأت الصحف بمقالات الرثاء والقصائد، رحم الله شيخنا رحمة الأبرار، وأسكنه أعالي الجنان مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

(١) رسالة فتاوى الصلاة: ٤٢٩؛ كتيب الندوة العلمية: ٤٤ ، ٤٥.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ثامنا: منهج العلامة الحداد في اختياراته

مع أن العلامة عبدالله بن محفوظ الحداد منتسب لمذهب الشافعي ، ومتشبع بمعرفة أحكام المذهب ومقرراته، إلا أنه تميز بسعة مقروءاته، وعمق اطلاعه ، ومعرفته بمذاهب الأئمة، وكانت دراسته للعلوم الشرعية غير مقتصرة على النمط التقليدي المتعارف عليه عند فقهاء الجهة، بل كان نمط بنائه الفقهي والمعرفي عميقا حيث جمع بين المنهج التقليدي عند كبار مشايخ حضرموت، والنمط الأكاديمي تلقاه على يد أساتذة أكاديميين في جامعة من أعرق الجامعات في البلاد العربية في مجال الدراسات الشرعية والقضائية ، صاغ علامتنا ذلك كله في بوتقة متينة، تجمع بين الأصالة والمعاصرة، مع ذكاء حاد، وموازنة دقيقة للأفكار والمقالات الفقهية، تستوعب مقررات الماضي ومتطلبات العصر، بروح مقاصد الشريعة الغراء، مع توجه للتوسط والتحرر من ربقة التقليد المحض؛ فكانت تلك المختارات الفقهية المتوازنة.

ومن خلال النظر في تلك المختارات يمكن تحديد منهج العلامة الحداد في اختياراته واعتماده على الآتي:

١. قاعدة التيسير ما دامت المسألة فيها آراء، وليس فيها نص شرعي ملزم، ومثال ذلك اختياره، جواز الصوم أيام نقاء الحائض بترجيح قول اللقط في الحيض، وكذا تقديم فدية الصيام أول الشهر.
٢. الاتباع لظاهر الدليل الشرعي غير المعارض، كاختياره أن مدة النفاس أربعون يوما.
٣. مراعاة مقاصد الشريعة، ومن ذلك اختياره إخراج الرجل زكاة الفطر عن أولاده أو إخوانه دون إخبارهم بذلك، حيث المقصود وهو الإخراج قد تم بفعله.
٤. الترجيح بما ثبت علميا من العلوم الحديثة، وعلوم الطب، كترجيحه بعدم بطلان الصوم بالتقطير في الإذن؛ لما ثبت طبيا أن الأذن ليس منفذا مفتوحا.

وعلى كل فإن علامتنا الحداد فقيه متضلع، فلا غضاضة فيما اختاره من الأقوال التي اقتنع بصحة دليلها وموافقتها لمقاصد الشرع والمصالح الشرعية.

المبحث الثاني: اختيار العلاَّمة الحداد في باب الصيام

المسألة الأولى: تقديم فدية الصيام أول الشهر

قال رحمه الله: "ومن عجز عن الصيام ولم يكن ينتظر الشفاء كبعض المرضى بالكلى والقلب، أو منعه الطبيب الحاذق منه دائما أخرج الفدية، وهي مد عن كل يوم، إن شاء قدمها وإن شاء أخرها، وإن شاء أخرجها يوما بيوم"(١).

وقال في الفتاوى: " ... ويمكنه إخراج هذه الأمداد في كل يوم مد، أو يجمعها كلها ثلاثين مدا، فيخرجها دفعة واحدة أول الشهر أو آخر الشهر أو يفرقها على مدى الشهر"(٢).

ثانيا: المعتمد عند الشافعية

معتمد الشافعية أنه لا يصح تقديم الفدية عن جميع الشهر للعاجز عن الصوم لكبر أو مرض لا يرجى برؤه في أول الشهر، وإنما يجوز تقديم فدية يوم واحد فقط (٣).

ثالثا: أقوال العلماء

اختلف القائلون من العلماء بوجوب الفدية في جواز تقديم الفدية للعاجز عن الصوم لكبر أو مرض لا يرجى برؤه على قولين:

(١) الوجيز في أحكام الصيام: ٧٢.

(٢) فتاوى رمضان: ١٥١ ـ ١٥٢.

(٣) ينظر: المجموع:٦/ ٢٦٠؛ نهاية المحتاج: ٣/ ١٩٤؛ حاشية الجمل على المنهج: ٤/٤٢٧.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

القول الأول:

ذهب الأحناف إلى جواز تقديم الفدية وتعجيلها من أول شهر رمضان كما يجوز له أن يؤخرها إلى آخر الشهر(١)، وهو ظاهر مذهب الحنابلة(٢).

ومما استدلوا به أن سبب الفدية هو العجز الدائم ودخول شهر الصيام، وقد عهد من الشارع جواز التقديم عند حصول الأسباب؛ كإخراج زكاة سنين عند ملك النصاب وقبل حولان الحول، فجاز تقديم فدية الصيام إذا وجد السبب(٣)، ومما يدل لذلك ما رواه عند الترمذي: (أن العباس سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم -في تعجيل صدقته قبل أن تحل فرخص له في ذلك).

وروى البيهقي من حديث على رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إنا كنا احتجنا فاستسلفنا العباس صدقة عامين) (٤) ورواه أيضا مرسلا بلفظ: (إنا كنا قد تعجلنا صدقة مال العباس لعامنا هذا عام أول) (٥)، ورواه الدارقطني بلفظ: (إن العباس أسلفنا صدقة عامين في عام) (٦)، وأكثر أهل العلم على جواز تعجيل الزكاة، كما حكاه الترمذي (٧).

ومثل الزكاة فدية الصيام لاشتراك المالية، وعليه فيجوز تقديم الفدية في أول أيام رمضان عن جميع أيام الشهر قياسا على تقديم الزكاة لسنين.

ونوقش هذا الدليل بأنه أخذ من العباس في أول الحول زكاة العام الماضي وهي الواجبة عليه، وعجل زكاة العام الذي بعده، فنقل الراوي عنه أنه أخذ زكاة عامين (٨).

---

(١) ينظر: حاشية ابن عابدين: ٢/ ٤٢٧؛ البحر الرائق: ٢/ ٣٠٨ . ٣٠٩.

(٢) ينظر: المغني:٢/ ٤٩٢؛ الإنصاف: ٤٩٢/٣؛ والمالكية لا يوجبون على الهرم الكبير فدية، وهي عندهم على جهة الاستحباب. ينظر: منح الجليل شرح مختصر خليل: ٢/ ١٢٠.

(٣) ينظر: حاشية ابن عابدين: ٢/ ٢٩٣؛ حاشية الطحطاوي: ٤٦٩؛ بدائع الصنائع: ٢/ ٥١؛ المغني: ٢/ ٤٩٥.

(٤) السنن الكبرى، البيهقي برقم (٧١٥٩).

(٥) السنن الكبرى، برقم (٧١٥٨) ، ثم قال: "هذا هو الأصح هذه الروايات" وللحديث طرق متعددة مرفوعة ومرسلة، يتقوى الحديث بمجموعها. ينظر: فتح الباري: ٣٣٤/٣؛ البدر المنير: ٥/٥٠٠-٥٠٤؛ إرواء الغليل: ٣٤٩/٣.

(٦) سنن الدارقطني رقم (٢٠١٣) والطبراني في المعجم الكبير رقم (٩٩٨٥).

(٧) ينظر: سنن الترمذي: ٣/ ٦٣.

(٨) ينظر: الحاوي، الماوردي، (٣/ ١٦٠).

وأجيب بأن لفظ الدارقطني السابق: (إن العباس أسلفنا صدقة عامين في عام)، ورواه أيضا موصولا عن ابن عباس بلفظ: (إن العباس قد أسلفنا زكاة ماله العام والعام المقبل) [(١)]، وهي صريحة في تعجيل الزكاة لعاميين متتاليين.

القول الثاني:

لا يجوز تقديم الفدية للعاجز عن الصوم أول الشهر، وإنما يجوز تقديم فدية يوم واحد؛ وهذا مذهب الشافعية[(٢)].

ومما استدلوا به أن سبب الفدية هو العجز الدائم عن الصوم ودخول شهر رمضان، ولها سبب وجوب وهو غروب شمس كل يوم من رمضان، فلا يجوز تقديمها على سبب وجوبها.

قال الإمام الرملي – رحمه الله تعالى –: " ويتخير في إخراجها بين تأخيرها وبين إخراج فدية كل يوم فيه أو بعد فراغه ولا يجوز تعجيل شيء منها – أي الفدية –لما فيه من تقديمها على وجوبه – أي سبب وجوبه –لأنه فطره"[(٣)].

وقال الإمام الروياني – رحمه الله تعالى –: " والأصل فيه أن سبب وجوب الفدية هو الإياس من القدرة على الصوم وله سبب آخر وهو دخول زمان رمضان وحالة وجوب وهي إذا غربت الشمس ذلك اليوم ألا ترى أنه لو مات قبل غروب الشمس لم يلزم في ماله فدية ذلك اليوم لعدم القدرة، فإذا أدى الفدية بعد وجود السبب الأول وبعد دخول زمان السبب الثاني جاز وإلا فلا يجوز، كما جاز أداء زكاة المال بعد وجود النصاب قبل الحول ولا يجوز قبل النصاب"[(٤)].

(١) سنن الدارقطني رقم (٢٠١٢) وإسناده ضعيف. ينظر: البدر المنير: ٥/ ٥٠١.
(٢) ينظر: المجموع، النووي: ٦/ ١٤٢)؛،نهاية المحتاج: ٣/ ١٩٤؛ حاشية الجمل: ٤/ ٤٢٧.
(٣) فتاوى الشهاب: ٢/ ٦٤.
(٤) بحر المذهب: ٣/ ٢٩٧.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وأجيب عنه: بأن حديث على – رضي الله تعالى عنه–المتقدم قد دل على جواز تقديم زكاة أكثر من عام، فكذلك فدية الصيام يجوز تقديمها للعاجز أول الشهر عن يوم واحد أو عن الشهر كله(١).

والذي اختاره العلامة الحداد من جواز تقديم العاجز عن الصوم للفدية من أول شهر رمضان أظهر، وذلك لأمور:

أحدها: أن حكم فدية الصيام كحكم تعجيل الزكاة، والأحاديث الواردة في تعجيل الزكاة ولها طرق متعددة موصولة ومرسلة تقوم بها الحجة.

الثاني: أنه يجوز في التكفير بالمال تقديمه على كفارته، كتعجيل قضاء الدين قبل حلول أجله(٢).

الثالث: أن المال إذا وجد سبب وجوبه جاز تعجيله، وسبب الوجوب هنا العجز عن الصوم ودخول موجبه وهو شهر رمضان؛ فجاز تعجيله ككفارة اليمين بعد الحلف وقبل الحنث وكفارة القتل بعد الجرح قبل الزهوق(٣).

الرابع: أن الشيء إذا كان لوجوبه وقت، وكان دخول الوقت فيه رفقا بالإنسان جاز له أن يعجله ويترك الإرفاق بنفسه كالدين المؤجل، وكمن أدى زكاة مال غائب وإن لم يكن على يقين من وجوبها(٤).

المسألة الثانية: عدم قضاء صوم المُغمى عليه

أولا: قول العلاَّمة الحداد: قال رحمه الله: " ... بخلاف المغمى عليه بمرض فإنه معذور، وصومه صحيح إذا نواه وصحا في النهار ولو قبيل المغرب، أما إذا عم النهار كلَّه فالصوم باطل،

(١) ينظر : بدائع الصنائع: ٢/ ٥١.
(٢) ينظر: الإعلام بفوائد عمدة الأحكام: ٩/ ٢٤٦.
(٣) ينظر: بحر المذهب:٣/ ٢٩٧؛ المغني: ١١/ ٢٢٣.
(٤) ينظر: ينظر: المغني: ٢/ ٤٩٥.

والخلاف بين العلماء هل يلزمه القضاء أم لا؟ ومذهبنا يلزمه القضاء، لكن الراجح أنه لا قضاء عليه لعدم التكليف[١].

ثانيا: المعتمد عند الشافعية: المعتمد عند الشافعية أن إغماء الصائم إذا عم جميع النهار فصومه باطل، ويجب على المكلف القضاء[٢].

ثالثا: أقوال العلماء: اختلف العلماء في صوم من نوى الصيام من الليل ثم أغمي عليه جميع النهار على قولين:

القول الأول: أن من نوى الصوم من الليل ثم أغمي عليه قبل طلوع الفجر ولم يفق من إغمائه إلا بعد غروب الشمس فإنه لا يجب عليه قضاء ذلك اليوم، وصومه صحيح؛ وهذا مذهب الأحناف، وقال به المزني وابن سريج من الشافعية [٣].

ومما استدلوا به:

١-إن شرط صحة الصوم وجود النية، وقد وجدت من الليل، وركن الصوم الإمساك، والإغماء لا ينافي أهلية الأداء، وإنما ينافي النية، فصح لوجود ركنه وشرطه[٤].

وأجيب عنه: بأن الصوم هو الإمساك مع النية، لحديث: (كل عمل بن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي) [٥]، فقد أضاف ترك الطعام والشراب للصائم، والمغمى عليه لا يضاف إليه الإمساك، فلم يصح صومه[٦].

(١) فتاوى رمضان: ١٣٧ . ١٣٨.

(٢) ينظر: تحفة المحتاج : ١٣/ ٣٧٣ ، ٣٧٤.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع: ٢/ ٩٤؛ شرح فتح القدير: ٢/ ٣٦٩؛ البيان: ٣/ ٥٣٠؛ المجموع: ٦/٢٥٥.

(٤) ينظر: المبسوط: ٣/٧٠؛ بدائع الصنائع: ٢/ ٩٤؛ شرح فتح القدير:٢/ ٣٨٠.

(٥) صحيح البخاري: رقم (٧٠٥٤)؛ صحيح مسلم: رقم (١٦٥).

(٦) ينظر: البيان: ٣/ ٥٣٠؛ لروض المربع: ١٦٠.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٢ . قياسا على النوم، فإنه يصح صوم من نام جميع النهار، فكذا من أغمي عليه فإن صومه صحيح[١].

وأجيب عنه: بأنه قياس مع الفارق؛ وذلك لأن النائم أقرب إلى رتبة الغفلة لبقاء أهلية الخطاب، بخلاف المغمى عليه، فالنوم أضعف من الإغماء، ولا يمكن أن نُلحق الأضعف بالأعلى[٢].

القول الثاني: من نوى الصوم من الليل ثم أغمي عليه قبل طلوع الفجر ولم يفق من إغمائه إلا بعد غروب الشمس فإنه يجب عليه القضاء؛ وهذا مذهب الجماهير من المالكية، والشافعية، والحنابلة[٣].

ومما استدلوا به:

١ – أن المغمى عليه أتى بنية مجردة عريت عن قصد وعمل، فلا يصح صومه[٤].

٢–أن الصوم عبارة عن إمساك مع النية، وقد تقدم كما في حديث: (يدع شهوته وطعامه من أجلي)، والمغمى عليه لا يضاف الإمساك إليه.

رابعا: النظر في الترجيح: ينبغي أن نفرق في قضية صيام المغمى عليه بين مسألتين:

الأولى: حكم صوم من نوى الصيام ثم أغمي عليه قبل طلوع الفجر ولم يفق إلا بعد الغروب.

الثانية: الحكم ببطلان صوم المغمى عليه ولم يفق يوما فأكثر، وإيجاب القضاء عليه.

فالمسألة الأولى وهي حكم صوم من نوى الصيام ثم أغمي عليه قبل طلوع الفجر ولم يفق إلا بعد الغروب، تقدم ذكر الخلاف فيه، والذي يظهر هو قول الجمهور ببطلان صوم الناوي مع عدم إفاقته جزء من النهار لمرجحات منها:

(١) ينظر: البيان: ٣/ ٥٣٠.

(٢) ينظر: النجم الوهاج: ٣/ ٣١٤؛ الروض المربع: ١٦٠.

(٣) ينظر: مواهب الجليل: ٣/ ٣٤٢؛ التاج والإكليل: ٢/ ٤٢٢؛ البيان: ٣/ ٥٢٩؛ تحفة المحتاج: ١٣/ ٣٧٣. ٣٧٤؛ المغني: ٣/ ٣٢؛ الروض المربع: ١٥٩.

(٤) ينظر: الحاوي الكبير: ٣/ ٤٤١.

١. عدم صحة نسبة الصوم للمغمى عليه حيث لا يضاف الإمساك إليه، كما هو ظاهر الحديث السابق.

٢. إن النية أحد ركني الصوم، فلا تجزئ وحدها، كما أن الإمساك لا يجزئ وحده [١].

٣. لا بد في الصوم أن يقع المعزوم عليه، بحيث يتصور القصد إليه، وإمساك المغمى عليه لا يقع مقصودا فإذا استغرق الاغماء النهار امتنع تصحيح صومه [٢].

المسألة الثانية: الحكم ببطلان صوم المغمى عليه، وهل يجب القضاء عليه؟

عامة العلماء يوجبون القضاء على المغمى عليه في رمضان ولم يفق يوما فأكثر، وعللوا ذلك بعدم وجود النية، وأن الإغماء مرض يعرض للمكلف يؤخر أداء الصوم لكن لا يسقطه، ويُعدُّ مكلف شرعا.

قال الشافعي: (المغمى عليه والحائض لا صوم عليهما ولا صلاة، فإذا أفاق المغمى عليه وطهرت الحائض فعليهما قضاء ما مضى من الصوم في أيام إغماء هذا وحيض هذه)[٣].

قال السرخسي: (الإغماء مرض، وهو عذر في تأخير الصوم إلى زواله لا في إسقاطه، وهذا لأن الإغماء يُضعِفُ القوى ولا يزيل الحجا، ألا ترى أنه لا يصير موليًا عليه، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتلي بالإغماء في مرضه، وكان معصومًا عما يزيل العقل)[٤].

وخالف الحسن البصري، وتبعه ابن سريج من الشافعية، وابن قاضي الجبل من الحنابلة، بأنه لا قضاء على المغمى عليه في رمضان؛ لأنه زائلٌ عقله أثناء النهار فهو غير مكلف؛ وليس هنا ما يدل على وجوب قضاء المغمى عليه [٥].

---

(١) ينظر: المغني: ٣/ ١١٥.

(٢) ينظر: فتح العزيز: ٦/ ٤٠٦.

(٣) الأم : ٧/ ٣٠٢.

(٤) المبسوط: ٨٧/٣؛ وانظر: حاشية الدسوقي: ١/ ٥٢٢.

(٥) ينظر: المبسوط: ٨٧/٣؛ المجموع شرح المهذب: ٦/ ٢٥٤؛ الإنصاف: ٧/ ٣٨٩.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وأجاب فقهاء المذاهب على القائلين بعدم القضاء بأمور:

منها: أنّ الإغماء عذرٌ في تأخير الصَّوم إلى زواله لا في إسقاطه، لأنّ سقوطه يكون بزوال الأهليّة أو بالحرج، ولا تزول الأهليّة به ولا يتحقّق الحرج به، لأنّ الحرج إنّما يتحقّق فيما يكثر وجوده، وامتداده في حقّ الصّوم نادرٌ، لأنّه مانعٌ من الأكل والشّرب(١).

ومنها: أن الأغماء مرض، والمريض يقضي بالنص، قال ابن حزم:(ووجدنا المصروع والمغمى عليه مريضين بلا شك؛ لأن المرض هي حال مخرجة للمرء عن حال الاعتدال وصحة الجوارح والقوة إلى الاضطراب وضعف الجوارح واعتلالها، وهذه صفة المصروع والمغمى عليه بلا شك، ويبقى وهن ذلك وضعفه عليهما بعد الإفاقة مدة؛ فإذ هما مريضان فالقضاء عليهما بنص القرآن) (٢).

وقال الشيرازي في المهذب: (فإن أفاق وجب عليه القضاء، لقوله تعالى: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ. [البقرة:١٨٤] والإغماء مرض)(٣).

ومنها: أن الأغماء مرض لا يزول به العقل، ولا ينافيه أيضا، ولو كان ينافي العقل أو يزول به العقل لعصم منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما عصموا من الجنون(٤).

ومنها: أن المغمى عليه لم يسقط عنه التكليف، وعقله لم يزل وإنما ستره الإغماء، ولهذا قيل إنه إذا شم البنج أفاق، فافترق عن المجنون(٥).

ومنها: إنه كما وجبت على الصبي صدقة الفطر، ووجبت الصلاة على النائم ولا خطاب عليهما بالإجماع، يجب القضاء على المغمى عليه(٦).

(١) ينظر: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: ٤/ ٢٨١؛ المبسوط: ٨٧/٣.
(٢) المحلى بالآثار: ٤/ ٣٦٥؛ وسبقه لذلك القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي في الإشراف على نكت مسائل الخلاف: ١٤٤/١.
(٣) المهذب مع المجموع: ٦/ ٢٥٤.
(٤) ينظر: التقرير والتحبير: ٣/ ٤٢٨.
(٥) ينظر: القواعد والفوائد: ٥٧.
(٦) ينظر: أصول البزدوي: ١/ ١٣٢.

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم اتفاق الفقهاء على وجوب قضاء الصوم على المغمى عليه، قال ابن قدامة: (لا نعلم خلافاً في وجوب القضاء على المغمى عليه؛ لأن مدته لا تتطاول غالباً ولا تثبت الولاية على صاحبه فلم يلزم به التكليف كالنوم) [(١)]، وقال ابن رشد: (وفقهاء الأمصار على وجوبه على المغمى عليه)[(٢)].

وكأنهم رأوا أن خلاف الحسن البصري كالشاذ، وبما ذكرناه يظهر رجحان القول بوجوب قضاء صوم المغمى عليه، والله تعالى أعلم.

المسألة الثالثة: جواز صوم الحائض أيام نقائها

أولا: اختيار العلاَّمة الحداد: قال رحمه الله: " ... أما لو كان عندها أيام نقاء وصامت ثم عاودها الدم فإن الأيام التي صامتها أيام النقاء. فإن صومها صحيح ولا ينتقض مطلقا، وهذا هو الراجح "[(٣)].

وقال في موضع آخر: " وأما ما حصل في أثناء الخمسة عشر من دم وطهر، فإن الراجح هو اعتبار أيام الدم أيام حيض وأيام النقاء أيام طهر، فما فعلته في أيام النقاء من صلاة وصوم هو صحيح "[(٤)].

ثانيا: المعتمد عند الشافعية: اعتمد الشافعية أن أيام النقاء تعتبر حيضا أو نفاسا على القول المعتمد وهو قول السحب، فلو صامت فيها أو صلت ثم عاد إليها الدم مرة أخرى تبين بطلانهما[(٥)].

ثالثا: أقوال العلماء: اختلف العلماء فيما إذا تقطع دم المرأة بأن ترى بعض الأيام دما ثم ينقطع ثم يعود بعد ذلك، فهل يصح منها الصوم الذي صامته في أيام النقاء أم لا؟ اختلفوا على قولين:

(١) الشرح الكبير: ٣/ ٢٢.
(٢) بداية المجتهد: ٢/٦١؛ وينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: ٥/ ٢٦٨.
(٣) فتاوى رمضان: ١٣٨.
(٤) فتاوى رمضان: ١٨٨.
(٥) ينظر: المجموع شرح المهذب: ٢/ ٥٠٢؛ مغني المحتاج: ١/ ١١٩.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

القول الأول: ذهب الأحناف والشافعية إلى أن أيام النقاء حكمها حكم الحيض بشروط معتبرة عندهم، وبالتالي يجب على المرأة قضاء الأيام التي صامتها في أيام النقاء [١].

واستدلوا بأدلة منها:

١-إن الله سبحانه وتعالى جعل العادة في زمن الحيض أن الدم لا يستمر في السيلان بل له حالان: يسيل تارة ويمسك أخرى، ويسمى في حالة الإمساك بالفترات، وينسحب حكم الحيض عليها اتفاقا، فما زاد عليها حكمه حكمها فتعتبر كزمن الحيض، ويجب عليها أن تقضي الصوم الذي صامته في زمن الانقطاع[٢].

وأجيب عن هذا: بأن الصورتين بينهما فرق من جهة أن الفترات زمنها قريب ففي وقتها إذا أدخلت القطنه في فرجها فإنها تخرج ملوثة بالدم، وهذا دليل على بقاء الحيض، وأما المسألة التي فيها الكلام فإن القطنة تخرج بيضاء، وهذا يدل على انعدام الحيض[٣].

أيضا: فإن الانقطاع اليسير لا عبرة به، وإنما متى ما وجد انقطاع طويل يمكن من أداء العبادة فيه كالصلاة والصيام، وجب عليها وصح منها لعدم وجود مانع[٤].

القول الثاني: ذهب المالكية والحنابلة إلى أن أيام النقاء حكمها حكم الطهر، وبالتالي فإن صوم المرأة في أيام النقاء صحيح ولا يجب عليها قضاؤه [٥].

ومما استدلوا به:

١ - قوله تعالى:﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾، [البقرة: ٢٢٢]، فقد وصف الله سبحانه وتعالى الحيض بأنه أذى، وأمر باعتزال النساء حتى يطهرن، وليس هناك ما يستدل به على

(١) ينظر: بدائع الصنائع: ١/ ٤٣ . ٤٤؛ تبيين الحقائق: ١/ ٦٠ . ٦٢؛ الفتاوى الهندية: ١/٣٦؛ المجموع: ٢/ ٥٠٢؛ مغني المحتاج، الشربيني: ١/ ١١٩؛ حاشية إعانة الطالبين: ١/ ٨٨.

(٢) ينظر: نهاية المطلب: ١/ ٤١٣؛ كفاية النبيه في شرح التنبيه: ٢/١٣٩ . ١٤٠.

(٣) ينظر: كفاية النبيه في شرح التنبيه: ٢/ ١٤٠.

(٤) ينظر: المغني: ١/ ٣٩٩؛ نهاية المطلب: ١/ ٤١٣.

(٥) ينظر: مواهب الجليل: ١/ ٥٤٤؛ الفواكه الدواني: ١/ ٣٥١؛ المغني: ١/ ٣٩٩؛ الروض المربع: ٤٨.

وجود الحيض إلا الدم، ولا الطهر إلا النقاء، وعلى هذا فإن ما فعلته في أيام النقاء من صوم وغيره صحيح لأنها طاهرة ولا يجب قضاؤه [١].

وأجيب: بأن الإجماع قد انعقد على أن أقل الطهر خمسة عشر يوما، فلو قلنا بأن اليوم الذي لا ترى فيه الدم طهرا لأدى ذلك إلى كون أقل الطهر يوما، وكذلك لقلنا بأن العدة تنقضي بثلاثة منه، ولم يقل بهذا أحد[٢].

٢- قال ابن عباس:" اما ما رأت الدم البحراني فإنها لا تصلي وإذا رأت الطهر ساعة فلتغتسل"[٣].

وأجيب: أن قول ابن عباس هذا في المستحاضة التي لا تفرق بين دم الحيض والاستحاضة، كما أخرجه عنه أبو داود في سننه[٤].

ومما سبق في عرض الأقوال يظهر: أن ما اختاره شيخنا العلامة الحداد رحمه الله أقرب، وذلك لأمور:

تعليل المحيض بالأذى في قوله تعالى:﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾[البقرة: ٢٢٢]، فالحكم يدور مع وجود الأذى وهو الدم، فتكون حائضاً حيثما وجد الدم، وطاهراً حيثما انقطع بعد أن ترى النقاء.

في الحديث: «دم الحيض أسود يعرف» [٥]، فالحيض دم، والعبرة بوجوده، فإن وجد الدم فهو حيض، وإن انقطع ورأت النقاء أو القصة البيضاء فهو طهر.

(١) ينظر: المغني: ١/ ٣٩٩؛ البيان:١/ ٣٤٩.

(٢) ينظر: بداية المحتاج في شرح المنهاج: ١/ ١٩٨ ؛كفاية النبيه في شرح التنبيه: ٢/ ١٤٠.

(٣) ينظر: معرفة السنن والآثار:١/ ٣٨١؛ المغني: ١/ ٣٩٩.

(٤) ينظر: سنن أبي داود: ١/ ١٢٥.

(٥) ينظر: سنن أبي داود: حديث رقم (٢٨٦) ، سنن النسائي: حديث رقم (٢١٥) ، والحاكم: حديث رقم (٦١٨) ، قال الذهبي: على شرط مسلم. وقواه ابن الصلاح، البدر المنير: ٣/ ١١٥.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ما سبق عن ابن عباس: "اما ما رأت الدم البحراني فإنها لا تصلي وإذا رأت الطهر ساعة فلتغتسل"، قال الحافظ ابن رجب: "محمول على غير المستحاضة؛ فإن المستحاضة تصلي إذا جاوزت أيام حيضها، سواء انقطع دمها أو لم ينقطع ... وإنما يصح حمل هذا على الدم الجاري في أيام الحيض، وأنه إذا انقطع ساعة فهي طاهر تغتسل وتصلي، وسواء كانَ بعد تمام عادة الحيض أو قبل تمام العادة"(١).

وتقطع الدم عند المرأة مما عمت به البلوى، فالقول باللقط يسع النساء، وهو أيسر لهن، ويتوافق مع طبيعتهن(٢).

والقول باللقط أو بالتلفيق إنما هو فيما كان النقاء يوما فأكثر، ولا اعتبار بأقل من يوم، قال الإمام أحمد: " لا يكون الطهر في خلال دم الحيض أقل من يوم "(٣).

قال النووي: "واعلم أن القولين إنما هما في الصلاة والصوم والطواف والقراءة والغسل والاعتكاف والوطء ونحوها، ولا خلاف أن النقاء ليس بطهر في انقضاء العدة وكون الطلاق سنيا قال الغزالي في البسيط أجمعت الأمة على أنه لا يجعل كل يوم طهرا كاملا "(٤).

المسألة الرابعة: أكثر النفاس

أولا: قول العلاَّمة الحداد: قال رحمه الله: " إن النفاس على المعتمد الذي يسنده الدليل هو أربعين يوما "(٥).

ثانيا: المعتمد عند الشافعية: إن أكثر النفاس ستون يوما؛ فالدم الخارج بعد أربعين يوما من الولادة له حكم النفاس إلى الستين يوما(٦).

(١) فتح الباري: ٢/ ١٤٧.
(٢) ينظر: الإرشاد إلى معرفة الأحكام: ٢٣-٢٦.
(٣) فتح الباري لابن رجب: ٢/ ١٤٧.
(٤) المجموع شرح المهذب: ٢/ ٥٠٢.
(٥) فتاوى الصيام: ١٩١.
(٦) ينظر: روضة الطالبين: ١/ ١٧٤؛ تحفة المحتاج: ١/ ٤١٣.

ثالثا: أقوال العلماء: اختلف العلماء في الدم الذي تراه المرأة بعد الأربعين هل يعد من النفاس أم لا؟ على قولين:

القول الأول: ذهب الأحناف والحنابلة إلى أن أكثر مدة النفاس أربعين يوما، وما تراه المرأة بعد الأربعين فهو دم فساد، وهو قول عدد من الصحابة منهم: عمر وابن عباس وعثمان بن أبي العاص وأنس وأم سلمة – رضي الله تعالى عنهم –، وقال به من الأئمة: الثوري وإسحاق[1] رحمهما الله تعالى.

ومما استدلوا به:

١ ـ حديث أم سلمة قالت: (كانت النفساء تجلس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين يوما فكنا نطلي وجوهنا بالورس من الكلف)[2].

وأجيب عنه من وجوه [3]:

أ- أن الحديث يحمل على الغالب، أي أن غالب النساء نفاسهن أربعون يوما.

ب- أن الحديث يحمل على نسوة مخصوصات لا على جميع النساء، ومما يؤيد هذا المحمل رواية لأبي داود (كانت المرأة من نساء النبي –صلى الله عليه وسلم–تقعد في النفاس أربعين ليلة لا يأمرها النبي –صلى الله عليه وسلم–بقضاء صلاة النفاس)[4].

ج- أن الحديث ليس فيه دلالة على نفي الزيادة وإنما فيه إثبات الأربعين فقط.

٢ ـ إن القول بأن غالب النفاس أربعون يوما، هو قول فقهاء الصحابة كعمر بن الخطاب، ابن عباس، وعثمان بن أبي العاص، وعائذ بن عمرو، وأنس بن مالك، وأم سلمة وغيرهم، ولم يعلم لهم مخالف فكان إجماعا[1].

(١) ينظر: الدر المختار: ١/ ٣٠٠؛ بدائع الصنائع: ١/ ٤١؛ البحر الرائق: ١/ ٢٣١؛ المغني: ١/ ٣٩٢؛ شرح الزركشي: ١/ ١٣٢.

(٢) سنن الترمذي: ١/ ٢٥٦؛ سنن أبي داود: ١/ ١٢٣. حسنه النووي في المجموع: ٢/ ٥٢٥.

(٣) ينظر: المجموع: ٢/ ٥٢٥.

(٤) سنن أبي داود: ١/ ١٢٣.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وأجيب عنه بما نقل عن الإمام ربيعة من التابعين وهو شيخ الإمام مالك أنه يقول: " أدركت الناس يقولون أكثر النفاس ستون "[٢].

القول الثاني: ذهب المالكية والشافعية إلى أن أكثر مدة النفاس ستون يوما، وما تراه المرأة من الدم بعد الأربعين فهو دم نفاس إلى الستين يوما، وقال به من الأئمة: عطاء والشعبي[٣] – رحمهما الله تعالى.

ومما استدلوا به:

١. الاستقراء بالوجود، حيث وجد أن بعض النساء ينفسن ستين يوما، وقد نقل عن الأوزاعي أنه قال: عندنا امرأة ترى النفاس شهرين، وروي مثله عن عطاء والشعبي وغيرهما، فيتعين المصير إلى الوجود، كما تعين المصير إليه في أقل الحيض[٤].

وأجيب بأنه قد وجد أن الدم يتجاوز الستين، فليست الستين حدا، وليس أكثر ما قيل، فقد نقل عن الليث رحمه الله أنه قال النفاس سبعون يوما[٥].

٢. إن غالب النفاس أربعون يوماً فينبغي أن يكون أكثره زائداً عليه[٦].

وأجيب بأن القول بأن غالب النفساء أربعون غير مسلَّم، بل مخالف لما ورد من النصوص فيه.

رابعا: النظر في الترجيح: ما رجحه شيخنا العلامة الحداد بأن مدة النفاس أربعين يوما أقرب لأمور منها:

(١) ينظر: الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف: ٢/ ٢٤٨؛ المغني: ١/ ٣٩٢.
(٢) نقلا عن المجموع: ٢/ ٥٢٥.
(٣) ينظر: الذخيرة: ١/ ٣٩٣؛ شرح مختصر خليل: ١/ ٢١٠؛ منح الجليل: ١/ ١٧٥؛ البيان: ١/ ٤٠٤؛ حاشية الجمل: ١/ ٧٦٣؛ نهاية المحتاج: ١/ ٣٥٧.
(٤) ينظر: المهذب مع المجموع: ٢/ ٥٢٢.
(٥) ينظر: سنن البيهقي الكبرى: ١/٥٠٥؛ المجموع: ٢/ ٥٢٤.
(٦) ينظر: البيان: ١/ ٤٠٥؛ المجموع شرح المهذب: ٢/ ٥٢٤.

١-أن أم سلمة السابق في تحديد مدة الأربعين للنفساء حديث صحيح صححه جماعة من الحفاظ، وقد جاء بألفاظ مختلفة يدفع ما قيل إنه مختص ببعض النساء[١]، قال الشوكاني[٢]: " والأدلة الدالة على أن أكثر النفاس أربعون يوما متعاضدة بالسنة إلى حد الصلاحية والاعتبار، فالمصير إليها متعين، فالواجب على النفساء وقوف أربعين يوما إلا أن ترى الطهر قبل ذلك، كما دلت على ذلك الأحاديث السابقة"

٢-ورد عن جماعات من الصحابة رضي الله عنهم أن النفاس تقعد أربعين يوما[٣]، وأصحها ما ورد عن ابن عباس قال: "النفساء تنتظر نحوا من أربعين يوما"[٤].

وعَن أنس: «كَانَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَقت للنفساء أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِلَّا أَن ترى الطُّهْر قبل ذَلِك»[٥]، وعن عثمان بن أبي العاص قال: " وقت للنساء في نفاسهن أربعين يوما"[٦].

٤-لم يحفظ عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم القول بمكث النفساء بغير الأربعين يوما ، وكأنه أمرر مقرر معروف بينهم، ولا يُعلم لهم مخالف في عصرهم، قال الطحاوي : ولم يقل بالستين أحد من الصحابة وإنما قاله بعض من بعدهم [٧] ، وقال الإمام الترمذي : " وقد أجمع أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والتابعين، ومن بعدهم على أن النفساء تدع الصلاة أربعين يوما،

(١) حديث أم سلمة صححه جماعات من أهل العلم ، منهم الحافظ ابن السكن والحاكم والنووي ، والذهبي، والألباني ، قال ابن الملقن: "والحق صحته قال الخطابي أثنى البخاري على هذا الحديث"، قال النووي: "وأما قَول جمَاعَة من مصنفي الْفُقَهَاء إِنَّه حَدِيث ضَعِيف فمردود عَلَيْهِم". ينظر: مستدرك الحاكم: ١/ ١٧٥؛ خلاصة الأحكام: ١/ ٢٤١؛ خلاصة البدر المنير: ٨٣/١؛ إرواء الغليل: ١/ ٢٢٧.

(٢) نيل الأوطار: ١/ ٣٥٢

(٣) منهم عمر وعلي وعائشة وأم سلمة وجابر وابن عباس وأنس وأبو هريرة ومعاذ وعبدالله بن عمرو وعثمان بن أبي العاص وعائذ بن عمرو، والأحاديث يسند بعضها بعضا. ينظر: سنن البيهقي الكبرى: ٥٠٣/١-٥٠٥؛ سنن الدارقطني: ٢٢٠/١-٢٢٣؛ نصب الراية: ٢٠٤/١-٢٠٦؛ البدر المنير: ٣/ ١٤٢.

(٤) سنن الدارمي: رقم (٩٩٨) السنن الكبرى للبيهقي: رقم (٥٠١٥) قال الألباني: "وهذا سند صحيح على شرط الستة" الثمر المستطاب: ٤٧.

(٥) ينظر: سنن ابن ماجة: رقم (٦٤٩) سنن البيهقي الكبرى: رقم (١٦١٩) قال البوصيري في مصباح الزجاجة: هَذَا إِسْنَاد صَحِيح رِجَاله ثِقَات: ١/ ٨٣؛ وتصحيحه على بناء على أن سلام هو الأحوص، ورجح الدارقطني في سننه: ٢٢٠/١، وجماعه أنه سلام الطويل قال: وهو ضعيف الحديث.

(٦) رواه الحاكم: رقم (٦٢٤) وقال: إن سلم هذا الإسناد من أبي بلال، فإنه مرسل صحيح، ورواه الدارقطني: رقم (٨٥٦) وقال أبو بلال الأشعري ضعيف، ورواه الدارمي: رقم (٩٩٠) عن الثوري عن يونس عن الحسن، وإسناده جيد إلا أن الحسن لم يسمع من عثمان.

(٧) ينظر: البناية: ١/ ٦٩٥.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

إلا أن ترى الطهر قبل ذلك، فإنها تغتسل وتصلي، فإذا رأت الدم بعد الأربعين فإن أكثر أهل العلم قالوا: لا تدع الصلاة بعد الأربعين، وهو قول أكثر الفقهاء" [١]، قال أبو عبيد: "وعلى هذا جماعة الناس"[٢] .

٥-ويرجح الأطباء المعاصرون أن مدة النفساء أربعون يوما، "وانتهت المقولات الطبية في الندوة الثالثة للفقه الطبي المنعقدة في الكويت إلى الاتفاق مع بعض الآراء الفقهية القائلة بأن النفاس: هو ما ينزل من المرأة بعد الولادة أو الإسقاط ريثما يندمل موقع المشيمة المنفصلة من تجويف الرحم، ويبدأ دماً، ثم سائلاً مصفراً حتى يتوقف، ولا حد لأقله. وأقصاه السوي ستة أسابيع (٤٠ يوماً) فإن زاد عليها اعتبر غير سوى، ويلحق بالاستحاضة، وقد يكون من جراء بقايا المشيمة داخل الرحم، أو نتيجة وهن الرحم عن الانقباض الكافي لحبس الدم أو غير ذلك مما يلتمس له التشخيص والعلاج، والنفاس إذا انتهى قد يفضي إلى حيض، وقد يفضي إلى طهر تمتد فترة تطول أو تقصر" [٣].

وعلى ما سبق فما تراه المرأة بعد الأربعين فهو استحاضة، وعليها الاغتسال ثم أداء الصلاة والصوم وسائر مطلوبات الشرع.

المسألة الخامسة: في الصفرة والكدرة هل هما حيض؟

أولا: قول العلامة الحداد: قال رحمه الله: "والكدرة والصفرة التي رأيتِها في اليوم الثالث إلى العاشر لا تعتبر شيئا، فصومك صحيح"[٤].

ثانيا: المعتمد عند الشافعية: الصفرة والكدرة في وقت إمكان الحيض حيض على المعتمد عند الشافعية[٥].

(١) سنن الترمذي: ١/٢٠٤.
(٢) الأوسط: ٢/ ٢٥٠.
(٣) الحيض والنفاس والحمل بين الفقه والطب: ٦٣ - ٦٤.
(٤) فتاوى الصيام: ١٩١، وكان السؤال عن النفساء.
(٥) ينظر: روضة الطالبين: ١/ ١٥٢؛ نهاية المحتاج: ١/ ٣٤٠؛ تحفة المحتاج:١/ ٤٠٠.

ثالثا: أقوال العلماء: اختلف العلماء في عدِّ الكدرة والصفرة من الحيض أو ليست منها على عدة أقوال، أبرزها:

القول الأول: الصفرة والكدرة حيض؛ وهو مذهب الشافعية وقول عند المالكية [١].

ومما استدلوا به:

١. عن مولاة عائشة أم المؤمنين، أنها قالت: كان النساء يبعثن إلى عائشة أم المؤمنين، بالدرجة فيها الكرسف، فيه الصفرة من دم الحيضة، يسألنها عن الصلاة فتقول لهن: «لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء»[٢].

ووجه الاستدلال أن عائشة رضي الله عنها جعلت الطهر هو ظهور القصة البيضاء، وما عدا ذلك حيض.

وأجيب عنه: بأنه معارض بحديث البخاري عن أم عطية، قالت: «كنا لا نعد الكدرة والصفرة شيئا»[٣].

ورد بأن قول عائشة رضي الله عنها أولى لأنها أعلم[٤].

ورد أيضا بإمكان حمله على أنها لا تعدهما طهرا [٥].

٢. قال الله تعالى: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض) البقرة:[٢٢٢].

والأذى يتناول الصفرة والكدرة.

(١) ينظر: مغني المحتاج: ١/ ١١٣؛،مواهب الجليل: ١/ ٥٣٧.

(٢) ينظر: موطأ مالك: ١/ ٥٩: مصنف عبد الرزاق: ١/ ٣٠١؛ ورواه البخاري معلقا: ١/٧١.

(٣) صحيح البخاري: رقم (٣٢٠).

(٤) ينظر: البيان: ١/ ٣٥١.

(٥) ينظر: الذخيرة: ١/ ٣٨٢.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

القول الثاني: الصفرة والكدرة في وقت الحيض حيض؛ وهذا مذهب الأحناف، والحنابلة، وقول عند المالكية[١].

ومما استدلوا به: حديث أم عطية رضي الله عنها قالت: «كنا لا نعد الكدرة والصفرة بعد الطهر شيئا» [٢]، ووجه الدلالة أن مفهوم الحديث يدل على أن الكدرة والصفرة في وقت الحيض حيض.

ورده يعلم مما سبق عند الكلام على أدلة القول الأول.

القول الثالث: الصفرة والكدرة ليستا بحيض؛ وهذا مذهب الظاهرية[٣].

ومما استلوا به:

١. حديث أم عطية، قالت: «كنا لا نعد الكدرة والصفرة شيئا» [٤]. وقد تقدم الكلام عليه.

٢. عن فاطمة بنت أبي حبيش أنها كانت تستحاض فقال لها النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إذا كان دم الحيضة فإنه دم أسود يعرف، فإذا كان ذلك فأمسكي عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضئي وصلى فإنما هو عرق»[٥].

ووجه الدلالة منه: أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل علامة دم الحيض أنه دم أسود ولم يذكر غيره من الدماء، فدل على أن سواه ليس بحيض[٦].

ورد بما تقدم من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١) ينظر: حاشية ابن عابدين: ١/ ٢٨٩؛ منح الجليل: ١/ ١٦٦؛ المغني: ١/ ٣٨٣.
(٢) السنن الكبرى: ١/ ٣٣٧.
(٣) ينظر: المحلى: ١/٧٤٤.
(٤) صحيح البخاري: ٣٢٠.
(٥) سنن أبي داود: ١/ ١١٥.
(٦) ينظر: المحلى: ١/٧٤٤.

ويمكن أن يرد أيضا بأن الحديث نص في الدم الأسود وهذا محل اتفاق، ولم يذكر الصفرة والكدرة اللذين هما محل الخلاف، وإنما فهم من المفهوم المخالف للقب وهو ليس بحجة عند الأصوليين.

النظر في الترجيح: ما اختاره العلامة الحداد من أن الصفرة والكدرة لا عبرة بها بعد الطهر أظهر لأمور منها:

١. هو ظاهر حديث أم عطية السابق: «كنا لا نعد الكدرة والصفرة بعد الطهر شيئا» وفيه دلالة على أن هذا كان معلوما عند نساء الصحابة، وحديث عائشة دلالته دلالة بالمفهوم لا المنطوق.

٢. لا تنافي بين حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما، فيحمل حديث عائشة على الاعتداد بالكدرة والصفرة في أيام الحيض قبل ظهور القصة البيضاء، وحديث أم عطية يؤيده، والجمع بين النصوص أولى.

٣. القول بأن الكدرة والصفرة لا عبرة بها بعد الطهر هو ما عليه جماهير العلماء، ويؤيده ما نُقل عن جماعة من الصحابة والتابعين [(١)]، منها: عن علي رضي الله عنه قال: "إذا رأت المرأة التريَّة بعد الغسل بيوم أو يومين فإنها تطهر وتصلي" قال عبد الله الترية: الصفرة والكدرة، وقال ابن سيرين: "لم يكونوا يرون بالكدرة والصفرة بأسا" وعن الحسن: ليس في الترية شيء بعد الغسل إلا الطهور، وقال سفيان الثوري: "الكدرة والصفرة في أيام الحيض حيض، وكل شيء رأته بعد أيام الحيض من دم أو كدرة أو صفرة فهي مستحاضة".

(١) أورد كل الآثار المذكورة تحت باب "الكدرة إذا كانت بعد الحيض" الإمام الدارمي في سننه: ١/ ٢٣٥ وما بعدها.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٤. لحوق الصفرة والكدرة بالدم قبل الطهر يعد تابعا للحيض وجزء منه، فمتى وجدت متصلة بدم الحيض فهي منه، وبعده ليست منه.

المسألة السادسة: القبلة للصائم

أولا: قول العلاَّمة الحداد: قال رحمه الله: "إن القبلة للصائم جائزة بشرط ألا تحرك شهوته وإلا كانت مكروهة"(١).

ثانيا: المعتمد عند الشافعية: أن القبلة للصائم إذا حركت شهوته مكروه تحريما، وأما من لم تحرك شهوته فالأولى له أن يتركها(٢).

ثالثا: أقوال العلماء: اختلف العلماء في حكم تقبيل الرجل زوجته بشهوة وهو صائم على قولين مشهورين:

القول الأول لا بأس بالقبلة للصائم إذا أمن على نفسه من إنزال المني أو الجماع وتكره إذا لم يأمن؛ وهذا مذهب الأحناف والحنابلة، وزادوا: وتحرم إن ظن إنزالا(٣) .

ومما استدلوا به: الأحاديث الواردة في ذلك، ومنها:

١ – عن عائشة –رضى الله عنها – قالت: «إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقبل بعض أزواجه وهو صائم، ثم ضحكت»

ورد بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمن على نفسه من الإنزال؛ لهذا أشارت في نفس الحديث فقالت: «وكان أملككم لإربه»، ولأن حفظ الصيام عن الإفساد واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

(١) فتاوى رمضان: ٢٠٣.

(٢) ينظر: روضة الطالبين: ٢/ ٣٦٢؛ تحفة المحتاج: ١٣/ ٣٥٨.

(٣) ينظر: حاشية ابن عابدين: ٢/ ٤١٧؛ بدائع الصنائع: ٢/ ١٠٦؛ الإنصاف: ٣/ ٣٢٨؛ مطالب أولي النهى: ٢/ ٢٠٣.

وأجيب بأن من يملك إربه جاز له لك، وفعله عليه السلام المتكرر لذلك أراد به التعليم لمن قدر عليه[١].

٢ – حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم «رخص في القبلة للصائم» [٢] ورواه البيهقي بلفظ: «رخص في القبلة للشيخ وهو صائم، ونهى عنها الشاب، وقال الشيخ يملك إربه والشاب يفسد صومه»[٣]، ففهم من التعليل: أنه دائم مع تحريك الشهوة بالمعنى المذكور، وأن التعبير بالشيخ والشاب جرى على الغالب من أحوال الشيوخ في انكسار شهوتهم وأحوال الشباب في قوتها، فلو انعكس الأمر لانعكس الحكم[٤].

القول الثاني: تكره القبلة للصائم إن علمت السلامة من الإمذاء والإمناء، وتحرم مع عدم السلامة عند المالكية، وعند الشافعية تركها مع السلامة أولى، وتكره تحريما إن خشي فساد صومه حينئذ [٥].

ومما استدلوا به:

١ – عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلني وهو صائم، وأيكم يملك إربه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يملك إربه».

فكلامها فيه إشارة إلى علة عدم إلحاق الغير به في ذلك وعلى هذا فيكره لغيره القبلة[٦].

وأجيب بأنها أرادت أن من كان يملك إربه جاز له، بدليل قولها لمن سألها ما يحرم علي من امرأتي وأنا صائم قالت" "فرجها"، وعن مسروق سألت عائشة ما يحل للرجل من امرأته صائما قالت كل شيء إلا الجماع[١] .

(١) قاله ابن حبان في صحيحه: ٨/ ٣١٦.

(٢) سنن النسائي: رقم (٣٢٣٧)؛ صحيح ابن خزيمة: رقم (١٩٦٧) وصححه محققه الأعظمي.

(٣) سنن البيهقي الكبرى: رقم (٨٠٨٤) قال: سنده صحح .وانظر: تحفة المحتاج: ٢/ ٨٥.

(٤) ينظر: الزرقاني في شرح الموطأ: ٢/ ٢٢٢.

(٥) ينظر: تحفة المحتاج: ٣/ ٤١١؛ بشرى الكريم: ٥٦٦؛ حاشية الدسوقي: ١/ ٥١٨.

(٦) صحيح مسلم: رقم (١١٠٦).

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٢-عن ميمونة، مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل قبل امرأته وهما صائمان، قال: «قد أفطرا» أي تعرضتا للإفطار لأن التقبيل من مقدمات الجماع.

وأجيب بأن الحديث ضعيف(٢)، ومعارض بما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام من التقبيل في الصوم.

٢-عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري، وكان رسول الله ﷺ قد مسح على وجهه، وأدرك أصحاب رسول الله ﷺ، قال: "كانوا ينهوني عن القبلة تخوفا أن أتقرب لأكثر منها، ثم المسلمون اليوم ينهون عنها ويقول قائلهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له من حفظ الله ما ليس لأحد"(٣).

ويمكن أن يجاب: بأن هذا أثرا، ليس بمرفوع فلا يكون حجة.

رابعا: النظر في الترجيح: ما اختاره شيخنا العلامة الحداد من جواز قبلة الصائم إن لم تحرك شهوته أظهر لأمور، منها:

١-تعدد الأحاديث الواردة في إباحة القبلة من فعله عليه الصلاة والسلام وهو صائم، منها أحاديث عائشة السالفة، وورد عن غيرها من أمهات المؤمنين كحفصة وأم سلمة.

٢-كما ثبت ذلك من أجوبته ﷺ لمن سأل عن القبلة للصائم، منها حديث عمرو بن أبي سلمة رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ أيُقَبِّل الصائم؟ فقال: «سل هذه» لأم سلمة، فأخبرته أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك، فقال: يا رسول الله! قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال له

(١) ذكر الأثرين: ١٤٩/١ الأول رواه البخاري معلقا ووصله الطحاوي، والثاني رواه عبدالرزاق وصحح إسنادهما.

(٢) قال الترمذي: سألت عنه البخاري فقال: هذا حديث منكر لا أحدث به، العلل الكبير: ١١٧ ؛ وقال البوصيري: "هذا إسناد ضعيف، أبو يزيد الضبي قال عنه عبد الغني بن سعيد زاد منكر الحديث، مصباح الزجاجة: ٣/ ١٠١؛ وقال البخاري والذهبي: مجهول، وقال الدارقطني: ليس بمعروف".

(٣) مسند أحمد: رقم (٢٣٦٦٩) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط البخاري، وفي مجمع الزوائد: ٣/ ٢١٦ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

رسول الله ﷺ: «أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له»[(١)]، وعمرو كان شابا، وهو يدل على عدم التفريق بين الشاب والكبير.

٣-ترخيصه عليه الصلاة والسلام في القبلة للصائم منها حديث أبي سعيد الخدري السالف.

٤-من الأدلة الظاهرة حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: «هَشَشْتُ فقبَّلتُ وأنا صائم فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: لقد صنعتُ اليوم أمراً عظيماً قال: وما هو؟ قلت: قبَّلت وأنا صائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيتَ لو مضمضتَ من الماء؟ قلت: إذاً لا يضرُّ؟ قال: نعم»[(٢)].

لكن ها الترخيص ليس على إطلاقه، فإن رأى من نفسه ضعفا عن التحفظ بما يفسد صومه فلا يقدم عليه، قال ابن عبد البر: "لا أعلم أحدا رخص في القبلة للصائم إلا وهو يشترط السلامة مما يتولد منها، وأن من يعلم أنه يتولد عليه منها ما يفسد صومه وجب عليه اجتنابها"[(٣)].

ولعل الأقرب القول بأن القبلة في الصوم على درجات ثلاث: الجواز إن لم يصحبها شهوة محركة، والكراهة إن حركت الشهوة وأمن من إفساد صومه، والتحريم إن خشي من الوقوع في الجماع المحرم[(٤)].

المسألة السابعة: الأذن منفذ غير مفتوح

أولا: قول العلاَّمة الحداد

قال -رحمه الله تعالى -: " ... وقد قرر الإمام الغزالي – وهو من علماء التشريح – أن الأذن منفذ غير مفتوح، فما يدخل منه لا ينفذ إلى الرأس ولا إلى الحلق والمعدة.

وقد أكد الطب الحديث ما أفاده الإمام الغزالي، ولهذا فلا يفطر ما دخل فيها"[(٥)].

---

(١) صحيح مسلم: برقم (١١٠٨).

(٢) رواه أحمد: (١٣٨) وأبو داود: (٢٣٨٥) والنسائي في الكبرى واستنكره: (٣٠٣٦) وابن حبان: (٣٥٤٤) وصححه الحاكم والذهبي: (١٥٧٢).

(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار: ١٠/ ٥٨.

(٤) ينظر: شرح منتهى الإرادات: ١/ ٤٨٨؛ الشرح الممتع: ٦/ ٤٢٨.

(٥) فتاوى رمضان: ٢٠٦.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وقال – رحمه الله تعالى –في موضع آخر: " ... والإمام الغزالي من الشافعية – وهو من علماء التشريح – قال: بأن الأذن ليس منفذا مفتوحا لا ينفذ منه شيء إلى الرأس، ورأيه هو الراجح؛ لما قرره الطب الحديث من القول بما يوافق رأيه، فالحق أن الأذن لا يفطر الصائم بدخول شيء فيه؛ لأنه لا ينفذ إلى الباطن بل يستقر فترة حتى يخرج " (١).

ثانيا: المعتمد عند الشافعية: أن الأذن منفذ مفتوح فيفطر الصائم بدخول شيء منه إلى الرأس (٢).

ثالثا: أقوال العلماء: اختلف العلماء في الأذن هل هو منفذ مفتوح أم لا؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن الأذن منفذ مفتوح؛ فيفطر الصائم بإدخال شيء عن طريقه سواء أكان دواء أو دهنا؛ وهذا مذهب جمهور الفقهاء من الأحناف، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وإن اختلفوا في دخول بعض الأشياء بخصوصها كالماء عند الأحناف (٣).

ومما استدلوا به: أن الأذن منفذ مفتوح إلى جوف؛ فيصل ما صب فيه إلى الدماغ فيغذي كما يغذي الواصل إلى الجوف، وهو كالسعوط، فيفطر به(٤).

وأجيب عنه: بأن الأذن ليس من المنافذ المفتوحة؛ لعدم نفاذ شيء من الأذن إلى الدماغ وإنما الذي ينفذ يصل عن طريق المسام كوصول الكحل عن طريق العين إلى الحلق، ومثله الدهن الذي يصل إلى البطن عن طريق مسام جلدة البطن عند دهنها مع تحقق وصوله ولا يفطر بهذا، وأما الذي يصل عن طريق الأنف من سعوط وغيره فإنه يصل من منفذ مفتوح(٥).

(١) المرجع السابق: ٢١١ . ٢١٢.

(٢) ينظر: روضة الطالبين: ٢/ ٣٥٧؛ نهاية المحتاج: ٣/ ١٦٧.

(٣) ينظر: حاشية ابن عابدين: ٢/ ٤٠٢؛ الفتاوى الهندية: ١/ ٢٠٤؛ الشرح الكبير: ١/٥٢٤؛ مواهب الجليل: ٣/ ٣٤٧؛ روضة الطالبين: ٢/ ٣٥٧؛ حاشية الجمل: ٤/ ٣٦٤؛ المغني: ٣/ ٣٦ مطالب أولي النهى: ٢/ ١٩٢.

(٤) ينظر: البيان: ٣/ ٥٠١.

(٥) ينظر: البيان: ٣/ ٥٠١؛ بحر المذهب: ٢٨٥ – ٢٨٦؛ كفاية النبيه: ٦/ ٣١٤.

القول الثاني: أن الأذن لا يعتبر من المنافذ المفتوحة؛ فلا يفطر الصائم بإدخال شيء عن طريق أذنه سواء أكان دواء أو دهنا، وهذا قول عند الشافعية، قال به أبو علي السنجي والقاضي حسين والفوراني وصححه الغزالي وابن حزم(١).

ومما استدلوا به: أن الأذن ليس من المنافذ المفتوحة، فلا ينفذ من الأذن إلى الدماغ شيء، وإنما الواصل إلى الدماغ يصل عن طريق المسام، وقد تقدم ذلك.

رابعا: النظر في الترجيح: لا شك أن الفقهاء رحمهم الله يبنون مسألة التقطير في الأذن بوصوله للجوف باعتبار أن الأذن منفذ مفتوح ، وهي مسألة تشريحية طبية ، يرجع فيها إلى أهل الاختصاص لمعرفة ذلك ، وقد أثبت الطب الحديث أن الأذن ليس منفذا مفتوحا، فالأذن تشريحيا تتكون من ثلاث مناطق : الأذن الخارجية ، الأذن الوسطى ، والأذن الداخلية، والأذن الوسطى وتسمى أيضاً التجويف الطبلي Tympanic Cavity عبارة عن تجويف مستطيل به هواء مغطى بغشاء مخاطي ، ويبدأ بطبلة الأذن التي هي عبارة عن غشاء رقيق شفاف جزئياً ، بيضي الشكل يفصل بين القناة السمعية الخارجية والأذن الوسطى ، وتعمل الطبلة كحاجز مهم يمنع دخول الأجرام الدقيقة الخارجية كالبكتريا من الدخول إلى الأذن الوسطى أو الداخلية(٢).

وعلى ما سبق يكاد ينتهي الخلاف، وتتفق المذاهب على عدم إفساد الصيام بالتقطير في الأذن، وتبقى حالة تخرق طبلة الإذن فعند حوله تتصل الأذن بالبلعوم يمكن للدواء النفاذ عبر عن طريق قناة "استاكيوس" ومنه إلى التجويف البلعومي الأنفي فالحلق ويأتي حينئذ الخلاف فيه كالخلاف في التقطير عبر الأنف(٣).

والذي قررته المجامع الفقهية هو القول بعدم التفطير بالتقطير في الأذن، لما سبق تقريره(٤).

(١) ينظر: الوسيط: ٢/ ٥٢٥؛ البيان: ٣/ ٥٠١؛ المجموع: ٦/ ٣١٥؛ المحلى: ٦/ ٢٠٣.

(٢) ينظر: أثر التداوي في الصيام: ١٨٨؛ المفطرات في مجال التداوي: ١٤ ، ٣٦.

(٣) وجمهور الفقهاء على الفطر به ، ورأي المجمع الفقهي عدم الفطر. قرارات مجمع الفقه الإسلامي: ١/ ١٠٨.

(٤) ينظر: قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي: ١/ ١٠٨؛ الندوة الفقهية الطبية التاسعة للعام ١٩٩٧م انظر: موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة: ٥٨٠.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

المسألة الثامنة: القنوت في الوتر كل السنة

أولا: قول العلاَّمة الحداد: قال رحمه الله: " ... وهذا فيه عموم في الوتر في السنة كلها؛ لأنه لم يحدد، وعلى هذا يجوز لك أن تقنت في آخر ركعة في الوتر في كل ليلة، وهذا عمل مجيد؛ لأنه دعاء عظيم"(١).

ثانيا: المعتمد عند الشافعية: إن القنوت لا يستحب إلا في النصف الأخير من شهر رمضان(٢).

ثالثا: أقوال العلماء: اختلف العلماء في وقت قنوت الوتر هل يشرع في كل السنة أو بعضها أو لا يشرع مطلقا؛ على أربعة أقوال:

القول الأول: يستحب القنوت في الوتر في جميع السنة؛ وهذا مذهب الأحناف، والمشهور عند الحنابلة، واختاره الإمام النووي – رحمه الله تعالى – من الشافعية (٣).

رابعا: النظر في الترجيح

١ . عن عبد الله بن مسعود قال: (بتُّ مع النبي –صلى الله عليه وسلم–لأنظر كيف يقنت في وتره، فقنت قبل الركوع، ثم بعثت أمي أم عبد فقلت: بيتي مع نسائه، فانظري كيف يقنت في وتره فأتتني، فأخبرتني: أنه قنت قبل الركوع)(٤).

وأجيب عنه: بأن فيه أبان بن أبي عياش وهو متروك (٥).

٢ – عن الحسن بن علي قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر في القنوت «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما

(١) فتاوى رمضان: ٢٣٢.
(٢) ينظر: مغني المحتاج: ١/ ٢٠٥.
(٣) ينظر: بدائع الصنائع: ١/ ٢٧٣؛ البحر الرائق: ٢/ ٤٣؛ شرح الزركشي: ١/ ٢٣٢؛ الشرح الكبير على متن المقنع: ١/ ٧١٩؛ المجموع: ٤/ ١٥.
(٤) سنن الدارقطني: ٢/ ٣٢؛ السنن الكبرى: ٣/ ٤١.
(٥) ينظر: السنن الكبرى: ٣/ ٤١.

أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت» [(١)].

وفيه دلالة على أن القنوت يستحب في الوتر مطلقا من غير تقييد بزمن.

وأجيب: بأن الحديث لم يصرح بالقنوت في جميع وتر السنة، وغاية ما فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه كلمات يقولهن في الوتر[(٢)].

ورد عليه: بأنه أطلق الوتر ولم يقيده بوقت دون وقت، فيحمل على إطلاقه[(٣)].

القول الثاني: القنوت في الوتر لا يستحب في جميع السنة؛ وهذا مشهور مذهب المالكية[(٤)].

ومما استدلوا به:

١ – أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – جمع الناس على أبي – رضي الله عنه – وصلى بهم عشرين ليلة ولم يقنت فيها في النصف الأول وقد تخلف في العشر الأخيرة فأقاموا معاذا مكانه، فصلى بهم ما تبقى من الشهر، ففيه دلالة على أن ترك القنوت في النصف الأول إجماع بدليل عدم إنكارهم على أبي – رضي الله عنه – تركه في النصف الأول، فكذلك لا يسن في النصف الثاني اعتبارا بالأول، ولأن زمان رمضان لا يؤثر فيه زيادة الأدعية في الصلاة[(٥)].

ويجاب عن هذا بثبوت القنوت أبي رضي الله عنه، ومتابعة الصحابة له، كما سيأتي.

٢ – عدم ثبوت حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في قنوت الوتر[(٦)]. وجوابه يعلم مما تقدم من ثبوت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) سنن أبي داود: (١٤٢٥) سنن الترمذي: (٤٦٤) وحسنه، سنن النسائي: (١٧٤٥) سنن ابن ماجة: (١١٧٨).
(٢) ينظر: النجم الوهاج: ٢/٢٩٩.
(٣) ينظر: البناية شرح الهداية: ٢/٤٨٩.
(٤) ينظر: مواهب الجليل: ٢/ ٢٤٤؛ حاشية الدسوقي: ١/ ٢٤٨.
(٥) المعونة على مذهب عالم المدينة:٢٤٧.
(٦) ينظر: الاستذكار: ٢/ ٧٧؛ نيل الأوطار: ٣/ ٥١.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

القول الثالث: القنوت مستحب في النصف الأخير من رمضان؛ وهذا مذهب الشافعية، ورواية عن المالكية(١).

ومما استدلوا به:

١ – حديث أنس قال: (كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم–يقنت في النصف من رمضان إلى آخره)(٢).

وأجيب عنه: بأنه ضعيف ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم(٣).

٢ – أثر أبي رضي الله عنه أنه كان يقنت في النصف الثاني من رمضان، واقتداء الصحابة به، وعدم إنكارهم عليه(٤).

القول الرابع: القنوت يستحب في كل السنة إلا في النصف الأول من شهر رمضان؛ وهذا قول الحسن، و قتادة، ومعمر(٥).

ومما استدلوا به: حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وفيه أنه كان يترك القنوت في النصف الأول من رمضان ويقنت في النصف الثاني منه، وقد تقدم الكلام عليه.

رابعا: النظر في الترجيح: يبدو أن ما اختاره شيخنا العلامة الحداد من استحباب قنوت الوتر في كل ليلة أظهر لأمور، منها:

١–ثبوت أحاديث مرفوعة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قنوت الوتر، ومن أشهرها حديثان:

(١) ينظر: المجموع: ٤/ ١٥؛ الذخيرة: ٢/ ٢٣٠؛ المختصر الفقهي: ٤١٧/١.
(٢) السنن الكبرى للبيهقي: ٢/ ٤٩٩.
(٣) ينظر: نصب الراية: ٢/ ١٢٦.
(٤) ينظر: موطأ مالك برقم (٣٨١) صحيح ابن خزيمة: برقم (١١٠٠).
(٥) ينظر: مختصر كتاب قيام الليل: ٣١٦؛ الشرح الكبير على متن المقنع: ١/ ٧١٩.

(الأول): حديث أبي بن كعب: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوتر بثلاث ركعات، كان يقرأ في الأولى بسبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة بقل هو الله أحد، ويقنت قبل الركوع) [(١)]، وما ذكره الإمام أبوداود وغيره من رواية من رواه من غير ذكر القنوت، لا يرد رواية من رواه من الثقات بإثباته فهي زيادة ثقة، فلا يصير سكوت من سكت عنه حجة[(٢)].

(الثاني) وهو عمدة أحاديث الباب، وهو حديث الحسن بن علي السابق في تعلمه من النبي ﷺ دعاء قنوت الوتر، وقد صححه وقواه جماعة من الأئمة منهم: الترمذي، والحاكم، والنووي، والعراقي، والبوصيري، والهيثمي، وابن الملقن، وغيرهم[(٣)]، فالحديث مروي من طرق متعددة ، وهو ثابت بفضل الله تعالى، والأمر كما قال الإمام ابن خزيمة : (ولو ثبت الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر بالقنوت في الوتر أو قنت في الوتر لم يجز عندي مخالفة خبر النبي ﷺ)[(٤)].

وقد أفرد الدكتور محمد عمر بازمول دراسة وافية لروايات وآثار قنوت الوتر، ومما نتج عن البحث ثبوت حديث الحسن في قنوت الوتر[(٥)].

٢-ثبوت قنوت الوتر الدائم عن جماعات من الصحابة رضي الله عنه مما يدل على أن قنوت الوتر كان معهودا بينهم، روى علقمة: (أن ابن مسعود وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقنتون في الوتر قبل الركوع)[(٦)].

(١) سنن أبي داود: (١٤٢٧) والنسائي: (١٦٩٩) وابن ماجه: (١١٨٢) ضعفه أبوداود عند حديث رقم (١٤٢٧) ، وابن الملقن في البدر المنير: ٤/ ٣٣٠؛ وصححه العراقي في المغني عن حمل الأسفار: ١٨٣؛ وابن التركماني في الجوهر النقي: ٣/ ٤٠ وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم (٤٢٦) وأبو الحسن عبيد الله الرحماني في مرعاة المفاتيح: ٢٨٨/٤.

(٢) ينظر: الجوهر النقي: ٣/ ٤٠؛ المعتصر من مشكل الآثار: ١/ ٦١؛ بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام: ٣٥٢/٥؛ شرح سنن ابن ماجه: ٨٣/١؛ شرح سنن أبي داود: ٣٤٢/٥؛ وانظر تفصيل ذلك في رسالة الأحاديث والآثار الواردة في قنوت الوتر: ٢١.

(٣) ينظر: سنن الترمذي عند حديث رقم (٤٦٤) ، مستدرك الحاكم عند حديث رقم (٤٨٠١)؛ تحفة المحتاج: ١/ ٣٠٩؛ إتحاف الخيرة: ٢/ ٣٩٥؛ المجموع: ٤٧٩/٣؛ والخلاصة حديث رقم (١٤٩٩)؛ مجمع الزوائد: ٤٤١/٥؛ الجوهر النقي: ٣/ ٤٠.

(٤) صحيح ابن خزيمة: ٢/ ١٥٢، مع تضعيف ابن خزيمة للحديث.

(٥) ينظر: الأحاديث والآثار الواردة في قنوت الوتر رواية ودراية.

(٦) رواه ابن أبي شيبة: ٩٧/٢؛ قال ابن حجر: إسناده حسن، الدراية: ١/ ١٩٤؛ وصححه ابن التركماني في الجوهر النقي: ٤٠/٣.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وهذا الأثر يدل على أن اكثرهم كان يقنت، وإلا فقد ثبت عن بعضهم عدم القنوت مطلقا، وعن بعضهم القنوت في النصف الأخير من رمضان [١].

٣-القنوت في النصف الأخير من رمضان يكاد يكون موضع إجماع من عهد الصحابة رضي الله عنهم، قال ابن عبد البر: وهو عمل ظاهر بالمدينة في ذلك الزمان في رمضان لم يأت عن أحد منهم إنكاره[٢].

وهل تركهم القنوت في النصف الأول دال على عدم استحبابه فيه؟ الظاهر نعم، ولعل القول بأن الرجل إن كان إماما ترك القنوت في النصف الأول، . وإن صلى لنفسه فعله سائر العام أظهر، وهو ما جاء عن الحسن البصري " أنه كان يقنت في السنة كلها إلا النصف الأول من رمضان إذا كان إماما، إلا أن يصلي وحده، فكان يقنت في رمضان كله، في السنة كلها" وكان معمر بن راشد يأخذ بذلك [٣].

المسألة التاسعة: إخراج زكاة الفطر بغير نية

أولا: قول العلامة الحداد: سئل رحمه الله: " مجموعة من الإخوة مصروفهم في المعيشة واحد فقام أحدهم بإخراج زكاة الفطر عن نفسه وعن إخوانه بدون إذن منهم، وهو بالطبع يعتقد رضاهم فهل تجزيهم الفطرة أو لا بد من إذنهم؟

وأجاب بقوله ... ومع كل هذا لو نظرنا إلى الهدف الذي من أجله أمر الشارع إخراج الفطرة، وهو إسعاف المحتاجين في هذا اليوم العظيم، وهو يحصل بإخراج الأخ الأكبر عن بقية إخوانه فيما مضى، ويحسن منه في المستقبل أن يأخذ بالاحتياط فيأخذ الإذن منهم باعتبار العبادة "[٤].

(١) ينظر: الأحاديث والآثار الواردة في قنوت الوتر رواية ودراية: ٥ -٢٩.

(٢) ينظر: الاستذكار: ٢/ ٧٧؛ سبل السلام؛ ٢/ ١٥٩ واعترض الشوكاني على دعوى الإجماع فيه، نيل الأوطار: ٥/ ١٠٣.

(٣) مختصر كتاب قيام الليل: ٣١٦؛ وانظر: مصنف ابن أبي شيبة: ٢/ ٩٩.

(٤) فتاوى رمضان: ٢٥٧-٢٥٨.

ثانيا: المعتمد عند الشافعية: اعتمد الشافعية أن النية شرط لأداء الزكاة، فلا يصح أن يخرج المكلف الزكاة بغير نية، وإذا أخرجها من دون نية فلا تسقط عنه بل تبقى في ذمته [١].

ثالثا: أقوال العلماء: اختلف العلماء في حكم إخراج الزكاة بغير نية على قولين:

القول الأول: ذهب عامة العلماء إلى أن النية شرط في أداء الزكاة؛ وهذا مذهب الأحناف، والمالكية، والشافعية، والحنابلة[٢] .

ومما استدلوا به: عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنية وإنما لكل امرئ ما نوى) [٣].

وأجيب عنه: بأن هذا في العبادات، وأما الزكاة فإنها دَيْن لا تجب النية لها كما في سائر الديون، فيخرجها الولي عن اليتيم ويأخذها الحاكم من الممتنع[٤].

ورد جوابهم من وجهين[٥]:

١ -أن الحديث صرح بـ (إنما الأعمال بالنيات) وأداء الزكاة عمل فيفتقر إلى نية.

٢ – إن أداء الزكاة عبادة منها الفرض ومنها النفل فافتقرت إلى نية كالصلاة، وتفترق مع قضاء الدين بأنها عبادة وهو ليس بعبادة؛ لأنه يسقط بإسقاط مستحقه له، وأما أن الولي والحاكم ينوبان في ذلك فإنه للحاجة.

٣-أن الدين ليس عبادة وإن كان فيه حق لله تعالي وبهذا يسقط بإسقاط صاحبه فالمغلب فيه حقه.

القول الثاني: لا تشترط النية عند أداء الزكاة؛ وهذا القول حكي عن الإمام الأوزاعي[١].

(١) ينظر: أسنى المطالب: ١/ ٣٨٩؛ بشرى الكريم بشرح مسائل التعليم: ٥١٨.

(٢) ينظر: الدر المختار: ٢/ ٢٥٨؛ شرح مختصر خليل: ٢/ ٢٢٢؛ بشرى الكريم: ٥١٨؛ المغني: ٢/ ٥٠٢.

(٣) صحيح البخاري: برقم (٤٥) صحيح مسلم: برقم (١٩٠٧).

(٤) ينظر: المغني: ٢/ ٥٠٢.

(٥) ينظر: المجموع شرح المهذب: ٦/ ١٨٠؛ المغني: ٢/ ٥٠٢.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وممكن أن يستدل له: إن أداء الزكاة تعتبر دينا فلا يجب لإخراجها نية كسائر الديون، وقد تقدم الكلام عليه عند الكلام على أدلة القول الأول.

رابعا: النظر في الترجيح: بعد إيراد ما تقدم نلحظ الآتي:

١-أن وجوب النية في أداء الزكاة دلالة حديث (إنما الأعمال بالنيات) السابق عليها ظاهرة، فقوله "إنما الأعمال بالنيات "فهذا التركيب يفيد الحصر عند المحققين، والأعمال جمع محلى بالألف واللام مفيد لاستغراق الجنس، فيدخل فيه جميع الأعمال من الصوم والصلاة والزكاة والحج والوضوء وغير ذلك مما يطلب فيه النية عملا بالعموم، فهو دليل على أن سائر العبادات لا تصح إلا بنية، قال الخطابي: "معناه أن صحة أحكام الأعمال في حق الدين إنما تقع بالنية، وأن النية هي الفاصلة بين ما يصح وما لا يصح"[٢].

٢-أن وجوب النية للزكاة كالإجماع من الفقهاء [٣]، وما حكي عن الإمام الأوزاعي شاذ، كما صرح به النووي رحمه الله[٤].

٣-أشار الشيخ في فتواه إلى مقصد شرعية الزكاة، وكأن الشيخ أراد تلك الحالة المحددة، وليس بصدد تقرير عدم وجوب النية، لذلك أشار بقوله: " ويحسن منه في المستقبل أن يأخذ بالاحتياط فيأخذ الإذن منهم باعتبار العبادة "، فالظاهر اعتبارها حالة عين ليست للعموم، والله أعلم.

هذه تسع مسائل هي مختارات شيخنا الحداد في باب الصيام في كتاب وفتاوى الصيام[١]، وتراث الشيخ بحاجة إلى جمع أولا ثم استخراج تلك المختارات التي تعد خلاصة فقهه ونتائج بحثه وفتاواه ومناقشاته فيما يقرب من ثلث قرن.

---

(١) ينظر: المجموع شرح المهذب: ٦/ ١٨٠؛ المغني: ٢/ ٥٠٢.

(٢) ينظر: طرح التثريب في شرح التقريب: ٢/ ٦؛ عمدة القاري: ١/ ٣٠؛ فتح الباري: ١/ ١٢.

(٣) قال ابن المنذر في الأوسط: ٢/ ٣٧: لا يجزئ التيمم ولا أداء شيء من الفرائض إلا بنية، وينظر: الإقناع في مسائل الإجماع: ١/ ١٩٤.

(٤) المجموع شرح المهذب: ٦/ ١٨٠.

الخاتمة:

أولا: أهم النتائج والتوصيات

١. برز في القطر اليماني عموما وحضرموت خصوصا أعلام وفقهاء، تركوا إرثا علميا زاخرا، واختيارات فقهية مثلت نضج الحس الفقهي، وحقيق بها أن تأخذ مكانها عند الباحثين وعند التقنين.

٢. العلامة السيد عبد الله بن محفوظ الحداد أحد أعلام حضرموت، عاش ما بين (١٩٢٣-١٩٩٦م)، جمع بين الفقه والفتوى والقضاء، ومارسها ما يقارب من نصف قرن، كما جمع بين الفقه التقليدى والدراسة الأكاديمية فكون بذلك عقلية فقهية ناضجة متحررة متوازنة ظهر أثرها في فتاويه واختياراته العلمية.

٣. درس العلامة الحداد القضاء، وتدرج في السلم القضائي، قاضيا، ثم رئيسا لمحكمة الاستئناف بالمكلا، ثم رئيسا للمجلس العالي للقضاء بحضرموت.

٤. ترك العلامة الحداد كثيرًا من المؤلفات والفتاوى التي ناقشت أوضاع عصره بروح الفقيه الواعي لواقع عصره، منها كتاب "الوجيز في أحكام الصيام ومعه فتاوى رمضان" وهو كتاب بحثنا هذا في اختياراته.

٥. تميزت شخصية العلامة الحداد بالجمع بين الأصالة والمعاصرة، وموازنة حكيمة للأفكار والمقالات الفقهية، وتوجه للتوسط والتحرر من ربقة التقليد المحض، مع استيعاب لروح مقاصد الشريعة الغراء.

٦. منهج الاختيار عند العلامة الحداد كانت يعتمد على الآتي:

(١) هناك مسائل في كتاب الصيام وفتاويه ذكرها الشيخ بها على جهة الاحتياط فليست خروجا عن المذهب، ومنها الصوم أو اخراج الفدية عن من توفي ولم يتمكن من القضاء احتياطا ص (١٦٢)، وجواز إخراج زكاة الفطر دقيقا فإنه لم يجزم به هنا في الصوم ص (٢٦٠).

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

أ- قاعدة التيسير ما دامت المسائل مجرد آراء وأفهام ليس فيها نص شرعي ملزم.

ب- الاتباع لظاهر الدليل الشرعي غير المعارض.

ج- مراعاة مقاصد الشريعة الغراء.

د- الترجيح بما ثبت علميا من العلوم الحديثة، وعلوم الطب التي تبين بها رجحان بعض المسائل الفقهية.

٧. المسائل المختارة للعلامة الحداد في باب الصيام تسع مسائل، وهي على النحو الآتي:

الأولى: جواز تقديم فدية الصيام للعاجز من أول شهر رمضان.

الثانية: عدم قضاء صوم المغمى عليه.

الثالثة: جواز صوم الحائض أيام نقائها.

الرابعة: أكثر النفاس أربعون يوما.

الخامسة: الصفرة والكدرة ليست حيضا بعد الطهر.

السادسة: جواز القبلة للصائم عند أمن الشهوة.

السابعة: الأذن منفذ غير مفتوح.

الثامنة: القنوت في الوتر كل السنة.

التاسعة: إخراج زكاة الفطر بغير نية.

ثانيا: أهم التوصيات

١. توجيه عناية الباحثين لدراسة اختيارات أعلام علماء اليمن وعلماء حضرموت خصوصا لما لاختياراتهم من الأهمية في رفد مسيرة الفتوى والتقنين.

٢. العناية بجمع تراث العلامة الحداد، وتوجيه طلاب الدراسات العليا لدراسة مختاراته العلمية وإخراجها لاستفادة العلماء والباحثين منها.

المصادر والمراجع:

١. الأشقر، عمر. الحيض والنفاس بين الفقه والطب. دار النفائس. ط١، ١٤١٣ هـ.

٢. الأصبحي، مالك بن أنس (المتوفى: ١٧٩هـ)، موطأ الإمام مالك، صححه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥م.

٣. بَاعِشن، سَعيد بن محمد (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، بُشرى الكريم بشَرح مَسَائل التَّعليم، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٢٥ هـ -٢٠٠٤ م.

٤. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ – ١٩٨٧،

٥. البزدوي، علي بن محمد، أصول البزدوي، مطبعة جاويد بريس –كراتشي.

٦. البغدادي، عبد الوهاب بن نصر المالكي (المتوفى: ٤٢٢هـ) المعونة على مذهب عالم المدينة، تحقيق: حميش عبد الحقّ، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز -مكة المكرمة.

٧. البهوتي، منصور بن يونس (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الروض المربع شرح زاد المستنقع، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر -بيروت – لبنان.

٨. البيهقي، أحمد بن الحسين ، والتركماني، علاء الدين علي بن عثمان، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ط١، ١٣٤٤هـ.

٩. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

١٠. الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (المتوفى: ٤٧٨هـ)، نهاية المطلب في دراية المذهب، حققه: عبد العظيم محمود الدّيب، دار المنهاج، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١١. الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠.

١٢. ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد المحلى بالآثار، دار الفكر -بيروت.

١٣. الحصكفي، علاء الدين، الدر المختار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٤. الحطاب، شمس الدين محمد المغربي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، تحقيق: زكريا عميرات، دار عالم الكتب، طبعة خاصة ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.

١٥. ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، : مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٦. الخرشي على مختصر سيدي خليل، دار الفكر للطباعة، بيروت.

١٧. ابن خزيمة، محمد بن إسحاق (المتوفى: ٣١١هـ)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت.

١٨. ابن رشد، أبو الوليد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، بداية المجتهد، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤ م.

١٩. ابن الرفعة، أحمد بن محمد الأنصاري (المتوفى: ٧١٠هـ)، كفاية النبيه في شرح التنبيه، تحقيق: مجدي محمد سرور باسلوم، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٩ م.

٢٠. الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

٢١. الرملي، شهاب الدين أحمد بن حمزة الأنصاري (المتوفى: ٩٥٧هـ)، فتاوى الرملي، جمعها: ابنه شمس الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)، المكتبة الإسلامية.

٢٢. الروياني، أبو المحاسن عبد الواحد (ت ٥٠٢ هـ)، بحر المذهب، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٩ م.
٢٣. الزرقاني، محمد بن عبد الباقي، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
٢٤. الزيلعي، جمال الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ)، نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، قدم للكتاب محمد يوسف البَنُوري، صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز، الديوبندي الفنجاني، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر – بيروت –لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية–جدة – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٢٥. الزيلعي، فخر الدين، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، ١٣١٣هـ.
٢٦. السِّجِسْتاني، سليمان بن الأشعث (المتوفى: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
٢٧. السيواسي، كمال الدين محمد بن عبد الواحد، شرح فتح القدير، دار الفكر، بيروت.
٢٨. الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الفكر، بيروت.
٢٩. الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، إدارة الطباعة المنيرية.
٣٠. الصنعاني، عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٤٠٣،.
٣١. ابن عابدين، علاء الدين محمد بن محمد أمين، حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٣٢. عليش، محمد، منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل. دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣٣. العمراني، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير (المتوفى: ٥٥٨هـ)، البيان في مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج – جدة، ط١، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م.

٣٤. العينى، محمود بن أحمد الغيتابى بدر الدين (المتوفى: ٨٥٥هـ) البناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية -بيروت، لبنان، ط.١، ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠ م

٣٥. قدامة المقدسي عبد الله بن أحمد، المغني، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤٠٥.م.

٣٦. ابن قدامة المقدسي، شمس الدين أبي الفرج (المتوفى سنة ٦٨٢)، الشرح الكبير على متن المقنع، تحقيق: الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع – بيروت.

٣٧. القرافي، شهاب الدين أحمد، الذخيرة، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٤م،.

٣٨. القشيري، مسلم بن الحجاج (المتوفى: ٢٦١هـ) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٩. الكاساني، علاء الدين، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢.

٤٠. ابن اللحام البعلي، علاء الدين (المتوفى: ٨٠٣هـ)، القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٤١. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود، : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م.

٤٢. ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر (المتوفى: ٨٠٤هـ)، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع -الرياض-السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٤٣. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ١٤٠٤ -١٤٢٧ هـ.

٤٤. ابن نجيم الحنفي، زين الدين (ت ٩٧٠هـ) .، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار المعرفة، بيروت.

٤٥. النسائي، أحمد بن شعيب (المتوفى: ٣٠٣هـ) سنن للنسائي الصغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

٤٦. نظام وجماعة من علماء الهند، العالم كيرية، الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، دار الفكر، ١٤١١هـ -١٩٩١م.

٤٧. النمري، أبو عمر بن عبد البر (المتوفى: ٤٦٣هـ) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى العلوي، محمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ.

٤٨. النووي، محي الدين، روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤٩. النووي، محيي الدين (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المجموع شرح المهذب، دار الفكر.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٥٠. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦هـ)، خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، تحقيق: حسين الجمل، مؤسسة الرسالة -لبنان – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

٥١. الهيتمي، أحمد ابن حجر، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، (مع الحواشي)، دار إحياء التراث العربي -بيروت.

المجتمع المدني .. الوظيفة والرهان

أ.م.د. محمد الكامل(*)

الملخص:

تتناول الدراسة المجتمع المدني، والذي حظي باهتمام متزايد؛ بعد فشل آليتي الدولة والسوق، من خلال رؤية نقدية حول المفهوم، وعن السياق العام لنشأته والاهتمام الواسع به، والرهان على وظيفته السياسية في الحد من تسلط الدولة، وترسيخ الديمقراطية وتوسيع المشاركة، وعن علاقته بالأحزاب السياسية، وكذلك وظيفته في عملية التنمية والتخفيف من الفقر، وفي دعم النظام الاجتماعي، ونشر قيم التسامح والتعايش ونبذ العنف وضمان الحقوق، وتوصلت الدراسة إلى أن الرهانات على المجتمع المدني وفاعليته تتوقف على بنيته، وعلى مستوى التطور السياسي والاقتصادي والثقافي للمجتمع، والتي تختلف من مجتمع لآخر.

الكلمات المفتاحية: المجتمع المدني، الديمقراطية، الأحزاب، السوق، القيم الاجتماعية.

The Civil Society… Functions and Stakes

Abstract:

The study deals with civil society, which has acquired great attention after the failure of the state and market mechanisms, through a critical view of on the concept, the

(*) استاذ علم الاجتماع المشارك – جامعة صنعاء.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

general context of its rise and wide attention to it betting on its political function in decreasing the state's domination, consolidating democracy and increasing participation. It also sheds light on its relationship with political parties, as well as its function in the process of development and poverty alleviation, on supporting the social system, spreading values of tolerance, coexistence, rejection of violence in addition to guaranteeing rights. The study concluded that the stakes on the civil society and its efficiency depends on its structure, and on the level of political, economic and cultural development of the society that differs from one society to another.

Keywords: Civil Society; Democracy; Parties; Market; Social Values.

مقدمة:

تزايد الاهتمام بالمجتمع المدني مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحالي؛ إذ يعتبره البعض حلاً للمشكلات التي تعاني منها المجتمعات، وعقدت عليه الآمال؛ كطريق للنجاح المجتمعي بعد فشل ممارسة الدولة وممارسة السوق المنفردة، والطموح في التخفيف من توحش السوق ومن استبداد وتسلط النظام، ويتوقع من المجتمع المدني أن يحدث نقلة في التحول الديمقراطي؛ بوصفه حاملاً لإمكانيات التغير، ولا يكفي أن ينتقد العجز الديمقراطي، وإنما الضغط والمطالبة بنظام ديمقراطي يمارس في مختلف مجالات الحياة، وتدور النقاشات وتستمر حول المجتمع المدني في طرح قضاياه وتُفسر الآراء بقليل من الاتفاق وكثير من الاختلاف، والمقولات المتناقضة أحياناً والمتكاملة أحياناً أخرى، لتفتح النقاش وتطرح التساؤلات؛ مما يفرض الحاجة لتحليل نقدي يزيل التشويش، ويكشف الغموض، بدءاً من التعريف ونطاق العمل، ومن يدخل فيه ومن يخرج من توصيفه حسب التوجهات الفكرية، وحول

وظائف وعلاقات المجتمع المدني؛ كنظرة أيديولوجية ومنطلقات فكرية، تنزع نحو قيم الحرية الفردية والمساواة، وعلى تقليص فجوة التفاوت الاجتماعي، والحد من سطوة الإعلام وهيمنة الثقافة؛ كآليات تعيق خيارات الفرد، ومن فرض ديمقراطية الأكثرية وعدم مراعاة حقوق الأقلية.

أهمية موضوع الدراسة: تأتي الأهمية من تضمين المجتمع المدني في الكثير من الخطابات السياسية والتنموية، وفي أدبيات المنظمات الدولية، كما فرض حضوره كمفهوم اهتمام العلماء والمفكرين، والنظر إلى أن المجتمع المدني يمثل حلا لما تعانيه المجتمعات؛ كما كان دور الدولة القومية مهماً، ومازالت ثمار المجتمع المدني أقل من المأمول، وحتى لا يرتد ذلك مستقبلاً بخيبة أمل، نتناول أدبيات وممارسة المجتمع المدني على الواقع، وكيفية تنزيله من الفكر والتجريد إلى التطبيق وفق السياق الاجتماعي، وإلى ضرورة إجراء المزيد من الدراسات.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة للتعرف على السياق الذي نشأ فيه مفهوم المجتمع المدني، وعن أسباب تزايد الاهتمام به على المستويين الفكري والسياسي، والتعرف على وظائف المجتمع المدني، والرهانات التي توضع على عاتقه، وبما يحمله من مبادئ وقيم.

تساؤلات الدراسة: تناقش الدراسة التساؤل الرئيس: ما إمكانية الرهان على وظيفة المجتمع المدني في المجتمع؟ ومن خلال التساؤلات الفرعية الآتية: ما المجتمع المدني؟ وما السياق التاريخي لنشأته والاهتمام به؟ وما الوظائف التي يراهن عليه القيام بها في المجتمع؟

منهجية الدراسة: نتناول الموضوع برؤية نقدية؛ كمنهجية تلائم موضوع الدراسة، وبعرض الآراء حول المجتمع المدني وممارساته، وما خرجت به بعض الدراسات في مواضيع معينة ومناطق جغرافية محددة وفترات زمنية مختلفة؛ للحاجة لرؤية نقدية تقوم على الجدل والسجال، والخروج من حالة التشويش والتوصل ــلحد ماــ إلى الوثوقيه، وبعيداً عن النظرة الاحتفائية والمبالغة فيها أو تضخيمها.

تقسيم الدراسة: أولاً: تعريف المجتمع المدني.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ثانياً: المجتمع المدني: السياق الاجتماعي والتاريخي.

ثالثاً: الرهانات على وظائف المجتمع المدني.

أولاً: تعريف المجتمع المدني

يمثل تعريف المجتمع المدني إشكالية كمفهوم اجتماعي "قابل للجدل"، يتسع ويضيق؛ فيعرف بالوظيفة عند البعض، وبالغاية عند آخر؛ فهو عند روسو نقيض المجتمع الديني، ويعرف معهد كاتو المجتمع المدني بأنه يعمل على تقليل دور السياسة في المجتمع، وتوسيع الأسواق الحرة ونطاق الحرية الفردية،(**إدواردز_٢٠١٥_ص١٨**) ولم يعد الصراع سياسياً أو عبر مؤسسات حزبية أيديولوجية؛ بل صراع ثقافي، والتعدد يقوم على العامل الاجتماعي والثقافي، والوصول إلى السلطة لم يعد هدفاً، وإنما الممارسة عبر المشاركة في صناعة القرار والتأثير على متخذه، ويعرف معهد المدافعة المجتمع المدني؛ بأنه أفضل طريق للعمل السياسي في عالم ما بعد الحرب الباردة، وأنه يحمي من ينتظمون للحد من استبداد السلطة، ويمثل البديل للدولة التسلطية والسوق المستبد، ويعتبر مفكرو الطريق الثالث المجتمع المدني التصحيح لمسار متعاقب من فشل الدولة والسوق، وحلقة لنجاح الديمقراطية الاجتماعية، كما أن المجتمع المدني وحدة وأداة تحليل تكشف الغموض الذي يكتنف النظام الاجتماعي، ويعده البنك الدولي أحد أدوات ومفاتيح الحوكمة، والنمو الهادف إلى التخفيف من الفقر. (**إدواردز_٢٠١٥_ص١٩**).

وهنالك مفهوم واسع للمجتمع المدني يشمل جميع المؤسسات خارج إطار الدولة، من الأحزاب والسوق، والمجموعات التي تدافع عن مصالح محددة؛ كالنقابات والاتحادات العمالية والمهنية والغرف التجارية وجمعيات رجال الأعمال والمؤسسات الدينية والتعليمية والبحثية والطلابية والثقافية والفنية حتى جمعيات الكورس والأندية الرياضية والجماعات المحلية.

وتعريف يركز على الهدف بأن المجتمع المدني هو: " مجمل التنظيمات غير الإرثية وغير الحكومية، وتنشأ لخدمة المصالح العامة أو المبادئ المشتركة لأعضائها"؛(**إبراهيم_١٩٩١_ص١٤**) أي أنها طوعية وتتمتع بدرجة من الاستقلال _غير حكومية_، وتتمتع بمكانة وسطى بين الدولة من جهة والمجتمع من جهة أخرى، ولا تهدف إلى تحقيق الربح، وما يميّزها أنها تمارس قدراً من الديمقراطية داخلها، وتدعو إلى قبول التعدد والاختلاف وممارسة التفاوض والحوار والوصول للتسويات والصفقات، ويطرح تساؤل عن إمكانية اعتماد مفهوم المجتمع المدني في الكتابات الغربية، والذي يختلف سياق تطوره عن سياق تطور المجتمع العربي،(**الصلاحي_٢٠٠٢_ص٢٩**) وتساؤل آخر ارتبط باستخدام المفهوم وأحد إشكاليته، هل المجتمع المدني بالضرورة مجتمع ديمقراطي؟(**هلال &مسعد_٢٠٠٥_ص١٧**) وتلازم المجتمع المدني والديمقراطية يدعو إلى تعريفها بصيغة التعدد ما دام يتأسس على التعدد، ومادام المجتمع المدني هو حقل تدبير الاختلاف والمطالب المتنوعة، وتُعبر الحاجة إلى المجتمع المدني عن تطور في مسيرة الصراع التاريخي بين القوى الاجتماعية والسياسية، أو هي حالة زمنية عابرة مرتبطة بالشعار الذي سيختفي في القريب. (**شكري_٢٠٠٨_ص٢٥**)

نحن أمام مواقف متباينة عن المجتمع المدني؛ كمفهوم فضفاض يخلق إرباكاً وتشويشاً ويحمل تناقضاً واضحاً، وهو واحد من القطاعات الثلاثة إلى جانب الدولة والسوق، منفصلاً عنها ومستقلاً، وأحياناً يكون متداخلاً معها، ويذهب البعض إلى أن الحدود والعلاقات المتبادلة غير واضحة بينها تتخللها هجائن من أنواع متعددة بشكل متزايد؛ بينما يرى أخرون أن روابط معينة فقط تشكل جزءاً من المجتمع المدني؛ لأنها طوعية وديمقراطية تنطبق عليها مجموعة من المعاير، ويصر آخرون على أن الروابط كافة مؤهلة للعضوية؛ بما فيها الروابط التقليدية القائمة على الوراثة، وهنا" تثار التساؤلات هل العائلة داخل المجتمع المدني أم خارجه، وماذا عن قطاع الأعمال؟ وهل المجتمع المدني محصن ضد الدولة؟ أم هو داعم لإصلاح الجهاز الحكومي، أم أنه يعتمد على تدخل الدولة للحفاظ على

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وجوده؟ وهل هو مفتاح لحرية الفرد من خلال تجربة التعدد المضمونة، أم يشكل تهديداً للديمقراطية من خلال سياسة ذات مصالح خاصة." **(إدواردز_٢٠١٥_ص١٩)**

يرجع تعدد وتباين مفهوم المجتمع المدني إلى الاختلاف في المرجعيات الفكرية والإيديولوجية، واستخدام المفهوم عند الرواد في القرن الثامن عشر يرتبط بنظريات فلسفية وسياسية اجتماعية متميزة عن بعضها، ومختلفة في الغاية والمعنى اللذين يشكلان أساسا وإطارا لاستخدام المفهوم؛ لذا يكون التاريخ الفكري بمثابة العمود الفقري لتوضيح المفهوم والوظيفة التي يقوم بها. **(كومار _٢٠٠١_ ص٤٤)**

ثانياً: المجتمع المدني: السياق الاجتماعي والتاريخي

ظهر مفهوم المجتمع المدني في الفكر اليوناني متلازماً مع قيام دولة المدينة، إذ شكّلت الدولة مفهوماً مدنياً من المجتمع، وحددت متطلبات المواطنة، وظلت الفكرة على نفس المسار في العصور الوسطى، من تداخل بين المجتمع المدني والدولة، و كان هذا التداخل لأن الناس كانوا يعيشون في مجتمع يحتكم للقانون وتحميه الدولة، وفي القرن الثامن عشر بدأ رسم الحدود بين الدولة والمجتمع المدني ليتخذ المجتمع المدني حالة مغايرة، ويصبح المجتمع المدني أداة نقدية لإصلاح الوضع الإنساني من تأثير التغير الاجتماعي، وازدهار اقتصاد السوق، وبفعل أزمة النظام الاجتماعي، وتمايز المصالح وحدت التفاوت الاجتماعي، وعندما حلت مجتمعات محلية من الغرباء محل مجتمعات محلية من الأقارب والجيران، وانهيار النظرية التقليدية للسلطة نتيجة الثورتين الفرنسية والأمريكية؛ ليكون المجتمع المدني من منتجات الدولة القومية والرأسمالية، أو تعبيراً عالمياً عن الحياة الاجتماعية لأفراد عاملين وناشطين في جميع البلدان، وفي مراحل التطور كافة، والتغيير يجري بطرائق مختلفة وفق السياق التاريخي والثقافي، ولما كانت الدولة في البلاد النامية نتاجاً لفترة الاستعمار، ويتميز اقتصاد السوق فيها بالهشاشة، فإن المجتمع المدني في هذه البلدان؛ لا بد أن يكون مختلفاً عن أمثاله في الغرب، واعتبر مفكرو الأنوار أن

المجتمع المدني خط دفاع ضد تجاوزات الدولة غير المبررة على حقوق الفرد وحرياته؛ التي نالها بواسطة الجمعيات الطوعية، وكان ينظم ذاته بروابط ملتزمة بالأهداف والقيم التي تحميه من الدولة، ومن أجل الحفاظ على دوره في مقاومة الاستبداد.

برز التأصيل للمجتمع المدني في فلسفة الحق ونظريات العقد الاجتماعي، وتطور على يد (هيجل)، الذي ميز بين المجتمع المدني بوصفه شبكة من التفاعلات القائمة على العرف والعادات والتقاليد، وبين الدولة كمجموعة المؤسسات السياسية والقانونية؛ التي يمارس المجتمع المدني في إطارها التفاعلات والعلاقات التي تربط بين المواطنين بحسب رغباتهم ومصالحهم، ويعتبر هيجل الدولة روح عارفة فوق مادية المجتمع المدني،(**الصلاحي_٢٠٠٢_ص٢٩**) و"شكل الدولة وطبيعتها هو نتاج للطريقة التي يتشكل بها المجتمع المدني، الذي يقف بين المواطنين والسلطة، ويمثل مصالح المواطنين مع الدولة، والصراعات التي تحدثها تلك العمليات داخل المجتمع المدني تؤدي إلى تدميره في حالة غياب الدولة القوية، ونظرة هيجل إلى وجود الدولة إنما لحماية المصالح العامة_ كما تحددها هي_ من خلال التدخل في أنشطة المجتمع المدني."(**الخشت_٢٠١٤_ص٥٦**) ليكون المجتمع المدني عند هيجل مجالاً موازياً للدولة ومنفصلاً عنها، يأتي هذا التفسير في السياق الاجتماعي والاقتصادي مع صعود البرجوازية، وتوسع الملكية الخاصة والمنافسة، وتزايد المطالب الشعبية بالحرية.

يعتبر (ماركس) المجتمع المدني مجالاً للصراع الطبقي، "خذ أي مجتمع مدني وسيكون لديك دولة سياسية ما، ليست إلا التعبير الرسمي عن المجتمع المدني."(**بالأندية_٢٠٠٧_ص١٥٧**)أي أن الدولة الخلاصة الرسمية للمجتمع، أو هي جزء من المجتمع تنتصب فوقه، وافترض أن المجتمع المدني في النظام الرأسمالي ينشأ بواسطة البرجوازية، ما يجعله أسيراً للبنى الاقتصادية؛ التي لا يستطيع بنفسه تغييرها، والثورة التي تتجاوز الحدود المدنية للمجتمع المدني تكون بذلك ضرورية لإحداث مشروع التغيير"،(**الخشت_٢٠١٤_ص٥٧**) ويخفت الاهتمام بالمجتمع المدني بعد ذلك؛ ليعود إلى المشهد

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

بعد الحرب العالمية الثانية، تحت تأثير كتابات (جرامشي) على المناضلين في أوروبا الغربية وأمريكا اللاتينية.

ويرى (جرامشي) المجتمع المدني فضاء للتنافس الإيديولوجي، ومن آليات ممارسة السيطرة على المجتمع، ويمكن أن يكون آلية لتغيير أوضاع الفلاحين والعمال عن طريق خلق نظام التحالفات، والمحافظة عليها عبر النضال السياسي والإيديولوجي، والسلطة التي تمارسها الطبقة المسيطرة على غيرها من الممكن الانقلاب عليها، وذلك بتنمية الجمعيات التي تمثل طريقاً بديلاً لتنمية المجتمع، وقوة تمرد ضد ما هو تقليدي، وساحة لإقامة ثقافة وايديولوجية، والمجتمع المدني مؤسسات مهمة في تحديد السلوك السياسي للمواطنين. (**إدواردز_٢٠١٥_ص٢٨**)

وصياغة مفهوم المجتمع المدني جاءت لإبراز تحول أوروبا الغربية من الاستبداد إلى الديمقراطية متعلقاً بسيرورة التطور الليبرالي، وظهور الحركات الاجتماعية، ولم تندمج في أي قوة سياسية تقليدية، وأعطى المفهوم زخماً مع تحول المثقفين من مساندة الطبقة العاملة إلى إقامة تحالفات جديدة وقيادتهم لتلك التنظيمات.(**قرنفل_٢٠٠٠_ص٥٤**).

إن فشل آلية السوق والتخطيط المركزي، هو ما دفع إلى التفكير في رؤية جديدة؛ تعالج ذلك الفشل؛ بالشراكة بين القطاعات الثلاثة، مع تخفيض الدولة لنفقاتها واللجوء للخصخصة، والدعوة إلى الديمقراطية المباشرة بديلاً عن الديمقراطية التمثيلية، واكتسبت الرؤية الجديدة زخماً قوياً خلال التسعينات، مع اتجاه الرأسمالية نحو مرحلة العولمة كنظام أظهر حالة انعدام الأمن الشخصي لغالبية سكان العالم، مع غياب هوية جمعية سوى أن العالم مجرد مستهلك، ما زاد من عدم اليقين وهشاشة الوضع؛ فكان لابد من العودة إلى العمل التطوعي؛ لتأكيد التضامن والدعم المتبادل بين الناس المتشابهين في التفكير، ويدعم بعضهم عاطفياً ومادياً، والوصول إلى يقين بأن الحياة الترابطية لها شأن مهم.(**إدواردز_٢٠١٥_ص٣٤**)

أ-المجتمع المدني: العودة والحضور الواسع: برزت مبكراً دعوات تتخوف من الدولة وتغولها، وتدعو إلى اختفائها؛ يقول لينين:" استنتج ماركس من تاريخ الاشتراكية وتاريخ الصراع السياسي أنه يجب على الدولة أن تختفي، وأن الشكل الانتقالي لاختفائها سيكون هو البروليتاريا المنظمة في طبقة سائدة"؛**(لينين_١٩١٨_ص٣٣)** كما عند الفوضوية، وعند المحافظين الجدد "تقوم الرأسمالية الفوضوية بالدفع بالمنطق الرأسمالي إلى الحدود القصوى لإنشاء نظام للرأسمالية المطلقة، بخصخصة كل شيء بما في ذلك الدولة نفسها، فالدولة تنظيم يتعارض في العمق مع منطق الرأسمالية؛ لأن الدولة تعتبر بمثابة الشر المطلق،..، ومن حيث أنه لا وجود لشيء عمومي في هذا المجتمع، فلا حاجة إلى الدولة ولا حتى للحد الأدنى من الدولة،..، في المطالبة بالحرية الفردية والعداء للدولة كجهاز."**(سبيلا_٢٠٠٠-ص٩٣)**.

إن السلطة في حاجة إلى نظام لضبط مفاصل المجتمع وخلق التوازن الضروري فيه، وتزود المعرفة السلطة بما تحتاجه من عناصر التحكم في الأشياء والأجساد؛ لهذا يصبح العقل العلمي أو السياسي عقلاً أداتياً؛ **(أفاية_١٩٩٨_ص٣٣)** ما حمل مدرسة فرانكفورت إلى اعتبار أن الدولة الشمولية هي نتاج التنظيم اللاعقلاني للمجتمع الصناعي، وبأن الشر الاجتماعي متماهٍ مع السيطرة.

يشير(ماركيوز)إلى أنه قد حصل دمج لكل القوى والمصالح الاعتراضية داخل النظام، وتم دون أدنى مقاومة، وعملية الدمج تحصل بدون ضغط واضح_ فالديمقراطية تكرس السيطرة، بقوة، أكثر من الحكم المطلق_؛ فالعقلانية في المجتمع الصناعي تهمش الحرية وتفرم الفرد، ومن ثم الحرية بمعناها الليبرالي باعتبارها تحليلاً لإرادة الفرد؛ لم تعد مع النظام السياسي الذي شيدته العقلية الصناعية حرية فعلية مادام النظام مؤسساً على الضبط والمراقبة، وبالتالي فإن ما يسمى استقلال الفرد أصبح من قبيل الوهم؛ فالنمط الحضاري أنتج ثقافة خاصة تتخذ أشكالاً ديمقراطية، ولكنها لا تستجيب في عمقها للنزوع الديمقراطي للفرد ولا للمضمون الجماعي للثقافة.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وتصل المدرسة النقدية لنتيجة تفضي إلى الانسحاب من دعوة إنقاذ الفرد من انحطاطه من خلال مشروع اجتماعي تغييري؛ لأن سلطة الحداثة التقنية أصبحت محايثة لكل تغيير ولكل تطور، ومادامت معاناة الفرد آتية من الثقافة العامة التي تنتجها الحداثة؛ فإن الفرد حتى لو تشبث بكل ما يملك من قوى يذوب في الكتلة، ويزداد بذلك شقاء ومعاناة. وأمام السيطرة الكاسحة للهوية الواحدة والمطلقة، تلجأ النقدية إلى المغايرة لخلق نوع من التفاوت مع الواقع، وتوفير بعض الحرية على هامشيتها للفرد الواعي. (**أفايه_١٩٩٨_ص٣٧**)

قدم مفكرو أوروبا الشرقية المجتمع المدني إلى النظرية الاجتماعية الحديثة في مطلع السبعينيات من القرن الماضي، في حين كان مايزال مفهوماً محافظاً، ومهملاً، إلى أن بدأ الشغف به مع التسعينيات؛(**كومار_٢٠٠١_ص٣٥**) ليعود المفهوم مع المحافظين الجدد؛ كتيار من المفكرين ينتمون لمدارس فكرية متعددة وتوجهات سياسية متباينة، ويلتقون حول تبني نظام العولمة والترويج له؛ فهم ليبراليون في مجال الاقتصاد ومحافظون في مجال الثقافة، ويمينيون ويساريون جدد في الجانب السياسي؛ يرفضون القوى السياسية التقليدية بيمينها ويسارها، ومطالبتهم بإصلاح النظام الرأسمالي ورفضهم للبيروقراطية الاشتراكية، مطالبين باشتراكية رأسمالية تمثل خليطاً منهما.

يرى(تورين) أن الصراعات تقوم بين الجماعات المختلفة، وتنتهي بالتوافق في حلول وسط، وحالة الفوضى التي تسيرها هي فوضى خلاقة، ويرجع ذلك إلى أن المجتمعات الغربية رغم تعدداتها الثقافية؛ إلا أن العامل الأكثر لتوجه السلوك للأفراد هو الروابط والعلاقات الأفقية، ولذلك يرى المحافظون الجدد أن الوحدة الأولية للمجتمع هي الجماعة، ويشير مفهوم المجتمع المدني للاتجاه المحافظ إلى التنظيمات التقليدية من الأسرة والقرابة والسلالة والطائفة، وتأثر المحافظون الجدد بنظرية النخبة، فيدافعون عن النخبة غير الوراثية؛ بينما كان المحافظون التقليديون يدافعون عن النخبة الارستقراطية القائمة على الوراثة، وإضافة إلى ميولهم للديمقراطية والترابطية التي تجسد التعددية الثقافية على

الديمقراطية القائمة على التعددية الحزبية والأيديولوجية، تبرز هيمنة الثقافي على الاجتماعي، يُرجح (تورين) سوسيولوجية الفاعل على سوسيولوجية الفعل، جراء ما حصل من اختلالات التراتب الاجتماعي – السياسي داخل البُنية، وإبراز الفاعل الثقافي الذي تمثله الحركة الطلابية عام 1968_ في بعض الدول الغربية خاصةً فرنسا_، وهو طرحٌ يهدف إلى إظهار أهداف الفاعلين في ما بعد الصِراع، والحركات الاجتماعية طبقية المنشأ، على أ نها"حركة المجتمع، وقدرته الذاتية على تجديد ذاته من خلال آلياته الخاصة بالصِراع الذي يمر بالمفاوضة؛ لينتهي إلى إعادة التوازن" (**بعلبكي_ ٢٠١٢_ ص١٠١**).

ثالثاً: الرهانات على وظائف المجتمع المدني:

ينشط المجتمع المدني في وسط اجتماعي وثقافي وقانوني يتيح مساحة وقدرة الحركة، وتنوع وظائفه بتنوع مجال اهتماماته؛ فالوظيفة الاقتصادية للمجتمع المدني والرهان على تأمين سبل العيش وتقديم الخدمات في مجتمع تكون فيه الدولة وآلية السوق ضعيفتان، والرهان الاجتماعي على وظيفته تتكمن في تعزيز قيم اجتماعية من الثقة و التعاون، والرعاية الاجتماعية، وتشجع الإبداع في الحياة الثقافية والمحافظة على التراث والتقاليد، ودعم العمل الجمعي والخيري للصالح العام، وصون العلاقات الاجتماعية، أما الرهان السياسي للمجتمع المدني؛ فيكون في مواجهة سيطرة السلطة وتهديد استقلالية الفرد وحق الاختيار، كما يقوم بتوفير قنوات لإيصال أصوات الناس لصانع القرار؛ ليعمل على حماية الحقوق المدنية والسياسية، وتشجيع الشفافية والمساءلة الاجتماعية، وتأهيل قيادات مجتمعية، كما يحمي الممارسة الديمقراطية، ويدعم قيام انتخابات نزيهة وعادلة، ونشر الثقافة المدنية والديمقراطية. (**إدواردز_٢٠١٥_ص٢٥**).

فما إمكانية أن يقوم المجتمع المدني بتلك الوظائف والتي يراهن عليه القيام بها؟

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

١- المجتمع المدني والرهان السياسي

يمارس المجتمع المدني دوراً مهماً في الضغط على الحكومة وتحديد السياسات، وتقديم رأي وخبرة متخصصة لصانع القرار، وكما يسهم في التنمية السياسية، وتوسيع المشاركة، وتأهيل القيادات الشبابية ممن يميلون للعمل في الشأن العام، ولا يرغبون العمل من خلال الأحزاب؛ ليلعب دوراً في ترسيخ الديمقراطية ومبادئها ويحد من التسلط ويؤمن الحقوق والمصالح العامة، وفي الدول الديمقراطية التي أصيبت بالرتابة والجمود؛ فإنه ينعشها عن طريق الديمقراطية المباشرة، كما يمكن أن يؤثر على الديمقراطية ويشكل تهديداً لها.

أطلق المحافظون الجدد على المجتمعات الديمقراطية الغربية بأنها مجتمعات تعددية، في مقابل المجتمعات الشمولية، التي تشترك في سيطرة الدولة على المجالات المختلفة وعلى المجتمع، وبناء السلطة في المجتمع الأمريكي يأخذ شكلاً بولياركياً، أي يضم عدداً من الجماعات المزودة بمصادر سياسية متنوعة وموزعة فيها دون تساو، وتستخدم بدرجات متفاوتة النشاط، ولكن الحقوق السياسية متساوية، ويتخذ القرار عبر التوافق بين ممثلي الجماعات، والحكام في المجتمعات المعقدة هم عادة جماعات معترضة نادراً ما يكون لها مبادرة أو اقتراح ولكن لديها القدرة على رفض اقتراحات الآخرين؛ بمعنى أن المجتمع المفتت تسود فيه عمليات صناعة اللاقرار أكثر مما تسوده صناعة القرار، وصناعة اللاقرار فكرة اجتماعية جاءت من التسوية الاقتصادية؛ فلا يستطيع أي من طرفي الصفقة فرض شروطه على الآخر وتنتهي المساومة بينهما بالتسوية، **(الشرجبي_٢٠٠٩_ص١٢٠)** والمجتمع المدني يعمل على التسويات، وصياغة التوافقات وفق قواعد ومبادئ واضحة.

تخلّي الدولة عن بعض الوظائف التي كانت تحتكرها، وتكتفي بعقد شراكات مع المجتمع المدني والقطاع الخاص؛ دفع إلى طرح اختفاء الدولة وضعفها مقابل قوة المجتمع المدني، وقصور هذه النظرة يكمن في أن تخلي الدولة عن وظائفها، ولن يكون المجتمع المدني فاعلاً؛ إلا في دولة حاضرة

بمؤسسات قوية ومتماسكة، وبالتالي يتحقق النجاح، والدولة الضعيفة قدرة وكفاءة، هو ما يعيق المجتمع المدني ويضعف نشاطه؛ فلا يقدم المجتمع المدني موقفا ويُكّون رأيا واضحاً حول سياسة الحكومة، وإن تقدم بمشورة ورؤية؛ فلا يمكن أن تطبقها الدولة أو تتقاعس في تنفيذها، ما يفشل المجتمع المدني، ولذلك يكون للدولة دوراً ناظماً بوضع أطر قانونية وآليات تنفيذية وتبني مؤسسات لها القدرة، وتملك الكفاءة في حلحلة القضايا والإشكالات، وكما تقدم الدولة للمجتمع المدني حوافز ضريبية وتمويلية بإجراءات شفافة؛ ليقوم المجتمع المدني بالمشاركة في رسم السياسات العامة وفي الرقابة والمساءلة، ويفرض حضوره ودوره، ليكسب تعاطفاً ودعماً شعبياً، ولأن كلاهما بحاجة للآخر ويتطوران بالتوازي والتناغم، أي أن العلاقة طردية لا علاقة عكسية بقوة طرف يضعف الآخر.

يمثل المجتمع المدني عند آخرين تكتلاً مقابل الدولة ليكون (المزيد من المجتمع ضد قليل من الدولة) أو(المزيد من المجتمع ضد قليل من السياسة)، فالصراع الذي خاضه المثقفون والمنظمات المستقلة والحركات الاحتجاجية، تعارض بعض السياسات العامة، ولكن تظل دون هوية سياسية رسمية أو تحمل توجهاً إيديولوجياً، ويلعب المجتمع المدني دوراً في مواجهة السلطة الاستبدادية واسقاطها؛ كما حصل في أوروبا الشرقية ، وكان المجتمع المدني لاعباً رئيسياً في الربيع العربي، وأسقطت النظام ودولة الأشخاص (شكل الدولة غير المؤسسية المرتبطة بالأشخاص أو العائلات)، ولم تنجح بعض الحركات الاحتجاجية في تحقيق أهدافها؛ لأن سياق التشكل التاريخي والحضاري للمجتمعات يختلف، ولذلك لا يجب أن يُقارن سياق تشكل المجتمعات الأوروبية بسياق تشكل المجتمعات العربية، فقد عاشت المجتمعات الغربية مخاضًا تاريخيًّا طويلا لتحقيق بنائها القومي الديمقراطي، الذي ينتج الأغلبية الحاكمةَ له، وتتوفر فيه حقوق المواطن الأساسية والتعددية واستقلال القضاء، **(الجابري_١٩٩٣_ص٨)** فدور الدولة يأتي من التأطير القانوني والتنظيمي، ودور المجتمع المدني بممارسة الضغوط والمساءلة

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

الاجتماعية لضمان سير الحكومة على الطريق الصحيح، ونناقش علاقة المجتمع المدني بالعملية الديمقراطية وعلاقته بالأحزاب السياسية.

أ-المجتمع المدني و ترسيخ الديمقراطية: إن الحركات الاجتماعية تشكلت_ غالباً_ في ظل مجتمعات تحكمها أنظمة ديمقراطية فرضت قيوداً على الحقوق السياسية والاجتماعية والثقافية، وتحد من حرية التعبير والمشاركة ومن تدفق المعلومات، (**Tilly_٢٠٠٧_**) والواضح أن العلاقة بين الديمقراطية والمجتمع المدني، تبقى علاقة طارئة؛ فلم يكن تفكير رواد النظام التمثيلي يسمح بطرحها، ويكون مطلب المدافعين عن الديمقراطية المباشرة، ويوجد داخل مسار الديمقراطية؛ لا بداخل لحظة الليبرالية، ويرتبط بهاجس الديمقراطية التشاركية وديمقراطية الحوار والتداول.(**طارق_٢٠٠٩_**).

يقوم المجتمع المدني بترسيخ الديمقراطية وتثبيت دعائمها وتوسيع المشاركة المدنية والسياسية، ويشير (بوتنام) إلى انحسار وضعف المجتمع المدني الذي يؤدي إلى غياب" الالتزام المدني "و" الثقة الاجتماعية"(**Putnam-٢٠٠٠**)؛ كمفهوم يقابله عند (فوكوياما) "ثقافة الثقة" وعند (جيدنز) "علاقات التعايش التكافلي"، بينما تطرح (بيرمان) خلاف ذلك من أن المجتمع المدني القوي يمكن أن يشكل كعب أخيل، ونقطة ضعف خطرة، منطلقة من دراستها للمجتمع المدني في فيمار بالعشرينات والثلاثينات وكشفت تعدده وقوته، والتي يُعتقد أنها تشكّل دعامات الديمقراطية، ولم يخفق في توطيد الديمقراطية والقيم الليبرالية؛ إنما قام بتخريبها أيضاً، وأن المؤسسات السياسية الضعيفة كانت عاجزة عن الاستجابة للمطالب؛ التي كانت تطرحها المنظمات الكثيرة عليها دفعة واحدة، مما أدي بالمنظمات إلى نقل ولاءاتها لتنظيمات شعبوية وللحزب النازي، ومهدت الطريق للحزب لبناء ماكنة سياسية وديناميةً؛ حتى في الديمقراطيات الراسخة والمؤسسات السياسية القوية، هنالك أسباب للشك في ما يتعلق بالمجتمع المدني بأنه كلما زادت منظماته كان ذلك أفضل، وحذر البعض من أن انتشار المنظمات التي تعمل من أجل مصالح محدّدة في ديمقراطيات ناضجة، يمكن أن يخنق عمل المؤسسات

التمثيلية ويشوّه بصورة منهجية نتائج السياسات المتبعة لصالح الأثرياء وأصحاب الحظوة، ولصالح الأكثر تنظيماً، وإصابة الديمقراطية بتصلب الشرايين والأنسجة مع استمرار منظمات الدفاع عن قضية ما وجماعات الضغط في تكاثر، كما أحدث صعود (ترامب) من خارج النخبة السياسية وعن طريق الانتخابات الديمقراطية أرباكاً للوضع السياسي الداخلي الأمريكي، وشكل تهديد لعملية الديمقراطية بالتحول إلى الشعبوية، وبينما تتمتع اليابان بديموقراطية مستتبة مع مجتمع مدني ضعيف نسبياً، وفرنسا العريقة في الفكر الليبرالي والديمقراطية الراسخة، يلعب المجتمع المدني دوراً ثانوياً؛ إذ تتكفل الأحزاب والانتخابات بضمان الديمقراطية غير المباشرة، والليبرالية الفرنسية صنعت تاريخاً عالمياً في حين الليبرالية الأمريكية ظلت حدثاً لا تتجاوز أهميته المحلية إلا قليلاً، وفي إسبانيا مازال المجتمع المدني ضعيفاً.(**كاروثرز_٢٠٠٠_ص٣٠**) ما يؤكد أن الديمقراطية أنماط مختلفة، تختلف في أمريكا عنها في مجتمع آخر، ويدحض مسيرة الديمقراطية الأمريكية." فلا بد أن نكون أكثر تاريخية في الفهم والمقاربة؛ فمفهوم المجتمع المدني واستخداماته المتنوعة والمتعددة جداً حدّ التباعد، يثبت أهمية أخذ السياق التاريخي والظروف الاجتماعية لنشأته وتطوره في الاعتبار".(**كومار_٢٠٠١_ص٤٣**).

تتبنى الدراسات في الدول العربية المجتمع المدني كمفهوم لتحليل ما تشهده من تحولات اجتماعية وسياسية؛ كما تتبناه شعاراً لبناء مستقبل ديمقراطي تعددي، وتقدم تصوراً لمستقبل المجتمع العربي يشبه المجتمع الأوروبي الحديث، دون أن تعمل على ربط ذلك بمدى التشابهات، وطرح الاختلافات والتمايزات بينهما، ويذهب البعض إلى وجود اختلافات جذرية بين المجتمعات الأوربية والعربية، وهو ما يحول دون قيام المجتمع المدني أو فاعليته، دون أن يسبقه تحولات عميقة وجذرية، وهذا لن يحدث مالم يكن هنالك تطور نوعي خارج بنية المجتمع المدني والتي يتميز بها كما ظهر في أوروبا؛ كما أن سياق التشكل التاريخي والحضاري للمجتمعات في أوروبا الشرقية قبل العهد السوفياتي، وفي ظل النهج النيوليبرالي الذي أخرج تلك المجتمعات إلى التعددية الليبرالية؛ لا يجب أن

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

يُقارن بسياق تشكل المجتمعات العربية، ولا يحرص هذا النهج ذاته على دعم الأنظمة العربية المستبدة سياسياً ونخبها المحافظة أيديولوجيًّا، وقد عاشت تلك المجتمعات مخاضاً تاريخيّاً طويلاً؛ لتحقيق بنائها القومي الديمقراطي، الذي ينتج الأغلبية الحاكمةَ له، وتتوفر فيه حقوق المواطن الأساسية والتعددية واستقلال القضاء".(**بعلبكي_٢٠١٢_١٠٥**)

يحمي المجتمع المدني الحريات الفردية والديمقراطية، كذلك يمكن أن يجعلها أسيرة المصالح الخاصة، كما أن الطائفة قد تدعوا للديمقراطية، ويمكنها أن تدمرها بمبدأ التجانس القومي أو الديني،(**تورين_٢٠٠٠_ص٣٠**) ولا يكون المجتمع المدني دائماً داعماً للديمقراطية؛ فهناك منظمات تفضل التركيز على الدفاع عن مصالح أعضائها الثقافية والدينية والاقتصادية، أما الذين يحملون الالتزام الديمقراطي، فجذورهم ضعيفة شعبياً، ويتوفر لهم أنصار في النخبة الحضرية، لذلك فتأثيرهم محدود في المجال العام والعمل المدني الشامل المبني على قاعدة عريضة، هذه القاعدة العريضة إن ظهرت فهي لحظية في الأزمة، ويصعب استدامتها، والاعتماد على المانحين الخارجين، يفتح باب الشك حول "الأجندات الخارجية" ما يعرض المجتمع المدني للهجوم ويجعل منه هدفاً للنقد، والمعونة الرسمية مرتبطة بأجندات ومصالح سياسية مع السلطة الحاكمة، وهذا ينفي التجرد التام في مجتمع مدني مُسيس، كما أن التمويل لمنظمات ضعيفة على مستوى القواعد الشعبية وتحصل على تمويل محلي، وتنقصها الشرعية المحلية، ما يسهم في عدم الاستقرار السياسي، وتراجع الممارسة الديمقراطية.

المجتمع المدني؛ كعلاقات ومؤسسات يوفر بيئة تعمل بمعايير وقيم إيجابية، ووسائل لتحقيق هدف وغاية المجتمع؛ فكل تعميم يواجه بعشرة الاستثناءات على الأقل، فالوصول للإجماع الديمقراطي لا يكون دون نظم ترابطية ومجالات مستقلة توفر آليات وبنى وسيطة من خلالها تقوم المشاركة السياسية والمساءلة، ومقاومة الحكم التسلطي حتى في مجتمع مدني ضعيف نسبياً، وأيضاً يلعب المجتمع المدني دوراً رئيساً في إعادة النظر في طبيعة المجتمعات الديمقراطية الليبرالية، فإن بدت الديمقراطية

جامدة، والمواطنون سلبيين وبعيدين عن المؤسسات السياسية، فالخطأ ربما يكمن في حالة البنى والممارسات الخاصة بالمجتمع المدني.(**كومار_٢٠٠١_ص٣٥**)

ب- المجتمع المدني والأحزاب: يتداخل المجتمع المدني والدولة وتظهر منطقة توخميه يطلق عليها المجتمع السياسي من الأحزاب والتنظيمات السياسية والبرلمانات، ولتحديد مكونات المجتمع المدني ومجال نشاطاته هناك موقفان: **الأول:** يرى أن المجتمع السياسي من مكونات المجتمع المدني، لأنه يحدث تأثيراً في السياسة من خلال الترابطية والمناقشة المفتوحة والتداول في المجال العام، فالمجتمعات الديمقراطية اعتمدت على جذورها الممتدة زمنياً لفترة سابقة في المجتمعات الطوعية المستقلة في أوساط الجماهير؛ فجمعية التضامن في بولندا كانت نقابة عمالية وحزباً سياسياً تحت التأسيس، كما أن الحركات الاجتماعية تخفي في العادة أجندة سياسية، وفي بلدان ذات نظم حزبية ضعيفة، أو أن الأحزاب محظورة كما في دول الخليج، أو لا يسمح للأحزاب بالقيام على نطاق محلي، وتقوم تحالفات من الأحزاب والنقابات والفلاحين لتكون مؤثرة في الحشد والتعبئة وفي الترابط بين أقاليم الدولة، كما تكون طبيعية عند مرحلة الانتقال الديمقراطي كما في دول المعسكر الشرقي والدول العربية، لذلك يعد الترابط بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي حاجة طبيعية وضرورية ومفيدة، وخاصة في فترة جمود الديمقراطية التمثيلية وإعادة إنتاج نفسها وبقاء قضاياها دون حسم، ويكون التوازن هنا بين الديمقراطية التمثيلية والمباشرة ولصالح الديمقراطية المباشرة، ويعمل المجتمع المدني علي التأهيل السياسي للمواطنين، وتقديم القادة في المجالات المختلفة أهمها السياسي والإداري مثال (هافل) في بولندا، وأيضاً القادة في تشيلي والفلبين والبرازيل (الرئيس لولا)، فيتحركون من منظمات غير حكومية نحو الحكومة. **أما الثاني:** وهو الذي لا يدرج الأحزاب ضمن المجتمع المدني، والفارق بينهما من أن الأحزاب السياسية تسعى للوصول إلى السلطة، وتقوم بكافة الأعمال والتدابير التي تراها مناسبه لتحقيق ذلك؛ بينما المجتمع المدني أقصى ما يطمح إليه هو مراقبة العنف البدني الشرعي، وكما

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

في جمعيات حقوق الإنسان؛ حتى لا يستعمل استعملاً اعتباطياً أو مصلحياً، وأما الرغبة في احتكار هذا العنف فلا يطالب بها أي من مكونات المجتمع المدني، وأن ممارسة الإضرابات والاحتجاجات وتدخلها في التوجهات السياسية العامة للبلاد، فإن هدفها ليس القبض على زمام السلطة السياسية، بل التأثير علي توجهات السلطة ومراقبتها عبر المساءلة الاجتماعية.

إخراج هذا الفريق للأحزاب من المجتمع المدني تنطلق من مخاوف التأثير المفسد للسياسة على المجتمع المدني، ويفترض أن تكون مستقلة عن المصالح السياسية الموالية لحزب ما، لتؤدي وظائفه في تدعيم الثقة والتسامح بين الأحزاب السياسية المختلفة، وتركز هدفها على الصالح العام، ولن تنجح المهمة إلا إذا كان مستقلاً عن الأحزاب، والدخول معها في تحالفات يضع شعار عملها للمصلحة العامة في خطر." إن المنظمات غير الحكومية تعمل في قطاعاتٍ مجتمعيةٍ جزئية، وتتلمس مصالحها المشتركة ومساهمتها المشتركَةَ في قضايا المجتمع بشكلٍ عام، و(أن تأطيرها)ليس تأطيرًا لأحزابٍ أو للاتحادات النقابيةٍ، وإذا تم الخلط بين هذه الجوانب، فسوف تكون النتيجة أن تخسر هذه المنظمات خصوصيتها، كما تخسرها النقابات والأحزاب، وبالتالي تفقد جميعًا مساهمتها في عملية دمقرطة المجتمع". **(بشارة _٢٠٠٨_ ص٢٣)**.

ويرفع شعار "نحن تعبنا من السياسة"، والمجال السياسي للدولة والحكومة التي تتنافس الأحزاب ديمقراطياً للوصول إلى الحكم بخلاف المجتمع المدني الذي لا يسعى للحكم بل للتأثير في القرار السياسي، والنظرة السياسية للمجتمع المدني ليس لمن يحكم؛ إنما كيف يحكم، وتكون الثقة أداه لحركة المجتمع المدني وتساعد على تخفيف التوترات، فإن التلون- النفاق عند إدواردز- أداة التلين بالنسبة للأحزاب، وتغيير مبادئها وتحالفاتها؛ لكسب أصوات تمكنها من الحكم.

وتأتي النزعة المضادة للسياسة من الاعتقاد بأن المجتمع المدني قادر على تنظيم نفسه بنجاح دون الحاجة للدولة أو تدخلها، وقد يكون هذا صحيحاً في مجتمع محلي صغير؛ لكن ليس على

مستوى وطني، وسيكون أقل تأثيراً في أنظمة الحكم العالمية؛ على الرغم من تزايد الأهمية للديمقراطية المباشرة في" ملء الفراغ"، وبما أن الدولة خارج نطاق المجتمع المدني، يكون النشاط السياسي اللاحزبي داخله، ويبقي كل شيء بين هذين النقيضين موضوعاً للخلاف، والحل أن تكون الأحزاب داخل المجتمع المدني عندما تكون خارج السلطة، وخارجة عنه عندما تكون في السلطة.

٢- المجتمع المدني والرهان الاقتصادي

يقدم المجتمع المدني بأنه ضمان لنجاح النمو الاقتصادي، ويسهم في السياسة الاقتصادية والخطط التنموية، ونمو المشروعات الخاصة، ويضمن أن الدولة لن تخنق الاقتصاد، ويحمي حقوق العاملين والمستهلكين، ويكشف عن الغش والتلاعب والفساد، والرهان عليه بهذه الوظيفة الاقتصادية يتوقف على درجة قوته؛ على الرغم من أن التجربة الكورية الجنوبية قامت على عاتق مجتمع مدني مقموع وقطاع عمالي محاصر، ولم يشهد المجتمع المدني ازدهاراً إلا في الثمانينات؛ عندما شعر النظام الحاكم بالاطمئنان أرخى قبضته عن المجتمع المدني، ولا فضل للمجتمع المدني في بناء أسرع الاقتصاديات نمواً، التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، وعلى النقيض من ذلك بنجلادش التي تعرف كماً وتطوراً في المنظمات غير الحكومية وجماعات الدفاع عن قضية معينة ومنظمات الخدمة الاجتماعية التي تنشط على المستوى الوطني أو المحلي، هذه الثروة لم تترجم إلى ثروة للشعب؛ لتظل بنجلادش من أفقر بلدان العالم.

تحولت الدول الغنية في خيارات دعمها للمجتمعات الفقيرة ؛ إذ صارت تركز على دعم ما يُسمَّى برامج تخفيف الفقر، وصار تنفيذ البرامج يموَّل عبر منظمات المجتمع المدني، وتتجاوز الدول المانحة بهذا التمويل دور الدولة، بعد اتهامها بالفساد والإفساد، وتركِز على دور هذه المنظمات وفاعليتها؛ بزعم أنها تقوم على الطوعية والشفافية، وأنها أقرب إلى الناس من الإدارات الحكومية،(**الكامل_٢٠٢١**) واختلاف أهداف الدول المانحة التي تختار النخب المحلية الناشطة فيها؛

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

في الغالب، لا تكون ميولُ تلك النخب تطوُّعيةً، ولا تنم تدخلاتها المتنافرة لتخفيف الفقر عن إحساسٍ مرهفٍ بمشاكل الفقراء؛ لاسيما وأن الفقر قد تسببت فيه سياساتُ الأنظمة المدعومة من تلك الدول". (**بعلبكي _٢٠١٢**).

ويمكن للمجتمع المدني أن يكون شريكاً طبيعياً لاقتصاد ناجح، فعندما يحصل المواطنون على مستوى معيشي مريح؛ توفر له قدراً من التعليم والموارد لدعم الانتساب والمشاركة المجتمعية، ويمكن أن يدفع المجتمع المدني بعملية التنمية بإتباع سياسة اقتصادية سليمة وزيادة الرقابة والشفافية وتدفق المعلومات، ومع أن طريق التنمية ليس بهذه السهولة والبساطة، وليس مفروشاً بالضرورة على بساط المجتمع المدني؛ فيمكن أن يتعايش مجتمع مدني قوي مع اقتصاد ضعيف نسبياً، والعكس أن يتعايش مجتمع مدني ضعيف مع اقتصاد قوي.

يرى البعض أن الإفراط في المجتمع المدني؛ يمكن أن يكون ضاراً اقتصادياً، كما كانت مدرسة البنائية تنظر إلى أن الديمقراطية ستعزز احتمال النمو والرفاهية، وكثير من الدلائل لا تؤكد ذلك النموذج الارتجاعي، أو بناء النمط الخطأ منه؛ فدول أمريكا اللاتينية المعروفة بنقابات عمال هي دعامة المجتمع المدني هناك، وكانت واحدة من عقبات الاستقرار الاقتصادي، وعائق في طريق التنمية. (**كاروثرز_ ٢٠٠٠_ص٣٣**).

وتحقيق أهداف مثل الحد من الفقر، والمنافع والخدمات الاجتماعية؛ ماتزال مخيبة للتوقعات، ولم تحقق المرجو، ونشهد تراجعاً في مسار الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية؛ مع أن للديمقراطية فضلا لتقوية عقود اجتماعية وتحالفات سياسية يسهل متطلبات التنمية، ولا يوجد دليل على أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية تستلزم حكماً تسلطياً مع وجود تجارب مثل كوريا الجنوبية والصين؛ بينما تذهب دراسات إلى أن المجتمع المدني له أثر على الجانب الاقتصادي.

أ- المجتمع المدني والسوق: توجهت الدولة إلى عملية الخصخصة، والتي تقوي حرية السوق وقطاع الأعمال؛ ليقوم المجتمع المدني بشكل بارز لملء الفراغ الذي خلفته العملية، وبالتالي فإن أجهزة الدولة تكون قوية ومهيمنة بالقدر الذي ترضي تطلعات وآمال أكبر عدد من المواطنين، وكل تقليص في أدوار الدولة الاجتماعية؛ لا بد أن يكون من نتائجه تقلص في مراقبتها للمجال السياسي والثقافي، والحدود ملتبسة بين المجتمع المدني والسوق، ومازالت أقل وضوحاً خاصة في المجتمعات التي لم يتطور بها السوق بشكل جيد، وحول هذه العلاقة هنالك اتجاهان: **الاتجاه الأول:** يخشى على نقاء الروح المدنية من أن تضمر باتصالها بالسوق، **والاتجاه الثاني:** يرى أن قطاع الأعمال جزء لا يتجزأ من المجتمع المدني ويشدد على ضرورة ازدهار قطاع الأعمال_ على الأقل ازدهار العلاقات بين الملكية الخاصة ومؤسسات أعمال السوق_، وهذ الاتجاه امتداد لـ(جون لوك) الذي يجعل النشاط الاقتصادي الخاص ضمن المجتمع المدني، ويظهر صداه باستخدام المؤسسات غير الربحية في تقديم خدمات اجتماعية واقتصادية، وكذلك مع صعود الرأسمالية الخيرة، أو المشاريع الخيرية، والتبني المتزايد بالتفكير والأعمال وآليات السوق من خلال الجمعيات الخيرية والوقفية. والاتجاه الأول ينظر إلى المجتمع المدني بوصفه ظاهرة سياسية تدخل مزودي الخدمة ضمن القطاع غير الربحي في السوق وتصر على استقلالية مجموعات المواطنين عن المصالح الاقتصادية كافة؛ على أن المجتمع المدني هو مجال الحياة_ أي ساحة خالية من الأسواق_ تخفض فيها قيمة العملة، كما خلصوا إلى أن المجتمع المدني المتميز عن الاقتصاد، ويصبح وحدة المحور لنظرية سياسية اجتماعية نقدية في اقتصاديات السوق، ومن الصعب أن تُبين وحدة هذا الاختلاف، بمثل هذه الطريقة المحكمة فمؤسسات الأعمال وروابط المصالح الاقتصادية بين المسلمين والهندوس في الهند لها دور في تخفيض العنف بين الطوائف، وكذلك ارتفاعها، وأيضاً ما تقوم به أو توفره المشاريع غير الرسمية من حيز لإنشاء منظمة مستقلة، وكما يكون القطاع الاقتصادي الرسمي صغيراً جداً في المجتمعات النامية، والعلاقات متشابكة بين قطاع الأعمال والمجتمع المدني ويصعب فكها، والتمييز بين نشاط يسعى للربح لمشاريع فردية، وبين الدور السياسي والمدني لجمعيات

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

رجال الأعمال من تشجيع التعاون وبناء الثقة، وتمثل أعضائها والدفاع عنهم. (**إدواردز _٢٠١٥_ ص٥٣**).

وعموماً فمنطق السوق يحركه الحرص على التراكم والامتلاك للسلع الفردية، ودون اعتبار لما سوف يسببه ذلك من آثار في المستقبل، إما بالمعنى الإيجابي لزيادة ثروة الأمم(اليد الخفية لسميث)، أو بالمعنى السلبي من ظهور الأزمات والمظالم، وزيادة التفاوت الاجتماعي والصراع الاجتماعي والأضرار البيئية والتي لا يُحاسب عليها أحد، كما أن السوق يدمر نفسه بنفسه، ويفتقر إلى آلية ضبط النفس؛ فلابد من دور للدولة والمجتمع المدني في ذلك.(**أوفه_٢٠٠١_ص٥٥**).

فالركض اللامحدود وراء الربح، الذي يشكل أساس سياسات النيوليبرالية، ويهمل السياق التاريخي الذي تطبق فيه هذه السياسات، وتنطبق هذه الأفكار على المجتمعات الغربية الرأسمالية، وتكون المجازفة في تطبيقها على المجتمعات غير الرأسمالية الغربية الأوربية في ظل الأوضاع القائمة للدولة الهشة، وعدم الفصل بين السلطة السياسية والسلطة الاجتماعية، ولم تستكمل الدولة القومية بناءها، ولم تختفِ البنى التقليدية في ممارستها وثقافتها اللاديمقراطية، مجتمعات أخذت بالشكل للدولة والديمقراطية، وقبلت بالانتخابات ليس من أجل الوصول للسلطة، ولكن للوصول للدولة وقبولها للديمقراطية؛ كعمليات، وليس كمنظومة قيم وممارسة وثقافة.(**الشرجبي_٢٠٠٩_ص١٢٤**).

٣- المجتمع المدني والرهان الاجتماعي

ينظر البعض للمجتمع المدني على أنه من وسائل إعادة بناء قيم تقليدية أخلاقية؛ بينما ينظر أخرون إليه كوسيلة لإعادة خلق مجتمعات كاملة، وحذر(فيبر) من إضفاء ملامح رومانسية على تأثير هذه المنظمات، فهل العمل المدني والتطوعي هو أفضل سبيل لإصلاح المجتمع؟ (**إدواردز_٢٠١٥_ص٤٠**).

أ- المجتمع المدني والقيم الاجتماعية: يحمل المجتمع المدني قيماً أخلاقية وإنسانية من التعايش والتسامح، وعدم الاستبداد والتسلط، قيم ثقافية تمارس داخل المجتمع المدني، وفي الحياة الاجتماعية العامة، لذلك تدرج العائلة والأسرة والمدارس والجامعات كمؤسسات تربوية وتعليمية ضمن المجتمع المدني؛ لأنها تقوم بغرس الثقافة المدنية والديمقراطية، وترسخ مبادئ ومعايير تمثل قيماً إنسانية بالفطرة؛ فعند(روسو) المجتمع المدني هو ضد المجتمع الديني الكنسي، وفي الحياة العامة المدني هو المهذب والأخلاقي والمتسامح، ونقيض البربري والمتوحش، وفي العالم العربي والشرق يعني المدني نقيض العسكري، ووظيفة القوة والسيطرة السياسية، ونقيض القوي الشمولية والاقصائية الدينية أو العلمانية أو الحداثية، فهل يعني مجتمع مدني قوي، أن يكون المجتمع قوياً؟ وهل العلاقة طردية أم عكسية؟ فالروابط العرقية والطائفية والجمعيات الدينية تكون قوية الفاعلية، وفي الانتساب إليها، ولكن لا تعمل للصالح العام؛ بل لمصلحة الجماعة أو الفرد لجلب المصلحة الخاصة، ولا تقر بالتسامح وحق الاختلاف والتعدد، ما يجعل المجتمع المدني قوياً، وكما أن المجتمع المدني يحمل قيماً إنسانية كونية، ويعمل ويناضل من أجل تلك القضايا متجاوزاً الجغرافيا والحدود السياسية، وهنالك منظمات المافيا والإرهاب تنشط وتنتشر عالمياً، وبعضها تعتمد العنف والتمييز ولا نكرس الديمقراطية في ممارساتها، وفي المجتمع عامة فيه من يعمل لمصلحة خاصة، ولا يمارس البعض الديمقراطية، أو لا يناهض الفساد بل يمارسه، ولذلك لابد من تحالف الأخيار؛ لأجل الخير والصالح العام، وفضح الأشرار أعداء المصلحة العامة.

والقول أن المجتمع المدني يمثل الصالح العام تمثيلاً متأصلاً فكرة خاطئة فالمصلحة العامة فيها كثير من الالتباس فالهواء النظيف وحماية البيئة مصلحة، ولكن التصنيع والاستثمار للحصول على الطاقة والخدمات الاستهلاكية مصلحة عامة، وبين حرية التعبير والرأي والنقد وبين الشتم والقذف والتشهير، أو القضايا التي تحملها منظمات كقضايا خاصة وتغالي في التركيز على برامجها الخاصة إلى

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

حد قصر النظر، ولا تأبه بالموازنة بين الرؤى المختلفة إلى الصالح العام، فالحد بين المصالح الخاصة والعامة يكون كغربال تسمح بالنفاذ وتقبل تفسيرات مختلفة،(**كاروثرز_٢٠٠٠_ص٣٣**) وقد تقوم الصراعات وتخاض النضالات داخل المجتمع المدني نفسة، وليس بين المجتمع المدني من جهة، والأشرار من جهة ثانية، وكذلك يولي المجتمع المدني المصالح الخاصة اهتماماً بالغاً؛ فالنقابات دعامة المجتمع المدني تعمل لحماية مصلحة أعضائها، وقد تكون مطالب لامادية؛ لبعض منظمات المجتمع المدني إذ تنادي بمبادئ وقيم، لكن الكثير منها يبحث عن مصالح خاصة ضيقة أو تكون غايات ابتزاز دنيء، وقد تفتقر بعض المنظمات لمصادر تمويل محلية، أو لها قاعدة حقيقية بين المواطنين، وخاصة في البلدان التي مازالت في حالة الانتقال الديمقراطي؛ فتقع تحت سيطرة نخبة ليس لها ارتباط بالمواطنين، وتعتمد على تمويل خارجي، وهنالك منظمات تتلقى تمويلاً من الحكومة، تصفها (سكوكبول) بـ"ديمقراطية منقوصة" لأن الجمعيات المعنية بقضايا محددة، تضخم قضيتها ما يدفع إلى اتخاذ سياسة متحيزة لصالحها،(**إدواردز_٢٠١٥_ص١٣٢**)وقد تم إعفاء الحكومات من مسؤولية الالتزام بسياسات الرعاية الاجتماعية، واستبعادَ مسؤولية المجتمع المدني عن إحراج الحكومات بمتابعة سياساتها وتقييمها، وبذلك تكون شاركت – بقصد أو دون قصدٍ –في انحرافها عن مبرِر وجودها؛ كضمائر للجماعات المعرضة لخطر الإفقار، وكمؤسساتٍ معنيةٍ بمساءلة الحكومة؛ فجعلتها متكيِفة مع توجهات الحكوماتِ، ومستوعِبة لتململ الناس من سياساتها. (**بعلبكي _٢٠١٢_ ص١١**).

توصل(بوتنام) إلى أن التنوع المتصل بالتمركز العرقي في أمريكا ينتج عنه ميل إلى خفض التضامن ورأس المال الاجتماعي، وهو ما يتعارض في المدي القصير مع زيادة الجمعيات الأهلية العابرة للإثنيات،(**Putnam-٢٠٠٠**) ويطرح المنتقدون لـ (بوتنام) أنه أخطاء في دمج القيم المدنية بالقيم الليبرالية، وأن الحياة الترابطية أداة تعميم لمعايير يمكن أن تكون مسيطرة، ولكنها ليست بالضرورة ديمقراطية.

ودور المجتمع المدني في فرض التسويات الخاصة بإتباع قواعد وسلوك طوعي وتنظيم ذاتي واستقلالية؛ تبرز وظيفته في دعم التماسك والسلم الاجتماعي، ونجاحه يشكل عائقاً أمام التشظي والتمزق، ويذيب الاختلاف العرقي والديني والمذهبي والجنسي، ويشعر الجميع بالولاء؛ كأعضاء في كل متكامل أوسع انسجاماً، يمثل" نضجاً أخلاقياً" في تقبل الأخر والتعايش معه كمواطنين يسعون للخير العام، وكما يصبح التهميش والإقصاء والتمييز مجافٍ للمواطنة من الأصولية والعنصرية وكل صفة تعبر عن نفسها بالعنف وتؤمن بذلك، وليشكل المجتمع المدني نظرياً سياجاً شاملاً من المعايير والقيم أمام تلك المعوقات والتهديدات للمجتمع.

ب–المجتمع المدني والنظام الاجتماعي: يمثل الاستقرار والاندماج الاجتماعي الخطوة الأولى للتنمية، ورفع المستوي المعيشي، وفرص الحصول على الخدمات، والعدالة والكرامة والمشاركة كحقوق للمواطن، وما يقع على عاتقه من واجبات، والهوية المجتمعية تتشكل أساساً من التعدد، والمواطنة تمارس من مشاركة كافة شرائح المجتمع دون تمييز بحسب العرق أو الدين أو اللون أو النوع الاجتماعي، يصف (توكفيل) المجتمع الأمريكي بأن لديه نزعة قوية لتشكيل روابط وجمعيات، وهنا يكون المجتمع المدني جزءاً من المجتمع، ومختلفاً عن الدولة والسوق، ومع ذلك فالصين تتقدم مع ضعف الحياة الترابطية_ حسب المفهوم الغربي للترابط الاجتماعي_، وفي أمريكا مجتمع مدني فاعل ؛وما يزال الاقصاء والتمييز قائم.

يصر البعض على أن المجتمع المدني، يرسخ ويعمم الثقة والتعاون، ويتم فيه تعلم المهارات، وتطور القيم والولاءات، ونبذ العنف، وطريق لعقلنة السلوك، وتصب المعايير المعممة في فاعلية الديمقراطية؛ لأن الديمقراطية هي الإجماع حول الأهداف السياسية، وتضع (بروزنيلام) فضائل الديمقراطية "السلوك المدني"، أو معاملة الناس سواسية، وبإنصاف أو الوقوف ضد الظلم التعسفي، صحيح أن الانتساب للمجتمع المدني والتفاعل المنتظم؛ يقوي السلوك المدني، والدافع للتعاون يقوي

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

الانصاف، لكن أن الانتساب إلى المجتمع المدني يولد فعلاً هذه الفضائل أمر مختلف عليه وفيه نظر؛ فركيزة العمل التطوعي هو الحماس؛ وليس بالضرورة حراكاً مدفوعاً برؤية اجتماعية، كما أن المجتمع المدني ساحات للطموح الشخصي والسلطة، وهو ساحة للخدمة والتضحية؛ فالمجتمع الصالح يعتمد على ماذا يعمل المتطوعون، ولماذا يعملون؛ وليس على منهم؛(**Rosonblum_١٩٩٨**) فالتنظيمات الدينية والطائفية بعضها تحث على العنف ضد الآخر، وليس هذا فقط، وكذلك الآثار الأخلاقية الغامضة للتنظيمات غير العنفية، وبشكل عام تكون السياسة الجماعية الخاصة بالهوية_ لها وجهات نظر وأهداف وخصائص مختلفة_ منغلقة ومعادية للمساواة ولا تتوافق مع المبادئ المدنية من التسامح وحق الاختلاف والاعتراف بالفروق، (**أوفه_٢٠٠١_ص٧٦**) وهو النتيجة الحتمية؛ فالتعددية يفترض أن يحميها المجتمع المدني؛ فهو عالم الخصوصية والمكان الذي نستطيع أن نجد فيه موطناً بغض النظر عن من نحن ومن دون طلب إذن من أحد.

توصلت دراسة إلى أن الجمعيات التي تربط المصالح والنشاط الاقتصادي للهندوس والمسلمين كانت عاملاً في تقليص العنف بينهم، والتعامل بنجاح في إدارة أعمال الشغب حال وقوعها،(**Varshney-٢٠٠٠**) ولذا فإن الاشتراك الإثني بجمعية واحدة يلعب دوراً في تقليل وقوع العنف والتوسط في مصالح الجميع؛ على خلاف الجمعيات الحصرية لإثنية واحدة؛ ترفع من احتمال العنف، ولا تستطيع التوسط أو تصل إلى تسويات ممكنة بين الإثنيات، وكما أن لها أهمية في تحديد أثر المجتمع المدني في أهداف اجتماعية أوسع، والتأثير في المعايير الاجتماعية الإيجابية، ومع قوة هذه الحجة؛ إلا أنها لاقت نقداً مفاده أن التغيرات الاجتماعية كالوظيفة والصناعة والهجرة ومسؤوليات الدولة مهمة في وتيرة وقوع النزاعات تماماً؛ كما هي مهمة للحياة المدنية في حد ذاتها، ولكن المؤسسات العابرة للأقليات والمحلية وجماعات القواعد الشعبية، لا تعتبر ضامنة لتأمين أهداف المجتمع.

هناك من يرى أن الحياة الترابطية قوة محركة للمعايير الاجتماعية الايجابية التي يقوم عليها المجتمع، ولتأمين إصلاح السياسة العامة الضرورية للمجتمع، ويساور آخرون الشك في حلقات الوصل بين الأشكال والمعايير، ويكون في صالح تفاعل أكثر تعقيداً بين نظم بيئية ترابطية مختلفة والسياق الذي يكون فيه المجال العام يوفر" الوعاء" الذي تؤدي من خلاله عملها بالممارسة؛ فالتحول من الرعايا إلى مواطنين فاعلين وملتزمين بتوظيف قدراتهم وخبراتهم، لإيجاد الحلول للمشكلات العامة بطرق تشاورية، وفق منطق التعلم الجمعي، وهم قادرون على ذلك، ويسعون لخدمة المصلحة العامة.(**أوفه_٢٠٠١_ص٤٩**).

يواجه المجتمع المدني عملية نشطة ومتواصلة أدت إلى ضعف فرصه وانعدام الظروف الملائمة عن طريق سيطرة الإعلام والتجيير وتركز الملكية وسيطرة أنظمة تعيق الحصول على المعلومات إلى جانب النزوع إلى إجماع على أساس القاسم المشترك الأدنى، وتبادل الشتائم بديلاً للحوار الجاد والمثمر، وتشوية السياسة بالمال، ومع أنظمة التعليم النخبوية الممعنة في التخصص التي تحول البلهاء إلى علماء، والإجحاف والتمييز ضد الصوت العام والمشاركة، والتفسير الضيق لحقوق الملكية الفكرية الذي يحابي الأعمال على حساب حق الوصول إلى الأفكار، وأيضاً آثار الاقتصاد الرأسمالي في خفض الجهد واستنفاد الطاقة؛ التي يمكن أن يكرسها الناس لمواطنة نشطة. (**إدواردز_٢٠١٥**).

تشهد علاقات المجتمع المدني حالة من التعقيد، ومحاولة التأثير فيها من خلال الدعم الخارجي أو الحكومي، والذي يزيد الصعوبات لحد الخطر، إلى جانب محاولة بناء وصناعة مجتمع مدني ومحاولة استغلاله بما يخدم النموذج الليبرالي الغربي وعلى الطريقة الأمريكية، هي محاولة فجة، والتركيز على منظمات يعتقد المانحون أن لها أهمية أكثر من غيرها، متجاهلين وسائل التعبير المحلى وتنظيماته؛ التي لا تشبه التوقعات الغربية مثل: القبيلة والعشيرة والحركات الراديكالية، وجماعات ما قبل السياسية؛ لتظهر عدم الثقة، وتشعل التنافس حول الدعم الخارجي المولد لردة فعل تجاه الجمعيات وعلاقتها

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

بالمصالح الخارجية، وهناك أيضاً محاولات تقوم بها الحكومات لتشكل القطاع بما ينسجم مع احتياجاتها وأولوياتها، وفي البلدان الأكثر فقراً يكون المجتمع المدني مشلولاً، كما أن المحاباة لجماعات على حسب أخرى، تشوه التنوع والتعدد، وتعيق العلاقات التكاملية والدفع بها للأمام، وتسهم في تخفيض الانفاق العام، وتحرير السوق، وتضع في السياق أهدافاً غير ملائمة، وهو ما يريح المانحون من قصر اجراءات تأسيس الجمعيات وعلى ما يسهل قياسه، ولا يهدف لسهولة تطور أنواع الانتساب والانتماء الجمعوى، وتكون مضللة لصناعتها طبقاً لمعايير محددة سلفاً" الحتمية في المجتمع المدني"؛ كما أن المانحين لا تطالهم المساءلة عن قراراتهم ولا ما يدفعهم لموقف شفاف بشأن نظريات التغيير الاجتماعي التي يستخدمونها، ويخرج ما يُقدم من دائرة المعونة والإحسان، والمعونة الرسمية مرتبطة بأجندات ومصالح سياسية مع السلطة الحاكمة، و أن التمويل لمنظمات ضعيفة على مستوى القواعد الشعبية، وتنقصها الشرعية المحلية، يسهم في عدم الاستقرار السياسي، وتراجع الوضع الديمقراطي، وهذه سمة التمويل الخارجي المقدم للمجتمع المدني؛ لهذا فإن دعم منظمة محلية منظمة مسبقاً تنظيماً جيداً، وتحمل أهدافاً محددة وواضحة؛ فكميات قليلة من المال ومساعدة ودعم فني والتوقيت الصحيح، يكون لها فارق فيما تفعله.(**إدواردز_٢٠١٥_ص١٧١**)

يفصل (هابرماس) بين الحقول باعتبار أن لكل حقل منطقه الخاص؛ فالحقل السياسي يتعلق بالسلطة والإدارة، والحقل الاقتصادي بالثروة وتراكمها، ويكون التضامن والتواصل المفتوح والحر مجال المجتمع المدني، ولا يتواجد المجتمع المدني في فراغ ومستقل تماماً؛ فيتداخل مع الحقول الأخرى ويستفيد من مواردها، وقد يتعرض للمداهمة منها تجعله يعمل وفق منطقها بمعايير مغايره لمعاييره، ومن الواضح أن الحكومة يمكن أن يكون لها أثر على شكل ووظائف المجتمع المدني، ولذلك لابد من خلق التوازن بين استقلاليته وبين حاجاته للموارد التي يستمدها من تلك الحقول، (**كومار_٢٠٠١_ص٣٩**) ولا يمكن الاعتماد على حقل منها دون سواه؛ كما لا يمكن إنكار أن لكل منها وظيفة ضمن عملية

مركبة ومعقدة في النظام الاجتماعي، وتربط بينها علاقة غير مستقرة أو منسجمة، وإلى حد التعارض أحياناً، فهيمنة أحدها يهدد بتقويض الحقلين الآخرين، ولذلك يعتمد عمل كل من الحقول الثلاثة على بعضها بعضا.

الخاتمة:

نختم إلى أن المجتمع المدني مفهوم جدلي، وتعريفه يتعلق بالتوجهات الفكرية والسياسية، وتنعكس تفسيراته في السياسات و الممارسات المختلفة، وتداوله بشكل مكثف في نهاية القرن الماضي، كان سمة لمرحلة ما بعد الحرب الباردة، وأفول الأنظمة الشمولية، وظهور توجهات فكرية، مع رغبة في الاندماج في وقت يزداد فيه الشعور بعدم الأمان والأمن، ويمتد دوره على المستوى الدولي؛ أي من المحلية إلى العالمية، ويلعب دوراً محورياً في سياق الديمقراطية والتعددية، التي رفعت وتيرة الانتقال الديمقراطي في كثير من المجتمعات، وأجبرت الديكتاتوريات أن تتحدث عن الديمقراطية، وتضمنها في خطابها السياسي.

مع أنه يمكن أن يوجد نظام بدون ديمقراطية وحرية؛ لكن لا يمكن أن توجد ديمقراطية دون نظام، وتحميل المجتمع المدني ما لا قدرة له على تحمله، وفوق طاقته في واقع أكثر تشابكاً وتعقيداً وديناميكية؛ فالنظر إليه بأنه حل سحري؛ قد يكون رهاناً غير واقعي، في التعميم بإمكانية ترسيخه للديمقراطية، ودوره في التخفيف من الفقر، ونشره لقيم التسامح والتعايش والحفاظ على تماسك المجتمع؛ وإنما تكون النظرة الواقعية إليه بوصفه فكرة ووسيلة للتغيير الاجتماعي؛ إذ تتكأ فاعليته على رؤية تكاملية وعلاقة متوازنة بينه وبين كل من الدولة والسوق، والرهان على نجاحه يختلف من مجتمع لآخر، ويتوقف على السياق العام للمجتمع ومستوى التطور السياسي والاقتصادي والثقافي، والتحولات خارج بنية المجتمع المدني، وأيضاً على مستوى تطور بنيته الداخلية وعلاقات التجسير والتشبيك بين منظماته.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

المصادر والمراجع:

١. إبراهيم، سعد الدين، المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي، مركز دراسات التنمية السياسية، القاهرة،١٩٩١.
٢. إدواردز، مايكل، المجتمع المدني النظرية والممارسة، ت: عبد الرحمن شاهين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة،٢٠١٥.
٣. أفاية، محمد، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، أفريقيا الشرق، بيروت،١٩٩٨.
٤. أوفه، كلاوس، المجتمع المدني والنظام الاجتماعي، ت: أحمد محمود، الثقافة العالمية، ع١٠٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،٢٠٠١.
٥. بالأندية، جورج، الانثروبولوجيا السياسية، ترجمة: علي المصري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،٢٠٠٧.
٦. بشارة، عزمي، المجتمع المدني دراسة نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠٠٨.
٧. بعلبكي، أحمد، مفهوم المجتمع المدني المروج في أدبيات التنمية، عمران للعلوم الاجتماعية، عدد (١) المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة،٢٠١٢.
٨. تورين، آلان، ماهي الديمقراطية، ت: عبود كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،٢٠٠٠.
٩. الجابري، محمد، إشكالية الديموقراطية والمجتمع المدني في الوطن العربي، المستقبل العربي، عدد١ ٦، مركز دراسات الوحدة العربية،١٩٩٣.
١٠. الخشت، محمد، فلسفة المواطنة وأسس بناء الدولة الحديثة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،٢٠١٤.
١١. سبيلا، محمد، للسياسة، بالسياسية، إفريقيا الشرق، بيروت،٢٠٠٠.
١٢. الشرجبي، عادل، الفوضى المدمرة في مجتمع التربص، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد١، مجلد٣٢، جامعة صنعاء،٢٠٠٩.

١٣. شكري، محمد، المجتمع المدني بين الواقع والإيديولوجيا، عالم الفكر، عدد٤، مجلد٣٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب- الكويت،٢٠٠٨.
١٤. الصلاحي، فؤاد، ثلاثية الدولة والقبيلة والمجتمع المدني، مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان، تعز،٢٠٠٢.
١٥. طارق، حسن، المجتمع المدني والبرلمان: أية تقاطعات وظيفية؟، مجلة فكر ونقد، عدد٩٣، المغرب،٢٠٠٩.
١٦. قرنفل، حسن، المجتمع المدني والنخبة السياسية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء،٢٠٠٠.
١٧. كاروثرز، توماس، مجلة أبواب، عدد٢٤، دار الساقي، بيروت،٢٠٠٠.
١٨. الكامل، محمد، المجتمع المدني ومكافحة الفساد في اليمن، ورقة غير منشورة، قدمت للهيئة العامة لمكافحة الفساد، صنعاء،٢٠٢١.
١٩. كومار، كريشان، حول مصطلح المجتمع المدني، ت: عدنان جرجس، الثقافة العالمية، عدد١٠٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،٢٠٠١.
٢٠. لينين، فلاديمير، الدولة والثورة، الحياة والمعرفة، موسكو،١٩١٨.
٢١. هلال، علاء الدين & مسعد، نيفين، النظم السياسية العربية، قضايا الاستمرار والتغير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠٠٥.

المراجع الأجنبية:

- Putnam, R; Bowling Alone. The Collapse and Revival of American Community. New York: Simon &Schuster. (2000).
- Rosonblum,N; Marbership and Morals. The Personal Uses of Pluralism in America. Princeton NJ; Princeton UN. (1998).
- Tilly. Charles; Democracy, Cambridge University Press. (2007)
- Varshney. A; Ethnic Conflict and Civic Life: Hindus and Muslims in India. New Haven, CT: Yale University Press. (2000).

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
العدد الحادي عشر- جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - ديسمبر ٢٠٢١
ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية

أ.م.د. عمر عبود سعيد عقيلان(*)

الملخص:

سعت الدراسة إلى الكشف عن درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية، المعتمدة في العام الدراسي 2020/ 2021م، من خلال عرض المحتوى، والرسوم والأشكال، والأنشطة التعليمية، واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، واستخدم بطاقة تحليل المحتوى تبعاً لمجالات رومي وفقراته ومعادلاته الإحصائية.

وأظهرت نتائج الدراسة أن درجة إشراكية عرض المحتوى للطلبة في كتاب الجغرافيا بلغت (0.52)، وفي كتاب التاريخ بلغت (0.55)، وهي تقع في المدى المقبول الذي حدده رومي، في حين بلغت في كتاب الوطنية (0.26)، وهي لا تقع في المدى؛ مما يعني ضعف إشراكيته للطلبة.

كما أظهرت النتائج ارتفاع درجة إشراكية كتب الاجتماعيات: الجغرافيا والتاريخ والوطنية للطلبة في الرسوم والأشكال، إذ بلغت درجاتها (0.41، 0.5، 0.58)، وأشارت النتائج إلى ارتفاع درجة إشراكية كتاب التاريخ للطلبة في الأنشطة، إذ بلغت (0.4)، وانخفاضها في كتابي الجغرافيا والوطنية، إذ بلغت (0.24 ، 0.21) على الترتيب.

الكلمات المفتاحية: درجة إشراكية، كتب الاجتماعيات، الصف الخامس

(*) أستاذ المناهج وطرق التدريس المشارك – جامعة سيئون.

The Degree of Students' Involvement in the Social Studies Textbooks of the Fifth Grade in the Republic of Yemen

Abstract:

The study aimed to find out the degree of students' invol vement in the social studies textbooks of the fifth grade in the Republic of Yemen for the academic year 2020/2021 through presenting the content, the diagrams and the figures, and the e ducational activities. The researcher adopted the descriptive-an alytical method, content analysis card and Romy's domains, it ems and statistical equations.

The results of the study show that the degree of content p resentation involvement for students in the geography textboo k reached (0.52), and (0.55) in the history textbook, which is w ithin the acceptable range set by Romy, while it reached (0.26) in the civics textbook, which is not within the range, signifyin g weakness of the students' involvement in it.

The results also demonstrated a high degree of involvem ent of the social studies textbooks: geography, history and civi cs for students in terms of diagrams and figures as its degrees r eached (0.41, 0.5, 0.58) respectively. Further, the results indica ted a high degree of involvement of the history textbook for st

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

udents in terms of the activities reaching (0.4) and a low degre e in both geography and civics textbooks reaching (0.24, 0.21) respectively.

Keywords: Degree of Involvement; Social Studies Textb ook; Fifth Grade.

المقدمة:

تمثل الكتب الدراسية محوراً مهماً في العملية التربوية والتعليمية، فهي بشكلها وتحديداتها المتسارعة في ظل مجتمع التكنولوجيا وعصر ثورة المعرفة، تهدف إلى مواكبة احتياجات الطلبة وميولهم واتجاهاتهم، وقدراتهم، واحتياجات مجتمعاتهم، وهي أيضاً الأداة الفاعلة في تحقيق غايات النظام التربوي وأهدافه ونتاجاته التعليمية.

وبما أن للكتاب المدرسي أثراً فعالاً في تحقيق الأهداف التربوية المنشودة؛ ولا سيما في مرحلة التعليم الأساسي بوصفه يشتمل على الحد الأدنى لمجموعة الحقائق والأفكار والمفاهيم الأساسية التي تحتضن تلك الأهداف وتترجمها إلى الواقع العملي (العبدالكريم والعبدالكريم، 2016، ٢)، فهو من أهم أدوات العملية التربوية والتعليمية، وأحد أهم مدخلاتها، وأكثر تأثيراً في الموقف التربوي والتعليمي، فالكتاب المدرسي جزء أساسيٌّ في محتوى المناهج التعليمية (السويدي والخليلي، 1997، 13)، سواء أكان ذلك مطبوعاً أم الكترونيًّا فهو المرجع الأول الذي يعود إليه الطلبة لإكساب معلوماتهم وقدراتهم الوجدانية والمهارية في أي مجال من مجالات الدراسة بكافة تفصيلاتها العلمية (يوسف، 2009، 4).

وتزداد قيمة الكتاب المدرسي بالنسبة للطلبة بمقدار ما يبذل فيه من جهد في التأليف والإخراج، وعرض المادة التعليمية بطريقة تثير تفكير الطلبة وتحفزهم على المشاركة الفاعلة، وتراعي فروقهم الفردية (مرعي والحيلة، 2004، 262). الأمر الذي يجعل منه وثيقة للتعليم والتدريس، يتوخى منها إحداث التغييرات السلوكية المطلوبة عند الطلبة (القضاة وعساف وأبو لطيفة، 2014، 268)، ويمكن استخدامها داخل الصف وخارجه، فرديًّا وجماعيًّا، فهو يعمل بمنزلة مخزن أو مستودع للمعلومات والخبرات التي ينهل منها الطلبة (طعيمة، 2004، 80).

لذا ينبغي أن يصمم الكتاب المدرسي بعناية من حيث اختيار مكوناته من المادة العلمية وخبراته التعليمية وصوره وأشكاله التوضيحية وأنشطته الإثرائية، أي شكلاً ومضموناً، بما يتلاءم مع الأسس المعرفية والنفسية والاجتماعية والمعرفية والفنية والتقنية، ليكون أداة تربوية تعليمية فاعلة تسهل عملية التعلم على الطلبة، وتسهم في تحقيق الأهداف التربوية (الخوالدة، 2007، 310؛ القضاة وآخرون، 2014، 262)، وليأخذ موقعه المهم في منظومة النظام التربوي والتعليمي عامة، ومنظومة المناهج التعليمية خاصة (يوسف، 2009، 15).

ويرى مرعي ومحمد (2007، 252) أن الكتاب المدرسي المصدر الرئيس لتعليم الطلبة، الذي يعكس في محتواه فلسفة المجتمع ومنظومة قيمه، وأوضاعه الاجتماعية والاقتصادية، فضلاً عن حاجة الطلبة وميولهم؛ لأجل ذلك ينبغي اتباع سياق جديد في تأليف الكتاب المدرسي يبتعد عن السرد ويعتمد على أساسيات المعرفة والتفكير الناقد والتحليل والربط والتفسير، ويزود بالأنشطة المعتمدة على البيئة المحلية بالإضافة إلى الرسوم والصور التوضيحية؛ مما يجعله يبعث على التعلم الذاتي (دروزة، 2000، 103).

وفي ضوء ما سبق، يمكن القول إن الكتاب المدرسي يجب أن يوفر الشروط المادية والنفسية التي تساعد الطلبة على التفاعل النشط مع عناصر البيئة التعليمية في الموقف التعليمي، أي مساعدة الطلبة

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

على اكتساب الخبرات والمعارف والمهارات والاتجاهات والقيم التي يحتاج إليها وتناسبه، بأبسط الطرق الممكنة.

وهذا ما يؤكد أن التفاعل النشط هو الطريقة التي تسمح للطلبة بالمشاركة الفاعلة داخل الحجرة الدراسية، وتأخذهم إلى ما هو أبعد من الأثر السمعي السلبي (أبو سنينة وعشا وقطاوي، 2009، 52)، أي يجعلهم يشاركون ويتبادلون الخبرات مع المعلم من جانب ومع بعضهم بعضا من جانب آخر، ويخلق لهم فرصًا متكافئة على اختلاف خصائصهم المختلفة (UNESCO،2013 ، 30).

وعليه فإن الكتاب المدرسي عامة وكتب الاجتماعيات خاصة تقع عليها العديد من الوظائف، أبرزها إكساب الطلبة مهارات التعبير والتفاعل الاجتماعي مع الآخرين، سواء أكانت هذه التفاعلات لفظية أم غير لفظية، بوصف هذه التفاعلات واحدة من أهم ملامح صناعة التميز للإنسان في إطار الربط بين التعلم والحياة (طوالبة وعبيدات، 2012، 305)، كما أن كتب الاجتماعيات تمثل أحد ميادين المعرفة والاتجاهات الضرورية للمواطن الصالح، فهي تعنى بتنمية المواطنة وتحقيق مفهوم الذات وتنمية الأنماط السلوكية المرغوب فيها (جري، 2017، 27).

ويرى المجلس الوطني للدراسات الاجتماعية (NCSS) في الولايات المتحدة الأمريكية أن من أهم أهداف الدراسات الاجتماعية هي تطوير المفاهيم، وتنمية المواطنة لدى الطلبة الصغار، وإكسابهم الطابع الاجتماعي في إطار عملي، يمكنهم من المشاركة الاجتماعية المسؤولة في الصف والمدرسة والمجتمع والعالم (خضر، 2014، 32)؛ ذلك لطبيعة كتب الاجتماعيات التي تشتمل على الجغرافيا، والتاريخ، والاقتصاد، والسياسة، والاجتماع، وهذه كلها ميادين لها علاقة مباشرة بحياة الطلبة (خضر، 2014، 23).

ولكي تحقق كتب الاجتماعيات كل ذلك، لا سيما في مرحلة التعليم الأساسي التي تمثل الحد الأدنى من التعليم الذي لا غنى عنه لتهيئة الطلبة؛ لكي يكونوا مواطنين قادرين على أن ينطلقوا بمسؤولياتهم الفردية والاجتماعية (جري، 2017، 26)، لابد من إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات، إذ تعد إشراكية الكتب للطلبة عنصراً مهماً في اتجاهات تطوير الكتب المدرسية، حتى تؤدي عملية التعليم إلى تعلم استقصائي، وذي معنى، وهذا ما تسعى إليه الاتجاهات الحديثة في التدريس على المستوى العالمي (حاجي، 2019، 50).

وتعني إشراكية الكتب للطلبة؛ الأسلوب الذي يتم فيه عرض المادة التعليمية في الكتب المدرسية بشكل يساعد الطلبة على الاستيعاب ويحفزهم على الاستقصاء والاستفسار وحل المشكلات مُتَحَدِّين بذلك تفكيرهم ومفسحاً لهم الفرصة؛ ليناقشوا ويعبروا عن آرائهم من خلال تضمين الكتب المدرسية المحتوى والأشكال والرسوم الهادفة، التي تشجع على تبادل وجهات النظر بين المعلم والطلبة من جهة، والطلبة أنفسهم من جهة أخرى، مبتعدة عن أسلوب السرد والتلقين الذي يقيد أفكار الطلبة (العبدالكريم والعبدالكريم، 2016، 7)، وهذا يعني إعطاء الكتب المدرسية للطلبة بيانات خام أولية وتفسيرات خاصة، ومواقف في صياغة من التحدي، ولكنها مرتبطة ببيئتهم لتلائم الفروق الفردية وتشجعهم على التعلم الذاتي (خطايبة، 2008، 191).

وعلى ضوء ذلك، ونظراً للأهمية التي تتميز بها كتب الاجتماعيات في المرحلة الأساسية، يرى الباحث أنه من الضروري أن يأخذ واضعو كتب الاجتماعيات في هذه المرحلة بعين النظر المشاركة الفعالة للطلبة في الكتب من خلال طريقة عرضها للمحتوى التعليمي والرسوم والأشكال، والأنشطة التعليمية؛ لكونها تمكنهم من المشاركة في عالمهم ومساعدتهم على فهم علاقاتهم مع الآخرين، ومع مؤسسات المجتمع المختلفة؛ ليكونوا مواطنين فاعلين في خدمة أنفسهم وأسرهم ووطنهم والإنسانية بأسرها.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ونظراً لأهمية إشراكية الطلبة في الكتب المدرسية، فقد أجريت بعض الدراسات والأبحاث للكشف عن مستوى إشراكية الكتب للطلبة، وفي هذا الإطار يمكن أن نستعرض بعض الدراسات السابقة في اتجاهين: أحدهما عام يتناول بعض الدراسات السابقة لإشراكية الطلبة في الكتب المدرسية عامة، والآخر خاص بإشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات ، ففي الاتجاه العام أجرى نوافلة (2012) دراسة هدفت إلى الكشف عن درجة إشراكية كتب العلوم لطلبة المرحلة الأساسية في الأردن، من خلال كل من عرض المحتوى، والرسوم والأشكال، والأنشطة، كما هدفت إلى الكشف عن الفروق في درجة إشراكية الكتب وفقا للصف الدراسي، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدمت طريقة رومي Romy ، واختبار كاي تربيع. أظهرت النتائج أن إشراكية المحتوى جاءت مقبولة، وإشراكية الأنشطة منخفضة، أما إشراكية الرسوم والأشكال فقد كانت جيدة عدا كتاب الجزء الأول للصف السابع، كما أظهرت النتائج أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) وأوصت الدراسة بزيادة الاهتمام بإشراكية كتب العلوم للطلبة، وخصوصاً الأنشطة، وإجراء المزيد من الدراسات التحليلية لكتب العلوم في ضوء الإشراكية.

وفي دراسة أخرى أجراها العبد الكريم (2016) سعت إلى الكشف عن درجة إشراكية الطلاب في كتاب العلوم المطور للصف السادس الابتدائي في السعودية من خلال كل من : عرض المحتوى والرسوم والأشكال ، والأنشطة ، وتم حسابها بمعادلات رومي التي تقيس معامل الإشراكية. وأظهرت النتائج أن إشراكية الطلبة في المحتوى يقع في المدى المقبول، وانخفاضه في إشراكية الرسوم والأشكال، وارتفاعه في الأنشطة.

وفي دراسة قام بها الأسدي (2019) سعت إلى معرفة درجة إشراكية كتاب البلاغة والتطبيق لطلبة الصف الخامس الإعدادي في العراق في مجال عرض المادة والنشاطات. ولتحقيق هدف الدراسة استعمل الباحث المنهج الوصفي، واتبع صيغة رومي، وتكون مجتمع الدراسة من كتاب البلاغة

والتطبيق، واختار الباحث (5) موضوعات عشوائياً بما نسبته (26.32%) في مجال عرض المادة، أما النشاطات فقد اعتمدها الباحث جميعاً والبالغ عددها (39) نشاطاً. وبعد إجراء التحليل والتأكد من ثباته أسفرت النتائج عن أن معامل الإشراكية في عرض المحتوى بلغ (0.02) وهو أقل من الحد الأدنى للقبول، أما معامل إشراكية النشاطات فقد بلغ (1.15) وهو ضمن الحد المقبول.

وبهدف معرفة إشراكية كتب الرياضيات لطلبة المرحلة الأساسية العليا في فلسطين، أجرى الأشقر (0.4 – 1.5) دراسة، اعتمد في إجراءاتها على المنهج الوصفي التحليلي مستخدمة أسلوب تحليل المحتوى. وتوصلت الدراسة إلى أن درجة إشراكية كل من عرض المحتوى، والرسوم والأشكال في الكتب المختارة مقبولة حسب المعيار الذي حدده رومي، فهي تتراوح بين (0.4 – 1.5). أيضاً أسفرت النتائج عن عدم فروق ذات دلالة إحصائية لإشراكية كتب الرياضيات للكتب المختارة في كل من عرض المحتوى والرسوم والأشكال والأنشطة.

وعلى صعيد الاتجاه الخاص الدراسات التي تناولت إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات، فقد قام العنزي (2006) بدراسة سعت إلى تقييم كتاب الدراسات الاجتماعية للصف التاسع في دولة الكويت في ضوء المعايير المعاصرة الواجب توافرها في الكتب المدرسية، وفعاليته في إشراك الطالب وتنمية مهاراته المختلفة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في تقييم الكتاب مستخدماً أداة قام بإعدادها والتأكد من صدقها وثباتها، كما استخدم معادلة رومي لحساب معاملات إشراكية الكتاب للطالب. وقد توصلت الدراسة إلى تباين مراعاة الكتاب لمعايير ومواصفات الكتاب المدرسي الجيد؛ إذ تحققت فيه معظم المعايير بدرجات متفاوتة، وافتقر إلى تحقيق بعضها، كما جاء الإخراج الفني في المرتبة الأولى من حيث تحقق البنود المعيارية، وأشارت نتائج الدراسة إلى ضعف إشراكية الكتاب للطالب في عرض المادة العلمية والأنشطة والوسائل التعليمية والرسوم والصور وخلاصات الفصول.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

كما قام العوضي (2010) بدراسة سعت إلى تقييم كتاب التاريخ للصف العاشر في دولة الأمارات العربية المتحدة في ضوء المعايير المعاصرة، والكشف عن مدى إشراكية الكتاب للطالب، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي المسحي مستخدماً أداة قام بإعدادها، وتأكد من صدقها وثباتها، كما استخدم معادلة رومي لحساب إشراكية الكتاب للطالب. وقد توصلت الدراسة إلى تباين درجة مراعاة الكتاب لمعايير ومواصفات الكتاب الجيد، وأظهرت النتائج ضعف إشراكية الكتاب للطالب في عرض المحتوى، وإشراكيته بدرجة ممتازة في مجال الصور والأشكال والرسومات ومجال الأنشطة.

وأجرى أحمد (2018) دراسة سعت إلى التعرف على مدى إشراكية الطالب في كتاب التاريخ للصف الثاني عشر الثانوي في الصومال، واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، كما استخدم في المعالجة الإحصائية معادلة رومي. وأظهرت نتائج الدراسة أن معامل إشراكية الطالب في الكتاب من حيث عرض المادة العلمية الجيدة، وأن درجة الإشراكية من حيث الأشكال والرسومات والصور والنشاطات متدنية.

وقام حاجي (2019) بدراسة سعت إلى تحديد مستوى إشراكية الطالب في محتوى كتاب التاريخ الحضاري للصف العاشر الإعدادي في إقليم كوردستان العراق، من خلال طريقة عرضه لكل من المحتوى التعليمي، والرسوم والأشكال، والأنشطة التعليمية، واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم في المعالجة الإحصائية معادلة رومي. وأظهرت النتائج أن مستوى إشراكية الطالب في المحتوى التعليمي والرسوم والأشكال كان ضعيفاً، أما فيما يتعلق بإشراكية الطالب في الأنشطة التعليمية فقد كان ضعيفاً جداً.

ومن خلال استعراض الباحث للدراسات السابقة تبين أن هناك أهمية لدراسة درجة إشراكية الكتب الدراسية للطلبة في جميع المراحل الدراسية، كما يتضح من الدراسات السابقة أيضاً اعتمادها

بدرجة أساسية على معادلات رومي (Romey`s Formula)، وهو الأسلوب نفسه الذي استخدمته الدراسة الحالية.

أما الفرق بين هذه الدراسة وسابقاتها فيتمثل في تناولها إشراكية الكتب المدرسية للتعليم في اليمن وتحديداً في كتب الصف الخامس من المرحلة الأساسية، وهذا ما لم تبحثه أي دراسة من الدراسات السابقة في حدود علم الباحث واطلاعه.

واستناداً لما سبق ذكره وبالرغم مما حققته وزارة التربية والتعليم اليمنية من إنجازات في مجال قطاع المناهج التعليمية؛ حرصاً منها على جعل التعليم مواكباً لمستجدات الحياة في هذا العالم. إلا أن الأمر يستدعي تقويم كتبها بين مدة والأخرى للوصول إلى مستوى عالٍ من الجودة لتحقيق أفضل النتاجات المرغوب فيها؛ وحتى تكون هذه الكتب كذلك فإنه لا بد من تقديم محتوى تعليمي ورسوم وأشكال وأنشطة تعليمية يشارك فيها الطلبة بمستوى عالٍ، ومنها كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي في الجمهورية اليمنية.

وعليه، فإن هذه الكتب بوصفها ضمن الكتب المطورة المنبثقة عن الاستراتيجية الوطنية لتطوير التعليم الأساسي في الجمهورية اليمنية (2003 – 2015)؛ مما يستدعي إجراء دراسة تقويمية لإشراكيتها للطلبة؛ ولإعطاء صورة عن واقعها بغرض تحسينها وتطويرها، وهذا ما دفع الباحث للقيام بهذه الدراسة.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تعد إشراكية الكتب للطلبة من الاتجاهات التربوية الحديثة في تطوير الكتب المدرسية، التي تسعى إلى تمركز التعليم والتعلم نحو الطلبة، أي جعل الطلبة مشاركين بفعالية في العملية التعليمية، وهذا ما يصطلح عليه بالتعلّم الفعال الذي يعتمد على تفاعل الطلبة مع بعضهم، ومع ما يعرض

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

عليهم من معلومات وحقائق، بما يتلاءم مع قدراتهم العقلية ويخلق لهم فرصًا متكافئة للتفاعل مع المادة العلمية (Cooper et at،2011، 83).

ولقد أظهرت نتائج مجموعة دراسات سابقة أجريت عن إشراكية الكتب للطلبة (نوافلة، 2012؛ العبد الكريم والعبدالكريم، 2016؛ الأسدي، 2006؛ العوضي، 2010؛ حاجي،2019) أن هناك ضعفاً شديداً في إشراكية الكتب للطلبة سواء أكان ذلك في عرض المحتوى التعليمي في بعض الدراسات أم الرسوم والأشكال أو الأنشطة التعليمية في بعض البلدان التي أجريت فيها تلك الدراسات، الأمر الذي يستدعي أخذ عينات من الكتب الدراسية في اليمن ولا سيما كتب المرحلة الأساسية.

وقد اختيرت كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي؛ لأنها تمثل بداية تدريس كتب الاجتماعيات بصورة مستقلة في هذه المرحلة، أي كل كتاب مستقل عن الآخر (الجغرافيا، التاريخ، الوطنية) بخلاف الذي هو في الصف الثالث والربع (التربية الاجتماعية)، وتأمل الجهات المسؤولة فيها إكساب الطلبة الكثير من الجوانب الاجتماعية التي ينشدها المجتمع، بمعنى آخر إعداد الطلبة لممارسة الحياة المجتمعية بجوانبها المختلفة. فضلاً عن ما يشير إليه خضر (2014، 23) من أن المواد الاجتماعية تصنف من أبرز المواد التي يملّ منها الطلبة؛ والتي قد يرجع ذلك إلى أسلوب عرض محتواها وطبيعة رسومها وأشكالها وأنشطتها، بالإضافة إلى ما أكد عليه اللقاني (1981، 52) من تركيز كتب الاجتماعيات على الحقائق المجردة التي لا تترك للطلبة فرصة للمشاركة. وعليه يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

ما درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية؟

ويتفرع عنه الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما درجة إشراكية الطلبة في عرض محتوى كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية؟
٢. ما درجة إشراكية الطلبة في رسوم وأشكال كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية؟
٣. ما درجة إشراكية الطلبة في تنفيذ أنشطة كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية؟

أهداف الدراسة:

سعت الدراسة الحالية إلى قياس درجة إشراكية الطلبة في عرض محتوى، ورسوم وأشكال، وتنفيذ أنشطة كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة الحالية في:

١. تناولها موضوع يمثل اتجاهًا حديثًا في تحول تمركز عملية التعليم والتعلم من المعلم إلى المتعلم.
٢. قد تقدم مؤشراً للحكم على درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات في التعليم العام، ولا سيما المرحلة الأساسية.
٣. قد تفيد الجهات ذات الاختصاص في الإدارة العامة للمناهج بالوزارة في إثراء كتب الاجتماعيات بالعرض والرسوم والأشكال والأنشطة التي تعتمد على فعالية الطلبة وجذب انتباههم.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٤. تعد فريدة ومتخصصة في مجالها؛ إذ لم تجر أية دراسة على كتب الاجتماعيات للمرحلة الأساسية عامة، وكتب الصف الخامس خاصة. في حدود علم الباحث.

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة الحالية على الحدود الآتية:

- الحد الموضوعي: إشراكية الطلبة في عرض المحتوى، والرسوم والأشكال، والأنشطة.
- الحد المكاني: كتب الاجتماعيات للصف الخامس من مرحلة التعليم الأساسي بالجمهورية اليمنية.
- الحد الزماني: الفصل الثاني من العام الدراسي 2020/ 2021م.

مصطلحات الدراسة:

لغرض الدراسة الحالية فإنه يمكن توضيح المصطلحات الآتية:

. الإشراكية: يعرفها رومي (Romey،1986، 47) بأنها " الطريقة التي يتم فيها تصميم المادة التعليمية في الكتاب المدرسي بشكل يساعد الطالب على الفهم، ويحفزه على اكتشاف المعرفة، ويشجعه على التفكير فيما يعرض عليه من معلومات، وأشكال وأنشطة تعليمية، مبتعدة عن أسلوب السرد والتلقين الذي يقيد فكر الطالب". كما يعرفها نوافلة (2012،2377) بأنها " درجة مخاطبة عرض المحتوى والأنشطة والرسومات والأشكال، وتقاس بطريقة رومي".

ويعرفها الباحث إجرائيًا بأنها: درجة مخاطبة كتب الاجتماعيات لطلبة الصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية بطريقة تسمح بتفاعلهم ومشاركتهم في المواقف التعليمية الصفية ووغير

الصفية، مستخدمين المحتوى العلمي والرسوم والأشكال والأنشطة التعليمية المتضمنة في دروس هذه الكتب، ويمكن قياسها بمعادلات رومي.

. كتب الاجتماعيات : يعرفها الخضر (2006، 15) بأنها " المناهج المدرسية التي تُدرس في المرحلتين الأساسية والثانوية، والتي تعني بدراسة الإنسان، والعلاقات الإنسانية من ناحية، وعلاقات الإنسان ببيئته من ناحية أخرى، والوسائل التي تجعل هذه العلاقة على أحسن وجه ممكن".

ويعرفها الباحث إجرائيًا بأنها: الكتب المدرسية لمواد الجغرافيا والتاريخ والوطنية، وتضم مجموعة من الخبرات التعليمية المتعلقة بالطبيعة الجغرافية والتاريخية والوطنية، ذات البعد الاجتماعي المتعلق بالمواطن اليمني، والبعد القيمي المتعلق بقيم المجتمع وعاداته وتقاليده، والتي يسعى في إكسابها الطلبة والاستفادة منها في تنمية معارفهم واتجاهاتهم وقدراتهم المرغوب فيها.

. المرحلة الأساسية: هي المرحلة الثانية من السلم التعليمي في اليمن بعد المرحلة التمهيدية، وهي مرحلة إلزامية ومجانية وموحدة لمدة تسع سنوات تبدأ بالصف الأول وتنتهي بالصف التاسع، وتعد شرطًا للالتحاق بالمرحلة الثانوية.

طريقة الدراسة وإجراءاتها:

منهج الدراسة:

اتبع الباحث في دراسته المنهج الوصفي المسحي القائم على وصف الظاهرة كما هي، وذلك من خلال رصد واقع كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي وتحليلها، باستخدام معامل رومي لمعرفة درجة إشراكية تلك الكتب للطلبة من حيث عرض المحتوى، والرسوم والأشكال والأنشطة.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

مجتمع الدراسة وعينتها:

اشتمل مجتمع الدراسة على جميع كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية؛ وهي كتب الجغرافيا والتاريخ والوطنية، والتي تم تدريسها في العام الدراسي 2020/ 2021م، والبالغ عددها ثلاثة كتب؛ وكل كتاب تتوزع وحداته ودروسه على فصلين، أي الفصل الأول والفصل الثاني من العام الدراسي، وقد بلغ عدد صفحات الكتب الثلاثة (252) صفحة، كما يوضح ذلك الجدول الآتي :

جدول رقم (1) بيانات مجتمع الدراسة

الكتاب	الفصل	عدد الوحدات	عدد الدروس	عدد الصفحات	سنة الطبع	الناشر	جهة النشر
الجغرافيا	الأول	2	10	86	2014	وزارة التربية والتعليم	مطابع الكتاب المدرسي
	الثاني	2	9				
التاريخ	الأول	2	13	86	2014		
	الثاني	2	7				
الوطنية	الأول	2	7	80	2014		
	الثاني	2	8				
الإجمالي		12	54	252			

أما عينة الدراسة المستخدمة لتحديد إشراكية كتب الاجتماعيات للصف السادس الأساسي، فقد اختيرت بالطريقة العشوائية المنتظمة، بمعدل صفحة بعد كل صفحتين بشكل متوالٍ ومتسلسل من كل كتاب من الكتب الثلاثة، وتم تجاوز الصفحة إذا كانت تهيئة لوحدة أم تقويم وحدة، وأخذ الصفحة التالية لها، وذلك لضمان تحليل صفحات كاملة؛ مما يعطي دقة أكبر في الحكم، إذ بلغ عدد

الصفحات المحللة عينة الدراسة (74) صفحة بما نسبته (33.3%) من مجموع صفحات الكتب الثلاثة مجتمعة، كما يوضح ذلك الجدول الآتي:

جدول رقم (2) بيانات عينة الدراسة

الكتاب	الفصل	عدد الصفحات في المجتمع	عدد الصفحات في العينة	النسبة المئوية
الجغرافيا	الأول	37	12	%32.43
	الثاني	39	13	%33.33
التاريخ	الأول	46	15	%32.60
	الثاني	30	10	%33.33
الوطنية	الأول	42	13	%30.95
	الثاني	30	11	%36.66
الإجمالي		224	74	%33.03

أداة الدراسة:

تتمثل أداة الدراسة في صيغة رومي (Romey)؛ وتتكون من (16) فقرة موزعة على ثلاثة مجالات رئيسة هي: مجال عرض المحتوى ويضم (10) فقرات، ومجال الرسوم والأشكال ويضم (4) فقرات، ومجال الأنشطة ويضم (2) فقرات. وتعد هذه الأداة أنسب الأدوات لتحديد إشراكية الكتاب للطلبة، وقد استخدمتها جميع الدراسات السابقة الواردة في الدراسة الحالية.

صدق الأداة:

للتأكد من صدق الأداة، قام الباحث بعرضها على مجموعة من المحكمين بلغ عددهم (5) محكمين من ذوي الاختصاص والخبرة في المناهج وطرائق التدريس واللغة العربية واللغة الإنجليزية، وذلك للتأكد من سلامة الأداة ووضوح رموز الفقرات ومعانيها ومناسبتها لكتب الاجتماعيات.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وفي ضوء ملاحظات المحكمين وآرائهم تم تعديل بعض صياغة المعاني لتتناسب مع كتب الاجتماعيات، مع إهمال الفقرات التي لا تأثير لها في إشراكية الكتب للطلبة، كما تمت الإشارة إلى ذلك سابقاً عند الحديث عن قياس الإشراكية، وبذلك أصبحت الأداة في صورتها النهائية مكونة من (12) فقرة موزعة على الثلاثة المجالات؛ عرض المحتوى (8)، والرسوم والأشكال (2) فقرتان، والأنشطة (2) فقرتان.

ثبات الأداة:

للتأكد من ثبات أداة الدراسة، قام الباحث باختيار درسين من كل كتاب بطريقة عشوائية، وقد تكونت تلك الدروس من نحو (23) صفحة، كما يوضح ذلك الجدول الآتي:

جدول رقم (3) بيانات عينة ثبات الأداة

الكتاب	الفصل	عنوان الدرس	أرقام الصفحات	عدد الصفحات
الجغرافيا	الأول	الخريطة والصورة الجوية	14 - 13	2
	الثاني	التعدين والصناعة	68 - 65	4
التاريخ	الأول	الدول اليمنية القديمة	11 - 9	4
	الثاني	الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية	78 - 75	4
الوطنية	الأول	التقسيم الإداري للجمهورية اليمنية	30 - 27	4
	الثاني	السلطة التنفيذية	57 - 53	5
الإجمالي		6		23

ولحساب الثبات تم تحليل الدروس الستة مرتين متتاليتين بفارق زمني قدره شهر، ورصدت مرات الاتفاق والاختلاف بين التحليل الأول والتحليل الثاني، ومِن ثَمَّ تم حساب الثبات باستخدام

معادلة كوبر (عبد الرحمن، 1998، 53)، وقد بلغ ثبات الأداة نحو (0.91)، وهو ثبات مناسب لضمان دقة الأداة، وثبات التحليل عينة الدراسة، والجدول الآتي يوضح درجات ثبات الأداة:

جدول رقم (4) معاملات ثبات أداة التحليل

الرقم	موضوع التحليل	مرات الاتفاق	مرات الاختلاف	معامل الثبات
1	عرض المحتوى	92	6	0.94
2	الرسوم والأشكال	16	4	0.80
3	الأنشطة	7	1	0.88
4	الإجمالي	115	11	0.91

إجراءات التحليل:

اتبع الباحث في تحليل صفحات عينة الدراسة من الكتب الثلاثة الإجراءات الآتية:

١. صنف الباحث كل جزء من الأجزاء الستة وحدة واحدة.
٢. جدد الباحث مجالات التحليل في المجالات الثلاثة التي حددها في عرض المحتوى، والرسوم والأشكال، والأنشطة.
٣. حدد الباحث فئات التحليل للدراسة في الفقرات التي حددها رومي، وبلغ عددها (12) فقرة بعد إهمال الفقرات التي لا تأثير لها في إشراكيه الطلبة.
٤. اعتمد الباحث الفكرة وحدة لتحليل الصفحات موضوع الدراسة والتحليل.
٥. التزم الباحث خلال عملية التحليل بعدد من الضوابط منها؛ التحليل في إطار فئات التحليل المحددة، ورصد تكرارها ونسبتها، وتخصيص استمارة لكل جزء على حده أثناء عملية التحليل.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٦. استبعد الباحث من عملية التحليل صفحات الغلاف، والمقدمة، والتقويم، فهارس المحتويات والصفحات التمهيدية للوحدات، وقوائم المراجع.

قياس الإشراكية:

تقاس إشراكية الكتب للطلبة بطرق متعددة منها طريقة رومي، وهو أول من استخدم المصطلح، فعرفت هذه الطريقة باسمه، ويحسب معامل إشراكيه الكتب وفقًا لهذه الطريقة من خلال عرض المحتوى والرسوم والأشكال والأنشطة، ويتم ذلك عن طريق الاختيار العشوائي لبعض صفحات الكتب وتحليلها، ويتم احتساب إشراكيه الكتب من خلال معادلات خاصة لحساب معامل الإشراكية (خطابية، 2008، 191؛ حاجي، 2019 ، 54). وبالاعتماد على ما جاء في الدراسات السابقة، يمكن تلخيص معادلات حساب معامل الإشراكية كالآتي :

1. معامل حساب إشراكية الكتب للطلبة في عرض المحتوى:

$$\text{معامل " درجة " الإشراكية في عرض المحتوى} = \frac{\text{هـ} + \text{و} + \text{ز} + \text{ح}}{\text{أ} + \text{ب} + \text{ج} + \text{د}}$$

حيث إن:

أ- عبارات الحقائق والمفاهيم الاجتماعية.

ب- الاستنتاجات أو التعميمات الصريحة.

ج- التعريفات.

د- الأسئلة التي تسأل ويجب عنها الكتاب مباشرة.

هـ- الأسئلة التي تتطلب قيام الطالب بتحليل المعلومات.

و- الجمل الإخبارية التي تتطلب من الطالب القيام بتحليل المعلومات.

ز- الإرشادات التي تتطلب من الطالب أداء نشاط ما وتحليله، أو العبارات التي تطرح مشكلة ليقوم الطالب بحلها.

ح- الأسئلة التي تسأل لإثارة اهتمام الطالب ولا يوجد لها إجابة مباشرة في الكتاب.

ط- الجمل التي توجه القارئ للنظر إلى الشكل أو الرسم ، والتعليمات الإجرائية في النشاط والجمل التي لا تلائم أيًا من التصنيفات السابقة .

ي- الأسئلة التي تطرح لمجرد التأثير في النفوس، وليس المقصود منها الحصول على جواب.

- الفقرات (أ ، ب ، ج ، د) لا تحتاج إلى مشاركة الطلبة ، وهي تمثل المستويات الدنيا .
- الفقرات (هـ ، و ، ز ، ح) تحتاج إلى مشاركة الطلبة وتخلق المتوجة الاستقصائي لديه ، وهي تمثل مستويات عليا .
- أما الفقرات (ط ، ي) فهي لا تؤثر بشكل حقيقي في فائدة الكتاب وإشراكيته للطلبة؛ فتم تجاهلها.

2ـ معامل حساب إشراكية الكتب للطلبة في الرسوم والأشكال :

معامل " درجة " الإشراكية في الرسوم والأشكال=

$$\frac{\text{مجموع تكرارات الفئة ب (تشرك الطالب في تعلمه)} \quad \text{أ}}{\text{مجموع تكرارات الفئة أ (لا تشرك الطالب في تعلمه)} \quad \text{ب}}$$

حيث إن :

أ- تعني رسومًا أو أشكالاً تستخدم بشكل مباشر لغرض توضيحي.

ب- تعني رسومًا أو أشكالاً لا تحتاج من الطالب أداء نشاط ، أو استخدام معلومات إجابةً عن سؤال.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ج- يوضح كيفية تركيب جهاز لنشاط ما.

د- لا تلائم أيًّا من السابقة.

3 ـ معامل حساب إشراكية الكتب للطلبة في الأنشطة:

$$\text{معامل إشراكية الأنشطة} = \frac{\text{عدد الانشطة التي يطلب من الطالب أداؤها}}{\text{عدد الصفحات المحددة للتحليل عن الأنشطة}}$$

تفسير قيم المعاملات :

تشير الدراسات السابقة إلى أنه عند استخدام القوانين السابقة لحساب معامل اشراكية الكتب ، فإنه يتم عند تفسير النتائج اعتماد المعايير الآتية :

١. إذا كان معامل إشراكية الكتاب للطالب يساوي صفراً ، فهذا يعني عدم إشراكية الكتاب للطالب.
٢. إذا كان معامل إشراكية الكتاب للطالب يساوي واحداً ، فهذا يعني أن نصف عبارات الكتاب تشرك الطالب وتحثه على التفكير والنصف الآخر لا يشركه .
٣. كلما زادت قيمة المعامل الإشراكية ارتفعت نسبة إشراكية الكتاب للطالب ، وزادت نسبة المادة التي تتطلب الاستقصاء والبحث موازنة بالمادة التي لا تتطلبه .
٤. إذا قل معامل إشراكية الكتاب عن (0.4) فيعد الكتاب تسلطيًّا ، أي إنه يتضمن تحديًّا قليلاً لفكر الطالب .
٥. إذا كان معامل إشراكية الكتاب أكثر من (1.5) فهذا يعني أن الكتاب لا يحوي إلا أسئلة ، ومثل هذا الكتاب لا يعطي الطالب البيانات الكافية ليتعامل معها بفعالية .

٦. إذا كان معامل إشراكية الكتاب بين (0.4) و (1.5) فيعد معاملاً مقبولاً ، ويعني أن الطالب يستطيع أن يتعامل مع الكتاب بفاعلية .

الأساليب الإحصائية:

تم استخدام مجموعة من الأساليب الإحصائية ، وهي : التكرارات ، والنسب المئوية ، معادلات رومي بنماذجها الثلاثة ، المشار إليها سابقاً.

عرض نتائج الدراسة ومناقشتها:

النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: ما درجة إشراكية الطلبة في عرض محتوى كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية؟

للإجابة عن هذا السؤال ، تم رصد التكرارات المتعلقة بفقرات النموذج الأول لرومي (عرض المحتوى)، ومجموعها ونسبتها المئوية ، في دروس كل فصل دراسي على حده ، ثم قام الباحث بحساب معامل إشراكية عرض المحتوى ، كما يوضح ذلك الجدول الآتي :

جدول رقم (5) تكرارات فقرات عرض المحتوى ونسبها المئوية في كتب الاجتماعيات للصف الخامس

م	الفقرات	مجموع تكرارات الفقرات ونسبها المئوية					
		الجغرافيا		التاريخ		الوطنية	
		الفصل الأول	الفصل الثاني	الفصل الأول	الفصل الثاني	الفصل الأول	الفصل الثاني
أ	عبارات الحقائق والمفاهيم الاجتماعية	18 %34.6	8 %15.1	17 %32.1	12 %27.9	29 %50.0	10 %28.6
ب	الاستنتاجات أو التعميمات	5	4	1	2	2	3

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

م	الفقرات	مجموع تكرارات الفقرات ونسبها المئوية					
		الجغرافيا		التاريخ		الوطنية	
		الفصل الأول	الفصل الثاني	الفصل الأول	الفصل الثاني	الفصل الأول	الفصل الثاني
	الاجتماعية الصريحة	%9.6	%7.5	%1.9	%4.7	%3.5	%8.6
ج	التعريفات الاجتماعية	8 %15.4	7 %13.2	1 %1.9	2 %4.7	4 %6.9	1 %2.9
د	الأسئلة الاجتماعية التي تُسأل ويجيب عنها الكتاب مباشرة	9 %17.3	10 %18.9	14 %26.4	13 %30.1	12 %206	13 %37.1
هـ	الأسئلة الاجتماعية التي تتطلب قيام الطالب بتحليل المعلومات	4 %7.7	9 %17.0	10 %18.9	8 %18.6	2 %3.5	2 %5.7
و	الجمل الاجتماعية الإخبارية التي ترشد الطالب لصياغة استنتاجاته الخاصة	2 %3.8	3 %5.7	0 %0.0	0 %0.0	1 %1.7	0 %0.0
ز	الإرشادات الاجتماعية التي توجه إلى الطالب وتطلب منه أداء نشاط، وتحليله، والعبارات تطرح مشكلة ليقوم الطالب بحلها	3 %5.8	7 %13.2	4 %7.5	4 9.3%	5 %8.6	2 %5.7
ح	الأسئلة الاجتماعية التي تسأل لإثارة اهتمام الطالب ولا يوجد لها إجابة مباشرة في الكتاب	3 %5.8	5 %9.4	6 %11.3	2 %4.7	3 %5.2	4 %11.4
	المجموع	52	53	53	43	58	35

يلاحظ من الجدول رقم (5) أن الفقرة (أ) : (عبارات الحقائق والمفاهيم الاجتماعية) حصلت على المرتبة الأولى في ثلاثة (فصول دراسية)؛ هي الفصل الأول لكتاب الجغرافيا، والفصل الأول لكتاب التاريخ والفصل الأول لكتاب الوطنية ، بنسب مئوية (34.6%، 32.1%،

50.0%) على الترتيب، فيما حصلت الفقرة (د) (الأسئلة الاجتماعية التي تسأل ويجيب عنها الكتاب مباشرة) على المرتبة الأول في ثلاثة فصول دراسية، هي الفصل الثاني لكتاب الجغرافيا والفصل الثاني لكتاب التاريخ والفصل الثاني لكتاب التربية الوطنية ، بنسب مئوية (18.9% ، 30.1%، 37.1%) على الترتيب .

ولمعرفة درجة معامل إشراكية عرض المحتوى للطلبة تم استخدام معادلة رومي المتعلقة بهذا الشأن، وجاءت النتائج كما يوضحها الجدول الآتي:

جدول رقم (6) معامل إشراكية عرض المحتوى في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي

الكتاب	الفصل	معامل إشراكية عرض المحتوى للفصل	معامل إشراكية عرض المحتوى للكتاب
الجغرافيا	الفصل الأول	0.3	0.52
	الفصل الثاني	0.83	
التاريخ	الفصل الأول	0.60	0.55
	الفصل الثاني	0.48	
الوطنية	الفصل الأول	0.23	0.26
	الفصل الثاني	0.3	

يلاحظ من الجدول رقم (6) أن معامل إشراكية عرض المحتوى لكتابي الجغرافيا والتاريخ مقبولة ومناسبة بالنسبة للكتاب كاملاً، إذ بلغت درجة معاملي الكتابين (0.52، 0.55) على الترتيب ، وهذه القيم تأتي في الحد المقبول للإشراكية التي حدده رومي ويتراوح بين (0.4 ـ 1.5) ، أما معامل إشراكية كتاب الوطنية فقد بلغ (0.26) ، وهذه القيمة أقل من الحد المقبول، أي يعد هذا المحتوى للكتاب تسلطيًّا؛ لأنه يتضمن تحديًّا قليلاً لفكر الطلبة .

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ويلاحظ من الجدول نفسه أن معامل إشراكية الطلبة في دروس الفصل الثاني لكتاب الجغرافيا، والفصل الأول والثاني لكتاب التاريخ مقبولة ومناسبة لكل فصل على حده؛ إذ بلغت درجات معاملاتها (0.83 ، 0.60، 0.84) وهذه القيم تأتي في الحد المقبول للإشراكية المشار إليه سابقاً ، أما معامل إشراكية الطلبة في دروس الفصل الأول لكتاب الجغرافيا والفصل الأول والثاني لكتاب الوطنية؛ جاءت أقل من المدى المقبول، إذ بلغت قيم معاملاتها (0.3، 0.32، 0.3) على الترتيب.

وتشير النتائج السابقة إلى أن الطلبة يستطيعون التعامل بفاعلية مع كتابي الجغرافيا والتاريخ ، وأن هذين الكتابين يساعدان الطلبة على التفكير والتحليل والاستقراء وأنهما يعطيان قدراً مناسباً من المشاركة للطلبة من خلال عرض المادة التعليمية، ويفسر الباحث ذلك بأن كتابي الجغرافيا والتاريخ تحتويان على قدر مناسب من عبارات الحقائق والمفاهيم الاجتماعية، والاستنتاجات أو التعميمات الاجتماعية الصريحة، والتعريفات الاجتماعية ،وفي الوقت نفسه يحث هذان الكتابان على التفاعل والمشاركة من خلال تحليل الأسئلة الاجتماعية وصياغة الاستنتاجات الاجتماعية ، وأداء بعض الأنشطة وتحليلها ، وهذا يعني أن كتابي الجغرافيا والتاريخ يوجد فيهما توازن في عرض المادة العلمية.

وفي حين يفسر الباحث تدني معامل إشراكية الطلبة في كتاب التربية الوطنية إلى طبيعة الدروس الاجتماعية التي يطلب فيها سرد الحقائق والمفاهيم والاستنتاجات الاجتماعية، وهذا يعني أن هذا الكتاب لا يتصف بالتوازن في عرض المادة العلمية.

وتتفق هذه النتيجة فيما يتعلق بمعامل الإشراكية المقبول لعرض المحتوى لكتاب الجغرافيا والتاريخ مع نتائج دراسات كل من (الأشقر، 2020؛ عبدالكريم وعبدالكريم ، 2016م؛ ونوافله، 2012م)، وتتفق مع نتائج دراسة كل من (الأسدي ، 2019م؛ الحاجي، 2019م؛ العوضي، 2010م؛ العنزي ، 2006م) في تدني معامل عرض المحتوى بالنسبة لكتاب الوطنية.

النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني: ما درجة إشراكية الطلبة في رسوم وأشكال كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية.

للإجابة عن هذا السؤال تم رصد التكرارات المتعلقة بفقرات النموذج الثاني لرومي (الرسوم والأشكال) ، ومجموعها ونسبتها المئوية ، في دروس كل فصل على حده، ثم قام الباحث بحساب معامل إشراكية الرسوم والأشكال ، كما يوضح ذلك في الجدول الآتي :

جدول رقم (7) تكرارات فقرات الرسوم والأشكال ونسبها المئوية في كتب الاجتماعيات للصف الخامس

م	الفقرات	مجموع تكرارات الفقرات ونسبها المئوية					
		الجغرافيا		التاريخ		الوطنية	
		الفصل الأول	الفصل الثاني	الفصل الأول	الفصل الثاني	الفصل الأول	الفصل الثاني
أ	الرسوم والأشكال التي تستخدم بشكل مباشر لغرض توضيحي	7 %58.3	10 %83.3	5 %71.4	3 %60.0	8 %57.1	4 %80.0
ب	الرسوم والأشكال التي تحتاج من الطالب أداء نشاط، أو استخدام معلومات إجابةً عن سؤال	5 %41.7	2 %16.7	2 %28.6	2 %0،40	6 %42.9	1 %20.0
المجموع		12	12	7	5	14	5

يلاحظ من الجدول رقم (7) أن الفقرة (أ) : (الرسوم والأشكال التي تستخدم بشكل مباشر لغرض توضيحي) حصلت على المرتبة الأولى في جميع دروس الفصول الدراسية للكتب الثلاثة ، وهي (الفصل الأول والثاني لكتاب الجغرافيا، والفصل الأول والثاني لكتاب التاريخ، والفصل الأول

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

والثاني لكتاب الوطنية)، بنسب مئوية (58.3%، 83.3%، 71.4%، 60% ، 57.1%، 80%) على الترتيب، فيما حصلت الفقرة ب: (الرسوم والأشكال التي تحتاج من الطالب أداء نشاط، أو استخدام معلومات إجابةً عن سؤال) في جميع دروس الفصول الدراسية للكتب الثلاثة على المرتبة الثانية، وهي (الفصل الأول والثاني لكتاب الجغرافيا، والفصل الأول والثاني لكتاب التاريخ، والفصل الأول والثاني لكتاب الوطنية) بنسب مئوية (41.7%، 16.7%، 28.6%، 40%، 42.9%، 20%) على الترتيب .

ولمعرفة درجة معامل إشراكية الرسوم والأشكال للطلبة تم استخدام معادلة رومي المتعلقة بهذا الشأن، وجاءت النتائج كما يوضحها الجدول الآتي:

جدول رقم (8) معامل إشراكية الرسوم والأشكال في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي

الكتاب	الفصل	معامل إشراكية عرض المحتوى للفصل	معامل إشراكية عرض المحتوى للكتاب
الجغرافيا	الفصل الأول	0.71	0.41
	الفصل الثاني	0.2	
التاريخ	الفصل الأول	0.4	0.5
	الفصل الثاني	0.67	
الوطنية	الفصل الأول	0.75	0.58
	الفصل الثاني	0.25	

يلاحظ من الجدول رقم (٨) أن معامل إشراكية الرسوم والأشكال للكتب الثلاثة: الجغرافيا ، والتاريخ، والوطنية مقبولة ومناسبة للكتاب كاملاً ، إذ بلغت درجة المعاملات (0.41، 0.5، 0.58) على الترتيب، وهذه القيم تأتي في الحد المقبول للإشراكية التي حدده رومي ويتراوح بين (0.4 ـ1.5)، كما تقع في الحد نفسه معاملات الإشراكية للفصل الأول لكتاب ، والفصل الأول

والثاني لكتاب التاريخ ، والفصل الأول لكتاب الوطنية ؛ إذ بلغت درجات معاملاتها (0.71، 0.4، 0.67، 0.75) .

ويلاحظ من الجدول نفسه أن معاملات إشراكية الرسوم والأشكال للطلبة في الفصل الثاني لكتاب الجغرافيا، والفصل الثاني لكتاب الوطنية جاءت أقل من الحد المقبول الذي حدده رومي، أي تعد الرسوم والأشكال تسلطية في هذه الفصول.

تشير هذه النتائج إلى أن الرسوم والأشكال الواردة في كتب الاجتماعيات للصف الأول والأساسي تساعد الطلبة على التفكير والتحليل والاستقراء، وتعطي قدراً مناسباً من المشاركة، ويفسر الباحث ذلك بأن غالبية الرسوم والأشكال في الفصول الدراسية لهذه الكتب مرتبطة بأنشطة اجتماعية في حياة الطلبة، أو أن هذه الرسوم والأشكال تتضمن أيضاً مجموعة من الأسئلة التي تحتاج من الطلبة المشاركة والتفكير فيها من أجل استيعابها وفهمها.

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسات كل من (الأشقر، 2020م؛ نوافلة، 2012م؛ العوضي، 2010م)، وتختلف مع نتائج دراسة كل من (حاجي ، 2019م، أحمد، 2018م؛ العنزي، 2006م).

النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث: ما درجة إشراكية الطلبة في تنفيذ أنشطة كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي بالجمهورية اليمنية؟

للإجابة عن هذا السؤال تم رصد التكرارات المتعلقة بفقرات النموذج الثالث لرومي (الأنشطة)، ومجموعها ونسبتها المئوية، في دروس كل فصل على حدة، ثم قام الباحث بحساب معامل إشراكية الأنشطة، كما يوضح ذلك في الجدول الآتي:

جدول رقم (9) تكرارات فقرات الأنشطة ونسبها المئوية في كتب الاجتماعيات للصف الخامس

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

م	الفقرات	مجموع تكرارات الفقرات ونسبها المئوية					
		الجغرافيا		التاريخ		الوطنية	
		الفصل الأول	الفصل الثاني	الفصل الأول	الفصل الثاني	الفصل الأول	الفصل الثاني
أ	عدد الأنشطة التي يطلب من الطالب عملها	3 %20.0	3 %18.8	7 %31.8	3 %23.1	1 %7.1	4 %26.6
ب	عدد الصفحات المحللة في البحث عن الأنشطة	12 %80.0	13 %81.2	15 %68.2	10 %29.9	13 %92.9	11 %73.4
المجموع		15	16	22	13	14	15

يلاحظ من الجدول (9) أن الفقرة (أ) التي تمثل: عدد الأنشطة التي يطلب من الطالب عملها، حصلت على تكرار ات متدنية قياساً بالفقرة (ب) التي تمثل عدد الصفحات المحللة في البحث عن الأنشطة؛ في دروس الفصول الدراسية للكتب الثلاثة جميعًا وهي : (الفصل الأول والثاني لكتاب الجغرافيا ، والفصل الأول والثاني لكتاب التاريخ ، والفصل الأول والثاني لكتاب الوطنية) بنسب مئوية (20%، 8.18%، 31.8%، 23.1%، 7.1% ، 26.6%) على الترتيب.

ولمعرفة درجة معامل إشراكية الأنشطة للطلبة تم استخدام معادلة رومي المتعلقة بهذا الشأن، وجاءت النتائج كما يوضحها الجدول الآتي:

جدول رقم (10) معامل إشراكية الأنشطة في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي

الكتاب	الفصل	معامل إشراكية عرض المحتوى للفصل	معامل إشراكية عرض المحتوى للكتاب
الجغرافيا	الفصل الأول	0.25	0.24
	الفصل الثاني	0.23	
التاريخ	الفصل الأول	0.47	0.4

	الفصل الثاني	0.3	
الوطنية	الفصل الأول	0.07	0.21
	الفصل الثاني	0.36	

ويلاحظ من الجدول رقم (10) أن معامل إشراكية الأنشطة غير مقبول بالنسبة لكتابي الجغرافيا والوطنية ؛ إذ بلغ معاملا إشراكيتها للطلبة في الأنشطة (0.24، 0.21) على الترتيب وهذه القيم أقل من الحد المقبول الذي حدده رومي ويتراوح بين (0.4 ـ 1.5)، أما معامل إشراكية الأنشطة لكتاب التاريخ، يعد مقبولا ومناسبا لكونه يقع في المدى المقبول الذي حدده رومي ، والمشار إليه سابقاً، إذ بلغ معامل إشراكية كتاب الوطنية (0.4) .

أما معاملات إشراكية الطلبة على مستوى دروس الفصول الدراسية، فقد جاءت جميعها أقل من الحد المقبول عدا معامل إشراكية الفصل الأول لكتاب التاريخ، الذي جاء معامل إشراكية الأنشطة لهذا الفصل في الحد المقبول، إذ بلغ معامل الإشراكية لهذا الفصل (0.47) ، وبلغت معاملاتها إشراكية الأنشطة لباقي الفصول : (الفصل الأول والثاني لكتاب الجغرافيا ، والفصل الثاني لكتاب التاريخ ، والفصل الأول والثاني لكتاب الوطنية) ،(0.25، 0.23، 0.3، 0.07، 0.36) على الترتيب .

وتشير هذه النتائج في معظمها إلى أن كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي تطغى عليها ندرة أو قلة الأنشطة التي يطلب من الطلبة حلها ، ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى أن نظرة مؤلفي الكتب إلى صعوبة توفير متطلبات تنفيذ الأنشطة سواء أكان ذلك في البيئة الصفية أم المدرسية أو بيئة المجتمع عمومًا، وقد يعود ذلك إلى الاهتمام الفعلي بالمحتوى أكثر من الأنشطة انطلاقاً من فلسفة الكتب الدراسية القديمة، التي تركز على الجانب المعرفي الفعلي أكثر من الجانب الوجداني والمهاري؛ إذ يلاحظ في أغلب الدروس الاكتفاء بنشاط واحدٍ نهاية كل درس .

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسات كل من (حاجي، 2019م؛ أحمد، 2018م؛ نوافلة، 2012م ،العنزي، 2005م) ، وتختلف مع نتائج دراسات كل من (الأشقر، 2020م؛ العبدالكريم والعبدالكريم، 2016م؛ العوضي، 2010م) .

الاستنتاجات :

في ضوء عرض نتائج الدراسة ومناقشتها تم التوصل إلى استنتاج الآتي:

١. أن كتابَي الجغرافيا والتاريخ للصف الخامس الأساسي يشركان الطلبة بشكل جيد في عرض محتوى المادة العملية.
٢. أن كتاب الوطنية للصف الخامس تسلطي يعتمد أسلوب التلقين، في عرض محتوى المادة العلمية.
٣. أن كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي تشرك الطلبة بشكل جيد في الرسوم والأشكال التعليمية التعلمية.
٤. أن كتابي الجغرافيا والوطنية للصف الخامس الأساسي، لا يشركان الطلبة في الانشطة، أي لا يسمحان للطلبة بالتعلم الذاتي.
٥. أن كتاب التاريخ للصف الخامس يشرك الطلبة في الأنشطة بشكل جيد، ولذا فهو يسمح بالتعلم الذاتي والبحث.

التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة واستنتاجاتها، يوصي الباحث بالآتي:

١. تطوير أسلوب عرض محتوى المادة العلمية لكتاب الوطنية ليصل إلى درجة جيدة من إشراكية الطلبة، وزيادة إشراكية عرض المحتوى لكتابي الجغرافيا والتاريخ للطلبة بشكل أفضل.

٢. الحفاظ على الدرجة الجيدة لإشراكية كتب الاجتماعيات للصف الخامس للطلبة في الرسوم والأشكال؛ لما تعطيه من فرص لمشاركة الطلبة وتفاعلهم في المواقف التعليمية التعلمية.
٣. إثراء كتابي الجغرافيا والوطنية للصف الخامس بالأنشطة المتنوعة التي تتحدى عقول الطلبة وتحفز تفكيرهم، والابتعاد عن النمطية في الأنشطة وصياغتها العلمية، والمحافظة على الدرجة الجيدة للإشراكية في كتاب التاريخ.
٤. اعتماد نتائج الدراسة الحالية مرشداً وموجهاً في تحسين درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات للصف الخامس الأساسي، عند إعادة تنقيح هذه الكتب وتطويرها.

المقترحات:

في ضوء نتائج الدراسة واستنتاجاتها وتوصياتها، يقترح الباحث الآتي:

١. دراسة درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات للصفوف الأخرى من مرحلة التعليم الأساسي.
٢. دراسة درجة إشراكية الطلبة في كتب الاجتماعيات للمرحلة الثانوية.
٣. دراسة درجة إشراكية الطلبة في الكتب الأخرى للصف الخامس من المرحلة الأساسية.

المصادر والمراجع:

١. أبو سنينة، عودة عبد الجواد وعشا، انتصار خليل وقطاوي، محمد إبراهيم .(2009). درجة ممارسة مبادئ التعلم النشط في تدريس مادة الاجتماعيات من وجهة نظر معلميها في مدارس وكالة الغوث الدولية في الأردن، **مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية**، 9 (2)، ص 51 – 70.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٢. أحمد، سعيد أبوبكر شيخ .(2018). تقييم محتوى كتاب التاريخ للصف الثاني عشر الثانوي في الصومال في ضوء درجة إشراكية الطالب، **مجلة جامعة مقديشو**، (4)، ص 95 – 113.

٣. الأسدي، عقيل رشيد عبد الشهيد. (2019). درجة إشراكية كتاب البلاغة والتطبيق لطلبة الصف الخامس الإعدادي في العراق، **مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية**، (45)، ص 170 - 184.

٤. الأشقر، أيمن. (2020). إشراكية كتب الرياضيات لطلبة المرحلة الأساسية العليا في فلسطين، **مجلة الجامعة العربية الأمريكية**، 6 (1)، ص 90 – 124.

٥. جري، خضير عباس .(2017). **دراسات متنوعة في مناهج وطرائق تدريس الاجتماعيات على عينات في المجتمع العراقي**، ط2. العراق، بغداد: الفراهيدي للنشر والتوزيع.

٦. حاجي، ستار جبار.(2019). مستوى إشراكية الطالب في محتوى كتاب التاريخ الحضاري للصف العاشر الإعدادي في إقليم كوردستان العراق " دراسة تحليلية في ضوء معيار الإشراكية " . **مجلة جامعة زاخو للعلوم الإنسانية** ، 23 (3)، ص 48 – 62 .

٧. خضر، فخري رشيد .(2006). **طرائق تدريس الدراسات الاجتماعية**. عمان، الأردن : دار المسيرة للنشر والتوزيع.

٨. خضر، فخري رشيد .(2014). **طرائق تدريس الدراسات الاجتماعية**. عمان، الأردن : دار المسيرة للنشر والتوزيع.

٩. خطايبة، عبدالله محمد .(2008). **تعليم العلوم للجميع** ، ط2. عمان، الأردن : دار المسيرة للنشر والتوزيع.

١٠. الخوالدة، محمد محمود .(2007). **أسس بناء المناهج التربوية وتصميم الكتاب التعليمي**، ط2. عمان، الأردن : دار المسيرة للنشر والتوزيع.

١١. دروزة، أفنان نضير .(2000). **النظرية في التدريس وترجمتها عملياً**، ط2. عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.

١٢. السويد، خليفة والخليلي، يوسف .(1997). **المنهاج : مفهومه وتصميمه وتنفيذه وصيانته**. دبي : دار القلم.

١٣. طعيمة، رشدي أحمد .(2004). **تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية**. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.

١٤. طوالبة، هادي محمد وعبيدات، هاني حتمل .(2012). اتجاهات طلبة المرحلة الأساسية في الأردن نحو مباحث الدراسات الاجتماعية من خلال الرسم. **المجلة الأردنية في العلوم التربوية**، 8 (4)، ص ص 303 – 314.

١٥. عبد الرحمن، سعد. (1998). **القياس النفسي: النظرية والتطبيق**. مصر، القاهرة: دار الفكر العربي.

١٦. العبد الكريم، ندى بنت عقيل عبد العزيز. والعبد الكريم، صالح بن عبد الله بن محمد. (2016). درجة إشراكية الطلاب في كتاب العلوم المطور للصف السادس الابتدائي. **مجلة العلوم التربوية الرياض**، 28 (3)، ص 475 – 500.

١٧. العنزي، عبد الرحمن طرقي. (2006). **تقييم كتاب الدراسات الاجتماعية للصف التاسع المتوسط في الكويت في ضوء المعايير المعاصرة**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، الأردن.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

١٨. العوضي، إبراهيم .(2010). **دراسة تحليلية تقويمية لكتاب التاريخ للصف العاشر في دولة الإمارات العربية المتحدة في ضوء المعايير المعاصرة**. الإمارات، أبوظبي: مجلس أبوظبي للتعليم، مدرسة الاتحاد النموذجية للتعليم الثانوي.

١٩. القضاة، بسام وعساف، محمد وأبو لطيفة، رائد والخوالدة، مؤيد. (2014). **مقدمة في المناهج التربوية الحديثة: مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها**، ط1. عمان، الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع.

٢٠. اللقاني، أحمد حسين .(1981). **المناهج بين النظرية والتطبيق**. مصر : عالم الكتب للطباعة والتوزيع.

٢١. مرعي، توفيق والحيلة، محمد .(2004). **المناهج التربوية الحديثة وعناصرها وأسسها وعملياتها**، ط 4. عمان، الأردن : دار المسيرة للنشر والتوزيع.

٢٢. مرعي، توفيق أحمد والحيلة، محمد محمود .(2007). **المناهج التربوية الحديثة : مفهومها وعناصرها وأسسها وعملياتها**، ط 5. عمان، الأردن : دار المسيرة للنشر والتوزيع.

٢٣. نوافلة، وليد .(2012). إشراكية كتب العلوم العامة لطلبة المرحلة الأساسية المتوسطة في الأردن، **مجلة جامعة النجاح لأبحاث العلوم الإنسانية**، 26 (10) ، ص 2369 – 2398.

٢٤. يوسف، ماهر إسماعيل صبري محمد. (2009). **المدخل للمناهج وطرق التدريس**، ط 1. مصر : سلسلة الكتاب الجامعي العربي، السعودية : مكتبة الشقري.

25. Cooper، James M، et al. (2011). Classroom Teaching Skills. 9th Edition، Wadsworth، Cengage Learning، Belmont، U S A.

26. Horsley، M، Knight، B. & Huntley، H. (2010). The role of text books and other teaching and resources in higher education in Australia : change and continuity in supporting leaning. IARTEM e-Journal. 3 (2)، 43 – 61.
27. Romey، William D. (1986). Inquiry Techniques for Teaching Science. Englewood Cliffs، NJ : Prentice – Hall، Inc.
28. UNESCO International Bureau of Education. (2013). Glossary of Curriculum. Geneva، Switzerland.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
العدد الحادي عشر- جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - ديسمبر ٢٠٢١
ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

المؤسسات التربوية في العصر العباسي ودورها في نشر العلم
(المكتبات نموذجاً)

د. أحمد المهدي محمد محمد أحمد(*)

مستخلص البحث:

هدف البحث إلى: التعرف على أسباب ازدهار الحياة العلمية في العصر العباسي، وإحصاء المؤسسات التربوية، والوقوف على دور المكتبات في نشر العلم، وتوضيح أنواع المكتبات في العصر العباسي، والتعرف على موظفي المكتبات ودورهم في نشر العلم. واستخدم الباحث المنهج التاريخي. وتوصل إلى عدة نتائج منها: أن أسباب ازدهار الحياة العلمية يكمن في حث الإسلام على طلب العلم، وتشجيع الخلفاء للحركة العلمية، والاستقرار الداخلي، واختلاط العرب بغيرهم، وزيادة المؤلفين والكتب، وازدهار صناعة الورق، ووجود عشر مؤسسات تربوية. كما بين البحث أنواع المكتبات في العصر العباسي وهي: مكتبات عامة، ومكتبات بين العامة والخاصة، ومكتبات خاصة، ودورها في نشر العلم وتمثل في توفير الكتب، وحركة الترجمة والتأليف والنسخ، وإذكاء روح المنافسة بين العلماء، وتدريب المترجمين، كما شهدت أروقتها المناقشات العلمية بين العلماء.

الكلمات المفتاحية: التربوية، المكتبات، العباسي.

(*) الأستاذ المشارك بكلية التربية –جامعة أم درمان الإسلامية – ورئيس قسم أصول التربية.

Pedagogical Organizations in the Abbasid Era and their Role in Spreading Knowledge (Libraries as a Case Study)

Abstract:

The aim of the research is to identify the reasons for the f lourishing of scientific life in the Abbasid era, to enumerate ed ucational institutions, to identify the role of libraries in spreadi ng science, to clarify the types of libraries in the Abbasid era, and to identify library employees and their role in spreading sc ience. The researcher followed the historical approach and rea ched several conclusions, including: The reasons for the prosp erity of scientific life lies in urging Islam to seek knowledge, e ncouraging caliphs for scientific movement, internal stability, mixing Arabs with others, increasing authors and books, the fl ourishing of paper-making, and the existence of educational in stitutions. The types of libraries in the Abbasid era in general a nd between the public and the private and in particular the role of libraries in spreading science were to provide books and the movement of translation, authorship and copying, and to fuel c ompetition between scholars and training translators. It also wi tnessed scientific discussions between scholars.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

مقدمة:

شهد عصر صدر الإسلام أنواعاً متعددة من المؤسسات التربوية، وكذلك العصر الأموي والذي عرف المكتبات بوصفها مؤسسة تربوية؛ حيث ظهرت في هذا العصر أنواع من خزائن الكتب، بعضها يخص الخلفاء الأمويين، وبعضها الآخر يخص أصحابها من العلماء، فكانت تلك البذور والبداية للمؤسسات التربوية لا سيما المكتبات في العصر العباسي والتي تطورت بفضل ازدهار حركة التدوين ونشاط التأليف، كما أوجد الخلفاء مجالس للبحث والمناقشة في المسائل المتعددة مفسحين المجال لإبداء وجهات النظر المختلفة، واتجه أصحاب الثقافات غير العربية إلى تعلم اللغة العربية والتعرف على أسرارها حتى ظهر منهم العلماء الذين كان لهم الدور الأكبر في الحركة العلمية سواءً في العلوم الشرعية أو العلوم العقلية.

العصر العباسي الذي امتد في الفترة من (١٣٢-٦٥٦هـ، ٧٥٠-١٢٥٨م) به فترات ناصعة من التعليم أُطلق عليها العصور الذهبية لاهتمام الخلفاء بالعلم حيث لم يبخلوا على النهضة العلمية، فقدموا للبشرية ما حقق لها التقدم إلى الأمام مستغلة التراث القديم، ومجددة ومبتكرة ومهيأة للمستقبل، فازدهرت المؤسسات التربوية والتي كانت المكتبات من بينها فأسهمت في نشر العلم.

مشكلة البحث:

تعد المكتبات من أهم المؤسسات التربوية في نشر العلم في العصر العباسي، لما لها من علاقة وطيدة ببعض المؤسسات الأخرى مثل: (القصور- المساجد – حوانيت الوراقين – المدارس – منازل العلماء – البيمارستانات – الخانات) حيث إنها تمثل القاسم المشترك لتلك المؤسسات، هذا ما شجع الباحث على الكتابة عن المؤسسات التربوية لا سيما المكتبات ودورها في نشر العلم.

أسئلة البحث:

تتمثل أسئلة البحث في السؤال الرئيس التالي:

ما المؤسسات التربوية في العصر العباسي وما دور المكتبات في نشر العلم؟

وتتفرع من هذا السؤال الأسئلة التالية:

١. ما أسباب ازدهار الحياة العلمية في العصر العباسي؟
٢. ما المؤسسات التربوية في العصر العباسي؟
٣. ما أنواع المكتبات في العصر العباسي؟
٤. ما دور المكتبات في نشر العلم في العصر العباسي؟
٥. ما دور موظفي المكتبات في نشر العلم؟

أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث في أنه:

١. تناول العصر العباسي الذي اتسم بازدهار الحياة العلمية.
٢. أحصى المؤسسات التربوية في العصر العباسي التي تُعنى بالعلم الذي حث وشجع عليه الدين الإسلامي.
٣. تحدث عن المكتبات في العصر العباسي بوصفها مؤسسة تربوية تمد المؤسسات التربوية الأخرى بروافد استمرارها.
٤. أوضح أنواع المكتبات في العصر العباسي وموظفيها ودورهم في نشر العلم.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١. التعرف على أسباب ازدهار الحياة العلمية في العصر العباسي.
٢. إحصاء المؤسسات التربوية في العصر العباسي.
٣. الوقوف على دور المكتبات في نشر العلم.
٤. توضيح أنواع المكتبات في العصر العباسي.
٥. التعرف على موظفي المكتبات ودورهم في نشر العلم.

حدود البحث:

تتمثل حدود البحث في:

الحدود الزمانية: فترة العصر العباسي من ١٣٢ - ٦٥٦هـ الموافق ٧٥٠ – ١٢٥٨م.

الحدود المكانية: أرجاء الدولة العباسية (مدن العراق والقاهرة وتونس والأندلس).

الحدود الموضوعية: دور المكتبات في نشر العلم، مع التركيز على مفهوم المكتبات وأنواعها وموظفيها.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج التاريخي، وذلك عن طريق سرد المعلومات المتعلقة بالمؤسسات التربوية ودورها في نشر العلم في العصر العباسي، وهو المنهج الذي يرتكز على أحداث سبق وأن حدثت وسرت عليها فترة من الزمن، كما يستخدم الوصف في عرض هذه الأحداث وتسجيلها وربطها

باستنتاجات تجعلنا نستفيد من الماضي في تطوير الحاضر، ووضع تصور مستقبلي بناءً على الأحداث التي وقعت[١].

مصطلحات البحث:

يُعرف الباحث المصطلحات الواردة في عنوان البحث تعريفاً إجرائياً على النحو التالي:

المؤسسات التربوية: هي أماكن التعليم في العصر العباسي.

العصر العباسي: يقصد به الفترة التي حكم فيها العباسيون من ١٣٢-٦٥٦هـ الموافق ٧٥٠-١٢٥٨م.

المكتبات: هي مؤسسة تربوية فاعلة وغنية بالكتب القيمة تُعنى بالتعليم والاطلاع والمعرفة.

الدراسات السابقة:

تناول الباحث عدداً من الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث على النحو التالي:

١. دراسة: سمية يونس سعيد (٢٠١٩م)

هدفت الدراسة إلى: التعرف على أنواع المكتبات في العصر الإسلامي، والتعرف على المكتبات في العصر الأموي، والعباسي، ودور المكتبات في الحضارة الإسلامية، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التاريخي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: شهد العصر الإسلامي تطوراً واضحاً في مجال المكتبات، تأثرت الحركة والنشاط الاقتصادي بنشاط الحركة العلمية وشراء الكتب، تنوعت المكتبات في العصر الإسلامي فكان هناك مكتبات عامة ومدرسية ومكتبات خاصة.

(١) منهجية البحث العلمي: ٤٠

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٢. دراسة: ناصر أحمد طه (١٩٩٩م)

هدفت الدراسة إلى: التعرف على دور العصر العباسي في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي، وذلك من خلال التعرف على مؤسسات العصر العباسي، والمناهج السائدة فيه، والمعلمين، وحركة الترجمة. واستخدم الباحث المنهج التاريخي. وتوصل إلى عدة نتائج منها: ازدهرت المؤسسات التربوية في العصر العباسي خاصة المكتبات، ازدهرت حركة الترجمة وأصبح للمترجمين مكانة مرموقة.

٣. دراسة: طالب حامد حسن (١٩٩٦م)

هدفت الدراسة إلى: إلقاء الضوء على واقع التربية والتعليم في العصر العباسي الأول من خلال معرفة المؤسسات التربوية، بما فيها المكتبات، وأحوال المعلمين، والمؤدبين، وتعليم الصبيان، وتعليم المرأة، وأماكن التعليم، ومعرفة الوسائل المعينة على التعلم، وأدوات الكتابة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: أن للمعلمين مكانة اجتماعية متميزة، وأنه كان للمكتبات نظم إدارية، ومالية. وقد وفرت هذه المكتبات الكتب لطالبيها، كان هناك اهتمام بتعليم المرأة؛ مما انعكس على ثقافتها الدينية والعلمية والأدبية.

مقارنة بين البحث والدراسات السابقة:

اتفق البحث الحالي مع دراسة(سمية) في تناول المكتبات، واختلف معها في أنها هدفت إلى التعرف على المكتبات وأنواعها في العصر الإسلامي، ودورها البارز في الحضارة الإسلامية، بينما هدف البحث إلى التعرف على المؤسسات التربوية في العصر العباسي لا سيما المكتبات ودورها في نشر العلم، أما دراسة (ناصر) و(طالب) فقد تناولتا التربية والتعليم في العصر العباسي وتعرضتا

للمكتبات من خلال المؤسسات التربوية، بينما أحصى البحث المؤسسات التربوية، ووضح مفهوم المكتبات وأنواعها وموظفيها ودورها في نشر العلم.

الإطار النظري للبحث

أولاً : الظروف السياسية والحياة العلمية في الدولة العباسية

١. الظروف السياسية

بسبب انشقاق البيت الأموي على نفسه، حيث خرج يزيد بن الوليد على عمه الوليد بن يزيد ثم خروج مروان ابن محمد عليه[١] وبمناداة بعض الأحزاب المعارضة للحكم الأموي بأحقية بني العباس في الخلافة لاعتقادهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر للعباس بن عبد المطلب أن الخلافة تؤول إلى ولده[٢] لتلك الأسباب وغيرها خلفت دولة بني أمية الدولة العباسية في الفترة من ١٣٢-٦٥٦ هـ الموافق ٧٥٠-١٢٥٨ م. وقد اختار العباسيون خراسان نقطة ارتكاز لدعوتهم، ويعود الاختيار إلى تلك المنطقة دون غيرها لأسباب استراتيجية منها[٣]:

أ/ بعدها عن الخلافة الأموية وبالتالي بعد خطر القوة والنفوذ الأموي عن الدعوة العباسية، لأن الاقتراب من النفوذ والسلطة يجعل الخطر يزداد على الدعوة أكثر مما لو كانت بعيدة عنها.

ب/ الظلم السائد بين أهلها، فمتى شعرت النفوس بالظلم من جهة معينة سرعان ما تتكاتف للتخلص من ذلك الظلم، وهذا ما كان في أهل خراسان، فإنهم أصيبوا بالذل والهوان والتفرقة، لأنهم لم يكونوا من أصل عربي فعملوا ما في وسعهم لزعزعة القوة الأموية وسحب الخلافة منهم إلى رجال

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر:٢/ ٢٦٩

(٢) تاريخ الدولة العلية العثمانية: ١٣

(٣) الوثائق السياسية والإدارية للعصر العباسي الأول: ١٧

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

يقدرون هذا النوع من الجنس البشري الذي لم يكن ينحدر من أصل عربي، وقد ساعدهم على ذلك الكثرة والقوة التي يتمتعون بها.

ج/ إنكارهم للأصل غير العربي والتفرقة بين المجتمع، أما المبادئ التي جاء بها العباسيون لم تكن عفوية الخاطر، وإنما كانت صادرة من رجال لديهم من الحنكة والحكمة ما جعلت القيادة تسير نحوهم فكانوا يعرفون أماني الشعوب وتطلعاتهم.

د/ انتشار التشيع بين الفرس واعتقاد العباسيين أن الرايات السود تخرج من أرض خراسان، وهذه الرايات هي كناية عن شعار العباسيين الذي اتخذوه لدولتهم.

تلك الأسباب وغيرها أسهمت في أن تؤول الخلافة للدولة العباسية حيث كانت قمة الحضارة العربية الإسلامية والتي سيتناول الباحث من خلالها المؤسسات التربوية لا سيما المكتبات ودورها في نشر العلم.

٢. أسباب ازدهار الحياة العلمية

إن أسباب ازدهار الحياة العلمية في العصر العباسي تكمن في:

أ/ تمسك الخلفاء بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من أهمية العلم والحث على طلبه، قال تعالى: **(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)**[١]، وقال: **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)** [٢] وفي ذلك إشارة إلى أهمية العلم وشرفه وتقديمه على غيره، قال: صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[٣] وقال: (من يرد الله به

(١) الزمر: ٩
(٢) فاطر: ٢٨
(٣) سنن بن ماجة، باب فضل العلماء والحث على العلم، حديث رقم ٢٢٤: ٨١

خيراً يفقهه في الدين)[١]. وقال: (لا حسد الَا في اثنتين رجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) [٢].

ب/ تشجيع الخلفاء، حيث شهد هذا العصر مجموعة من الخلفاء ذوي الشخصيات العلمية الواعية التي تدرك دور العلم في بناء الدولة والمحافظة على كيانها، فكان لتشجيع هؤلاء الخلفاء للحركة العلمية الأثر البارز في ازدهارها، وكان هذا التشجيع مادياً ومعنوياً[٣].

ج/ الاستقرار الداخلي، حيث شهد العصر العباسي بعض الاستقرار بعد أن انتهت مرحلة الفتوحات العسكرية بنهاية العصر الأموي، ورغم وجود بعض المواجهات مع البيزنطيين الَا أن هذه المواجهات لم تكن حرباً منظمة تهدف إلى توسيع الدولة بل كان الهدف منها تثبيت الحدود وحماية الثغور[٤].

د/ اختلاط العرب بغيرهم من الأمم، حيث كانت بغداد عاصمة لدولة تضم عدة قوميات تعايشت مع بعضها البعض وكان من النتائج الإيجابية لهذا التعايش، تمازج الثقافات العربية والفارسية والهندية واليونانية، وظهرت المدارس العلمية في بلاد العراق والشام والتي ساهمت في تطوير الحياة العلمية كما ساهم الفرس بدور بارز في النهضة العلمية التي شهدها العصر العباسي حيث أعطوا للثقافة العربية عقولهم وتجاربهم، وأصبحوا طليعة حركة الترجمة من الفارسية إلى العربية[٥].

هـ/ تزايد عدد المؤلفين والكتب، وصلت أغلب العلوم في العصر العباسي إلى مرحلة النضج الفكري وانفصلت عن غيرها واستقلت بنفسها، وكان هذا الزخم في التأليف من عوامل ازدهار الحياة

(١) صحيح البخاري: ٢٧
(٢) صحيح مسلم: ١٧٨٧
(٣) مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية: ٣٤
(٤) الخلافة العباسية: ٨١
(٥) العالم الاسلامي في العصر العباسي:١٩٥

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

العلمية، حيث أصبح الشغف باقتناء الكتب وقراءتها من الظواهر المنتشرة على نطاق واسع، فيذكر أن كتب إسحق الموصلي في بغداد بلغت ثمانية عشر صندوقاً، كما بلغ عدد الكتب في مكتبة الصاحب بن عباد في قرطبة حوالي (٢٠٦٠٠٠) كتاب[١]، وهذا دليل على أن الشغف بالكتب لم يقتصر على مدينة بغداد وحدها بل تعداها إلى بقية أرجاء البلاد الإسلامية حتى وصل قرطبة .

و/ ازدهار صناعة الورق، عندما فتح المسلمون سمرقند وجدوا مصنعاً للورق فتعلموا صناعته وانتقل إلى بغداد وسائر البلاد الإسلامية، وكان للفضل بن يحيى البرمكي الفضل في تأسيس أول مصنع لصناعة الورق في بغداد سنة ١٧٨هـ-٧٩٤م حيث ساعد الورق على زيادة التأليف في مختلف العلوم[٢].

ز/ المؤسسات التربوية، إن ازدهار المؤسسات التربوية في العصر العباسي ارتبط بظهورها في فترة صدر الإسلام، وازدهارها النسبي في العصر الأموي، وقد ازدهرت بفعل التعاليم الإسلامية التي تحث على طلب العلم، وسوف يتناول الباحث هذه المؤسسات التربوية بشيء من التفصيل.

ثانياً: المؤسسات التربوية

تعددت المؤسسات التربوية في العصر العباسي ليتلقى فيها الناس العلم وفق قدراتهم وميولهم يبتغون بذلك التقرب إلى الله عز وجل، والاقتداء بالأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، والمساهمة في بناء مجتمعاتهم وتطويرها، وتمثلت تلك المؤسسات فيما يلي:

١. الكتّاب

وهو موضع تعليم الصبيان، والجمع كتاتيب، ولم يكن وليد العصر العباسي، بل كان موجوداً في المجتمع قبل البعثة المحمدية، ولكن تزايد عدد الكتاتيب بحكم فترة الازدهار العلمي التي ميزت العصر

(١) لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات:٩.
(٢) المقدمة: ٤٢٢.

العباسي، وقد تركز التعليم فيه على القرآن الكريم والاطلاع على مبادئ بسيطة من بعض العلوم الأخرى[١].

٢. المسجد

كان المسجد أحد أبرز المؤسسات التربوية قبل العصر العباسي، ومن الطبيعي أن تتطور هذه المؤسسة خلال العصر العباسي كماً وكيفاً حيث زاد عدد المساجد تبعاً لازدياد عدد المسلمين واستجابة للحاجة الملحة لهذه المساجد لأداء الشعائر الدينية، واتخاذه مكاناً للتعليم حيث اتسع نطاق العلوم التي تدرس في المسجد وتنوعت بين علوم القرآن، الحديث، الفقه، النحو، الشعر، والمناظرات، وأبرز المساجد في العصر العباسي من حيث الشهرة، المسجد الذي بناه أبو جعفر المنصور[٢].

٣. منازل العلماء

تعتبر منازل العلماء من المؤسسات التربوية التي كان لها الأثر البارز في نشر العلم بين الناس على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، ذلك لأن العلماء وما توصلوا إليه من التواضع والرغبة في نشر العلم لم يضعوا الحواجز بينهم وبين طلاب العلم، ففتحوا لهم منازلهم، فعبدالله بن المبارك كان منزله وعلى الرغم من سعته يزدحم بطلاب العلم وكانوا يجتمعون كل يوم حلقاً يتذاكرون حتى اذا خرج انتظموا إليه وسألوه وهو يجيبهم،[٣] والإمام محمد بن الحسن الشيباني كان إذا حدَث عن مالك امتلأ منزله وكثر الناس عليه حتى يضيق عليهم الموضع[٤].

٤. حوانيت الوراقين

لم تكن حوانيت الوراقين مختصرة على مهمة بيع الكتب بهدف الربح المادي، وإنما كانت مؤسسات تعليمية يلتقي فيها العلماء والشعراء وطلاب العلم، وتعقد فيها المناظرات[٥]، ويذكر أن

(١) معاهد التعليم الإسلامي: ٣٧.
(٢) المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول: ٦٩.
(٣) صفة الصفوة:١٣٥.
(٤) تاريخ بغداد: ١٣٨
(٥) انباء الرواة على أنباء النحاة: ١٣٤

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

الجاحظ كان يتنقل بين حوانيت الوراقين ليقرأ ما وقع بين يديه من الكتب الجديدة خاصة أنه لا يستطيع شراءها، فيعزم نفسه على المبيت في تلك الحوانيت رغبة في الاستزادة العلمية(١).

٥. القصور

المقصود قصور الخلفاء والأمراء في العصر العباسي، والتعليم في القصور له هدفان: الأول: تأهيل أبناء الخلفاء والأمراء للمهمات التي سينهضون بها في المستقبل، مما يتطلب أن تكون مواد التدريس مكثفة وشاملة، ومن أجل انتقاء مؤدبين لهم(٢)، وقد دأب الخلفاء على اختيار المؤدبين الذين يتحلون بمكارم الأخلاق، إلى جانب غزارة العلم والاطلاع الواسع في الثقافة العربية والإسلامية وآدابها وكلام الملوك والحكماء وعلوم الأمم السابقة،(٣) أما الثاني: فيتمثل في مجالس المناظرات وقد برز هذا النوع من المجالس في العصر العباسي متأثراً بالحضارات الأجنبية آنذاك من حيث التأثيث ونظام الدخول والخروج(٤).

٦. البادية

إن التعليم في البادية كان يقتصر إلى حد كبير على اللغة العربية، حيث كان لها دور في المحافظة على أن تكون اللغة سليمة خالية من الأخطاء التي ظهرت بعد اختلاط العرب بغيرهم، ومن هنا أصبحت البادية مقصداً لطلاب العلم من أجل تعلم اللغة العربية من مصادرها الأصلية، كما ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي أنه أخذ العلم من بوادي الحجاز ونجد وتهامة(٥). كما كانت مقصداً لأبناء الخلفاء ليتعلموا الفصاحة، فقد وجه الرشيد بالمعتصم إلى البادية لتعلم الفصاحة(٦) كما أن فصحاء

(١) تاريخ التربية والتعليم: ١٣٨
(٢) تاريخ التربية الاسلامية: ٣٧
(٣) تاريخ التعليم في الأندلس: ٤٣
(٤) التربية عبر التاريخ: ١٤٩
(٥) البداية والنهاية: ٢٠٩
(٦) العقد الفريد: ٢٧٥

البادية قد وفدوا إلى المدن الكبيرة لتعليم الناس اللغة العربية بشكل سليم خال من الأخطاء، وكان بالبصرة سوق خاص بالبدو اسمه (المربد) كان بالإضافة إلى أغراضه التجارية يلتقي فيه الخطباء والشعراء والنسابون وأرباب البلاغة من مختلف القبائل[١].

٧. البيمارستانات

تأثرت الدولة العباسية بالحضارة الفارسية في معظم المجالات، حيث إن كلمة بيمارستان أصلها فارسي تعني مستشفى. وإلى جانب مهمتها الجليلة فإنها قامت بمهمة عظيمة عندما عمل الخلفاء والأغنياء على إيجاد قاعات دراسية فيها للأغراض التعليمية، فأصبحت بذلك من المؤسسات التربوية[٢].

٨. الخانات

هي أماكن أعدت على الطرق الرئيسة كمحطات لراحة المسافرين وحمايتهم من التعرض لقطاع الطرق، وقد ساهمت إلى حد ما في تعليم النازلين بها، وإن كان هذا التعليم محدوداً إذا ما قيس بالمؤسسات الأخرى، ومن الذين عملوا بها الحسن بن حماد الضبي، حيث كان يعلم في خان اليمانية سنة ٢٣٠هـ، مما كان له الأثر الإيجابي على النازلين بهذه الخانات[٣].

٩. المكتبات

تعتبر المكتبات من أهم المؤسسات التربوية لأنها تمد المؤسسات الأخرى بروافد استمرارها، لذلك جعل الباحث هذه المؤسسة النموذج الذي سوف يتحدث عنه بالتفصيل في هذا البحث.

(١) معجم الأدباء:٩٨

(٢) دور العصر العباسي في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي: ١١٩

(٣) تقييد العلم: ٢٩٥

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

١٠. المدرسة

تم تأسيس المدارس في منتصف القرن الخامس الهجري حيث افتتحت أول مدرسة في بغداد عام ٤٥٩هـ ثم تزايد عدد المدارس حتى لم تبق مدينة مهمة في العراق إلَا وأسست فيها مدرسة أو أكثر، لها من المدرسين والمعيدين والأوقاف ما يكفي لاستمرار دورها الثقافي، وغدا واضحاً أن المدرسة أصبحت مركز الثقل الأساسي لحركة التعليم، ومن أهم المدارس: المدرسة النظامية في بغداد والمدرسة النورية الكبرى في دمشق(١).

المكتبات كمؤسسة تربوية ودورها في نشر العلم

تمهيد:

إن تناول الباحث للمكتبات كمؤسسة تربوية نابع من الاقتناع بأهميتها التي أولاها لها الخلفاء العباسيون وقد وعوا بأهمية إنشاء مؤسسة علمية تشرف على النشاط العلمي وترعى جهود المترجمين والمؤلفين، فاهتموا بإنشاء هذه المكتبات في أرجاء الدولة الإسلامية وشجعوا طلاب العلم على الاستمرار في تلقي العلوم والبحث العلمي، حيث كانت المكتبات غنية بالكتب القيمة التي حرص الخلفاء على توفيرها لطلبة العلم، وسوف يتناول الباحث مفهومها وأنواعها وموظفيها من أجل معرفة الدور التربوي الذي قامت به هذه المؤسسة.

أولاً: مفهوم المكتبات

المكتبات هي أنواع من خزائن الكتب ولكن لم يقتصر دورها على ذلك، بل أصبحت مؤسسة تربوية فاعلة وغنية بالكتب القيمة حيث عمل الخلفاء والأمراء والأغنياء على توفير المكان المناسب

(١) تطور الفكر التربوي: ٢٢٠

للمكتبة والقاعات التي بحاجة إليها من أجل توفير الجو المناسب للمناقشات العلمية والأدبية والدينية بين العلماء والأدباء والفقهاء الذين يجتمعون في كل يوم للبحث والدراسة والتعليم، وللمكتبات علاقة وطيدة مع المؤسسات التربوية الأخرى باستثناء الكتَاب والبادية، حيث إنها تمثل القاسم المشترك لطلاب المساجد وحوانيت الوراقين ومنازل العلماء ومرتادو القصور من العلماء وطلاب البيمارستانات والخانات والمدارس(١).

قد ازدهرت المكتبات في العصر العباسي بفعل التعاليم الإسلامية التي تحث على طلب العلم، ونشاط حركة الترجمة، وازدهار صناعة الورق، وتشجيع الحركة العلمية، واهتمام خلفاء العصر العباسي باقتناء الكتب وتكريم مؤلفيها، فالمأمون كان ينام والكتب حول فراشه ينظر فيها متى انتبه من نومه أو قبل أن ينام(٢) وقد أصبحت ظاهرة اقتناء الكتب بأعداد كبيرة من الأمور المألوفة في ذلك العصر. وبناءً على هذا المفهوم للمكتبات نجد أن دورها في نشر العلم تمثل في: أنها أصبحت مراكز إشعاع ثقافي، وملتقى طلاب العلم، وأنها أسهمت بدور فعال في عملية الاتصال بين العلماء حيث عملت على إمداد المؤلفين بمصادر المعلومات وكان لها تأثير على مؤلفاتهم فيما بعد، كما وفرت الكتب النادرة(٣).

ثانياً : أنواع المكتبات

من أجل دراسة هذه المؤسسة بكل أبعادها، لابد من تحديد أنواعها ومعرفة كل صنف ودوره في زيادة النشاط العلمي، ويمكن تحديد أنواع المكتبات التي انتشرت في العصر العباسي بما يلي:

(١) التربية الاسلامية وفلاسفتها: ١٠١

(٢) تقييد العلم: ١٢٤

(٣) سمية يونس، المكتبات بالعصر الإسلامي دراسة توصيفية:٥

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

١. المكتبات العامة

انتشرت هذه المكتبات بشكل واضح في المساجد والجوامع والمدارس والمشافي وأحيانا تكون مستقلة في أبنية خاصة جميلة، تستقبل جمهور المطلعين والباحثين، كما توجد بها حجر متعددة تربط بينها أروقة فسيحة خصصت للاطلاع كما خصصت بعض الحجرات للنسخ والبعض الآخر للاجتماعات، ووضعت الكتب على رفوف مثبتة على الجدران مع كتابة اسم الكتاب ومؤلفه على أطراف الصفحات من أسفل وجعل رؤوس الحروف تجاه جلدة بدء الكتاب، كما كان بها فهارس منظمة حسب موضوعات الكتب، وقد لصقت على جانب كل دولاب ورقة بها أسماء الكتب التي فيه، وقد سمح بالاستعارة الخارجية ولكن تحت قيود مشددة، وكثيراً ما كان المستعير يدفع ضماناً إلَا أفاضل الناس والعلماء فقد أعفوا منها[١].

ومن أهم المكتبات العامة

أ- خزانة الحكمة أو بيت الحكمة

وكلمة خزانة تشير إلى الموضع الذي يخزن فيه الشيء، فخزانة الكتب عند العباسيين الأوائل أشارت إلى موضع حفظ الكتب، وتسميتها ببيت الحكمة تشير إلى المكان الذي تحفظ فيه الكتب كبيت المال حيث يحفظ المال، أما تسميتها بالحكمة ففيها إشارة إلى الفلسفة حيث قل عدد الكتب الدينية بها وزاد عدد الكتب التي عني بنقلها من الأمم الأخرى وأكثرها فلسفة أو حكمة[٢].

لم يتحدد تاريخ دقيق لتأسيس بيت الحكمة ولكن أغلب الباحثين يجمعون على تأسيسه في عهد الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) وقد أورد المؤرخون إشارات تؤكد ذلك، وربما كان نواة بيت الحكمة

(١) تطور الفكر التربوي: ٢٢٢
(٢) المرجع السابق: ٢٢٣

تلك الكتب التي ترجمت من اللغات الأعجمية إلى العربية عند بدء حركة الترجمة في عهد أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) الذي احتفظ بها في قصره[١].

قد ازدهر بيت الحكمة في عهد المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) الذي أولى اهتماماً كبيراً لاقتناء الكتب حيث أرسل جماعة من النقلة فأحضروا الكتب الأجنبية، وكان يعطي وزن الكتاب المترجم ذهبا، هذه المؤسسة لم تكن مؤسسة خاصة وإنما تم تأسيسها من قبل الخلفاء وهم الذين رعوا نشاطها العلمي فأخذت الطابع الرسمي وقد أفاد ذلك هذه المؤسسة من عدة نواحي منها[٢]:

١- أن الصفة الرسمية لبيت الحكمة قد وفرت له الإمكانيات المادية اللازمة للقيام بدوره العلمي فأعمال التأليف والترجمة والنسخ تستلزم إمكانيات مادية قد يعجز عنها الفرد مهما كانت ثروته، والأمثلة كثيرة على أن الخلفاء العباسيين لم يبخلوا بالأموال على هذه المؤسسة والقائمين عليها، حيث كان المأمون يعطي حنين بن اسحق وزن ما يترجم من كتب ذهباً.

٢- أنها كانت تشجيعاً معنوياً لطلاب العلم، فإشراف الخلفاء الشخصي على بيت الحكمة كان حافزاً كبيراً لإذكاء روح المنافسة بين العلماء لنيل شرف مجالسة الخلفاء.

٣- إنَ تبعيته المباشرة للدولة قد ساعد في الحصول على الكتب الأجنبية حيث أصبحت مسألة تزويد بيت الحكمة بالكتب تدخل ضمن دائرة التعامل الدبلوماسي بين الدولة العباسية والدول المجاورة، فقد أرسل المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه بكتاب التعاليم. كما استخرج المأمون كتب الفلاسفة واليونان من قبرص.

تعد بيت الحكمة من أعظم المكتبات، ويعود ذلك إلى أهميتها التي اكتسبتها من خلال دورها الرائد في نشر العلم والمتمثل فيما يلي:

(١) الفهرست: ١٥٦

(٢) المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول: ١٠٥

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

١- الإشراف على حركة الترجمة: ففي عهد الرشيد جُلب إلى بيت الحكمة الكثير من الكتب مما وجد بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون(١)، وقد كلف الرشيد مجموعة من المترجمين بترجمة هذه الكتب للعربية منهم يوحنا بن ماسويه، كما استمرت حركة الترجمة في عهد الخلفاء العباسيين وقد نظمت في بيت الحكمة حسب مخطط منسق يشرف عليه أمين الترجمة وقد وزع العمل بين كبار المترجمين(٢).

٢- الإشراف على حركة التأليف: ففي عهد المأمون كان محمد بن موسى الخوارزمي منقطعاً للتأليف والمطالعة في بيت الحكمة، ومما يؤكد المهمة التعليمية لبيت الحكمة أن الخليفة قد يتعمد أحياناً أن يعين بعض الطلاب الموهوبين إلى جانب بعض العلماء في بيت الحكمة ليتدربوا على أيديهم(٣).

٣- وقد شهدت أروقتها مناقشات علمية بين العلماء الذين ترددوا عليها بصفة غير منظمة أو عملوا فيها كموظفين معينين من قبل الدولة. هكذا كان بيت الحكمة من أعظم المؤسسات التربوية في نشر العلم.

ب- دار الحكمة بالقاهرة

قد أمر الحاكم بأمر الله الفاطمي بإنشائها سنة ٣٩٥هـ، وأراد لها أن تكون أفضل من بيت الحكمة ببغداد. وقد حملت الكتب إلى دار الحكمة من خزائن القصور ومن مصادر متعددة، وقد وصفت بأنها من عجائب الدنيا، وقد حوت مليوناً وستمائة ألف كتاب، وتمثل دورها في نشر العلم في توفر الكتب النفيسة والمخطوطات النادرة في الدين والآداب والعلوم بفروعها المتعددة لطلاب

(١) طبقات الأمم: ١٠١
(٢) دور الكتب العربية العامة وشبه العامة: ٦٥
(٣) إخبار العلماء بأخبار الحكماء: ١٨٧

العلم، كما كانت تزخر دائماً بالفقهاء والقراء والنحاة والمنجمين والأطباء من أجل نشر العلم عن طريق المناقشات والمحاضرات، كما أمدها الحاكم بأمر الله بكل مستلزمات النساخين من أقلام ومحابر وورق. وقد أمر بفتح أبوابها لمن يشاء الاستفادة مما فيها من كنوز علمية(١).

ج- مكتبة بيت الحكمة في رقادة بتونس

وهي من المكتبات العامة في الجناح الغربي من الدولة الاسلامية وقد أسسه إبراهيم بن الأغلب، وكان ينافس بيت الحكمة في بغداد وكان الأغالبة يرسلون من يأتيهم بالكتب من بغداد(٢).

د- مكتبة قرطبة في الأندلس

أسست في عام ٣٥٠هـ، وكان لها الأثر الواضح في نشر الفلسفة والرياضيات والعلوم الطبيعية والطب(٣).

هـ-المدرسة الحيدرية بالنجف في العراق

سميت بالحيدرية نسبة إلى حيدر وهو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهي من المكتبات العامة التي قدمت خدماتها التعليمية لطلاب العلم من خلال توفر الكتب(٤).

و- مكتبة ابن سوار بالبصرة

والتي أسسها أحد رجال عضد الدولة، وكان يودى فيها التدريس بجانب الكتب(٥).

(١) تطور الفكر التربوي: ٢٢٤

(٢) إخبار العلماء بأخبار الحكماء: ٢٥٢

(٣) المكتبات بالعصر الإسلامي دراسة توصيفية:١٤

(٤) تطور الفكر التربوي: ٢٢٤

(٥) المرجع السابق: ٢٢٤

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ز- خزانة سابور بالكرخ

التي انشأها سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة عام ٣٨٣هـ، وكان بها حوالي عشرة آلاف وأربعمائة مجلد، وكانت مركزاً ثقافياً ممتازاً أفاد طلاب العلم أيما فائدة(١).

ح- مكتبات المشافي أو البيمارستانات

عمل الخلفاء والأغنياء على إيجاد مكتبات مزودة بقاعات دراسية ألحقت بالبيمارستانات للأغراض التعليمية، كبيمارستان العقدي الذي ألحقت به مكتبة ضخمة كانت مصدراً أساسياً للطلاب والأساتذة على السواء(٢).

ط- مكتبات المدارس

ألحقت مكتبات بالمدارس والتي انتشرت انتشارا واسعاً في مدن الدولة العباسية، وهذه المكتبات كانت عبارة عن خزائن كتب لتكون مرجعاً لطلبة العلم ليقفو على آخر ما صنف في فنون العلوم والآداب، وتسابق السلاطين والعلماء بل والمجتمع المدني من كبار التجار وغيرهم في إنشاء هذه المكتبات، ومن أمثلة ذلك مكتبة المدرسة النظامية في بغداد(٣).

٢- مكتبات بين العامة والخاصة

هذا النوع من المكتبات قام بإنشائه الخلفاء والملوك لطبقة خاصة دون عامة الناس، وكان الدخول إليه يتم بعد إذن مسبق من القائمين عليها، ومن الطبيعي أن تكون الفائدة من هذا الصنف من المكتبات محدودة الجانب، وتحقق أهدافاً خاصة وربما تسعى إلى توجيه العلماء نحو عمل معين، أو

(١) المرجع السابق: ٢٢٤
(٢) دور العصر العباسي في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي:١١٩
(٣) المكتبات بالعصر الإسلامي دراسة توصيفية:٨

تبني فكرة معينة، أو مذهب معين دون غيره، لأن مثل هذه الاتجاهات أو الأفكار الجديدة ليس من السهل الاستجابة لها من قبل عامة الناس، وفي المقابل ربما تكون هذه المكتبات تتناول قضايا على مستوى رفيع لا يستطيع جميع الناس أن يتفاعل معها، وبالتالي شجع الخلفاء على إيجاد فئة محددة، لديها من الثقافة الواسعة، والقدرة على التفاعل مع القضايا المطروحة، ومن هذه المكتبات مكتبة الناصر لدين الله ومكتبة المعتصم بالله. (١)

٣- المكتبات الخاصة

هي مكتبات أنشأها العلماء والأدباء لاطلاعهم الخاص، فوجودها أمر طبيعي يتمشى مع الفكر أو السياسة التي ينتهجها ذلك الشخص، وباعتبار أن المكتبة رافدا أساسيا وزادا لكل من سلك طريق العلم، لكن هذه المكتبات كانت محدودة الإمكانات إلى حد ما إذا ما قيست بالمكتبات العامة من حيث مدى الاستفادة منها، وتوفير الخدمات العامة والقاعات المتعددة، وقد كثر عدد هذه المكتبات وكان من الصعب أن نجد عالماً أو أديباً لا يغتني في بيته مكتبة تزخر بالكتب(٢). ومن هذه المكتبات الخاصة على سبيل المثال: مكتبة إسحق ابن إبراهيم الموصلي التي قال عنها أبو العباس: رأيت لإسحق الموصلي ألف جزء من لغات العرب وكلها بسماعه. وكذلك مكتبة أبي عمرو بن العلاء الذي كانت دفاتره ملء بيت إلى السقف. ومكتبة محمد بن عمرو الواقدي التي كانت تضم أعداداً كبيرةً من الكتب بدليل ما ذكره الحموي من أنه: عندما انتقل من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي من بغداد حمل كتبه على عشرين ومائة وقر. وكذلك مكتبة الفتح بن خاقان التي وصفها بن النديم بقوله: لم ير أعظم منها كثرة وحسناً. ومكتبة حنين بن إسحق الذي كان من أبرز المترجمين في عهد الأمين وقد سافر إلى بلاد عديدة ووصل إلى أقصى بلاد الروم طلباً للعلم(٣).

(١) تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب: ٤٣

(٢) تطور الفكر التربوي: ٢٢٥

(٣) المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول: ١٠٣

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ثالثاً : موظفو المكتبات

إن المكتبات التي احتوت على موظفين اقتصرت على مكتبات محددة هي المكتبات الضخمة التي كانت تحتوي كتباً كثيرة أو تسند إليها مهام متعددة من ترجمة وتأليف وتعليم يتطلب وجود موظفين للقيام بالمهام التي أنيطت بها، وحتى نتعرف على الموظفين الذين عملوا في المكتبات لابد من تناولهم على النحو التالي(١):

١. أمين المكتبة: وهو موظف يشرف على الكتب وينظمها تنظيماً مناسباً بحيث يتمكن طالب العلم أو أمين المكتبة استخراج الكتاب المطلوب بأسرع وقت وأقل جهد ممكن، كما يقوم بتوجيه أصحاب المعرفة القليلة للكتب التي تفيدهم في الموضوع المحدد وهنا يتضح دوره في نشر العلم.

٢. المترجمون: أدرك الخلفاء والأغنياء أهمية الترجمة في انتعاش الفكر التربوي الإسلامي، فعملوا على تخصيص نخبة من العلماء الذين يجيدون اللغات الأخرى، بترجمة علومها التي بحاجة إليها ولا تتعارض مع عقيدة الأمة الإسلامية، مما كان لهذه الخطوة الأثر الواضح في تقدم العلوم وتعدد التخصصات التي كانت سمة واضحة للعصر العباسي، وقد تم تخصيص جناح خاص للمترجمين في المكتبة كما دفعت لهم الأموال الطائلة.

٣. النساخون: إن تأخر اختراع آلات الطباعة فرض على العلماء والباحثين استخدام طريقة النسخ ليتم تداول الكتب بينهم، وقد بذل الجهد لنسخ الكتب لتوسيع دائرة الاستفادة من العلوم وحفظ المادة التعليمية في الكتب التي أشرفت على التلف نتيجة لكثرة

(١) تاريخ التربية الإسلامية: ١٣٨

استخدامها، وكان النساخ من ذوي الخط الجيد ومعرفة القواعد الإملائية والأمانة العلمية ليتمكن طلاب العلم من قراءة الكتب المنسوخة بكل يسر وسهولة.

٤. المجلدون: إن وجود فئة من الموظفين للتجليد فيه إشارة إلى درجة الإقبال على العلم واستخدام الكتب، وبالتالي تتعرض بعض الكتب للتلف مما يجعل لزاماً أن تتولى فئة من الموظفين مسؤولية معالجة هذه الحالات حتى تسهم في استمرار ونشر العلم.

٥. المناولون: عمل القائمون على المكتبات كل ما في وسعهم لتوفير الراحة لطلاب العلم والعلماء، فإحضار الكتاب المقصود لطالب العلم كانت إحدى الوسائل التي أشعرت رواد المكتبات بالراحة والطمأنينة، لأنهم يشعرون بالإجلال والتقدير من جميع الأطراف القائمة على أعمال المكتبة وغيرها.

٦. المشرفون: كان لابد من وجود مشرف في تلك المكتبات الضخمة التي يوجد بها عدد من الموظفين، وذلك لمتابعة عملهم والإشراف عليهم من قرب حتى تتحقق الفائدة التي من أجلها وضع هؤلاء الموظفون والمتمثلة في تذليل الصعاب لطلاب العلم والإسهام في نشره. وربما كان المشرف بمثابة المدير المسئول عما يجري في المكتبة.

النتائج والتوصيات والمقترحات:

أولاً: النتائج

توصل البحث إلى عدة نتائج هي:

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

١. إن أسباب ازدهار الحياة العلمية يكمن في حث الإسلام على طلب العلم، وتشجيع الخلفاء للحركة العلمية، والاستقرار الداخلي، واختلاط العرب بغيرهم، وزيادة المؤلفين والكتب، وازدهار صناعة الورق، ووجود مؤسسات تربوية.

٢. المؤسسات التربوية في العصر العباسي تمثلت في: الكتَاب، المسجد، منازل العلماء، حوانيت الوراقين، القصور، البادية، البيمارستانات، الخانات، المكتبات، المدرسة.

٣. أنواع المكتبات في العصر العباسي هي: مكتبات عامة، ومكتبات بين العامة والخاصة، ومكتبات خاصة

٤. دور المكتبات في نشر العلم تمثل في توفير الكتب، وحركة الترجمة والتأليف والنسخ، وإذكاء روح المنافسة بين العلماء، وتدريب المترجمين، كما شهدت أروقتها المناقشات العلمية بين العلماء.

٥. يكمن دور الموظفين بالمكتبة في تهيئة الجو المناسب للعلم، استخراج الكتب للمطلعين، ترجمة الكتب الأجنبية، نسخ الكتب لتوسيع دائرة الاستفادة من العلوم، إعادة تجليد الكتب التالفة، توفير سبل الراحة لرواد المكتبة عن طريق إحضار الكتاب لطالب العلم، متابعة موظفي المكتبة لتقديم خدمة مريحة للطلاب.

ثانياً: التوصيات

يوصي الباحث في ظل النتائج التي توصل إليها البحث القائمين على أمر التعليم بما يلي:

١. تنويع المؤسسات التربوية خدمة لطلاب العلم.

٢. فتح مزيد من المكتبات بجميع المؤسسات التربوية للاستفادة منها في نشر العلم.

٣. إعداد قاعات بالمكتبات للنقاش تكون ملتقى للعلماء وطلاب العلم.

٤. إلحاق مطابع بالمكتبات تعمل على طباعة الكتب النادرة وتوفيرها لطلاب العلم.

٥. توفير أجهزة حاسوب حديثة تساعد في الحصول على المعلومات المطلوبة بأسرع وقت وأقل جهد.

ثالثاً: المقترحات

يقترح الباحث إجراء أبحاث في الموضوعات التالية:

١. دراسة إحدى المؤسسات التربوية التي ذكرت بالبحث.

٢. واقع المكتبات في السودان ودورها في نشر العلم.

٣. حركة الترجمة في العصر العباسي ودورها في نشر العلم.

المصادر والمراجع:

١. الأبراشي، محمد عطية، التربية الاسلامية وفلاسفتها، القاهرة، دار الحلبي، ط٥، ١٩٨٦م.

٢. أبيض، ملكة، تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب، دمشق، مطبعة الإنشاء، ١٩٨٢م

٣. ابن الأثير، علي أحمد، الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م

٤. أحمد، سعد مرسي ، تطور الفكر التربوي، القاهرة، عالم الكتب، ط٥، ١٩٨٣م.

٥. إسماعيل، سعيد، معاهد التعليم الإسلامي، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٨م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٦. الأندلسي، صاعد بن أحمد ، طبقات الأمم، تحقيق حياة أبو علوان، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٥م.

٧. البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين، د.ت.

٨. البغدادي، أبوبكر أحمد بن الخطيب ، تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، بيروت، د.ت.

٩. البغدادي، أبوبكر أحمد بن الخطيب ، تاريخ بغداد، القاهرة، ١٩٣١م

١٠. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ، صفة الصفوة، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٥م.

١١. حسن، طالب حامد، التربية والتعليم في العراق في العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة مؤتة، ١٩٩٦م.

١٢. ابن الحسين، علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٢م.

١٣. حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية للعصر العباسي الأول، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١،، ١٩٧١م.

١٤. الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.

١٥. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.

١٦. دياب، مفتاح محمد، مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، طرابلس، الهيئة القومية للبحث العلمي، ١٩٩٢م.

١٧. الرباصي، مفتاح يونس، المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، مصراتة، دار٧أكتوبر، ٢٠١٠م.

١٨. سعيد، سمية يونس، المكتبات بالعصر الإسلامي دراسة توصيفية، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الموصل، كلية الآداب، العدد٦، مارس ٢٠١٩م.
١٩. شلبي، أحمد ، تاريخ التربية الإسلامية، الكشاف للنشر والتوزيع، ١٩٥٤م
٢٠. الصوفي، عبد اللطيف ، لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات، دمشق، دار طلس، ١٩٨٧م.
٢١. طه، ناصر أحمد ، دور العصر العباسي في توسيع دائرة الفكر التربوي الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٩٩٩م.
٢٢. عبد الدائم، عبد الله، التربية عبر التاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٧٥م.
٢٣. ابن عبدربه، أحمد بن محمد ، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٨م
٢٤. العش، يوسف، الخلافة العباسية، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٨م.
٢٥. العش، يوسف، دور الكتب العربية العامة وشبه العامة، بيروت، دار الكتب، ١٩٩١م.
٢٦. عيسى، محمد عبد الحميد، تاريخ التعليم في الأندلس، بيروت، دار الفكر العربي، ط١،، ١٩٨٨م.
٢٧. الفادني، عبد القادر أحمد الشيخ ، منهجية البحث العلمي، دار جامعة أم درمان الاسلامية، ٢٠٠٠م.
٢٨. القفطي، جمال الدين علي ، أخبار العلماء بإخبار الحكماء، القاهرة، دار الكتب، د.ت.
٢٩. القفطي، جمال الدين علي ، إنباء الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل، بيروت، دار الكتب الثقافية، ١٩٨٦م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

٣٠. ابن كثير، إسماعيل ، البداية والنهاية، تحقيق أحمد ملحم وآخرين، بيروت، دار الكتاب، د.ت.

٣١. ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن بن ماجة، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٣٢. المحامي، محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٧م.

٣٣. محمود، حسن أحمد ،و إبراهيم، أحمد ، العالم الإسلامي في العصر العباسي، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٥م.

٣٤. مرسي، سعد، وإسماعيل، سعيد ، تاريخ التربية والتعليم، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣م.

٣٥. مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٧٢م.

٣٦. ابن النديم، محمد بن إسحق، الفهرست، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٩م.

التنظيم القانوني لقبول الكمبيالة بالتدخل

(دراسة مقارنة)

د. مكسيم معاون السباعي(*)
د. محمد علي الجوهي(**)

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على المركز القانوني للشخص المتدخل في قبول الكمبيالة، وكذا توضيح الشروط الشكلية والموضوعية للقبول. وتتبع أهمية دراسة قبول الكمبيالة التجارية بالتدخل وبيان وتحديد مفهوم القبول بالتدخل، والتعرف على الحالات التي يجوز فيها القبول.

وتتمحور مشكلة البحث حول بيان التنظيم القانوني المترتب عن قبول الكمبيالة التجارية بالتدخل، في حين يتمحور حل المشكلة في توضيح المركز القانوني للشخص أو للغير الذي يقوم بقبول الكمبيالة بالتدخل تمهيداً للوفاء بها في تاريخ الاستحقاق للمساهمة في سداد الالتزام وتحقيق الاستقرار في المعاملات.

وقد تم اتباع المنهج المقارن بالإضافة إلى المنهجين التحليلي والوصفي من خلال وصف وتحليل النصوص القانونية ومقارنتها بنصوص قانونية أخرى، وذلك استناداً للقانون التجاري اليمني مُدعماً بالشروحات والآراء الفقهية، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: لا يشترط القانون

(*) عميد كلية الحقوق والعلوم الإنسانية – جامعة سيئون – أستاذ القانون التجاري والبحري المساعد.
(**) نائب عميد كلية القانون سابقاً – جامعة حضرموت – أستاذ القانون التجاري المساعد.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

التجاري اليمني رقم (٣٢) لسنة١٩٩١م أنْ يكون القابل بتدخل أحد أطراف الكمبيالة، فقد يكون أجنبياً عنها، أو متعهداً سابقاً أو لاحقاً بموجب الكمبيالة، وأوصت الدراسة بتوصيات منها: نقترح على المشرع اليمني أن يضع تعريفاً واضحاً لمعنى القبول بالتدخل ليسهل على الباحثين والمهتمين في فهم ماهيتهِ وإطاره العام، كون هذا التعريف لمفهوم القبول بالتدخل يؤدي إلى تحديد الإطار الخاص من الناحية القانونية.

الكلمات المفتاحية: تنظيم، الكمبيالة، بالتدخل.

The Legal Regulation for the Acceptance of the Intervention of the Bill of Exchange
(A Comparative Study)

Abstract:

This study aims to identify the legal status of the interfering person in accepting the bill of exchange, as well as clarifying the formal and objective conditions for acceptance. The significance of the study also traces the acceptance of the commercial bill of exchange by interfering, in addition to clarifying and defining the concept of acceptance by intervention and identifying the cases in which acceptance is permissible.

The research problem revolves around the clarification of the legal regulation resulting from accepting the commercial bill of exchange by intervention. As for the solution of the problem, it revolves around clarifying the legal status of the person or third party, who accepts the bill of exchange by intervention, in preparation of their fulfillment on the due date,

to contribute to the payment of the liability and to achieve stability in transactions.

A comparative, analytical and descriptive approach was adopted through describing and analysing legal texts and comparing them with other legal texts based on the Yemeni commercial law, advocated with explanations and jurisprudential views. The study reached to a number of results, the most important of which is: The Yemeni Commercial Law No. (32) of 1991 does not stipulate that the person accepting the intervention be one of the parties to the bill of exchange, he could be unfamiliar to it, a former or latter contractor in conformity with the bill of exchange. The study has presented a set of recommendations including a suggestion to the Yemeni legislator to set a clear definition of the meaning of acceptance of intervention to make it easier for researchers and those interested in understanding what it is and its general framework, since this definition of the concept of acceptance by intervention leads to defining the specific framework from a legal point of view.

Keywords: Regulation; Bill of exchange; By intervention

مقدمة:

يعدُّ موضوع قبول الكمبيالة بالتدخل واحداً من المواضيع الجوهرية للأوراق التجارية المهمة من الناحية العلمية والعملية، كون الكمبيالة تؤدي أهم وظيفتين فهي أداة للوفاء وأداة للائتمان، حيث يتسلم المستفيد من الكمبيالة من الساحب متضمناً أمراً للوفاء إلى المسحوب عليه بدفع مبلغ معين في

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

ميعاد الاستحقاق، إلا أن المشرّع أجاز أن يتدخل شخص ليقبل الكمبيالة بدلاً من المسحوب عليه، وذلك لصالح أحد الملتزمين فيها، بهدف حمايته من رجوع الحامل قبل موعد الاستحقاق للمحافظة على سمعة وائتمان من حصل القبول بالتدخل لصالحه، سواء من ناحية تخفيف الأعباء التي تقع على الكمبيالة أو كضمان على أحد أطرافه، لذا يجب علينا أن نوضح النظام القانوني للقابل بالتدخل، والحدود الفاصلة بينه وبين المسحوب عليه القابل وبينه وبين الضامن الاحتياطي، وهي مسائل تثير اهتمام أي باحث يتناول دراسة موضوع الكمبيالة التي تعد أحد أنواع الأوراق التجارية وفقاً للقانون التجاري اليمني رقم(٣٢) لسنة١٩٩١م.

مشكلة البحث:

تتركز مشكلة البحث حول بيان النظام القانوني المترتب على قبول الكمبيالة التجارية بالتدخل.

أهمية البحث:

أولاً: تعود أهمية قبول الكمبيالة بالتدخل كموضوع لبحثنا هذا كضمان إضافي للوفاء بالكمبيالة حتى ولو لم يكن المسحوب عليه القابل مديناً للساحب بمقابل الوفاء وذلك من أجل تحقيق الاستقرار في المعاملات التجارية.

ثانياً: كما يعد القبول بالتدخل وسيلة هامة لتسهيل عملية خصم الأوراق التجارية، وتأكيد حق الحامل الاحتمالي على مقابل الوفاء الموجود لدى المسحوب عليه القابل.

أهداف البحث:

١. إن الهدف الرئيس من قبول الكمبيالة بالتدخل التعرف على المركز القانوني للشخص المتدخل.

٢. من خلال توضيح الشروط الشكلية والموضوعية لذلك القبول والتعرف على الحالات التي يجوز فيها القبول، وكذا التفرقة بين القول بالتدخل والضمان الاحتياطي من خلال العمل على وتحليل النصوص التي جاء بها المشرّع التجاري اليمني، وتوضيح مدى أهمية هذا القبول والآثار القانونية المترتبة عليه.

منهج الدراسة:

إن بحث موضوع النظام القانوني المترتب عن قبول الكمبيالة التجارية بالتدخل يصعب فيه الالتزام بمنهج معين، ومن ثَمَّ فإن ضرورة البحث وأهميته تقتضي في دراسة هذا الموضوع الجمع بين عدة مناهج، حيث استعنا بالمنهج المقارن والوصفي والتحليلي، وذلك من خلال مقارنة ووصف وتحليل للنصوص القانونية التي تناولتها بموضوع الدراسة استنادا إلى أحكام القانون التجاري رقم (٣٢) لسنة ١٩٩١م، مدعمَّة بالأحكام القضائية والآراء الفقهية.

محتويات البحث وخطته:

عند دراستنا لموضوع بحثنا الذي يتناول التنظيم القانوني لقبول الكمبيالة بالتدخل فإننا انتهجنا خطة البحث الآتية:

المبحث الأول: مفهوم القبول بالتدخل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القبول بالتدخل

المطلب الثاني: شروط القبول بالتدخل

المبحث الثاني: تقديم الكمبيالة للقبول

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حالات عرض تقديم الكمبيالة للقبول

المطلب الثاني: قواعد امتناع تقديم الكمبيالة للقبول

المبحث الثالث: الفرق بين القبول بالتدخل والضمان الاحتياطي

المبحث الرابع: الآثار القانونية للقبول بالتدخل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علاقة الحامل القابل بالتدخل بالحامل

المطلب الثاني: علاقة القابل بالتدخل بالشخص الذي تم القبول لمصلحته

المطلب الثالث: علاقة الحامل بالملتزمين في الكمبيالة.

الخاتمة : وتضمنت الخاتمة التي قمنا بتقسيمها على قسمين تناولنا في القسم الأول أهم ما توصلت إليه من استنتاجات، أما القسم الثاني من هذه الخاتمة فقد رأينا أن تبرز فيها مجمل المقترحات والتوصيات التي نتمنى أن تكون جديرة بالاهتمام ويتم العمل بها.

المبحث الأول: مفهوم القبول بالتدخل

تمهيد:

القبول بالتدخل هو ذلك القبول الذي يتم تلقائياً من طرف شخص ما كأداة للوفاء[١]، وذلك بعد رفض المسحوب عليه قبول الكمبيالة، فيسمى هذا الشخص المتدخل " قابلاً بالتدخل " وهناك نوع آخر من القبول ويسمى " قبول بالوساطة " ومفاده أن يُعيّن أحد الملتزمين بالكمبيالة شخصاً آخر لقبول الكمبيالة عندما يرفض المسحوب عليه قبولها ويسمى " القابل بالوساطة " .

(١) الأوراق التجارية في التشريعين الليبي والعراقي: ١٩.

ويعدُّ قبول المسحوب عليه للكمبيالة من الضمانات التي تبعث الثقة بهذه الكمبيالة وتؤكد جديته، إلا أن المطالبة بالقبول لا تُعد في الأصل التزاماً مترتباً على عاتق الحامل، كما أن الاستجابة لهذه المطالبة لا تعدّ في الأصل التزاماً على عاتق المسحوب عليه[١].

ويحقق القبول بطريق التدخل ضماناً جديداً للحامل، غير أن هذا الضمان قد لا يرقى الى درجة الضمان الذي يحققه قبول المسحوب عليه، لأن القابل بطريق التدخل قد يكون شخصاً لا يعرفه الحامل ولا تتوفر لديه الملاءة الكافية بخلاف المسحوب عليه الذي أجرى الحامل تدقيق لوضعه المالي ووثق به عند قبوله انتقال الكمبيالة اليه، وسوف نتعرف على ذلك في ثلاثة مطالب كما يلي:

المطلب الأول: تعريف القبول بالتدخل

يمكن أن نعرِّف القبول بالتدخل هو تعهد المسحوب عليه بدفع قيمة الكمبيالة في الاستحقاق، وهو تصرف قانوني يشكل إحدى قواعد الصرف تشجيعاً للتعامل بالأوراق التجارية والائتمان التجاري[٢].

كما يعرف القبول بالتدخل بأنه: قيام شخص أو أكثر بالقبول عند السحب عن أحد الموقعين الذي يكون معرضا للرجوع عليه من الحامل، وبذلك لا يتمكن الحامل من الرجوع قبل ميعاد الاستحقاق عن الشخص الذي وقع القبول بالتدخل لمصلحته[٣].

والقبول في التشريع اليمني وفقاً للمادة (٢) من القانون التجاري اليمني التي تنص على أنه (القبول : تقديم الكمبيالة للمسحوب عليه حتى تاريخ استحقاقها للتأشير عليها بالقبول).

كما نصت المادة (٥١١) منه على أنه (يقع القبول بالتدخل في جميع الأحوال التي يكون فيها لحامل كمبيالة حائزة القبول حق الرجوع قبل ميعاد استحقاقها)[٤]، ويتبين من نص المادة بأن

(١) الأسناد التجارية أو الأوراق التجارية: ٣١٨.
(٢) المبسوط في الأوراق التجارية: ٢٥.
(٣) الأوراق التجارية والعملية المصرفية: ١٢٠.
(٤) القانون التجاري اليمني رقم (٣٢) لسنة ١٩٩١م

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

المسحوب عليه عندما يرفض قبول الكمبيالة يحق للحامل الرجوع على الموقعين لدفع قيمتها قبل موعد الاستحقاق، ومن شأن المطالبة بدفع قيمة الكمبيالة قبل موعد الاستحقاق، وبالتالي سوف تخلق ضماناً جديداً للحامل.

وعليه فإن القبول بالتدخل هو إجراء وقائي من أجل منع الحامل من الرجوع الى المدين سواء كان الساحب أو أحد الموقعين الآخرين .

ويمكن أن نعرِّف القبول بالتدخل من وجهة نظرنا: " أنه عقد معبر عن التزام صاحبه القيمة النقدية لحامل الكمبيالة لصالح أحد الاشخاص الملتزمين بها حماية له من رجوع الحامل عليه فوراً ومطالبته بالوفاء والقبول بالتدخل ".

حيث يطلق عليه الفقه في بعض الأحيان القبول بالواسطة ولما كان يقع غالباً وقت تحرير احتجاج عدم القبول، وللمحافظة على سمعة وائتمان الشخص الذي حصل القبول لمصلحته، فإنه يسمى أحياناً: القبول وقت تحرير الاحتجاج والقبول للتشريف(١).

لذا فإن القبول بالتدخل هو التزام شخص يسمى " القابل بالتدخل " بوفاء قيمة الكمبيالة لحاملها حين الاستحقاق، عند امتناع المسحوب عليه عن قبول الكمبيالة أو إفلاسه، أو توقفه عن الدفع، أو حجز أمواله.

ولاشك أن القبول يمثل فائدة جوهرية بالنسبة للحامل حيث يمنحه ضمانة إضافية للوفاء بالكمبيالة حتى ولو لم يكن المسحوب عليه القابل مديناً للساحب بمقابل الوفاء. كما أن القبول يعد وسيلة هامة لتسهيل عملية خصم الأوراق التجارية، علاوة على أنه يؤكد حق الحامل الاحتمالي على مقابل الوفاء الموجود لدى المسحوب عليه القابل(٢).

(١) القانون التجاري: ١١٩.
(٢) القانون التجاري والأوراق التجارية:١٤٥.

المطلب الثاني: شروط القبول بالتدخل:

القبول تصرف قانوني يعبر من خلاله المسحوب عليه عن إرادته التعهد حرفياً بالوفاء بالكمبيالة، ومن ثمَّ فهناك شروط شكلية ينبغي أن تتوافر لصحة المعاملة، وشروط موضوعية يجب أن تتوفر في الالتزام الصرفي.

أولاً: الشروط الشكلية

١. كتابة القبول

إن القبول بالتدخل يمثل التزاماً صرفياً للقابل بالتدخل، فهو إذاً ككل التزام صرفي يخضع للشكلية والمتمثلة بالكتابة، فقد نصت المادة (٤٦١) من القانون التجاري اليمني على أنه (... يكتب القبول على الكمبيالة ذاتها ويؤدي بلفظ " مقبول " أو بأي عبارة أخرى تدل على هذا المعنى...)، وعليه لابد من إيراد القبول بالتدخل كتابة، ولا يمكن تصوره شفاهاً، ويجب أن تكون هذه الكتابة على ذات الكمبيالة، تطبيقاً لمبدأ الكفاية الذاتية التي تتمتع بها الأوراق التجارية، أما إذا ورد في ورقة مستقلة عُدَّ كأنْ لم يكن.

وقد كان القضاء قبل صدور قانون جنيف الموحد يساير بعض الفقهاء ويعدُّ القبول صحيحاً إذا تم على ورقة مستقلة، وذلك بهدف تدعيم ضمانات الحامل[١]. لكن رؤي أن هذا الحل يتعارض مع ضرورة أن تكون كافة البيانات المادية التي يترتب عليها التزاماً صرفياً مدونة على الكمبيالة ذاتها[٢].

٢. التوقيع على القبول

أوجب القانون أن يوقع المسحوب عليه على الكمبيالة بإحدى الوسائل المقررة قانوناً سواء كان إمضاءه خطياً بقبوله على الكمبيالة، أو أن يضع بصمة إصبعه إذا كان يجهل الكتابة، ولا يجوز له

(١) الكامل في القانون التجاري: ٣٣٦.

(٢) القانون التجاري والأوراق التجارية: ١٥٥.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

الاكتفاء بالتأشير إلا إذا تبين أن المسحوب عليه معتاد على التوقيع بهذه الطريقة في معاملاته التجارية، ويمكن للمسحوب عليه التوقيع على وجه الكمبيالة أو ظهرها. لأن توقيعه يدل على مضمون التزامه.

٣. صيغة القبول

في الأصل أن تتضمن صيغة القبول ما يفيد صراحة اتجاه نية المسحوب عليه إلى الالتزام في ميعاد الاستحقاق، وقد نصَّ القانون التجاري اليمني في المادة (٤٦١) على وضع لفظ كلمة مقبول أو أي لفظة أخرى تدل على هذا المعنى، على أن يضع المسحوب عليه توقيعه بجانب هذه العبارة.

كما يجب أن يكون القبول غير معلق على شرط. وأي تعديل لبيانات الكمبيالة يقع في صيغة القبول يعد رفضاً لها وذلك وفقاً للمادة (٤٦٢) من القانون التجاري اليمني[١].

٤. تاريخ القبول

تنص المادة (٤٦١) في القانون التجاري اليمني على أنه (... إذا كانت الكمبيالة مستحقة الوفاء بعد مدة من الاطلاع عليه أو كانت واجبة التقديم للقبول في مدة معينة بناء على شرط خاص، ويجب بيان تاريخ القبول في يوم تقديم الكمبيالة، فإذا خلا القبول من التاريخ جاز لحامل الكمبيالة حفظاً لحقوقه في الرجوع على المظهرين أو على الساحب ...).

ويتضح لنا مما سبق أن شرط تاريخ القبول يقتصر على حالتين هما: الكمبيالة المستحقة الوفاء بعد مدة معينة للاطلاع، والكمبيالة المشروط تقديمها للقبول خلال مدة محددة، إذ ينبغي على المسحوب عليه أن يثبت تاريخ قبوله على الكمبيالة بمقتضاها، حتى يمكن وبالاستناد لهذا التاريخ احتساب ميعاد الاستحقاق في الكمبيالة الأولى، وللتأكد من مدى مراعاة الحامل للمدة المقررة المشروط تقديم الكمبيالة للقبول خلالها في الكمبيالة الثانية، وما عدا ذلك فلا يلزم أن يكون القبول مؤرخاً.

(١) تنص المادة (٤٦٢) من القانون التجاري اليمني على أنه (يجب أن يكون القبول غير معلق على شرط ، ومع ذلك يجوز للمسحوب عليه قصره على جزء من مبالغ الكمبيالة وأي تعديل لبيانات الكمبيالة يقع في صيغة القبول يعتبر رفضاً لها ومع ذلك يضل القابل ملزماً بما تضمنته صيغة القبول).

ثانياً : الشروط الموضوعية

١. الأهلية

يشترط فيمن يضع توقيعه على الكمبيالة بالقبول أن تكون له سلطة هذا التوقيع، وأن يكون أهلاً راشداً للالتزام الصرفي وغير محجور عليه، ما لم يكن قاصراً مأذوناً له على وجه قانوني بممارسة التجارة. فالأهلية هي صلاحية الشخص لثبوت ومباشرة الحقوق له وعليه[١]، والتي يطلبها المشرع اليمني عند بلوغ سن الثامنة عشرة مع عدم وجود عارض من عوارضها، مثل الجنون والعته[٢] والسفه[٣].

٢. التوقيع

يمكن أن يحصل القبول من وكيل المسحوب عليه، شرط أن يكون حائزاً وكالة قانونية، تخوله صراحة حق التوقيع بالقبول على السند، وشرط أن يكون المسحوب عليه هو نفسه أهلاً للقبول .

أما بالنسبة للشخص المعنوي " الشركة " فيجوز قبول الكمبيالة ممن يمثلها وفق حدود يبينها القانون، أو النظام الأساسي للشركة.

وتوقيع الوكيل بصفة القبول بالتدخل في حدود سلطته ملزم للموكل المسحوب عليه وإذا تجاوز سلطته فيكون مسؤولاً شخصياً وفقاً للقواعد العامة المتعلقة بالوكالة.

٣. الرضا[٤]

يجب أن يكون التزام المسحوب عليه بالقبول سليماً خالياً من عيوب الرضا التي ذكرها القانون المدني اليمني، وهي الإكراه، والغلط، والغبن، والتدليس، فإن تحقق أي منها يعد معيباً لرضا الموقع مما يجعل تصرفه باطلاً أو موقوفاً حسب القواعد العامة.

٤. المحل

(١) المادة (٤٩) من القانون المدني اليمني.
(٢) وفقاً لنص المادة (٦٠) من القانون المدني اليمني تنعدم الأهلية بالنسبة للشخص المجنون والمعتوه (تصرف فاقد الأهلية غير صحيح).
(٣) وفقاً للمادة (٦٣) من القانون المدني اليمني تصرف السفة (هو تبذير المال خلاف ما يقضي به العقل والشرع).
(٤) تنص المادة (١٤٩) من القانون المدني على أنه (الرضى هو بيد طرفي العقد فيما يتعاقدان عليه).

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

يجب أن يرد القبول على محل الكمبيالة أي على المبلغ النقدي الثابت فيها، وهو كل ما يلزم به المدِين القابل بالتدخل، وللمحل صور ثلاث[١] ، ولذا يتضح لنا أنه لا يجوز أن يتعهد المسحوب عليه بشيء آخر غير لتسليم مبلغ الكمبيالة لحاملها عند الطلب، وإلا عُدَّ بمثابة رفض للقبول يجعل للحامل مباشرة إجراءات الرجوع، والأصل أن يرد القبول على إجمالي مبلغ الكمبيالة كاملاً، ومع ذلك فقد أجاز القانون للمسحوب عليه أن يقصر قبوله على جزء من مبلغ الكمبيالة[٢].

ولاشك أن هذا الرأي فيه مراعاة من المشرع للملتزمين الآخرين الموقعين على الكمبيالة حيث إن القبول الجزئي من شأنه التخفيف عليهم من عبء الضمان، وفي هذه الحالة يعدُّ المسحوب عليه مديناً صرفياً في حدود القدر المقبول، ويجوز للحامل الرجوع بما تبقى على الضامنين بعد توجيه الاحتجاج لعدم القبول[٣].

٥. السبب

لابد لصحة القبول من توفر سبب صحيح دافع لهذا القبول، والسبب هو الباعث الدافع الذي يقصد المسحوب عليه الوصول إليه من وراء التزامه يمكن يدركه في حالة القبول بالتدخل، فقد يكون ديناً في ذمة القابل بالتدخل للشخص المتدخل عنه، وقد يكون القابل بالتدخل قاصداً من وراء القبول هذا تحقيق فائدة معينة أو ربح، وفي كل الأحوال يجب أن يكون السبب موجوداً أولاً تم مشروعاً، فإذا كان القبول بالبطلان في مواجهة الحامل حسن النية.

المبحث الثاني: تقديم الكمبيالة للقبول

تمهيد:

الأصل أن تقديم الحامل الكمبيالة للقبول هو حق له وليس التزاماً عليه، فالتقديم للقبول لا يعدو كونه رخصة بسيطة يقدمها المشرع إلى أي حامل يريد أن يتأكد من استعداد المسحوب عليه للوفاء بالكمبيالة في ميعاد الاستحقاق.

(١) تنص المادة (١٨٤) من القانون المدني على أن يكون المحل مالاً أو منفعة أو ديناً أو عملاً أو الامتناع عن العمل.
(٢) المادة (٤٦٢) من القانون التجاري اليمني.
(٣) المادة (٤٨٩) من القانون التجاري اليمني.

وهذا ما تؤكده المادة (٤٥٧) من القانون التجاري اليمني التي تنص على أنه (يجوز لحامل الكمبيالة أو لأي حائز لها، حتى ميعاد الاستحقاق تقديمها إلى المسحوب عليه في موطنه لقبولها).

ويتضح لنا من خلال هذا النص أن تقديم الكمبيالة للقبول هو في الأصل اختياري من حق الحامل أو أي شخص حائز لها، إلا أن هناك استثناءات ترد في حالات تقديم الكمبيالة وحالات أخرى يمتنع فيها التقديم. ويمكننا توضيح ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: حالات عرض تقديم الكمبيالة للقبول

يمكن أن يقع عرض تقديم الكمبيالة للقبول عندما تكون معدَّة لذلك، وذلك بأن تشتمل على شروط يكون للساحب وحده دون المظهرين، والغاية من ذلك قد تكون تفادي نفقات احتجاج عدم القبول أو الاحتفاظ بحق التصرف بمقابل الوفاء حتى تاريخ الاستحقاق، سوف نتناول في هذا المطلب فرعين أساسين:

الفرع الأول: شروط القبول

تنص الفقرة الأولى من المادة (٤٥٨) من القانون التجاري اليمني على أنه (يجوز لساحب الكمبيالة أن يشترط وجوب تقديمها للقبول في ميعاد معين أو بغير ميعاد).

ونستنتج من هذا النص أن الساحب إذا وضع في الكمبيالة شرط القبول قد يحدده بميعاد معين، يجب عليه خلال ذلك الميعاد تقديمها للقبول، وأن يتقيد بهذا الشرط.

والهدف من شرط القبول هو معرفة الساحب الموقف الذي سيتخذه المسحوب عليه لمواجهة استعداده لوفاء بقيمة السند، وذلك من أجل اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة رفض القبول.

ويجب على الساحب تدوين هذا الشرط في الكمبيالة نفسها بأي صيغة كانت تفيد بالقبول، لكي يطمئن إلى موقف المسحوب عليه منها، ومدى اتجاه نيته إلى الوفاء بها عند الاستحقاق.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

وفي حال اشتراط القبول، يتوجب على الحامل عرض الكمبيالة للقبول، وهو يثبت تنفيذ هذا الشرط أما بتوقيع المسحوب عليه على الكمبيالة، أو بتنظيم احتجاج عدم القبول في المهلة القانونية، فإذا قام بما هو مترتب عليه لجهة عرض الكمبيالة للقبول، احتفظ بحقوقه في الرجوع على المظهرين والساحب، أما إذا لم يتقيد بهذا الشرط، سقط حقه بالرجوع على الملتزمين بالكمبيالة في حال عدم وفاء قيمته في الاستحقاق.

إذا لم يشترط الساحب عرض الكمبيالة للقبول، يمكن للمظهر أن يشترط هذا الشرط، إذا كان الساحب لم يمنع القبول. ويجب أن تدون صيغة الشرط عند تدوين صيغة التظهير[١].

الفرع الثاني : استحقاق الكمبيالة لمهلة بعد الاطلاع

تنص المادة (٤٥٩) من القانون التجاري اليمني على أن (الكمبيالة المستحقة الوفاء بعد مضي مدة معينة من الاطلاع عليها يجب تقديمها للقبول خلال سنة من تاريخها، وللساحب تقصير هذا الميعاد أو إطالته ولكل مظهر تقصير هذا الميعاد)[٢].

ويتضح لنا من نص هذه المادة ما يأتي:

أ. وجوب عرض الكمبيالة للقبول

فيجب على الحامل أن يعرض الكمبيالة للقبول إذا كان استحقاقه لمهلة ما بعد الاطلاع، وذلك لتفادي استمرار ضمان الساحب والمظهرين، بسبب إهمال الحامل.

ب. مدة عرض الكمبيالة للقبول

هل هناك مدة معينه لعرض الكمبيالة للقبول؟

يلتزم الحامل أيضاً بعرض الكمبيالة للقبول خلال سنة من تاريخ إنشائها، إذا كانت مستحقة الدفع بعد مدة معينة من الاطلاع عليها، وذلك لأن تاريخ الاستحقاق في الكمبيالة إنما يتحدد بناء

(١) الكامل في القانون والتجارة: ٣٢٢.
(٢) تقابل هذه المادة وتتضمن الحكم المصدر نفسه المواد (٣٣٨) تجاري لبناني، (٤١١) تجاري مصري، (٤٤٠) تجاري سوري، (٤٤٢) تجاري كويتي، (٧٢) تجاري عراقي، (٤٥٣) تجاري عماني، (٤٠٣) تجاري جزائري، (١٧٤) من المدونة التجارية العربية، الفصل (٢٨٣) من المجلة التجارية التونسية.

على تاريخ قبولها، وذلك وفقاً للمادة (٤٧٢) من القانون التجاري اليمني، على ألا يدخل في حساب هذه المهلة اليوم الأول، وهو يوم السحب.

المطلب الثاني: قواعد امتناع تقديم الكمبيالة للقبول

لا يجوز للحامل تقديم الكمبيالة للقبول إذا تضمنت شرط عدم القبول، وعندما تكون مستحقة الدفع لدى الاطلاع.

الفرع الأول :شروط عدم القبول

يتفق شرط عدم القبول مع متطلبات بيانات الأوراق التجارية، كما يضع الساحب مثل هذا الشرط في الحالات التي لا يكون فيها قد قدم مقابل الوفاء للمسحوب عليه، فيخشى امتناعه عن القبول، أو يكون قدمه ولكنه يريد أن يحتفظ لنفسه بحق استرداده أو التصرف فيه قبل ميعاد الاستحقاق. وقد يكون الساحب على يقين من اتجاه نية المسحوب عليه إلى الوفاء بالكمبيالة في ميعاد الاستحقاق، لكنه يخشى رفض المسحوب عليه التوقيع على الكمبيالة بالقبول حتى لا يلتزم صرفياً بها[١]. وغير ذلك من الأسباب التي يعود تقديرها للساحب، طالما أن شرط عدم القبول، هو شرط اختياري يعود للساحب وضعه في الكمبيالة.

حيث يمنع على الساحب عرض الكمبيالة للقبول قبل الفترة المحددة أو قبل موعد الاستحقاق، ويجب أن يكون شرط عدم القبول واضحاً على الكمبيالة، وهذا كله يقع على عاتق الساحب وحده دون المظهرين وفقاً لنص المادة (٤٥٨) من القانون التجاري اليمني. هذا ويجوز أيضاً للساحب إدراج شرط عدم القبول في كافة الكمبيالات إلا في حالات معينه منها: إذا كانت الكمبيالة قابلاً للدفع عند شخص ثالث، أو في محل غير الذي يقيم فيه المسحوب عليه، أو إذا كانت الكمبيالة مسحوباً

(١) القانون التجاري والأوراق التجارية: ١٤٨.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

بعد مدة الاطلاع عليها، حيث تم تحديد موعد استحقاق هذا النوع من أنواع الكمبيالة لتقديمها للقبول وفقاً لنص المادة (٤٥٩) من القانون التجاري اليمني.

الفرع الثاني: استحقاق الدفع لدى الاطلاع

إذا كانت الكمبيالة مستحقه الدفع عند الاطلاع بحسب طبيعتها فلا حاجة إلى عرضها للقبول، طالما أن الحامل يحق له أن يقبض قيمة الكمبيالة بمجرد اطلاع المسحوب عليه، والوفاء بقيمتها.

أما إذا رفض المسحوب عليه الوفاء بقيمة الكمبيالة لدى الاطلاع عليه، فعلى الحامل أن ينظم الاحتجاج لعدم الدفع.

المبحث الثالث: الفرق بين القبول بالتدخل، والضمان الاحتياطي

تنص المادة (٤٦٦) من القانون التجاري اليمني على أنه (يجوز ضمان وفاء مبلغ الكمبيالة كله أو بعضه من ضامن احتياطي، ويكون هذا الضمان من أي شخص ولو كان ممن وقعوا الكمبيالة).

يتضح من نص هذه المادة أن الضامن الاحتياطي بالكمبيالة هو عبارة عن كفالة شخص ثالث أو أحد الموقعين على الكمبيالة، بحيث يلتزم الضامن أو المتكفل صرفياً بالوفاء بقيمة الكمبيالة بتاريخ الاستحقاق، ويطلق عليه بالمتكفل أو الضامن الاحتياطي.

حيث يتضح لنا أن الضمان الاحتياطي هو شبيهاً للقبول بالتدخل، من حيث الآثار والمركز القانوني لكل من الضامن الاحتياطي والقابل بالتدخل، فكلاهما يلتزم التزاماً ثانوياً احتياطياً عن من تم التدخل لمصلحته " القبول بالتدخل " أو عن المضمون " الضامن الاحتياطي " وهذا الالتزام يتصف بالتبعية حيث ينص القانون التجاري على ذلك في المادة (٥١١)، كما نصت المادة (٤٦٨) من

القانون التجاري اليمني على أن (يلتزم الضامن الاحتياطي على الوجه الذي يلتزم به المضمون، ويكون التزام الضامن الاحتياطي صحيحاً، ولو كان الالتزام الذي ضمنه باطلاً لأي سبب آخر غير عيب في الشكل). وهنا يؤكد أصلية التزام الضامن الاحتياطي وصفته المزدوجة في آن واحد، تبعياً واصلياً معاً، في حين يكتفي في تحديد التزام القابل بالتدخل بالتأكيد على صفة التبعية، والحقيقة أن الصفة الأصلية في الالتزام الصرفي هنا لا تحتاج بالضرورة إلى نص المشرع نظراً لطبيعة التوقيع على الكمبيالة التجارية، واستقلاليته على وفق القواعد العامة.

إذاً كلا الالتزامين أصلي وتبعي معاً، ويؤكد الفقه ذلك في العموم أن المركز القانوني للقابل بالتدخل يكون كفيلاً للشخص الذي تم التدخل لمصلحته[1]، كما أن الضمان الاحتياطي ليس إلا كفالة تجارية، والكفيل مُلْزَم بأداء ما التزم به تجاه من أعطي الضمان لمصلحته، وأن الحامل تتحدد حقوقه بالنسبة للقابل بالتدخل والضامن الاحتياطي بموجب الحقوق التي له تجاه من جرى القبول بالتدخل لمصلحته أو المضمون، فالاثنان إذاً الضامن الاحتياطي، والقابل بالتدخل لا يتعدى مركزهما حدود مركز الكفيل، ولكنه يلاحظ بأن الكفالة هنا، ليست كفالة عادية، أنما كفالة تجارية تمتاز بقدر كبير من التجريد، فالكفالة العادية تبرز فكرة تبعية التزام الكفيل لالتزام المدين الأصيل، ومنها تتفرع سائر أحكام الكفالة المدنية، أما الكفالة التجارية فتتراجع هذه الفكرة وتقوم على أساس من التضامن ومما هو أقوى من التضامن، على أساس من اعتبار الكفيل ملتزماً بضمان الدين المكفول بمحض إرادته المنفردة، ومع ذلك فلا تتوارى فكرة التبعية بل تبقى قائمة، وإن يكن وجودها في حالة ضمور لما جَدَّ من أعراف تجارية في أحكام الكفالة التجارية[2].

وتتجلى حقيقة التشابه الكبير بين طبيعة التزام الضامن الاحتياطي والتزام القابل بالتدخل، والمركز القانوني لكل منهما في حالة كون المتدخل عنه موقعاً على الكمبيالة، وليس الساحب ذاته،

(١) القانون التجاري الأوراق التجارية: ٣٠١.

(٢) أهم القرارات والاجتهادات القضائية: ١٩٧.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

فدور القابل بالتدخل ومركزه هو دور ومركز الكفيل لمن تدخل عنه، وهو يختلف بكل تأكيد عن دور ومركز المسحوب عليه الأصلي، كما تقدم أن القابل بالتدخل لن يحل محل المسحوب عليه، الذي لو قبل الكمبيالة لأصبح المدين الصرفي الأول فيها، لأن القابل بالتدخل ليس إلا كفيلاً[(١)].

ويتضح لنا في النهاية أن الفرق الحقيقي بين القبول بالتدخل والضمان الاحتياطي هو ليس في طبيعة الالتزام ولا في المركز القانوني بقدر ما هو في أمور شكلية وهي كما يلي:

١. القبول بالتدخل يحصل عند امتناع المسحوب عليه عن قبول الكمبيالة، ولجوء الحامل إلى إجراءات احتجاج عدم القبول، أما الضمان الاحتياطي فيمكن أن يقدم في أي وقت، عند سحب الكمبيالة لضمان الساحب أو عند التظهير لضمان المظهر.
٢. كما أن القبول بالتدخل لا يمكن أن يتحقق بمجرد التوقيع على الكمبيالة إذ لابد من إضافة صيغة معينة أو عبارة ما تفيد معنى القبول بالتدخل، في حين أن الضمان الاحتياطي يمكن أن يكون بالتوقيع المجرد على وجه الكمبيالة حيث استقر العرف التجاري ثم أقر ذلك التشريع بأن كل توقيع مجرد على وجه الكمبيالة يفيد الضمان الاحتياطي.
٣. يمكن إعطاء الضمان الاحتياطي على ورقة مستقلة يبين فيها المكان الذي تم فيه، وعندها لا يلزم الضامن إلا تجاه من أعطى له الضمان وفقاً لنص المادة (٤٦٨) من القانون التجاري اليمني، في حين لا يمكن إعطاء القبول بالتدخل على ورقة مستقلة وإلا عُدَّ كأن لم يكن.
٤. وفي الحالتين يمكن أن يكون القبول بالتدخل وكذلك الضمان الاحتياطي، بكل مبلغ الكمبيالة أو جزء منه كما يمكن أن يكون كل منهما أجنبي عن الكمبيالة أو ممن وقعوا عليها سابقاً.

(١) الأسناد التجارية في القانون التجاري الجزائري: ١٦٢.

المبحث الرابع: الآثار القانونية للقبول بالتدخل

تناولت المادة (٥١٣) من القانون التجاري اليمني آثار القبول بالتدخل إذ نصت على أنه (يلتزم القابل بالتدخل نحو الكمبيالة، ومظهريها اللاحقين لمن حصل التدخل لمصلحته بما يلتزم به هذا الأخير، ويجوز لمن حصل التدخل لمصلحته ولضامنيه على الرغم من حصول القبول بالتدخل، أن يلزموا حامل الكمبيالة مقابل وفائهم للمبلغ المعين في المادة (٤٩٩) بتسليمهم الكمبيالة والاعتراض والمخالصة إنْ وجدت).

لذلك من الطبيعي أن يرتب القبول بالتدخل أثراً صرفياً في ذمة المتدخل، فيصبح ملزماً أمام الحامل بدفع قيمتها عند حلول الاستحقاق، ويكون ذلك في الحدود التي يكون المتدخل لمصلحته ملتزماً بها، كما يلزم بذلك في مواجهة الموقعين اللاحقين لهذا الأخير. أما الموقعون السابقون فلا يلتزم اتجاههم شيء، وأن القابل بالتدخل لا يقوم مقام المسحوب عليه الممتنع عند القبول وأنَّ الحامل ينتظر ليقوم بتقديم الكمبيالة الى هذا الأخير فيها واستحقاها المطالبة بالدفع وقد يقوم المسحوب عليه بالامتناع عن القبول، ولكن لا يمنع عن الأداء، وبالتالي يرجع إلى القابل بالتدخل، وخلاصة ما تقدم يمكن لنا القول إن القابل بالتدخل يلتزم التزاماً أصلياً وتبعياً في الوقت ذاته. حيث يتضح لنا أن الآثار القانونية المترتبة على القبول بالتدخل تختلف باختلاف أطراف الكمبيالة، فالآثار التي تترتب على قبول الكمبيالة بالتدخل في علاقة القابل بالتدخل مع الحامل تختلف عن تلك المترتبة بين القابل بالتدخل مع الشخص الذي تم قبول التدخل لمصلحته، كما أن العلاقة التي تربط الحامل بالملتزمين بالكمبيالة تختلف الآثار القانونية المترتبة عن غيرها من العلاقات الناشئة عن الكمبيالة. ويمكن دراسة ذلك من خلال المطالب الآتية:

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

المطلب الأول: علاقة الحامل القابل بالتدخل بالحامل

يترتب على قبول المسحوب عليه للكمبيالة تأكيد الحامل، وفي حالة امتناعه عن قبول الكمبيالة، والذي غالباً ما يكون ينصرف إلى إضعاف الثقة، ووجود الشك والريبة بالنسبة للحامل، فيشرع المتدخل "القابل بالتدخل" إلى عرض قبوله على الحامل، ولهذا الأخير الأحقية القانونية في قبول أو رفض التدخل، فقد يرى الحامل أن القابل بالتدخل شخص لا يمتلك الملاءة المالية[١] فيعتمد إلى رفض القبول بالتدخل عدَّه شيئاً لم يحصل، ولا يؤثر هذا الرفض من الناحية القانونية على المركز القانوني للحامل، كون القبول بالتدخل يعد بحد ذاته حقاً له، سواء بالقبول أو الرفض.

وعندما ينتهي عرض القابل بالتدخل للحامل القيام بالإجراءات القانونية التي أجازها القانون، أي القيام بإجراءات الرجوع، أما إذا قبل ولم يرفض هذا التدخل فلا يتيح له القانون بعدئذ الرجوع قبل تاريخ الاستحقاق على المدِين الصرفي للكمبيالة التجارية، كما لا يجيز القانون له الرجوع على الموقعين اللاحقين له[٢].

إن القابل بالتدخل يُعَدُّ مُلزِماً التزاماً صرفياً بمبلغ الكمبيالة، لكن السؤال الذي يثار فيما إذا كان التزامه التزاماً أولياً بحتاً؟ أو أن التزامه يعد التزاماً ثانوياً، الحقيقة في ذلك أن التزام القابل بالتدخل هو التزام ثانوياً، وهذا الالتزام لا يمنع الحامل من حق الرجوع مباشرة على المتدخل عنه، إذا ما كانت مصلحة هذا الحامل تتحقق بالرجوع، شريطة أن يعبر صراحة عن رفضه عند وقوعه.

وعلى الحامل عند حلول ميعاد استحقاق الكمبيالة أن يتقدم بطلب الوفاء إلى المسحوب عليه الأصلي لأنه قد يكون رفض التدخل لعلاقات تربطه بالساحب ومدى وجود مقابل وفاء الورقة التجارية لدى المسحوب عليه، وأيضاً لكي لا يتعامل معه مستقبلاً[٣].

(١) الملاءة المالية: هي القدرة على الوفاء بالديون.
(٢) المادة (٥١١) من القانون التجاري اليمني.
(٣) القانون التجاري الأوراق التجارية: ١٢١.

المطلب الثاني: علاقة القابل بالتدخل بالشخص الذي تم القبول لمصلحته

إن العلاقة بين القابل بالتدخل والموقع الذي تم القبول لمصلحته هي علاقة غير صرفية، فهي علاقة مستندة إلى الوكالة إذا تم القبول بالتدخل بناءً على طلب المدين أو الفضالة إذا تم التدخل القابل من تلقاء نفسه ودون أن يطلب منه ذلك[١].

وليس للقابل بالتدخل أن يطالب المدين بشيء قبل تاريخ الاستحقاق، وقبل قيامه بالدفع الفعلي، فلو كان المتدخل لمصلحته هو الساحب فلا يستطيع القابل بالتدخل المطالبة بمقابل الوفاء، أما إذا حل أجل الاستحقاق وأجبر المتدخل على الدفع فله حق الرجوع بمقتضى وفائه هذا، على من أوفى عنه[٢].

ويتضح لنا بأن القابل بالتدخل في رجوعه على المتدخل عنه يكون له الحق وذلك في دعويين: الأولى: وهي الدعوى العادية " المدنية " الناشئة عن الوكالة أو الفضالة[٣] وفقًا للقواعد العامة في القانون المدني، والثانية: هي الدعوى الصرفية الناشئة عن الكمبيالة نفسها، والتي تعود له كأي ضامن آخر، أرغم على الوفاء بقيمة الكمبيالة[٤].

المطلب الثالث: علاقة الحامل بالملتزمين في الكمبيالة

إن الحامل له الحق في رفض القبول بالتدخل، كما له الحق في الموافقة على القبول بالتدخل، وفي حال لم يرفضه فليس له أن يرجع على قبل استحقاق ميعاد الكمبيالة على من جرى قبول التدخل لمصلحته، إلا أن الحامل يحتفظ بحقه في الرجوع قبل الاستحقاق بالنسبة للمظهرين السابقين لمن حصل القبول بالتدخل لمصلحته[٥].

(١) الأسناد التجارية أو الأوراق التجارية: ٣٦٥.
(٢) المادة (٥١٤) من القانون التجاري اليمني.
(٣) الأسناد التجارية أو الأوراق التجارية: ٣٦٦.
(٤) ينظر المادة (٣٣٨) من القانون المدني اليمني.
(٥) القانون التجاري الأوراق التجارية: ٢٢٠.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

أما إذا تم تعيين القابل بالتدخل ابتداءً من قبل الساحب أو أحد المظهرين الموقعين على الكمبيالة، الحق في الزام الحامل بقبول مبلغ الكمبيالة، وهو يشمل أصل المبلغ مع الفوائد والمصاريف، وتسليم أصل الكمبيالة والاحتجاج والمخالصة إن وجدت(١).

ولا شك أن في الحلول المتقدمة تمكينا لمن تم التدخل لمصلحته والموقعين السابقين له من مباشرة حقهم في الرجوع بدورهم على ضامنيهم، والقبول بالتدخل لا يمنع من تم التدخل لمصلحته من أن يقوم هو بدفع قيمة الكمبيالة .

الخاتمة:

بعد أن انتهينا من كتابة هذا البحث بفضل وتوفيق من الله وحسن إرادته، على الرغم التحديات التي واجهتنا ونحن نسلك كتابة هذا البحث إلا إننا توصلنا الى جملة من النتائج والتوصيات، والتي يمكن إبراز أهمها فيما يلي:

أولاً : النتائج

١. لا يشترط القانون التجاري اليمني رقم (٣٢) لسنة١٩٩١م أن يكون القابل بالتدخل أحد أطراف الكمبيالة، فقد يكون أجنبياً عنها، أو متعهداً سابقاً أو لاحقاً بموجب الكمبيالة.
٢. يستلزم القانون التجاري في القبول بالتدخل ما يلزمه القواعد العامة فيما يتعلق بالشروط الموضوعية وبعض الشروط الشكلية.
٣. إن الطبيعة القانونية للقبول بالتدخل تذهب الى عدة تصرفات قانونية، فالمتدخل ليس إلا كفيلاً عن من تم التدخل عنه، سواء كان الساحب أو المظهر، وكفالته هذه ليست كفالة عادية وإنما تتسم بقدر كبير من التجريد.

(١) ينظر المادة (٥١٣) والمادة (٤٩٩) من القانون التجاري اليمني.

٤. إن الالتزام القابل بالتدخل ليس التزاماً تبعياً دائماً مثل الكفالة العادية أي (المدنية)، فهو التزام أصلي في وأقات محددة، وهنا يظهر الفرق جلياً وتظهر أهمية التوقيع وخطورته بهذه الصفة لما يمكن أن يتحمل القابل بالتدخل التزاماً بعد عملية التوقيع ينتج عنه عدة التزامات.

٥. قد يتسع دور القابل بالتدخل ليحل محل دور المسحوب عليه الأصلي عندما يكون معيناً من قبل الساحب ومتدخلاً لمصلحته.

ثانياً : التوصيات

١. نقترح على المشرع اليمني أن يضع تعريفاً واضحاً لمعنى القبول بالتدخل ليسهل على الباحثين والمهتمين فهم ماهيته وإطاره العام، كون هذا التعريف لمفهوم القبول بالتدخل يؤدي إلى تحديد الإطار الخاص من الناحية القانونية.

٢. نوصي المشرع اليمني أن يأخذ بعين الاعتبار قاعدة التظهير من الدفوع عند قيامه بأي تعديل يتعلق بالقبول بالتدخل، وأن يحدد الدفوع التي يمكن التمسك به، والتي لا يمكن التمسك بها عند القيام بأي تعديل.

٣. نوصي المشرع اليمني أن يساير التشريعات التي عدّلت قواعدها الخاصة بالقبول بالتدخل، كالقانون المصري والأردني، كون هذه التعديلات تساهم في زيادة العمل بالقبول بالتدخل على اعتباره ضماناً احتياطياً للكمبيالة، فيؤدي ذلك إلى زيادة العمل بهذا النظام سواء من قبل الأشخاص الطبيعيين أو الاعتباريين.

٤. نقترح على المشرع اليمني إفراد نصوص قانونية تبين الآثار القانونية المتعلقة بأطراف الكمبيالة عند حصول القبول بالتدخل، إذ من شأن ذلك أن يحول دون زيادة النزاعات بين الأطراف (أطراف الكمبيالة)، وزيادة الوعي على ما يترتب من آثار إجراء القبول بالتدخل.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

المصادر والمراجع:

١. إبراهيم، بن داود، الأسناد التجارية في القانون التجاري الجزائري، دار الكتاب الحديثة، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.

٢. سامي، فوزي محمد، الشماع، د. فائق، القانون التجاري الأوراق التجارية، بغداد، ١٩٨٢م.

٣. الشاوي، خالد، الأوراق التجارية في التشريعين الليبي والعراقي، مطابع دار الكتب بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٤. طه، مصطفى كمال، و فهيم، مراد منير، القانون التجاري، الدار الجامعية للنشر، بيروت.

٥. الفقي، محمد السيد، القانون التجاري والأوراق التجارية، منشورات الحلبي الحقوقية، ط١، ٢٠١٠م.

٦. القانون التجاري اليمن رقم (٣٢) لعام ١٩٩١م.

٧. القانون المدني اليمني رقم (١٤) لعام ٢٠٠٢م.

٨. موسى، طالب حسن، الأوراق التجارية والعملية المصرفية، دار الثقافة والنشر والتوزيع، عمان ط١، ٢٠١١م.

٩. ناصيف، إلياس، الاسناد التجارية أو الأوراق التجارية، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان ط١، ٢٠١٨م.

١٠. ناصيف، إلياس، الكامل في القانون التجارة، مكتبة الفكر الجامعي، بيروت.

١١. الناهي، صلاح الدين، أهم القرارات والاجتهادات القضائية، مطبعة الحوادث، بغداد، ١٩٧٦م.

١٢. الناهي، صلاح الدين، المبسوط في الأوراق التجارية، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ١٩٦٥م.

حركة المواد الأرضية ومخاطرها الجيومورفولوجية
على أسطح المنحدرات الجبلية المطلة على طريق نقيل سُمارة إب– اليمن

د. عادل حمود لطف ناجي(*)

المستخلص:

يتناول البحث دراسة المخاطر الجيومورفولوجية التي يتعرض لها طريق نقيل سُمارة الناجمة عن حركة المواد الأرضية المكونة لأسطح المنحدرات الجبلية المطلة والموازية للطريق، ومسلطاً الضوء على أهم العوامل الطبيعية التي تزيد من نشاط حركة المواد، وتسهم في حدوث الانزلاقات والانهيارات الأرضية، وبالتالي تحديد التوزيع المكاني لأنواع الانزلاقات والانهيارات الأرضية على الجوانب المطلة للطريق. ومن خلال النزول الميداني لمنطقة الدراسة وباستخدام المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي تم التوصل إلى مجموعة من النتائج: أن أكثر المخاطر الجيومورفولوجية للانزلاقات والانهيارات الأرضية تتركز معظمها في الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة، وأغلب توزيعها المكاني يتركز في المنطقة الثالثة الوسطى، والمنطقة الرابعة الشمالية للطريق، بنسبة (41.51%)، (50%) على التوالي من إجمالي عدد الحالات المشاهدة والمرصودة في المنطقة البالغة (212) حالة، فهي من أكثر المناطق خطورة لحدوث الانزلاقات والانهيارات الأرضية، بسبب الميل الشديد للمنحدرات، ولقرب المسافة من الطريق، ولضخامة الكتل الصخرية المنهارة والمحتملة الانهيار. وأن أكثر نشاط لحركة المواد الأرضية: ظاهرة

(*) أستاذ الجيولوجيا المساعد، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة إب، اليمن.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

السقوط بنسبة (37.7%) من إجمالي عدد الحالات الانهيارات الأرضية، ثم يليه الانزلاق المتضمن (الانزلاق المستوي، الدوراني، الإسفيني)، بنسبة (30.7%)، الزحف بنسبة (18.4%).

الكلمات المفتاحية: طريق نقيل سُمارة، حركة المواد الأرضية، المخاطر الجيومورفولوجية، التوزيع المكاني، طرق الحماية من المخاطر.

The Movement of Ground Materials and their Geo-morphological Risks on the Surfaces of the Mountain Slopes Overlooking the Naqil Samara Road, Ibb-Yemen.

Abstract:

This study examines the geo-morphological risks to which the Smara Naqeel road is exposed to, resulting from the movement of ground materials that form the surfaces of the mountain slopes overlooking and parallel to the road, and highlighting the most important natural factors that increase the activity of the movement of materials contributing to the occurrence of landslides, and thus determine the spatial distribution of the types of landslides (Landslips) on the side overlooking the road. Through a field trip to the study area and by using the descriptive and analytical approach, a set of results were reached: the most geo-morphological risks of slips and landslides are mostly concentrated on the right side of the Naqil Samara road, and most of their spatial distribution is concentrated in the third central region, and the fourth northern region of the road, with a percentage (41.51%) and (50%), respectively, of the total number of observed cases in

the region of (212) cases. It is one of the most dangerous areas for landslips and landslides, due to the steep slope of the slopes, the proximity of the distance from the road, and the huge collapsed and potentially collapsing rock masses. Further, the most active movement of ground materials include the phenomenon of falling reaching (37.7%) of the total number of landslides, followed by sliding which include (plane, rotational, wedge slip) by (30.7%) in addition to crawling by (18.4%).

Keywords: Samara Transfer Route; Movement of Ground Materials; Geo-morphological Hazards; Spatial Distribution; Methods of Protection against Hazards.

1. جبل سُمارة الموقع، الطريق، المخاطر:

جبل سُمارة الواقع شمال مدينة إب عاصمة محافظة إب، وسط الجنوب الغربي لليمن، يُعد جزءًا من السلسلة الجبلية البركانية التي تمتد من جنوب اليمن إلى شماله، ويصل ارتفاعها إلى حوالي 3650م فوق مستوى سطح البحر، تكونت بفعل النشاط البركاني في العصر الثلاثي، ويمتد في جبل سُمارة أهم الطرق الحيوية، والأكثر حركة مرورية هو المعروف بطريق نقيل سُمارة إب–صنعاء يبدأ من الجنوب من ارتفاع حوالي 1600م ويأخذ شكلاً حلزونيًّا ويلتف على الجهة الغربية للجبل، ويستمر بالارتفاع ليصل إلى حوالي 3000م عند مشارف مدينة (كتاب) بعد أن مرَّ بمناطق شديدة الانحدار، وعرة التضاريس؛ ما يجعل طريق نقيل سُمارة يتعرض للعديد من المخاطر الجيومورفولوجية أبرزها: المخاطر الناجمة عن حركة المواد الأرضية من على أسطح المنحدرات المطلة والموازية للطريق ذات التأثير السلبي على الطريق، وعلى حركة المارة ومستخدمي الطريق؛ وقد تؤدي كذلك إلى توقف الحركة عليه أو إلى

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

حدوث أضرار بشرية ومادية. علمًا بأن ظاهرة الانزلاقات والانهيارات الأرضية (حركة المواد الأرضية من على أسطح المنحدرات) تعد من العمليات الجيولوجية الطبيعية الخطرة التي تحدث بكثرة في المنحدرات الجبلية، وفي فترة زمنية قصيرة وسريعة ومفاجئة؛ وترتبط هذه الظاهرة بعدد من العوامل الطبيعية والبشرية التي تحفز وتزيد من نشاط حركة المواد الأرضية المكونة لأسطح المنحدرات، وبالتالي سقوط هذه المواد أو انقلابها أو انزلاقها أو زحفها ... الخ.

وبناءً على ما سبق ذكره؛ تنبع أهمية دراسة المخاطر الجيومورفولوجية لحركة المواد الأرضية، وأنواعها، وتوزيعها المكاني على طول الامتداد الطولي لطريق نقيل سُمارة، وتسليط الضوء على هذه المشكلة من أجل تفادي مخاطرها على الطريق؛ وتقديم حلول ومقترحات للحد من التأثير السلبي لهذه المخاطر، والتقليل من خطورتها، والحفاظ على سلامة الطريق وحركة السير التي تمر عليه. ومنطقة الدراسة (طريق نقيل سُمارة) قريبة من المنطقة التي حدث فيها أحدث وأشهر زلزال المعروف بزلزال ذمار عام 1982م الذي أدى إلى حدوث انهيارات أرضية متعددة مسبباً أضرار بشرية ومادية كبيرة، وأحدث حدث ظهور التشققات الأرضية في ذمار، في يوم 2021/8/8م ظهر انشقاق كبير ومفاجئ وعميق بمنطقة مديرية ضوران آنس التابعة لمحافظة ذمار، ويعزى السبب إلى الإجهادات والضغوط الأرضية التي تتحرر بشكل دوري على شكل تشققات تظهر للسطح (جمعان، 2021).

مشكلة الدراسة:

حركة المواد الأرضية المكونة للمنحدرات الجبلية تنشط عند توافر الظروف الملائمة للحركة، التي تؤدي إلى تحرك المواد المكونة للمنحدرات مسببة في حدوث بعض الأخطار الجيومورفولوجية وهو ما يصدق على ما يشاهد على طريق نقيل سُمارة إب الجبلي فقد تؤدي إلى إعطاب الطريق أو توقف أو عرقلة الحركة المرورية عليه أو إغلاق مجاري تصريف المياه فتكون المحصلة النهائية لتلك المخاطر الجيومورفولوجية حدوث أضرار بشرية ومادية ومن هنا برزت مشكلة البحث بالتساؤلات الآتية:

١. ما العوامل المؤثرة على حركة المواد الأرضية المكونة للمنحدرات الجبلية المطلة والموازية لطريق نقيل سُمارة الجبلي؟
٢. ما التوزيع المكاني لحركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات الجبلية المطلة على طريق نقيل سُمارة الجبلي؟
٣. ما الحلول والمقترحات المطلوبة لمعالجة المخاطر الجيومورفولوجية في منطقة الدراسة؟

أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى ما يأتي:

١. التعرف إلى الخصائص الطبيعية لمنطقة الدراسة وأثرها على المخاطر الجيومورفولوجية الناجمة عن حركة المواد الأرضية.
٢. تحديد أنواع حركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات المطلة على طريق نقيل سُمارة وتوزيعها المكاني.
٣. إيجاد الحلول والمقترحات لتقليل وتفادي الآثار الناتجة عن المخاطر الجيومورفولوجية لحركة المواد الأرضية على منحدرات طريق نقيل سُمارة.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من كون طريق نقيل سُمارة الجبلي من الطرق الرئيسة والمهمة في اليمن؛ إذ تربط بين المناطق الشمالية والجنوبية من اليمن فهي بمنزلة شريان الحياه لتلك المناطق لكثرة الحركة عليها إلا أن هذا الطريق يعرف بطريق الموت لكثرة الحوادث المرورية التي تحدث فيه لعدة أسباب أبرزها المخاطر الجيومورفولوجية التي لم يتم دراستها لا من قريب ولا من بعيد؛ إلا التوصية الموجودة في بحث (ناجي،2021، ص472) الذي أوصى بضرورة دراسة المخاطر الجيومورفولوجية للانزلاقات

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

والانهيارات الأرضية على جانبي طريق نقيل سُمارة، وبذلك تأتي هذه الدراسة نتاجًا لتلك التوصية وتُعد الدراسة الأولى التي تناقش المخاطر الجيومورفولوجية الناجمة عن حركة المواد الأرضية المكونة للمنحدرات الجبلية التي ينجم عنها إغلاق أو إعاقة الحركة المرورية على طريق نقيل سُمارة، ما يشكل خطراً عليه، ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة التي تحاول الوصول للحلول والمقترحات للحد من هذه المخاطر التي يتعرض لها طريق نقيل سُمارة إب–اليمن.

منهجية الدراسة:

اقتضت طبيعة الموضوع وهدفه من الباحث النزول الميداني لمنطقة الدراسة فكان أن تم ذلك في تاريخ (2021/8/12م) وعلى ضوء ذلك تم تحليل البيانات المتحصل عليها لحالات الانزلاقات والانهيارات الأرضية المشاهدة في الأقسام الرئيسية لمنطقة الدراسة وبيان مواقعها وأنواعها ونسب تواجدها، كما اقتضت استخدام المنهج الوصفي لوصف وتحديد خصائص الظواهر الطبيعية الموجودة في منطقة الدراسة، كذلك تم الاعتماد على بعض النتائج التي توصلت إليها دراسة (ناجي، 2021، ص 474-436) لأشكال المنحدرات الجبلية على جانبي طريق نقيل سُمارة إب–اليمن، التي تناولت بشكل مفصل مع الخرائط الخصائص والعوامل المناخية، والطبوغرافية، والجيولوجية (التركيبية والصخرية)، والانحدرات لمنطقة الدراسة، وتم التركيز في هذا البحث على بيان أثر تلك العوامل الطبيعية في نشاط عمليات الانزلاقات الأرضية.

منطقة الدراسة:

منطقة الدراسة جزء من جبل سُمارة الواقع في الجهة الشمالية لمدينة إب، وإدارياً تقع ضمن مديرية المخادر، شكل (1). ويبلغ طول الطريق المدروس حوالي 22.32كم واعتماداً على طبوغرافية

المنطقة فقد تم تقسيم منطقة البحث إلى أربعة أقسام رئيسة تتفاوت في الارتفاع عن مستوى سطح البحر، والجدول (1) يوضح ذلك لتسهيل الدراسة بتحديد موقع الظواهر ووصفها.

جدول (1): الأقسام الرئيسة لمنطقة البحث حسب الارتفاع عن مستوى سطح البحر

م	الأقسام الرئيسة	الارتفاع (م)		القرى التي يمر بها الطرق		مساحة المنطقة كم٢	طول الطرق في كم	النسبة المئوية
		البداية	النهاية	البداية	النهاية			
1	المنطقة الأولى - الجنوبية	1600	2000	جسر الدليل	قرية جن عربن	3	3.54	%16
2	المنطقة الثانية – قرية دارحبة	2000	2400	قرية جن عربن	قرية دارحبة	3.5	4.73	%21
3	المنطقة الثالثة – الوسطى	2400	2600	قرية دارحبة	قرية رباط هبوه	7	7.79	%35
4	المنطقة الرابعة الشمالية	2600	2800	قرية رباط هبوه	مشارف مدينة كتاب قرية بيت هدبان	5.5	6.26	28%

المصدر: (ناجي، 2021، ص 440).

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
العدد الحادي عشر- جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - ديسمبر ٢٠٢١
ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

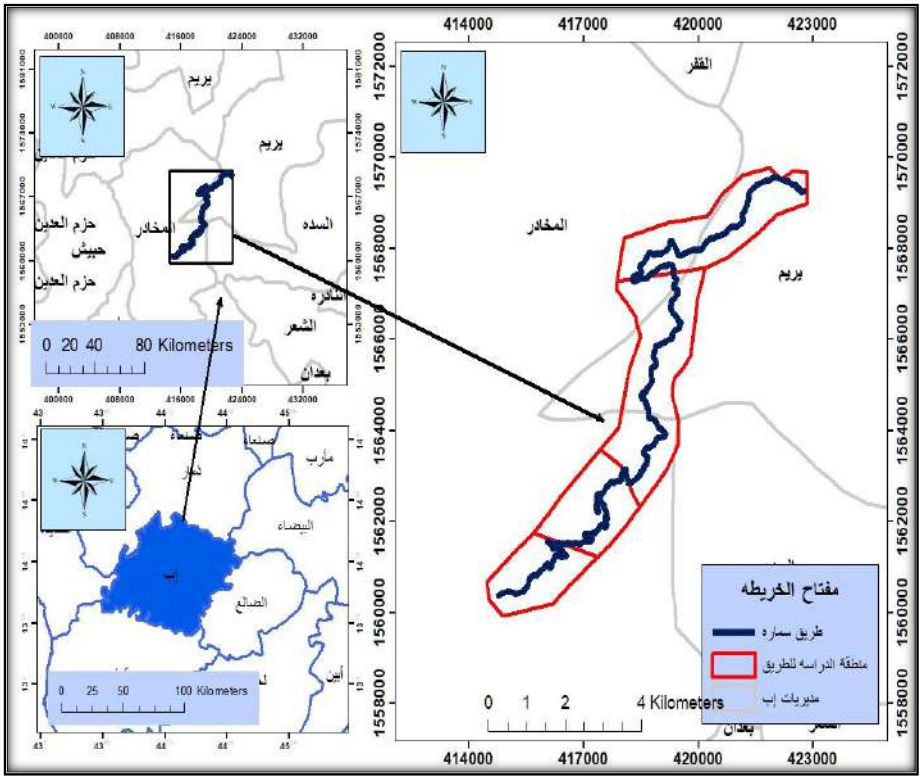

الشكل (1): موقع منطقة الدراسة. المصدر: (ناجي،2021، ص 441).

الدراسات السابقة:

الدراسات المحلية:

من الدراسات المحلية ما يأتي:

1-دراسة (ناجي،2021)، دراسة جيومورفولوجية تطبيقية لأشكال المنحدرات على جانبي طريق نقيل سُمارة إب اليمن، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ذمار، اليمن، العدد (20)، هدف البحث إلى معرفة أشكال المنحدرات على جانبي طريق سُمارة في محافظة إب، ومدى درجات الانحدار، واتجاه المنحدرات، و أهم استخدامات المنحدرات، ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث: سيادة الأراضي شديدة الانحدار مع التضرس الشديد في معظم أجزاء منطقة البحث، وسيادة

المنحدرات التي تزيد درجة انحدارها عن 18 درجة وأكثر على ما نسبته (41.75%) من مجموعة المساحة الكلية للمنطقة، وأن معظم الامتداد الطولي لطريق نقيل سُمارة يقع ضمن فئة المناطق شديدة الخطورة. وأوصى بإجراء دراسة مفصلة عن المخاطر الجيومورفولوجية، خاصة المخاطر الناشئة عن تحرك المواد الأرضية على أسطح المنحدرات الجبلية على جانبي طريق نقيل سُمارة.

2-دراسة (حمران، 2020)، تنمية الأشكال الأرضية والمرتفعات الجبلية بحوض صنعاء، المجلة العربية للبحث العلمي، ((Vol, 2020(2))، (Art, 11))، توصلت الدراسة إلى أن معظم المخاطر والتحديات المتمثلة بالانزلاقات والانهيارات الأرضية المتعددة التي حدثت في منطقة حوض صنعاء كانت بسبب التفاعلات والعوامل والعمليات الطبيعية والبشرية التي أثرت في بناء الأشكال والظواهر الأرضية وتغيراتها مع مرور الزمن. إضافة إلى ذلك أدت هذه المخاطر والتحديات إلى ظهور العديد من المشكلات البيئية كاستنزاف الموارد الطبيعية وخلل في التوازن البيئي، وهذا شكل عائقًا أمام تحقيق التنمية المستدامة في المنطقة. وأيضًا توصلت الدراسة إلى أن الانزلاقات والانهيارات الأرضية تتركز في جنوب غرب حوض صنعاء؛ التي ترتبط بتفاعل العوامل والعمليات الطبيعية والبشرية، حيث أثرت العمليات البشرية بنسبة عالية بتغير أشكال سطح الأرض خلال الفترة (1973-2019).

3-دراسة (موجان والجبلي،2017)، مخاطر الانهيارات الأرضية وقابلية التعرض لها في وادي ظهر غرب صنعاء-اليمن باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، المجلد (س43) العدد (ع165)، بينت الدراسة أنواع الانهيارات المحتملة بحسب مستويات الأخطار، ففي المستوى العالي جداً يحتمل حدوث التساقط الصخري والانقلاب الكتلي والدحرجة في المستوى الذي يليه، وحدوث الانزلاقات المستوية في المستوى المتوسط.

4-دراسة (جميل ناجي،2014)، الانزلاقات الأرضية في الطرق الجبلية اليمنية أسبابها وكيفية الحد من تكرارها، مجلة جامعة العلوم والتكنولوجيا، صنعاء، اليمن، المجلد (13)، العدد (1)، هدف

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

البحث إلى دراسة حالتين من حالات الانزلاقات الأرضية المتعلقة بإنشاء الطرق الجبلية في اليمن، وتوصلت إلى أن المسببات الرئيسة لها كانت من صنع الإنسان بعدم التزام المنفذ للطرق بمعايير الأمان أثناء التنفيذ، وضعف الدور الإشرافي حيث تم وضع مخلفات شق الطرق على جانب الطريق في مكان غير أمن، علاوة على القطع الرأسي المفرط وما صاحبه من تفجير، واختيار فترة الشق في موسم مطير وبدون أي دراسة جيولوجية للمنطقة، بالإضافة إلى بعض العوامل الطبيعية المساعدة كالأمطار، وتخلص هذه الدراسة إلى أن حوالي (75%) من سكان اليمن يعيشون في إقليم المرتفعات الجبلية وبتشتت سكاني كبير، ومعظم التجمعات السكانية تتركز في مناطق شديدة الوعورة ما يجعل من إيصال الطرق إليها أمراً فيه الكثير من الصعوبات خاصة في موسم الأمطار، وذلك بسبب الميول الشديد للكثير من المنحدرات، التي تصل بعضها إلى أكثر من (80) درجة في بعض الأحيان، كذلك يسهم الإنسان في حدوث مخاطر الانزلاقات الأرضية عند إنشاء الطرق الجبلية مثل: ضعف التصميم والإشراف أو لسوء إدارة التنفيذ.

5-دراسة (العبيدي ومجوحان، 2009)، التوزيع الجغرافي لانزلاق الكتل الصخرية في محافظتي عمران والمحويت شمال غرب اليمن، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، المجلد (32)، العدد (2)أوضحت الدراسة الطرق والأساليب المتبعة من قبل الباحثون لتقييم أخطار الانهيارات الأرضية، بما يتناسب مع طبيعة المنطقة، ووسائل البحث، وهدف البحث والإمكانات المادية، واستعانت هذه الدراسة بمنهجية (LPI) عند دراسة المخاطر في بعض مناطق اليمن.

6-دراسة (العبيدي، 2003)، ظاهرة الانزلاق والتساقط الصخري وأثرها على المجتمع السكني في منطقة مذبح منخفض صنعاء، المجلة الجغرافية اليمنية، العدد (2). أوضحت الدراسة أن العوامل الجيولوجية والحركات الباطنية العنيفة، وكذلك عمليات التعرية والمناخ القديم والحديث، لعبت

جميعها دوراً في تحديد جيومورفولوجية المنحدرات الجبلية وهو ما انعكس بدوره على استقرارية المنحدرات الصخرية، ونشاط ظاهرة الانهيارات الأرضية، خاصة على منحدرات حوض صنعاء.

الدراسات العربية:

من الدراسات العربية ما يأتي:

1-دراسة (العكام وحسين، 2015)، حركة المواد الأرضية ومخاطرها في محافظة أربيل، مجلة كلية التربية، جامعة المستنصرية، العراق، العدد (6)، ومن نتائجها تعرض المنحدرات الجبلية في محافظة أربيل إلى نشاط حركة المواد الأرضية والتي من أهمها: الانزلاقات الأرضية والتساقط الصخري والانقلاب الصخري والدحرجة والتدفق الحطامي والتدفق الطيني وزحف التربة.

2-دراسة (اللهيبي، 2019)، تحليل جيومورفولوجي لمخاطر الانزلاقات الأرضية على طريق خدران الجبلي شمالي العراق، مجلة مداد الآدب، كلية الآداب، الجامعة العراقية، العراق، عدد خاص بالمؤتمر (2018-2019م)، تسود أنواع مختلفة من الانزلاقات الارضية في منطقة الدراسة، منها الانزلاق الدوراني والهبوط الارضي، والانزلاق الاسفيني، والمركب، والانقلابية، والمستوي، وتسود الانزلاقات الدورانية والهبوط الارضي على باقي أنواع الانزلاقات الارضية.

3-دراسة (الأخضر، 2019)، المخاطر الجيومورفولوجية لحركة الكتل الصخرية على منحدرات الطريق الجبلي أبو غيلان بمنطقة غريان، أطروحة دكتوراه، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا، ومن أهم النتائج لهذه الدراسة: أهم الانهيارات التي حدثت تتمثل في السقوط للصخور، والانقلاب للتربة والصخور، والزحف للصخور والتربة السلتية والحطام، أما الانزلاق فرصدت حالة واحدة فقط.

1. أنواع حركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات الجبلية المطلة على طريق نقيل سُمارة:

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

اعتمد في دراسة حركة المواد الأرضية التي تحدث على المنحدرات المطلة على طريق نقيل سُمارة على تصنيف المخاطر الجيومورفولوجية لـ Varnes, 1978، وهو من التصنيفات الأكثر استخداماً وعلى نطاق واسع، وهو يقسم حركات المواد الأرضية إلى أنواع مختلفة وفقاً للمادة المكونة للمنحدر، ونوع الحركة. وفيما يأتي عرض لأهم أشكال حركة المواد الأرضية، ونوع المواد المساهمة في الحركة والمنتشرة في منحدرات منطقة الدراسة جدول (2).

جدول (2): تصنيف الحركات ونوع المواد المساهمة في الحركة على أسطح المنحدرات حسب تصنيف Varnes,1978.

نوع المواد			نوع الحركة
الصخور	الحطام	التربة	
سفوط صخري	سفوط الحطام	سفوط التربة	السفوط
الانهيارالانفلابي للصخور	الانهيارالانفلابي للحطام	الانهيارالانفلابي للتربة	الانهيارالانفلابي
انزلاق الصخور	انزلاق الحطام	انزلاق التربة	الانزلاق (المسنوي، الدوراني، الإسفيني)
انشارالصخور	انشارالحطام	انشارالتربة	الانشارجانبي
ندفق الركام	ندفق الحطام	ندفق الطيني والارضي	الندفق الانسياب
زحف الصخور	زحف الحطام	زحف التربة	الزحف

وفي ضوء ذلك التصنيف قام الباحث برصد أنواع المواد والحركة الأرضية في منحدرات جبل سُمارة على النحو الموضح في الجدول (3).

جدول (3): إجمالي الحالات المشاهدة لكل نوع من أنواع حركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات في المناطق الرئيسة لمنطقة الدراسة.

نوع حركة المواد الأرضية	عدد الحالات المشاهدة والمرصودة في المناطق الأربع لمنطقة الدراسة				المواد المكونة للحركة	مجموع عدد الحالات المرصودة	النسبة المئوية
	المنطقة الأولى الجنوبية (كسارة العنسي–قرية جن عرين)	المنطقة الثانية (قرية جن عرين–قرية دار حبة)	المنطقة الثالثة الوسطى (قرية دار حبة–قرية رباط هيوة)	المنطقة الثانية (قرية رباط هيوة–قرية بيت هديان)			
السقوط Falls	5				حطام+كتل	80	37.7%
		4			حطام+كتل		
			15 10 15		صخور حطام صخور+حطام		
				15 4 12	صخور حطام صخور+حطام		
الانزلاق المستوي Plane Sliding	1				صخور	47	22.2%
		4			الحطام + كتل		
			2 5 7		الحطام + كتل صخرية كتل صخرية حطام		
				4 4 5 15	تربة صخور حطام صخور+حطام		
الانزلاق الدوراني Rotational Sliding			8		الحطام	12	5.7%
				4	صخور+حطام		

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

نوع حركة المواد الأرضية	عدد الحالات المشاهدة والمرصودة في المناطق الأربع لمنطقة الدراسة				المواد المكونة للحركة	مجموع عدد الحالات المرصودة	النسبة المئوية
	المنطقة الأولى الجنوبية (كسارة العنسي-قرية جن عرين)	المنطقة الثانية (قرية جن عرين-قرية دار حبة)	المنطقة الثالثة الوسطى (قرية دار حبة-قرية رباط هيوة)	المنطقة الثانية (قرية رباط هيوة-قرية بيت هديان)			
الانزلاق الإسفيني Wedge Sliding			2		صخور	6	2.8%
				4			
الانهيار الانقلابي Toppling			3		كتل صخور	7	3.3%
				4			
تدفق الركام Debris Flow	4				ترسبات مختلفة من كتل صخرية إلى حبيبات	19	9%
			7				
				8			
			6 6		صخور حطام		
				10 12 5	صخور حطام صخور+حطام		
الانتشار الجانبي Lateral			2		صخور	2	0.9%
المجموع						212	100%

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م

الجدول(3) يوضح إجمالي عدد الحالات المشاهدة لأنواع حركة المواد الأرضية وأنواع المخاطر الجيومورفولوجية الناجمة عنها وتوزيعها المكاني في منطقة الدراسة، وفيما يأتي نبذة مختصرة لتلك المخاطر حسب نسبة تواجدها في المنطقة المدروسة:

1.1 السقوط:

يقصد به: سقوط المواد الأرضية المفككة مهما كان حجمها من المنحدرات شديدة الميل بحركة سريعة وفجائية. وقسمت حركة السقوط استنادًا إلى شكل الحركة فتكون سقوطًا حرًّا إذا كانت زاوية المنحدر جرفية بزاوية تصل إلى90 درجة، أما إذا كانت زاوية المنحدر بين 45 درجة وأقل من 70 درجة فتتخذ الصخور أسلوب القفز، وإذا كانت الزاوية 30 درجة وأقل من 45 درجة فالمواد ستتخذ الدحرجة سلوكًا (Dorren, 2003, pp 71-73).

تتجمع المواد الساقطة (الصخور، الحطام، التربة) أسفل المنحدرات لتكون الركامات الساقطة (Debris fall). وقد سجلت في منطقة الدراسة (المناطق الأربع الرئيسة) وعلى جانبي طريق نقيل سُمارة سقوط جلاميد صخرية مختلفة الأحجام، والحطام كما هو موضح بالجدول (3) حيث بلغ إجمالي عدد حالات السقوط المشاهدة حوالي (80) حالة، ما شكل نسبته (37.7%) من عدد حالات الانزلاقات والانهيارات الأرضية المرصودة والمحتملة الوقوع في منطقة الدراسة والبالغة حوالي (212) حالة، وبذلك تحتل ظاهرة السقوط الترتيب الأول بالمنطقة.

1.2 الانزلاق:

الانزلاقات الأرضية من الظواهر الجيولوجية الطبيعية التي تكثر في مناطق المنحدرات الجبلية، خاصة المنحدرات غير الجرفية، ويحدث الانزلاق عندما تكون المنحدرات مائلة أو تكون الفواصل والشقوق موازية لسطح المنحدر. وتحدث حركة المواد الأرضية المنزلقة بصورة سريعة ومفاجئة؛ سواءً كانت صخوراً (Rock Slide) أم حطاماً (Debris Slide) أم تراباً (Soil Slide)، وتكون هذه المواد ملاصقة للمنحدر مباشرة، وتحدث الانزلاقات على طول المنحدر وليست مقصورة على منطقة محددة مثل السقوط، والانقلاب الصخري (Arthurl, 1978, pp177). ويشمل الانزلاق أنواعًا عدة منها: الانزلاق المستوي، والانزلاق الدوراني والانزلاق الإسفيني. حيث بلغ إجمالي

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

عدد حالات الانزلاق (المستوي، الدوراني، الإسفيني) المشاهدة حوالي (65) حالة، ما شكل نسبته (30.7%) من عدد حالات الانزلاقات والانهيارات الأرضية المرصودة والمحتملة الوقوع في منطقة الدراسة، وبذلك تحتل ظاهرة الانزلاق الترتيب الثاني في منطقة الدراسة من حيث عدد الحالات المرصودة، الجدول (3).

1.2.1 الانزلاق الصخري المستوي:

يسمى الانزلاق المستوي (Plane Slide) بالانزلاق الانتقالي (Translation Slide)، ويحدث على سطح يميل باتجاه أسفل المنحدر بزاوية تكون أصغر من زاوية المنحدر؛ إذ يشكل سطحًا بارزًا في وجه المنحدر (Goodman., et al, 2003, pp 1980). حيث تحدث حركة المواد الأرضية على سطح مستو بوصفها فاصلاً أو صدعًا أو سطح طبقة ولا يرافقها دوران(Singh and Goel, 1999, pp164-166). ومثلت حالات الانزلاقات المستوية المشاهدة في منطقة الدراسة حوالي (47) حالة، ما نسبته (22.2%) من إجمالي عدد حالات حركة المواد الأرضية المشاهدة بالمنطقة، الجدول (3).

1.2.2 الانزلاق الدوراني:

تتحرك المواد الأرضية (الصخور، الحطام، التربة) على مستوى مقعر (يشبه الملعقة) أو منحني موازي لاتجاه المنحدر بحيث يكون اتجاه حركة المواد إلى أسفل تصحبها استدارة للكتلة إلى الأعلى وإلى الخارج، ويحدث الانزلاق الدوراني (Rotational Slide) في المنحدرات الصخرية ذات الشقوق والفواصل الكثيرة (الانقطاعات) وباتجاهات مختلفة فوق التكوينات الجيولوجية شديدة الميل؛ وغالبًا ما يحدث في التكوينات الفتاتية والتربة وينتج عنها كتل هابطة. وفي منطقة الدراسة لوحظ وجود (12) حالة لظاهرة الانزلاق الدوراني على منحدرات المنطقة (المنطقة الثالثة الوسطى وفي المنطقة الرابعة الشمالية فقط) مشكلة ما نسبته (5.7%).

1.2.3 الانزلاق الإسفيني:

يحدث الانزلاق الإسفيني (Wedge Slide) عندما تلتقي مجموعتان من الفواصل (مستويا الانزلاق)، تفصل بينهما زاوية، ويحدث الانزلاق على طول هذه الفواصل فكلما قلت الزاوية بين الفواصل كانت الفرصة أكبر لحدوث الانزلاق، ويعتمد الانزلاق الإسفيني على أكثر من فاصل على عكس الانزلاق المستوي الذي يعتمد على فاصل واحد (Singh and Goel, 1999, pp164-166). الجدول (3) يوضح المناطق التي ظهر فيها حدوث الانزلاق الإسفيني في منطقة الدراسة حيث بلغ عدد الحالات المشاهدة للانزلاق الإسفيني حوالي (6) حالات بنسبة (2.8%) من إجمالي العدد الكلي لحالات حركة المواد الأرضية المرصودة بمنطقة الدراسة.

1.3 الزحف:

يُعد الزحف (Creep) من مظاهر نشاط حركة المواد الأرضية على المنحدرات الجبلية، بطيئة الحركة، وفي منطقة الدراسة تم رصد هذا النوع الذي يتميز بأن الجلاميد الصخرية تتحرك دون اختلاطها بأي رواسب أخرى، وأهم أسباب حدوث الزحف انفصال الكتل الصخرية وزحفها على سطح مائل أو حدوث انحناء للجزاء العلوي للطبقات الصخرية (كاظم، 2017، ص125)؛ إذ بلغ عدد الحالات المرصودة لظاهرة زحف الصخور والحطام حوالي (39) حالة بنسبة (18.4%) من إجمالي أنواع الحركة الأرضية المشاهدة بالمنطقة محتلة الترتيب الثالث بمنطقة الدراسة من حيث العدد، الجدول (3).

1.4 التدفق أو الانسياب:

الانهيارات الانسيابية أو التدفقية (Flows) هي حركات سريعة الحدوث، وتستغرق فترة زمنية طويلة نسبياً، وتحدث عندما تتحرك المواد الأرضية على المنحدرات (مثل خليط إسمنتي)، وتكون معظم

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

الانسيابات مشبعة بالماء وتتحرك على شكل لسان أو فص أو مروحة، ومن الانسيابات (التدفقات) التي تم ملاحظتها في منطقة الدراسة ما يأتي:

1.4.1 التدفق أو الانسياب الركامي (Debris flow):

يحدث عندما تجرف مياه الأمطار الناتجة عن العواصف الرعدية كميات هائلة من الصخور المفككة إلى أسفل المنحدرات الجبلية عن طريق المجاري المائية (الأودية المائية الموسمية) الموجودة بها. وتم رصد ظاهرة تدفق الركام على المنحدرات المطلة على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة، التي تتميز باحتوائها على مختلف الترسبات التي تتراوح أحجامها ما بين كتل صخرية كبيرة إلى حبيبات التربة، فضلاً عن مخلفات بقايا الأعشاب والأشجار، إذ بلغ عدد الحالات المرصودة حوالي (19) حالة، مشكلة ما نسبته (9%)، ويأتي بالمركز الرابع من حيث عدد الحالات المرصودة، الجدول (3).

1.5 الانهيار الانقلابي:

انهيار الكتل الصخرية (Rock Block Topple) بحركة دورانية باتجاه أسفل المنحدر، بسبب وجود الانقطاعات (الفواصل والشقوق) في المكاشف الصخرية (Amini, et al., 2012, pp 519-520). وفي منطقة الدراسة تم رصد انقلاب للصخور بواقع (7) حالات، بنسبة (3.3%) وكانت محصلة الانهيار الانقلابي في بعض المواقع الوصول إلى الخندق الموازي لطريق نقيل سُمارة وفي بعض المواقع المرتفعة والبعيدة عن الطريق ظلت في مكانها.

وتتعرض الطبقات الصخرية في منطقة الدراسة إلى احتمالية الانهيار بظاهرة الانقلاب، لاسيما في المنطقتين الثالثة الوسطى والرابعة الشمالية فقط من منطقة الدراسة، كما هو موضح بالجدول (3) الذي يوضح ظاهرة الصخور المعرضة لخطر الانقلاب بواقع (7) حالات ما نسبته (3.3%)؛ أي بالترتيب الخامس على الانهيارات الأرضية المرصودة بمنطقة الدراسة.

1.6 الانتشار الجانبي (الانهيار الجانبي):

يحدث عند وجود طبقة صخرية متماسكة تحت سطحية، تعلوها طبقة صخرية أقل تماسكاً، وعندما تتعرض المنطقة لحركات أرضية كالزلازل؛ فتنهار الطبقة العليا جانبيًّا (Highland, 2003,pp 1-48). وتتميز المنحدرات التي تحدث عليها حركة الانتشار الجانبي بأنها خفيفة الميل. وقد رصدت ظاهرة الانتشار الجانبي في منطقة الدراسة في المنطقة الثالثة الوسطى فقط بواقع حالتين مشكلة ما نسبته (0.9%).

2. التوزيع المكاني لأنواع حركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات الجبلية في مناطق الدراسة الرئيسة:

اعتمادا على الجدول (1) والذي يوضح الأقسام (المناطق) الرئيسية الأربع لمنطقة الدراسة تم إجراء دراسة تفصيلية للتوزيع المكاني لحركة المواد الأرضية ومخاطرها الجيومورفولوجية وأهم المواد المكونة لها في تلك المناطق كما يأتي:

2.1 المنطقة الأولى الجنوبية (كسارة العنسي–قرية جن عرين):

طريق نقيل سُمارة الجبلي، يبدأ من الجنوب من (جسر الدليل) بالقرب من (كسارة العنسي) للأحجار وصولاً إلى مشارف مدينة (كتاب) شمال منطقة الدراسة؛ إذ يبدأ الطريق من ارتفاع 1600م فوق مستوى سطح البحر؛ آخذاً بالصعود تدريجيًّا بشكل حلزوني ليصل إلى قرية (جن عرين) عند ارتفاع 2000م (طول الطريق في المنطقة الأولى–الجنوبية 3.54كم).

من خلال الجدول (4) تبين أن طريق نقيل سُمارة المار عبر المنطقة الأولى الجنوبية أقل تعرضًا لمخاطر الانهيارات الأرضية والانزلاقات الجبلية والناجمة عن حركة المواد الأرضية من أسطح السفوح والمنحدرات، حيث بلغ عدد الحالات المرصودة والمشاهدة في تلك المنطقة حوالي (10) حالات، ما نسبته (4.72%) من إجمالي عدد الحالات المرصودة بمنطقة الدراسة كلها، وأهم مخاطرها الجيومورفولوجية ظاهرة السقوط الصخري الذي يشمل السقوط (مواده الحطام والصخور)، الحر

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

والدحرجة والقفز، ويشكل ما نسبته (50%) من عدد حالات الانزلاقات والانهيارات الأرضية والمحتملة الوقوع في المنطقة الأولى الجنوبية، اللوحة (1)، يليه ظاهرة تدفق الركام بنسبة (40%)، ويحدث في المجاري المائية الموسمية، ترسبات مختلفة من كتل صخرية إلى حبيبات التربة اللوحة (2)، والانزلاق المستوي للصخور بنسبة (10%)، اللوحة (3).

جدول (4): التوزيع المكاني لحركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات على جانبي طريق نقيل سُمارة في المنطقة الأولى الجنوبية (كسارة العنسي–قرية جن عرين)

نوع حركة المواد الأرضية	الموقع والإحداثيات (كسارة العنسي-قرية جن عرين)	المواد المكونة للحركة	عدد المواقع (عدد الحالات المشاهدة)	النسبة المئوية
السقوط Falls	14° 12" 49' N-44° 22" 22' E	الحطام +كتل صخرية	5	50%
الانزلاق المستوي Plane Sliding	14° 11" 11' N-44° 21" 39' E	صخور	1	10%
تدفق الركام Debris Flow	14° 11" 13' N-44° 21" 29' E 14° 12" 00' N-44° 23" 10' E	ترسبات مختلفة من كتل صخرية إلى حبيبات التربة	4	40%
المجموع			10	100%

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

لوحة (1): نماذج لحالات سقوط الصخور والحطام وإسهام الأشجار والنباتات الموسمية في استقرار المواد الأرضية على منحدرات الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الأولى. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

لوحة (2): نماذج لظاهرة تدفق الركام في المجاري المائية الموسمية على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الأولى. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

لوحة (3): الانزلاق المستوي للصخور نتيجة للشقوق والفواصل (الانقطاعات) على صخور منحدرات على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الأولى. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

2.2 المنطقة الثانية (قرية جن عرين–قرية دار حبة):

في هذه المنطقة يأخذ طريق نقيل سُمارة بالارتفاع بشكل شبه حلزوني ليصل إلى قرية (دار حبة) عند ارتفاع 2400م (طول الطريق في المنطقة الثانية–قرية دار حبة 4.73كم)، إذ بلغ عدد حالات حركة المواد الأرضية المرصودة في هذه المنطقة حوالي (8) حالات، بنسبة (3.77%) من إجمالي حالات الانزلاقات والانهيارات الأرضية في منطقة الدراسة، أهم المخاطر الجيومورفولوجية الناجمة عن حركة المواد الأرضية من المنحدرات المطلة والموازية للطريق، ظاهرتا السقوط، والانزلاق المستوي (للصخور والحطام) بنسبة (50%) لكل منهما من عدد حالات الانزلاقات والانهيارات الأرضية في المنطقة الثانية الجنوبية، الجدول (5) واللوحة (4).

جدول (5): التوزيع المكاني لحركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات على جانبي طريق نقيل سُمارة في المنطقة الثانية (قرية جن عرين–قرية دار حبة).

نوع حركة المواد الأرضية	الموقع والإحداثيات (قرية جن عرين–قرية دار حبة)	المواد المكونة للحركة	عدد المواقع (عدد الحالات المشاهدة)	النسبة المئوية
السقوط Falls	14°12″55′N-44°23″21′E	الحطام +كتل صخرية	4	50%
الانزلاق المستوي PlaneSliding	14°12″50′N-44°23″15′E 14°13″10′N-44°24″43′E	الحطام +كتل صخرية	4	50%
المجموع			8	100%

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

لوحة (4): الانزلاق المستوي وسقوط الصخور والحطام نتيجة للشقوق والفواصل (الانقطاعات) على صخور منحدرات جانبي طريق نقيل سُمارة في المنطقة الثانية. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

2.3 المنطقة الثالثة الوسطى (قرية دار حبة–قرية رباط هيوه):

طريق نقيل سُمارة في المنطقة الثالثة الوسطى يأخذ مساراً تكثر فيه الانعطافات والالتفافات على الجانب الغربي لجبل سُمارة، ماراً ببعض الأودية الموسمية الصغيرة والقرى، ومارًّا بمناطق خطرة شديدة الانحدار ليصل إلى ارتفاع 2600م بالقرب من قرية (رباط هيوه)، (طول الطريق في المنطقة الثالثة–الوسطى 7.79كم)، وقد بلغ عدد الحالات المرصودة والمشاهدة في تلك المنطقة حوالي (88) حالة، ممثلة ما نسبته (41.51%) من إجمالي عدد حالات حركة المواد الأرضية المرصودة بمنطقة الدراسة، جدول (6)، ومن المخاطر الجيومورفولوجية المنتشرة بكثرة في هذه المنطقة ظاهرة السقوط التي تشكل ما نسبته (46%)، وأهم موادها الأرضية الصخور والحطام اللوحة (5)، ثم الانزلاق المستوي بنسبة (16%) معظمه انزلاق للحطام اللوحة (6)، أما ظاهرة زحف الصخور وزحف الحطام فشكلتا ما نسبته (14%) اللوحة (7) و اللوحة (8)، ويشكل الانزلاق الدوراني للحطام ما نسبته (9%) اللوحة (9)، أما ظاهرة تدفق الركام عبر المجاري المائية الموسمية فيشكل ما نسبته (8%) من عدد حالات الانهيارات والانزلاقات الأرضية المرصودة والمحتملة الوقوع في المنطقة الثالثة الوسطى، اللوحة (10).

جدول (6): التوزيع المكاني لحركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات على جانبي طريق نقيل سُمارة في المنطقة الثالثة الوسطى (قرية دار حبة–قرية رباط هيوه).

نوع حركة المواد الأرضية	الموقع والإحداثيات (قرية دار حبة-قرية رباط هبوه)	المواد المكونة للحركة	عدد المواقع (عدد الحالات المشاهدة)	النسبة المئوية
المنشوط Falls	14° 14′ 57″ N-44° 25′ 09″ E	صخور	15	46%
		حطام	10	
	14° 14′ 64″ N-44° 24′ 98″ E	صخور+حطام	15	
الانزلاق المستوي Plane Sliding	14° 16′ 00″ N-44° 24′ 28″ E	الحطام + كتل صخرية	2	16%
		كتل صخرية	5	
		حطام	7	
الانزلاق الدوراني Rotational Sliding		الحطام	8	9%
الانزلاق الأسفيني Wedge Sliding		صخور	2	2%
	14° 16′ 33″ N-44° 25′ 04″ E			
الانهيار الانقلابي Toppling	14° 16′ 37″ N-44° 25′ 20″ E	كتل صخور	3	3%
تدفق الركام Debris Flow	14° 14′ 41″ N-44° 24′ 66″ E	ترسبات مختلفة من كتل صخرية إلى حبيبات الترية	7	8%
	14° 15′ 08″ N-44° 24′ 56″ E			
	14° 15′ 58″ N-44° 24′ 75″ E			
	14° 16′ 59″ N-44° 25′ 25″ E			
الزحف Creep	14° 14′ 57″ N-44° 25′ 09″ E	صخور	6	14%
	14° 17′ 61″ N-44° 24′ 28″ E	حطام	6	
	14° 17′ 66″ N-44° 24′ 49″ E			
الانتشار الجانبي Lateral	14° 17′ 80″ N-44° 24′ 60″ E	صخور	2	2%
المجموع			88	100%

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

لوحة (5): نماذج لظاهرة سقوط وتدحرج الصخور والحطام على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الثالثة.

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

لوحة (6): نماذج لحالات الانزلاق المستوي للصخور نتيجة لكثرة الشقوق والفواصل (الانقطاعات) في صخور المنحدرات المطلة على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الثالثة.
المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

لوحة (7): نماذج للانزلاق المستوي ولسقوط الحطام على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الثالثة.

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

لوحة (8): نماذج لحالات سقوط وزحف الصخور والحطام من على المنحدرات المطلة على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الثالثة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 8-2021-12م.

نماذج لظاهرة الانزلاق الدوراني للحطام الصخري

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

نماذج لظاهرة الانزلاق الانقلابي للصخور

نموذج لظاهرة الانزلاق الاسفيني للصخور

لوحة (9): نماذج لحالات الانزلاق الدوراني والانقلابي والإسفيني للصخور والحطام من على المنحدرات المطلة على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الثالثة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

لوحة (10): نماذج لحالات تدفق الركام الصخري عبر المجاري المائية الموسمية على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الثالثة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م

2.4 المنطقة الرابعة الشمالية (قرية رباط هيوه–قرية بيت هديان):

طريق نقيل سُمارة في المنطقة الرابعة الشمالية يستمر بالارتفاع إلى حوالي 2800 متر قاطعاً منحدرات شديدة الانحدار، ليصل إلى مشارف مدينة (كتاب)، (طول الطريق في المنطقة الرابعة-الشمالية 6.26كم)، ومن خلال الجدول (7) الخاص بالتوزيع المكاني لحركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات المطلة والموازية للطريق في المنطقة الرابعة الشمالية، تبين أن أكثر المخاطر الجيومورفولوجية الناجمة عن حركة المواد الأرضية تتركز معظمها في الجانب الأيمن للطريق، وأن توزيعها المكاني أغلبه يتركز عند قرية رباط هيوه وصولاً لقرية بيت هديان (مشارف مدينة كتاب)، ومن خلال النزول الميداني للمنطقة تم تسجل أكثر حالات الانزلاق والانهيارات الأرضية التي حدثت والمحتملة الحدوث في هذه المنطقة وإذ بلغ إجمالي عدد الحالات المشاهدة حوالي (106) حالات؛ أي ما نسبته (50%) من إجمالي (212) حالة مسجلة في المناطق الأربع جدول(3).

ومن أهم المخاطر الجيومورفولوجية في المنطقة الرابعة الشمالية ظاهرة السقوط (صخور وحطام)، إذ شكل ما نسبته (29.25%) من عدد حالات الانزلاقات والانهيارات الأرضية المرصودة في هذه المنطقة لوحة (11)، ثم يليه الانزلاق المستوي بنسبة (26.42%) وأهم مواده (التربة والصخور والحطام) لوحة (12)، وشكل زحف الصخور وزحف الحطام ما نسبته (25.47%) لوحة (13)، أما ظاهرة تدفق الركام (7.55%) لوحة (14)، والانزلاق المستوي والدوراني والإسفيني فشكل كل منها ما نسبته (3.77%) لوحة (15) ولوحة (16).

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
العدد الحادي عشر-جمادى الأولى ١٤٤٣هـ-ديسمبر ٢٠٢١
ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

جدول (7): التوزيع المكاني لحركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات على جانبي طريق نقيل سُمارة في المنطقة الرابعة الشمالية (قرية رباط هيوه-قرية بيت هديان).

نوع حركة المواد الأرضية	الموقع والإحداثيات (قرية رباط هيوه-قرية بيت هديان)	المواد المكونة للحركة	عدد المواقع (عدد الحالات المشاهدة)	النسبة المئوية
السقوط Falls	14° 18′ 12″ N-44°24′ 75″E 14° 19′ 49″ N-44°27′ 43″E	صخور حطام صخور+حطام	15 4 12	29.25%
الانزلاق المستوي Plane Sliding	14° 18′ 50″ N-44°24′ 88″E	تربة صخور حطام صخور+حطام	4 4 5 15	26.42%
الانزلاق الدوراني Rotational Sliding		صخور+حطام	4	3.77%
الانزلاق الأسفيني WedgeSliding	14° 19′ 70″ N-44°27′ 90″E	صخور	4	3.77%
الانهيار الانقلابي Toppling	14° 17′ 64″ N-44°24′ 32″E 14° 17′ 83″ N-44°24′ 51″E	صخور	4	3.77%
تدفق الركام Debris Flow	14° 18′ 29″ N-44°26′ 03″E 14° 18′ 50″ N-44°26′ 60″E	رسبات مختلفة من كتل صخرية إلى حبيبات الترية	8	7.55%
الزحف Creep	14° 18′ 30″ N-44°24′ 75″E 14° 19′ 71″ N-44°27′ 95″E	صخور حطام صخور+حطام	10 12 5	25.47%
المجموع			106	100%

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

لوحة (11): نماذج لحالات سقوط الجلاميد الصخرية من على المنحدرات المطلة على جانبي طريق نقيل سُمارة في المنطقة الرابعة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

لوحة (12): نماذج لحالات الانزلاق المستوي للصخور والحطام الصخري والتربة في المنحدرات المطلة على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الرابعة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

لوحة (13): نماذج لحالات زحف الصخور والحطام من على المنحدرات المطلة على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الرابعة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

لوحة (14): نماذج لشواهد تدفق الركام في المجاري المائية الموسمية على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الرابعة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

لوحة (15): نماذج لحالات الانهيار الانقلابي والانزلاق المستوي والانزلاق الإسفيني نتيجة لكثرة الشقوق والفواصل (الانقطاعات) في صخور المنحدرات المطلة على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الرابعة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

لوحة (16): الانهيار الانقلابي للكتل الصخرية نتيجة الشقوق والفواصل (الانقطاعات) في الطبقة الصخرية على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الرابعة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

3. العوامل المؤثرة في حركة المواد الأرضية المكونة للمنحدرات والمواد المستقرة عليها والمطلة على طريق نقيل سُمارة:

تتنوع العوامل المؤثرة في المنحدرات فمنها ما يكون عوامل إضعاف، ومنها ما يكون محفزاً لحركة المواد الأرضية وزيادة نشاطها، وفيما يأتي تأثير لأهم تلك العوامل في منطقة الدراسة:

3.1 الوضع الجيولوجي والتراكيب الجيولوجية لمنطقة الدراسة:

إن صخور المنحدرات الجبلية لمنطقة الدراسة التي تشهد ظاهرة الانزلاقات والانهيارات الأرضية تأثرت بالعديد من الصدوع والفواصل والشقوق (الانقطاعات) في أثناء تكون هذه الصخور من النشاط البركاني الثلاثي، فضلاً عن إلى تأثرها بالحركات التكتونية القديمة المصاحبة لانفتاح خليج عدن والبحر الأحمر في العصر الثلاثي، التي أدت إلى رفع أو خفض التكوينات الجيولوجية في المناطق؛ ما جعل بعض الصدوع والفواصل والشقوق تأخذ اتجاهات مختلفة لوحة (16 & 4) ومن ثم فهي غير مستقرة جيولوجياً؛ وجعل تلك المناطق المرتفعة شديدة الانحدار؛ ما سهل عملية التعرية الطبيعية التي تساعد على حدوث الانهيار والتساقط للكتل الصخرية. لذلك فالوضع الجيولوجي لمنطقة الدراسة

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

غير مستقر؛ إذ تكثر الصدوع والفواصل والشقوق في أغلب منحدرات نظراً لسعة المسافة بين الفواصل والشقوق، وهذا ما تم ملاحظته من خلال النزول الميداني لمنطقة الدراسة، وتم ملاحظة زيادة في كثافة التكسرات والفواصل والشقوق في صخور بركانيات العصر الثلاثي والمتمثلة بالصخور البازلتية التي تأخذ الشكل العمداني لوحة (3 &4 & 6).

3.2 الهزات الأرضية والزلازل:

تسهم الهزات الأرضية في إحداث حالة ضعف في الصخور ومكونات المنحدرات في حال لم تعمل على انهيارها، وتعمل الهزات الأرضية على كسر حاجز التوازن للمواد الأرضية على أسطح المنحدرات (الأخضر، 2019، ص 56). ويمثل وجود الصدوع والفواصل والشقوق في منطقة الدراسة مؤشراً مهماً لتعرض المنطقة لهزات أرضية. وكما ذكر في المقدمة عن ظهور التشققات الأرضية في ذمار الواقعة شمال منطقة الدراسة، إذ لوحظ في 2021/8/8م انشقاق كبير ومفاجئ وعميق، في منطقة مديرية رضوان آنس التابعة لمحافظة ذمار، ويعزى سبب التشققات إلى الاجهادات والضغوط الأرضية التي تتحرر بشكل دوري على شكل تشققات، وقام المركز الوطني لرصد ودراسة الزلازل بدراسة منطقة الشقوق الأرضية في قاع جهران الواقع شمال منطقة الدراسة (طريق نقيل سُمارة)، حيث تبلغ المساحة الكلية لمنطقة الشقوق الأرضية بحدود (72كم^{2})، بطول (9كم) وعرض(8كم)، وقد شملت الشقوق الأرضية بداية من الشمال الغربي من مدينة معبر (قرية بني سرحان) وحتى الشمال الشرقي من معبر (قرية بني قوس)، وتضم (11) شقاً (جمعان، 2021)، كل هذا يدل على أن المنطقة معرضة لنشاط زلزالي مستمر، وبهذا فاحتمالية وقوع الانزلاقات والانهيارات الأرضية كبيرة في منطقة الدراسة.

3.3 عناصر المناخ والفترة الزمنية:

وتعد الأمطار أحد الأسباب الرئيسة التي تؤدي إلى حدوث الانزلاقات والانهيارات الأرضية في اليمن إذ تؤثر في الصخور بالعديد من الفواصل والشقوق، وفي منطقة الدراسة تُعد المياه أبرز محفزات

تحرك المواد الأرضية المكونة للمنحدرات الجبلية المطلة والموازية لطريق سُمارة؛ إذ إن معظم حركة المواد الأرضية تحدث في فصل الصيف خاصة الأشهر (يوليو وأغسطس وسبتمبر) وذلك بفعل أمطار غزيرة وفي بعض الأوقات تحدث عواصف مطرية شديدة فتعمل على سرعة النفاذ السطحي للماء خلال الترسبات الصخرية الهشة والمتمثلة بالتربة والحطام الصخري، فتعمل على سرعة انزلاقها وانجرافها إلى وسط الطريق. وتعد مياه الساقط المطري (المياه السطحية) عاملاً مهماً للتعرية المائية؛ إذ يُزيل نواتج التجوية الميكانيكية، وحدوث زحف للحطام الصخري وللتربة أو تدفق وانسياب الطين. ومع مرور الوقت تتشبع فراغات الصخور بالمياه، ما يؤدي إلى تفككها وتصبح تحت تأثير كتلتها وقوة الجاذبية الأرضية ويحصل الانهيار الأرضي.

وفي منطقة الدراسة لوحظ وجود عيون مائية موسمية في جوانب المنحدرات الجبلية نتيجة الأمطار الغزيرة؛ ما يسهم في حركة المواد الأرضية لوحة (17). أما درجة الحرارة فمنطقة الدراسة من المناطق الجبلية المرتفعة التي تتباين فيها درجة الحرارة ليلاً ونهارًا، ففي فصل الصيف تتراوح فيها درجة الحرارة العظمي ما بين (°35-°25)، وتنخفض في الليل فتتراوح درجة الحرارة الصغرى ما بين (°20-°15)، أما في فصل الشتاء فتتراوح درجة الحرارة العظمى ما بين (°26-°24)، وتنخفض في أثناء الليل لتصل إلى تحت الصفر مع حدوث موجة صقيع (ناجي، 2021، ص 446). نتيجة لاختلاف درجة الحرارة في أثناء الليل والنهار وهو ما تؤدي إلى استمرار تمدد الصخور وانكماشها ما يؤدي إلى خلخلة أجزائها وتفتتها؛ كما أن التغير في درجة الحرارة يؤدي إلى تولد ضغط وجهود متباينة في الصخور وفي اتجاهات مختلفة يكون نتيجتها بمرور الوقت حدوث التشققات في الاتجاهات المختلفة مما يساعد على تكسر الصخور وتهشما وتفتتها.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

لوحة (17): شواهد لعيون مائية وتأثير المياه وسقوط الصخور وتدفق الركام نتيجة لغزارة الأمطار على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الثالثة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

3.4 الغطاء النباتي:

بشكل عام تُعد النباتات عاملاً مؤثراً في استقرار المنحدرات الجبلية؛ إذ يعمل الغطاء النباتي بوصفه عاملاً مثبتاً للمنحدرات ومن ثم فهو يزيد من متانة التربة من خلال قيام جذور النباتات بتثبيت التربة ويعمل على امتصاص المحتوى المائي الموجود أسفل طبقة التربة وبهذا يقلل من أهمية الماء

بوصفه عاملاً محفزًا للانهيارات الأرضية وبخاصة إذا كان الغطاء النباتي كثيفًا إلا أنه يمكن أن تحدث للمنحدرات انهيارات على الرغم من وجود غطاء نباتي كثيف نتيجة لحدوث تشبع بالمياه للطبقة السطحية (Rickli and Graf, 2009, p 33-34). ولكن في حالة أن يكون لدى الأشجار تأثير قليل على منسوب المياه فإن جذور هذه الأشجار يمكن أن تعمل على زحزحة ورفع للكتل الصخرية مسببة زيادة مخاطر حركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات الجبلية.

يتوزع الغطاء النباتي خاصة النباتات الموسمية وبعض الأشجار في معظم أجزاء منطقة الدراسة في المناطق المستوية وفوق المنحدرات الخفيفة والمتوسطة الميل؛ حيث تعمل هذه النباتات الموسمية على تثبيت التربة والحطام والتقليل من عملية انجرافها وكذلك عملت دعامات للكتل الصخرية بمختلف أحجامها لوحة (18). ويقل الغطاء النباتي وينعدم في السفوح الصخرية الجرداء الخالية من التربة ذات الصخور الصلبة التي لا تساعد على نمو الغطاء النباتي.

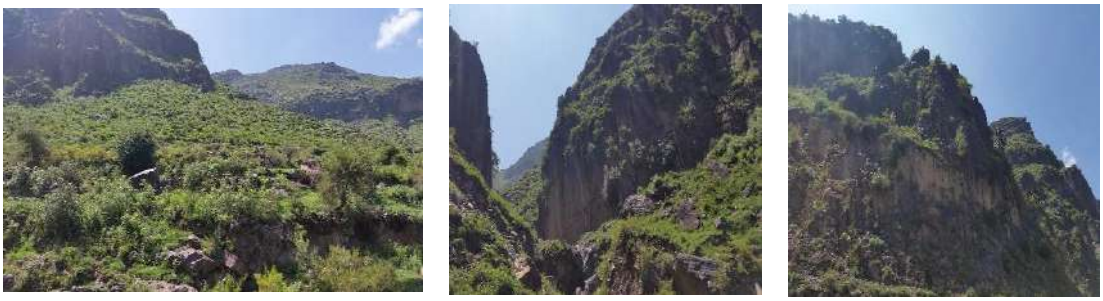

لوحة (18): نماذج لاستقرار المواد الأرضية بفعل تواجد الأشجار والنباتات الموسمية فوق المنحدرات على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة في المنطقة الثالثة. المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 12-8-2021م.

3.5 المنحدرات الجبلية:

تختلف المنحدرات الجبلية من حيث زاوية ميلها، ويسهم هذا الاختلاف في تحديد حركة المواد الأرضية على أسطحها؛ فإذا كان المنحدر بسيطاً أو خفيفاً فليس بالإمكان أن يكون الانهيار

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

سقوطاً، وإنما الحركة الأكثر احتمالية للحدوث تكون زحفاً أو انزلاقاً مستوياً. إذاً تُعد المنحدرات الأرضية من بين أهم العوامل التي تسهم في نشاط الانزلاقات والانهيارات الأرضية في مناطق السفوح الجبلية التي تُعد من المناطق ذات الانحدارات المختلفة الميل. وتتصف منطقة الدراسة بسيادة الأراضي شديدة الانحدار مع التضرس الشديد في معظم أجزاء منطقة الدراسة، وسيادة المنحدرات التي تزيد درجة انحدارها عن 18 درجة وأكثر على ما نسبته (41.75%) من مجموعة المساحة الكلية للمنطقة، وأن معظم الامتداد الطولي لطريق نقيل سُمارة يقع ضمن فئة المناطق شديدة الخطورة (ناجي،2021، ص 449).

4. مخاطر الانهيارات والانزلاقات الجبلية الناجمة عن حركة المواد الأرضية على أسطح المنحدرات المطلة والموازية لطريق نقيل سُمارة:

تُعد منطقة الدراسة وبالأخص طريق نقيل سُمارة من المناطق التي تتعرض باستمرار لمخاطر الانهيارات الأرضية والانزلاقات الجبلية والناجمة عن حركة المواد الأرضية من أسطح السفوح والمنحدرات المطلة والموازية للطريق، ومن البيانات الموجودة في الجدول (3) تبين أن أكثر المخاطر الجيومورفولوجية الناجمة عن حركة المواد الأرضية تتركز معظمها في الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة، وأن توزيعها المكاني أغلبه يتمركز في المنطقة الثالثة الوسطى (قرية دار حبة–قرية رباط هيوه)، طول الطريق فيها (7.79كم)، وفي المنطقة الرابعة الشمالية (قرية رباط هيوه–قرية بيت هديان) بطول (6.26كم)؛ ففي هذه المناطق تكثر فيها حالات الانزلاق والانهيار الأرضي التي حدثت والمحتملة الحدوث يعود ذلك إلى عدة أسباب أهمها ما يأتي:

4.1–جيولوجية المنطقة (البنائية والتركيبية)، وصخورها التي تكثر فيها الصدوع والفواصل والشقوق والتكسرات، كذلك قرب منطقة الدراسة من المناطق التي شهدت أحداثا زلزالية أبرزها زلزال ذمار عام 1982م؛ ما جعلها غير مستقرة معرضة لحدوث الانزلاقات والانهيارات الأرضية.

4.2-جيومورفولوجية منحدرات جبل سُمارة؛ إذ عملت الانحدارات شديدة الميل إلى تعرض طريق نقيل سُمارة لمخاطر الانزلاقات والانهيارات الصخرية؛ لأن معظم الامتداد الطولي للطريق يقع ضمن فئة الانحدارات شديدة الميل تقع ضمن (أكثر من 18°) (ناجي،2021، ص 449) وهي المنحدرات التي يمر بها الطريق.

4.3-غزارة الأمطار في منطقة الدراسة خاصة في فصل الصيف موسم سقوط الأمطار؛ إذ تعمل المياه الجارية على سفوح المنحدرات الجبلية على جرف التربة والحطام تساقط الصخور حيث تشكل قوة جريان المياه ضغطاً على الصخور التي تتكسر مع مرور الوقت وتسقط على طريق نقيل سُمارة، كذلك تسهم الأمطار الغزيرة في تغذية الينابيع المنتشرة في المنطقة؛ ما يؤدي إلى انبثاق العيون المائية في المنحدرات المطلة على طريق نقيل سُمارة مما يسهم في حركة المواد الأرضية.

4.4-تسهم درجات الحرارة المتباينة خلال أشهر السنة وخلال ساعات الليل والنهار في إضعاف وتفكك الصخور وزيادة في حدوث ظاهرة الانهيارات الأرضية، وكذلك تتعرض منطقة الدراسة إلى موجة صقيع شديدة في الساعات المتأخرة من الليل خاصة في فصل الشتاء، حيث تنخفض درجة الحرارة إلى ما تحت الصفر؛ ما يؤدي إلى تجمد المياه في الشقوق والفواصل الموجودة بالصخور وهو ما يؤدي إلى زيادة الضغط الداخلي مسببة قوة دفع تؤدي إلى حدوث ظاهرة الانزلاق الصخري علماً بأن الصخور البازلتية العمدانية الشكل منتشرة بكثرة على جانبي طريق نقيل سُمارة.

4.5-قرب المسافة ما بين الطريق والمنحدرات، وضخامة الكتل الصخرية المنهارة والمحتملة الانهيار، وعدم توافر أعمال الحماية المطلوبة لتفادي مخاطر الانزلاقات والانهيارات الأرضية.

5. طرق الحماية من مخاطر حركة المواد الأرضية من على أسطح المنحدرات المطلة والموازية لطريق نقيل سُمارة:

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

للتقليل أو للحد من انزلاق وانهيار المواد الأرضية المكونة للمنحدرات المطلة والموازية لطريق نقيل سُمارة هناك طرق ووسائل وإجراءات وقائية مهمة، منها ما يأتي كما هو موضح في الوحة (19):

5.1-استخدام وسائل وطرق مناسبة لتثبيت الصخور غير المستقرة مثل عمل الرشة الخرسانية أو الشبك السلكي أو الحواجز الخرسانية أو حواجز السلال الحجرية أو جدران استنادية أو خوابير ومراسي التثبيت.

5.2-توسيع المسافات بين حافة الطريق خاصة الجانب الأيمن للطريق، وأسفل المنحدر المقطوع لاستقبال أي مواد أرضية متساقطة ووصولها إلى سطح الطريق.

5.3-تفتيت وتكسير الكتل الصخرية المعلقة والمعرضة للسقوط أو الانقلاب إلى وسط طريق نقيل سُمارة أو التي تهدد القرى الموجودة أسفل المنحدرات التي توازي الطريق أو العمل على تثبت الكتل الصخرية الكبيرة باستخدام أعمدة خرسانية أو معدنية تخصص لهذا الغرض، أو العمل على إسقاط الصخور الأكبر ببطاء إلى جانب الطريق إذا كان هناك أرض مستوية صغيرة كافية لاستقرار الصخور عليها.

5.4-في منطقة الدراسة وعلى الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة هناك العديد من الجدران الحجرية بعض السلال الحجرية تبعد مسافة متر واحد عن الطريق ولكن ارتفاعها صغير يتراوح ما بين (2-3) متر لا يكفي لتفادي وصول الصخور الساقطة أو الانهيار الأرضي إلى وسط الطريق؛ لذلك على مصلحة الطرق العمل على زيادة ارتفاع الجدران الحجرية أو مد شبكة معدنية فوق تلك الجدران وتثبيتها بإحكام وذلك للحد من أي حركة للمواد الأرضية فوق الجدران.

5.5-تنظيف المجاري المائية على الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة من مخلفات السيول الموسمية (مكونات تدفق الركام) لكي لا تعمل على سد القنوات المائية الموجودة أسفل الطريق.

لوحة (19): نماذج لاستخدام الشبوك السلكية والسلال الحجرية وخوابير ومراسي التثبيت للحد من انزلاق وانهيار المواد الأرضية المكونة للمنحدرات.

6. النتائج:

1-تتصف تكتونية اليمن بأنها تكتونية بنائية توسعية ممثلة بخليج عدن جنوباً والبحر الأحمر غرباً، انعكس ذلك على جعل الوضع الزلزالي والبركاني لليمن نشطاً ما أدى إلى تكون تراكيب جيولوجية متنوعة (كالصدوع والفواصل والشقوق)، كذلك حدوث النشاط البركاني خلال العصر الثلاثي وبداية الرباعي أدى إلى تكون سلسلة من المرتفعات الجبلية العالية، والمعقدة التضاريس، كما هي الحال في منطقة الدراسة (جبل سُمارة) التي تكثر في صخورها الفواصل والشقوق والتكسرات؛ ما جعل الصخور غير مستقرة ومعرضة لحدوث الانزلاقات والانهيارات الأرضية، وجعل طريق نقيل سُمارة المار فيها يتعرض للعديد من المخاطر الجيومورفولوجية التي تؤثر سلبياً على الطريق وعلى حركة المارة ومستخدمي الطريق.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

2-لعبت العمليات الجيولوجية والحركات التكتونية دورًا بارزًا في تشكيل جيومورفولوجية المنحدرات الجبلية لمنطقة الدراسة، وهذا انعكس بدوره على استقرارية ونشاط حركة المواد الأرضية المكونة لأسطح تلك المنحدرات، ومن ثم زيادة في مخاطرها الجيومورفولوجية وتركزها على المنحدرات الشرقية لجبل سُمارة؛ أي المنحدرات المطلة والموازية للجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة.

3-عملت الانحدارات الشديدة لأسطح منحدرات جبل سُمارة على تعرض طريق نقيل سُمارة للعديد من المخاطر الانزلاقية والانهيارية الأرضية بسبب أن معظم الامتداد الطولي للطريق يقع ضمن فئة الانحدارات شديدة الميل، وكذلك لقرب مسافة المنحدرات من الطريق.

4-تلعب عناصر المناخ دورًا مهماً في زيادة تعرض طريق نقيل سُمارة للمخاطر الجيومورفولوجية؛ إذ إنها تعمل على إضعاف الصخور وتفككها وتفتتها، إذ تتباين وتتفاوت درجات الحرارة خلال أشهر السنة، وكذلك خلال ساعات الليل والنهار؛ فضلاً عن غزارة الأمطار ولارتفاع كمية الساقط المطري السنوي في منطقة الدراسة اسهام كبير في زيادة انتشار ظاهرة الانزلاقات والانهيارات الأرضية فيها وفي طريق نقيل سُمارة خاصة.

5-تتعرض المنحدرات الجبلية في منطقة الدراسة والمطلة والموازية لطريق نقيل سُمارة إلى نشاط حركة المواد الأرضية وأهم المخاطر الجيومورفولوجية الناجمة عنها: ظاهرة السقوط بعدد حوالي (80) حالة تم رصدها مشكلة ما نسبته (37.7%) من إجمالي عدد حالات حركة المواد الأرضية المشاهدة والمرصودة في منطقة الدراسة، ثم يليه ظاهرة الانزلاق المتضمن (الانزلاق المستوي، الدوراني، الإسفيني)، بحوالي (65) حالة مشاهدة ما نسبته (30.7%)، ظاهرة الزحف بواقع حوالي (39) حالة ما نسبته (18.4%)، ظاهرة تدفق الركام عبر المجاري المائية الموسمية بعدد (19) حالة مشاهدة بنسبة (9%)، أما الانهيار الانقلابي الصخري فقد رصد بواقع (7) حالات بنسبة (3.3%)، وأخيراً جاء الانتشار الجانبي للصخور بواقع حالتين بنسبة (0.9%).

6-أهم المواد الأرضية الرئيسية المكونة للحالات المشاهدة والمرصودة لطاهرة الانزلاق (المستوي، الدوراني، الإسفيني) في منطقة الدراسة فهي الكتل الصخرية، والحطام، والتربة، أما ظاهرة السقوط

فهي من أكثر الحركات الأرضية المرصودة والمحتملة الوقوع من المنحدرات المطلة لطريق نقيل سُمارة فموادها تتمثل في الصخور المنكشفة (جلاميد صخرية مختلفة الأحجام)، والمواد المكونة لظاهرة الزحف فهي الصخور والحطام، أما المواد المكونة لظاهرة تدفق الركام عبر المجاري المائية عبارة عن ترسبات تتراوح أحجامها ما بين كتل صخرية كبيرة إلى حبيبات التربة؛ فضلاً عن بقايا الأشجار، الانهيار الانقلابي مواده كتل صخرية كبيرة الحجم.

7-ومن خلال هذه الدراسة تم التوصل إلى أن أكثر المخاطر الجيومورفولوجية للانزلاقات والانهيارات الأرضية تتركز معظمها في الجانب الأيمن لطريق نقيل سُمارة، وأكثر توزيعها المكاني يتركز في المنطقة الثالثة الوسطى، والمنطقة الرابعة الشمالية (من بعد قرية دار حبة وصولاً لمشارف مدينة كتاب عند قرية بيت هديان)، مشكلة ما نسبته (41.51%)، (50%) على التوالي من إجمالي عدد الحالات المشاهدة والمرصودة في منطقة الدراسة البالغة (212) حالة، فهاتان المنطقتان من أكثر المناطق خطورة لحدوث الانزلاقات والانهيارات الأرضية، بسبب الميل الشديد للمنحدرات، ولقرب المسافة من الطريق، ولضخامة الكتل الصخرية المنهارة والمحتملة الانهيار، وكذلك بسبب عدم توفر أعمال الحماية المطلوبة لتفادي هذه المخاطر.

المصادر والمراجع:

1-الأخضر، أبو القاسم، (2019)، المخاطر الجيومورفولوجية لحركة الكتل الصخرية على منحدرات الطريق الجبلي أبو غيلان بمنطقة غريان، أطروحة دكتوراه، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا، .https://www.researchgate.net/publication/344392808

2-جمعان، عبد الغني، (2021)، ظهور التشققات الأرضية في ذمار، مقال في صفحة فيسبوك عبد الغني جمعان، يوم 2021/8/8م.

ISSN:2707-8655
EISSN:2707-8663

3-كاظم، عبدالحسين، (2017)، تحليل مخاطر جيومورفولوجية في منطقة بنجوين، أطروحة دكتوراه، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، بغداد، العراق.

4-ناجي، عادل، (2021): دراسة جيومورفولوجية تطبيقية لأشكال المنحدرات الجبلية على جانبي طريق نقيل سُمارة إب-اليمن، مجلة الآداب جامعة ذمار، ذمار، اليمن، العدد (20).

5-Amini, L., Majdi, A. and Veshadi, M.A, (2012), Stability Analysis of Rock Slope Against Block-Flexure Toppling Failure. Rock Mechanics and Rock Engineering, Published online by Springer-Verlag, 45(4).

6-Arthur, L.B, (1978), Geomorphology (A systematic Analysis of Late Cenozoic Landforms). Journal of Geography(Chigaku Zasshi), 87(5).

7-Dorren, L.K, (2003), A review of Rock Fall Mechanics and Modeling Approaches. Progress in Physical, Arnold Mathematical Journal, 27(1).

8-Goodman, R.E., Watts, C.F., Gillian, D.R. and Hang, H, (2003), Rock Slope Stability Computerized Analysis Package. WWW. Radford, earlt-cwatts.

9-Highland, L, (2003), An account of Preliminary Landslide Damage and Losses Resulting from the February 28, 2001. Nisqually, Washington, Earthquake, US Department of the Interior, US Geological Survey.

10-Rickli, C, and Graf, (2009), Effects of Forests on Shallow Landslides-Case Studies in Switzerland. Forest Snow and Landscape Research, 82(1).

11-Singh, B, and Goel, R.K, (1999): Rock Mass Classification. A practical Approach in Civil Engineering, Elsevier, 46.

12-Varnes, D.J, (1978), Slope Movement Types and Processes. In: Schuster, R.L, and Krizek, R.J., Eds, Ladslides, Analysis and Control, Transportation Research Board, Special Report (176), National Academy of Sciences.

Hadhramount University

ISSN:2707-8655
EISSN: 2707-8663

AL-MAHRAH

Journal of Humanities

Scientific, Biannual & Refereed
Issued by the Faculty
of Education - Almahrah

- The Poetry of Mornings According to Ibn Zamrak Al-Gharnati Formation and Connotation.
- The Wisdom in Kalila and Dimna (The King's Son and his Companions) A Pedagogical Textual Study.
- Ahmad Fares Al-Shidyaaq's Approach of Morphological Authorship in his book 'Ghuniat At-taleb wa Muniat Ar-ragheb.
- The Image of Disability and the Disabled in the Folksy Publications of Salem Marzouq Abu-Jaber Balhaaf.
- The Prosodical Structure in the Poetry of Ahmad Bin Alwan.
- The Choices of the Scholar Abdullah Bin Mahfouz Al-Haddaad in the Chapter on Fasting.
- The Civil Society.. Functions and Stakes.
- The Degree of Students' Involvement in the Social Studies Textbooks of the Fifth Grade in the Republic of Yemen.
- Pedagogical Organizations in the Abbasid Era and their Role in Spreading Knowledge (Libraries as a Case Study)
- The Legal Regulation for the Acceptance of the Intervention of the Bill of Exchange.
- The Movement of Ground Materials and their Geo-morphological Risks on

Issue(No.11) December 2021